

المنتخب للطريحي

المنتخب

في جمع المراثي والخطب

ملاحظة

هذا الكتاب

نشر الكترونياً وأخرج فنياً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إنشاء الله تعالى.

المُنتخب

في جمع المراثي والخطب

المشتهر به (الفخري)

تأليف

الإمام الكبير والمُصنّف الشهير الشّيخ

فخر الدّين الطريحي النّجفي المُتوفى سنة : 1085

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف :

الحمد لله الذي جعل الدنيا جنة لأعدائه ، وسجناً ومحنة لأوليائه وأحبابه ؛ ليلوهم فيها بالاكْتِئاب ، ويجازيهم من الثواب والعقاب ، والصلاة والسلام على مُحَمَّد وآله الأكرمين الأنجاء ، وعلى مَنْ سلك سبيلهم من التابعين والأصحاب .
وبعد : فيقول الفقير إلى الله ، فخر الدين بن مُحَمَّد عليّ بن أحمد بن عليّ بن أحمد بن طريح النجفي ، إني مورد في هذا الكتاب ، ما استطرفته من فضائل أهل البيت (عليه السلام) ومراثيهم ، وذكر مصائبهم وتعازيهم ، وجعلته مُرتباً على عشرين مجلساً وأبواباً ، طالباً بذلك الرضا وجزيل الثواب من الكريم الوهاب ، وسميته بكتاب : (المُنْتخب) في جمع المراثي والخطب .
وها أنا ذا أشرع وأقول ، والله الثقة والمأمول :

المجلس الأول

في الليلة الأولى من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

أيها المؤمنون المخلصون والأمناء الصالحون : اعلّموا إنّ الله عزّ وجلّ قد ابتلى ابن بنت نبيّه وأهل بيته (عليهم السلام) , بمصائب جليّة ورزايا عظيمة وبلايا جسيمة , لم يتل بها أحد من نبيّ أو وليّ أو شريف أو دينيّ من ؛ القتل والصلب والحرق والضرب , والغيلة والحبس والسّي والخلس , وضروب النكال والوبال , حتّى بنوا عليهم الأبنية وضيقوا عليهم الأودية , ففترّقوا في البلاد , وتركوا الأهل والأولاد , وكتّموا الأنساب من الأحباب ؛ خوفاً من الأعداء والطلاب , ولم يزل السيف يقطر من دمائهم , والسجون مشحونة بأحرارهم وإمائهم , والله درّ من قال من الرجال :

ولقد بكيّت لقتل آل محمّد	بالطف حتّى كل عضو مدمع
عفرت بنات الأعوجيّة هل درت	ما يستباح بها وماذا يصنع
وحريم آل محمّد بين العدى	نهباً تقاسمها اللئام الوضع
تلك الضعائن كالإماء متى تُسق	يعنف بهن وبالسيّاط تقنع
من فوق أفتاب المطى يشلها	لكع على حنق وعبد أكوع
مثل السبايا بل أذل يشق منهن	الخمّار ويسبّح البرقع
فمضفد في قيده لا يفتدى	وكريمة تسبّي وفرط ينزع
تالله لا أنسى الحسين وشلوه	تحت السنابك بالعرءاء موزع

متلفعاً حمر الثياب وفي غد
تطأ السنانك صدره وجبينه
والشمس ناشرة الذوائب تاكل
لهفي على تلك الدماء تراق في
بالخضر من فردوسها يتلفع
والأرض ترجف خيفة وتعضع
والدهر مشقوق الرداء مقنع
أيدي أمية عنوة وتضيع

روى الصدوق القمي : أن جميع الأئمة (عليهم السلام) خرجوا من الدنيا على الشهادة ؛ قُتل عليّ (ع) فنكأ ، وسُم الحسن (ع) سراً ، وقُتل الحسين (ع) جهراً ، وسُم الوليد زين العابدين (ع) ، وسُم إبراهيم بن الوليد الباقر (ع) ، وسُم جعفر المنصور الصادق (ع) ، وسُم الرّشيد الكاظم (ع) ، وسُم المأمون الرّضا (ع) ، وسُم المعتصم محمّد الجواد (ع) ، وسُم المعتز عليّ بن محمّد الهادي (ع) ، وسُم المعتمد الحسن بن عليّ العسكري (ع) ، وأما القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فروي : أنه هرب خوفاً من المتوكل ؛ لأنه أراد قتله : ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (1).

وكان أوّل من استفتح بالظلم ؛ من آخر عليّاً (عليه السلام) عن الخلافة ، وغصب فاطمة (عليها السلام) ميراث أبيها ، وقتل المُحسن في بطن أمه ، ووجأ عنق سلمان ، وقتل سعد بن عبادة ومالك بن نويرة ، وداس بطن عمّار بن ياسر ، وكسر أضلاع عبد الله بن مسعود بالمدينة ، ونفى أبا ذر إلى الرّبذة ، وأشخص عمّار بن قيس ، وغرب الأشر النّخعي ، وأخرج عدي بن حاتم الطّائي ، وسيّر عميراً بن زرارة إلى الشّام ، ونفى كميل بن زياد إلى العراق ، وخاض في دم محمّد بن أبي بكر ، ونكب كعب بن جبل ، ونفى جارية بن قدامة ، وعذب عثمان بن حنيف ، وعمل ما عمل بجباب بن زهير وشريح بن هاني ، ونحو هؤلاء ممّن مضى قتيلاً أو عاش في غصّة ذليلاً ، والله درّ من قال :

لو لا حدود من صوارم
لنشرت من أسرار آل
وأريتمكم أن الحُسنيين
ولأي شيء الحسنيء ألدت
أمضى مضارها الخليفة
محمّد نكتاً لطيفة
أصيب في يوم السقيفة
بالليل فاطمة الشريفة

فانظروا يا إخواني إلى فعل أوائلهم واقتفاء أرحاس بني أمية آثارهم ، يقتلون من قاربهم ، ويُعذبون من ظاهرهم ، كقتل معاوية ؛ عمّار بن ياسر ، وزيد بن صوحان وصعصعة بن صوحان ، وحنيف بن ثابت وأويس القرني ، ومالك الأشر

(1) سورة التّوبة / 32.

ومحمد بن أبي بكر ، وهاشم المرقال وعبد الرحمن بن حسان ، وغيرهم.

وتسليط زياد بن سميّة على قتل الألوّف من الشّيعيّة بالكوفة ، وهو الذي دسّ في قتل الحسن (عليه السلام) إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس ، وتبعه ابنه يزيد على ذلك ، حتّى قتل الحسين بن عليّ في نيف وسبعين رجلاً ، منهم ؛ تسعة من بني عقيل ، وثلاثة من بني جعفر ، وتسعة من بني عليّ (عليه السلام) ، وأربعة من بني الحسن (عليه السلام) ، وستّة من بني الحسين (عليه السلام) ، والباقي من أصحابه ، مثل ؛ حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة ، ونافع بن هلال وأحزابهم.

ثمّ تسلّط على الشّيعيّة عبّيد الله بن زياد (لع) ، فجعل يصلبهم على جذوع النّخل ، ويقتلهم ألوان القتل ، وهو الذي خرّب سناباد لما رجم أهلها من كان مع رأس الحسين (عليه السلام) ، فبقيت خراباً إلى يومنا هذا.

ثمّ تسلّط آل الرّبيّير على الحجاز والعراق ، فقتلوا ؛ المختار بن أبي عبّيدة الثّقفي ، والسائب بن مالك وعبد الله بن كامل ونحوهم ، وكانوا قد حبسوا محمّد بن الحنفية ؛ يُريدون إحراقه ، ونفوا عبد الله بن العباس إلى الطائف ومات بها.

ثمّ استولى عبد الملك بن مروان ، وسلّط الحجاج على الحجازيين والعراقيين ، فقتل ؛ سعيد بن جبّير بن أمّ الطّويل ، وميثم التّمار ، وكُميل بن زياد ، وقنبر عبد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأشباههم ، حتّى محى آثار أهل البيت (عليهم السلام) ، وقُتل زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) على يد نصر بن خزّيمة الأسدي ، وصلبه يوسف بن عمر بالكناسة (اسم موضع الكوفة) عرياناً ، فكسى من بطنه جلدة سترت عورته ، وبقي مصلوباً أربع سنوات ، وكان لا يقدر أحد أن يندب عليه ، وألقوا امرأة زيد بن عليّ على المزبلة ، بعدما دُقت بالضّرب حتّى ماتت.

ثمّ تبعه الوليد بن زيد ، وأنفذ إلى يحيى ، بن مُسلم بن جون في عشرة آلاف فارس ، وليس مع يحيى - يومئذٍ - إلاّ مئة وخمسون رجلاً ، فقتلوا أجمعين وبقي يحيى يُقاتل حتّى قُتل يوم الجمعة ، ثمّ صُلب وأُحرق ودُسي.

وهكذا فعل بأشباعهم والتّابعين لهم ، والله درّ من قال :

أبيت كأن الدهر يهوي إلى الأسي	فأقذاره طول الزمان به تسري
ففي كل يوم تنتحبنني صروفه	وقد خانني صبري وضيعني فكري
كأن الرزايا ظل آل محمد	إذا مرّ قوم جاء قوم على الأثر

فانظروا يا إخواني إلى حال من تبع بني أمية الأرجاس ، إلى أن ظهرت الدولة العباسية.

افتتح أبو مسلم بقتل عبد الله بن الحسن بن الحسن بنجراسان ، ثم سلّ المنصور سيفه في آل عليّ (عليه السلام) ، فقتلهم في كل ناحية ، وقصدهم بالجيوش من كل وجه ، وحمل عبد الله بن الحسن بن عليّ في أحد عشر رجلاً ، وهم ؛ عليّ بن الحسن بن عليّ ، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، ونحوهم من الحجاز إلى العراق فوق الأفتاب بالقيود والأغلال ، وخلدهم في سجنه معذبين حتى ماتوا كلهم.

وخرج محمد بن عبد الله ، وقاتل حتى قتله حميد بن قحطبة بن عيسى بن موسى ، وبني جامع المنصور وجعل أساسه على السادات من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويُقال : إنّه دسّ في سوق الرقة كثيراً منهم.

ثقل : إنّه لما بنى المنصور الأبنية ببغداد ، جعل يطلب العلويين طلباً شديداً ، وجعل من ظفر به منهم ، بالإسطوانات المجوّفة المبنية من الجصّ والآجر ، فظفر ذات يوم بسلام منهم حسن الوجه عليه شعر أسود من ولد الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، فسلمه إلى البناء الذي كان يبني له ، فأمر أن يجعله في جوف إسطوانة ويبني عليه ، فوكل به من ثقافته من يرعى ذلك حتى يجعله في جوف إسطوانة بمشهده ، فجعله البناء في جوف إسطوانة ، فدخلته رقة عليه ورحمة له ، فترك في الإسطوانة فرجة يدخل منها الروح ، وقال للسلام : لا بأس عليك فاصبر ، فإنّي سأخرجك من هذه الإسطوانة إذا جنّ الليل . فلما جنّ الليل ، جاء البناء في ظلمته وأخرج ذلك العلوي من جوف تلك الإسطوانة ، وقال له : إنّق الله في دمي ودماء الفعلة الذين معي وغيب شخصك ، فإنّي إنّما أخرجتك في ظلمة هذا الليل من جوف هذه الإسطوانة ؛ إلا خفت إن تركتك في جوفها ، يكون جدك رسول الله خصمي يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ.

ثم أخذ شعره بالآلات الجصاصين ما أمكن ، وقال له : غيب شخصك وانح بنفسك ولا ترجع إلى أمك . قال العلام : إن كان هكذا ، فعرف أمي إنّني قد نجوت وهربت ؛ لتطبب نفسها ويقلّ جزعها وبكاؤها ، وإنّه لم يكن لعودي إليها وجه . فهرب العلام ولا يدري إلى أين قصد من أرض الله تعالى ، ولا أيّ بلد وقع ، قال البناء : وكان العلام عرفني مكان أمه وأعطاني شعره ، فانتبهت إليها في الموضع الذي دلّني عليه ، فسمعت دويّاً كدويّ التحل من البكاء ، فعلمت أنّها أمه ، فدنوت منها

وعزفتها خبر ابنها ، وأعطيتها شعره وانصرفت . كذا في (عيون أخبار الرضا)

فلما ولي الدوانيقي قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني ، بالسند على يد هشام بن عمر التّغلي ، وخنق عبد الله بن الحسن في حبسه ، وقتل ابنه محمداً وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العبّاسي ، وهزم إدريس بفتح حتّى وقع على الأندلس فريداً .

وما مات الدوانيقي ، إلا أن ملأ سجونته من أهل بيت النبوة والرّسالة ، واقتفيت هذه الآثار حتّى قُتل في أيام المهدي ؛ الحسين بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ (عليه السلام) ، وعبد الله بن الحسن بن عليّ بن الحسن (عليه السلام) - المعروف بالأفطس - وكان مع القوم بفتح .

وسمّ هارون الرّشيد موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وقتل يحيى بن زيد بالسّجن بالجوع والعطش ، ويحيى بن الحسن ، إلى تمام السّتمئة رجل من أولاد فاطمة (عليها السلام) ، قُتلوا في مقام واحد .

وقتل المأمون محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن عليّ (عليه السلام) ، وكان قد خرج ومعه أبو السّرايا ، عليّ بن هرثمة بن أعين ، وقتلوا من أصحاب زين العابدين (ع) مثل : خالد الكابلي وسعيد بن جبير ، ومن أصحاب الباقر (عليه السلام) مثل : بشر الرّحال والكميت بن زيد ، ومن أصحاب الصادق (عليه السلام) مثل : المعلّى بن خنيس ، وقتل المتوكل من أصحاب الرّضا (عليه السلام) مثل : يعقوب بن السّكيت - الأديب - وسب قتله ؛ إنّه كان معلماً للمُعِين والمؤيد ابني المتوكل ، إذ أقبل فقال له : يا يعقوب ، أهما أحبّ إليك أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله ، إنّ قبراً غلام عليّ خير منهما ومن أبيهما . فقال المتوكل : سلّوا لسانه من قفاه . فسلّوه فمات (رحمة الله عليه) ، ومثل دعبل الخزاعي .

وانتهت بالمتوكل العداوة لأهل البيت (عليهم السلام) ، إلى أن أمر بهجو عليّ وفاطمة وأولادها (عليهم السلام) ، فهجاهم ؛ ابن المعتز وابن الجهم ، وابن سكرة وآل أبي حفصة ، ونحوهم لعنهم الله جميعاً ، وصار من أمر المتوكل إلى أن أمر بهدم البناء على قبر الحسين (عليه السلام) ، وإحراق مقابر قريش ، وفي ذلك أنشد حيث قال :

قام الخليفة من بني العبّاس	بخلاف أمر إلهه في الناس
ضأها بهتك حرّيم آل محمّد	سلفها فعّال أميّة الأرجاس
والله ما فعلت أميّة فيهم	معشّار ما فعلوا بنو العبّاس

ما قتلهم عندي بأعظم مآتماً من حرقهم من بعد في الأرماس
ثم جرى الظلم على ذلك ، إلى أن هدم سبكتكين مشهد الرضا (عليه السلام) ، وأخرج أبوابه وأخرج منه وقر ألف جمل مالا وثياباً
، وقتل عدة من الشيعة .

قيل : وممن دُفن حياً من الطالبين ؛ عبد العظيم الحسيني بالرّي ، ومحمد بن عبد الله بن الحسين ، ولم يبق في بيضة الإسلام
بلدة إلا قُتل فيها طالبي أو شيعي ، حتى ترى الظلمة يُسلمون على من يعرفونه ؛ دهرياً أو يهودياً أو نصرانياً ويقتلون من عرفوه
شيعياً ، ويسفكون دم من اسمه عليّ ، ألا تسمعون ؛ يبجي المحدث ، كيف قطعوا لسانه ويديه ورجليه ، وضربوه ألف سوط
ثم صلبوه ؟ وبعليّ بن يقطين كيف اتموه ؟ وزرارة بن أعين كيف جهوه ؟ وأي تراب الرموزي كيف حبسوه ؟ ومنصور بن
الزبيرقان من قبره كيف نبشوه ؟

ولقد لعن بنو أمية علياً (عليه السلام) ألف شهر في الجمع والأعياد ، وطافوا بأولاده في الأمصار والبلاد وليس فيها مسلم ينكر
ذلك ، حتى أنّ خطيباً من خطبائهم بمصر ، نسي اللعنة في الخطبة ، فلما ذكرها ، قضاها في الطريق ، فبني في ذلك الموضوع
مسجداً وسموه مسجد الذكر يتبركون به .

ثم إنهم لم يرضوا بذلك حتى قالوا : مات أبو طالب كافراً . ولا تزال تسمع بذلك ، دون أن تسمع عن أبي أو عن . . أو
عن . . شيئاً من ذلك .

فيا عجباه ، بقيت آثار كسرى إلى الآن وآثار رسول الله دراسة وأعلامه طامسة ! استولوا على ماله بعده وخرّبوا بيته ،
وأضرموا ناراً على أهل العبا ، وحرّفوا كتاب الله ، وغيروا السنن وأبدعوا في الدين ، وخذلوا الأوصياء وقتلوا العترة ، وسبوا نساء
النبي وذريته ، ودبحوا أطفاله وصبيته ، وداروا برؤوسهم في البلدان من فوق عالي السنن ، فهذه رزية لم تُماثلها رزية ، وبلية
عظمت على كلّ بليّة ، والله درّ من قال وهو على ما نُقل : أوّل شعر قيل في الحسين (عليه السلام) :

إذا العين قمرت في الحياة وأنتم	تخافون في الدنيا فأظلم نورها
مررت على قبر الحسين بكربلا	ففاض عليه من دموعي غزيرها
فما زلت أبكيه وأرثي لشجوه	ويسعد عيني دمها وزفيرها
وأبكيته من بعد الحسين عصائبها	أطافت به من جانبيه قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا	وقل لها مني سلام يزورها
سلام بأصال العشي وبالضحى	تؤدّيه نكبات الرياح ومورها

ولا يبرح الوفاد زوار قبره يفرح عليهم مسكها وعبيرها
ومّا يحسن في هذا الباب ، ذكر من قتله الرّشيد من أولاد رسول الله (ﷺ) ، بعد قتله لموسى بن جعفر (عليه السلام) بالسّم في ليلة واحدة ، سوى من قُتل منهم في الليالي والأيام :

روي عن عبد الله البزاز النّيسابوري ، قال : كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطّائي معاملة ، فدخلت في بعض الأيام فبلغه قدومي ، فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السّفر لم أغيّرها ، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظّهر ، فلمّا دخلت عليه ، رأيته في بيت يجري فيه الماء ، فسلمت عليه وجلست ، فأتى بطشت وإبريق فغسل يده وأمرني فغسلت يدي ، وأحضرت المائدة وذهب عني ، فقلت : إيّ صائم وإيّ في شهر رمضان . ثمّ ذكرت فأمسكت يدي ، فقال حميد : مالك لا تأكل ؟ فقلت : أيّها الأمير ، هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار ، وإيّ لصحيح البدن . ثمّ دمت عيناه وبكى ، فقلت له - بعدما فرغ من طعامه - : ما يبكيك أيّها الأمير ؟ فقال : أنفذ إليّ هارون الرّشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب الأمير ، فلمّا دخلت عليه ، رأيت بين يديه خادماً واقفاً ، فلمّا قمت بين يديه ، أذن لي بالانصراف ، فلم ألبث في منزلي حتّى عاد إليّ الرّسول وقال : أجب الأمير . فقلت في نفسي : إنّ الله وإنا إليه راجعون . وأحاف على نفسي أن يكون قد عزم على قتلي ، وإنّه لما رأني ، استحى منّي فعدت إلى بين يديه ، فرفع رأسه وقال : كيف طاعتك لأمر المؤمنين ؟ قلت بالنّفس والمال والأهل والولد . فتبسّم ضاحكاً ، ثمّ قال : أذنت لك بالانصراف . فلمّا دخلت منزلي ، لم ألبث أن عاد إليّ الرّسول ، فقال : أجب أمير المؤمنين . فحضرت بين يديه وهو على حاله ، فرفع رأسه وقال : كيف طاعتك لأمر المؤمنين ؟ فقلت : بالنّفس والمال والأهل والولد والدّين . فضحك ثمّ قال : خذ هذا السّيف ، وامتل ما يأمرك به هذا الخادم .

قال : فتناول الخادم السّيف وناولنيه ، وجاء إلى بيت بابه مغلّق ففتحه ، فإذا فيه بئر في وسطه ، وثلاث بيوت أبوابها مغلّقة ، ففتح باب بيت منها ، فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشّعور والدّوائب ، شيوخ وكهول وشبان مقيدون ، فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء . - وكانوا كلّهم علويين من ولد عليّ وفاطمة (عليها السلام) - فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد

فاضرب عنقه , حتّى أتيت على آخرهم , فرمى بأجسامهم ورؤوسهم في البئر .

ثمّ فتح باب آخر , فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلويين من ولد عليّ وفاطمة مقيّدون , فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء . فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد , فاضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر , حتّى أتيت على آخرهم .

ثمّ فتح باب البيت الثالث , فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد عليّ وفاطمة مقيّدون , عليهم الشّعور والدّوائب , فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً . أتيت على تسعة عشر نفساً منهم , وبقي شيخ منهم عليه شعر , فقال لي : تبا لك يا ميشوم , أيّ عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله , وقد قتلت من أولاده ستّين نفساً من ولد عليّ وفاطمة (عليهما السلام) ؟! ثمّ قال : فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي , فنظر إليّ الخادم فزجرني , فاتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورميت به في تلك البئر , فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستّين نفساً من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) , فما ينفعني صومي ولا صلاتي , وأنا لا أشكّ إنّني مُخلد في النّار . كذا في (عيون أخبار الرضا) .

فيا إخواني , أيّ قلب يستر بعد قتلهم ؟! وأيّ فؤاد يفرح بعد فقدهم ؟! أم آية عين تحبس دمعها وتبخل بأنّهما لها ودفعها ؟! كيف وقد بكت لهم ؛ السّبع الشّداد والجمال والأوتاد , والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها , والحيتان في لجج البحار , ومَن في جميع الأمصار والأقطار , والملائكة المقرّبون وأهل السّموات أجمعين , وكيف لا , وقد أصبح أهل البيت ؛ مطرّدين مشرّدين مذوّدين عن الدّيار , والأوطان والأهل والولدان .

فيا إخواني , اجتهدوا في النّياحة والعيويل , وتساعدوا على إقامة هذا المصاب الجليل , والبسوا لباس الأحران , وتخلّقوا بجلباب الأشجان , وخاطبوا السّلوة خطاب الهجر متمثّلين بقول مَن قال: أيا سلوة الأيّام موعدك الحشر . فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحران والأشجان , فنظم وقال فيهم .

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمته الله)

لم أبك ربعاً للأحبة قد خلا وعفا وغيره الجديد ومحالا
كلا ولا كلفت صحتي وقفة في الدار إن لم أشف صباً علالا

ومطـارح النـادي وغلـزان النقا
وبواكر الأضعان أسكب لها
لكن بكيـت لفاطم ولمنعها
إذ طالبته بإرثها فروى لها
لهفي لها وجفونها فرحى وقد
وقد اعتدت منفية وحميها
تحفي تفجعها وتحفض صوتها
تبكي على تكدير دهر ما صفا
لم أنسها إذ أقبلت في نسوة
وتنفست صعداً ونادت أيها
أخذ الإله لك العهد على الورى
في يوم قال لهم : ألسـت بـريكم
قسماً بوردي من حياض معارفي
ومن استجارك من نبي مرسلا
لو قلت إنك رب كل فضيلة
أو بحت بالخطر الذي أعطاك رب
فإليك من تقصير عبدك عذره
بل كيف يبلغ كنهه وصفك قائل
ونفائس القرآن فيك تنزلت
فاستحلها بكرة فأنت مليكها
ولئن بقيت لأنظمن قلائداً
شهد الإلهه بأني متبرئ
وبراءة الخلعي من عصب الخنا

والجـزع لم أحفل بها متغزلا
دمعاً ولا خل نأى وتـرحلا
(فدكاً) وقد أتت الخـؤون الأولا
خبراً ينافي المحكم المتغزلا
حملت من الأحزان عبئاً مثقلا
متطـيراً بيكائهما متثقلا
وتظلل نادبة أباهما المرسلا
من بعده وقرير عيش ما حلا
من قومها تروي مدامعها الملا
الأنصار يا أهل الحماية والكلا
في الذر لما أن يرى وبك ابتلى
وعلي مولاكم معاً قالوا : بلى
وبشـرتي العذب الرحيق السلسلا
ودعى بحقك ضارعاً متوسلا
ما كنت فيما قلته متنحلا
العرش كادوني وقالوا قد غلا
فكثير ما أبكي أراه مقللا
وأبيـه في عليك أبلغ مقولا
وبك اغتدى متحلياً متجملا
وعلى سواك تجل من أن يجتلى
ينسى ترصعها النظمام الأولا
من حبتر ومن الدلام ونعثلا
تبني على أن الـبرا أصل الولا

الباب الثاني

أيها الإخوان، الطريق واضح والحق بين لائح، لا يضل عنه إلا من دان الله على قلبه، وطبع على عقله ولبته. علم النبي فيما أوحى إليه، أن أصحابه من بعده

يبتزّون نحلة ابنته ويشجعون بلغة ذرّيته , قال : ((فاطمة بضعة منّي , من آذاها فقد آذاني)) . فلم يسمعوا , وقال : ((فاطمة يغضب الله لغضبها)) . فلم يرتدعوا , ثمّ علم أنّ آله يُشردون عن الأوطان , ويُقتلون في كلّ مكان , فقال - بعدما ورد في حثّهم من القرآن - : ((من أحبّ أن ينسى له في آجله , وأن يُمتّعه الله بما خوّله الله ؟ فليخلفني في أهلي خلافة حسنة , فمن لم يخلفني فيهم , بتر الله عمره , وورد عليّ يوم القيامة مسودّاً وجهه)) . فلم يرجعوا .

فصبروا (ﷺ) على مضمض الأحران , واحتسبوا ذلك في جنب الرّحمن , وكان القادر على هلاكهم ذو الجلال على استئصالهم في الحال دون المآل , إلّا أنّ الحكم من الحكيم اقتضت تأخيرهم من العذاب الأليم ؛ رجاء أن يخرج من أصلابهم قوم , يعبدون الله ويسبّحونه ويهلّلونه ويقدّسونه .

قيل : لما بلغ فاطمة (ﷺ) إصرار أبي بكر على منعها فذكاً والعوالي , قامت ولائت خمارها واشتملت بإزارها , وأقبلت في لمة من حفدتها ونسائها تطأ في أذيالها من شدّة الحياء , حتّى دخلت على أبي بكر وهو في مسجد أبيها وحوله جمع من المهاجرين والأنصار , فأمرت أن يضرب بينها وبينهم ستر , ثمّ إنّها أنّت أنّه أجهد القوم بالبكاء والنحيب ؛ رحمة لها , ثمّ أمهلت حتّى سكنوا من فورهم , فقالت : ((يا معشر المسلمين , كيف ابتزّ إرث أبي وأنتم الآن تزعمون إنّ إرث لي : ﴿أَفْحَكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (1) ؟ ! . فكيف أحرّم ميراث أبي وأنّت (تعني أبا بكر) ترث أباك : ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيبًا﴾ (2) ؟ !)) . فقال لها : ما أرتك أبوك شيئاً , وإنّ قال : إنّ الأنبياء لا يورثون شيئاً . فقالت : ((لهذا يخالف ما أنزل في كتابه العزيز , حيث يقول : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ (3) . ولم يجعل ذلك خاصّاً بالأمة دونه , وكيف تروي عن أبي (ﷺ) أنّه قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث , وقد قال تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (4) . وقال تعالى عن زكريا , قال ربّ : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (5) ؟ !)) .

فلما ألحّت عليه بالجدال , قال : هاتي أسود وأبيض يشهدا لك بذلك . فقام إليه رجل من المؤمنين وقال له : من شهد لعلي بيعته يوم الغدير من ذلك , الجم الغفير حتّى يشهد لفاطمة بفدك والعوالي ؟ فجاءت أمّ أيمن وشهدت لها بذلك , قال : هذه امرأة لا يُقبل قولها . مع أنّ جميع الصحابة روي أنّ رسول الله (ﷺ) قال : ((إنّ أمّ أيمن من أهل الجنّة)) . ثمّ جاء عليّ

(1) سورة المائدة / 50 .

(2) سورة مريم / 27 .

(3) سورة النساء / 11 .

(4) سورة التمل / 16 .

(5) سورة مريم / 5 - 6 .

(عليه السلام) وشهد لها بذلك , فقال : هذا بعلك يجزّ النّفع إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لك . مع أنّهم رووا جميعاً , إنّ رسول الله قال : ((عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ , يدور حيث ما دار , لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض)) .
قال : فعند ذلك غضبت فاطمة (عليها السلام) وانصرفت , وحلفت أن لا تكلمه وصاحبه , حتّى تلقى أباهما وتشكو إليه ما نالها منهما .

كرامتها (عليها السلام) وعظمتها عند الله

وروي من كرامتها (عليها السلام) وعظمتها عند الله . لما مُنعت حَقّها , اخذت بعضادتي حجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) , وقالت : ((ليست ناقة صالح عند الله بأعظم منّي)) . ثمّ رفعت جنب قناعها إلى السّماء وهمت أن تدعو , فارتفعت جدران المسجد عن الأرض وتدلّ العذاب , فجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) فمسك يدها الشّريفة وقال : ((يا بنت الصّفوة وبقية النّبوة وشمس الرّسالة ومعدن الرّحمة , إنّ أباك رحمة للعالمين , فلا تكوني عليهم نقمة , أقسمت عليك بالرّؤوف الرّحيم أن ترجعي)) . فعادت إلى مصلاها (عليها السلام) , والله درّ من قال :

دكـدك القـوم مسـجـدك منعـوا فاطمـاً فـدك
فعلـى القـوم لعنـة كلمـا حـرك الفـلك

فلما حضرتمها الوفاة , أوصت إلى عليّ (عليه السلام) أن يدفنها ليلاً ولم يدع أحداً منهم يصلّي عليها , مع أنّهم رووا جميعاً أنّ النّبي (ص) قال : ((فاطمة بضعة منّي , من آذاها فقد آذاني)) . كما تقدّم القول فيه .
ولو كان قول أبي بكر صحيحاً فيما رواه من : نحن معاشر الأنبياء لا نورث . ما كان ترك البغلة والسيف والعمامة عند عليّ (عليه السلام) , وما كان حكم بما لعليّ لما ادّعاها العباس , مع أنّ الأمر على خلاف ذلك .
وتفكّروا يا معاشر الإخوان , كيف أنّ المرأة لما حاربت عليّاً أطاعها على حربها عشرات الألوف , وساعدوها على الحرب , ولم يساعد أحد منهم سيّدة نساء العالمين لما طالبت بحقّها , وسمّوا المرأة أمّ المؤمنين ولم يسمّوا محمّد بن أبي بكر خال المؤمنين ؛ حيث كان مُلازماً لعليّ (عليه السلام) , وسمّوا أخته أمّ المؤمنين , وسمّوا معاوية خال المؤمنين مع أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ((لعن الله معاوية الطّليق ابن الطّليق)) . وقال ((إذا رأيتم معاوية على منبري , فاقتلوه)) . وكان معاوية من المؤلّفة

قلوبهم , وقد قاتل علياً , وعليّ عندهم إنّه رابع الخلفاء , وهو إمام حقّ , وكلّ من حارب إماماً حقّاً فهو باغ وطاق , وسموا معاوية كاتب الوحي ولم يكتب كلمة واحدة منه , وإمّا نُقل إنّه كان من كتّاب الرّسائل , والذين كانوا يكتبون الوحي أربع عشرة نفساً , أخصّهم وأقربهم عليّ , وأمّا معاوية , فلم يزل مُشركاً مدّة كون النّبي مبعوثاً , وكان يُكذّب بالوحي ويستهنئ بالشّرع , وكان في بلاد اليمن يوم فتح مكّة , وكان يطعن على رسول الله (ﷺ) , وكان يكتب إلى أبيه صخر يعيّره بإسلامه , ويقول له : صبوت إلى دين مُحمّد بن عبد الله , بئس ما فعلت ! وكان يرأسه بالشّعر قبل إسلامه وينهاه عن ذلك .

وكان رسول الله (ﷺ) قد فتح مكّة في شهر رمضان لثمان سنين من قدومه إلى المدينة , ومعاوية يومئذ مُقيم على شركه , هارب من النّبي إلى بلاد اليمن ؛ لأنّ النّبي كان قد هدر دمه فهرب على وجهه , فلمّا لم يجد له مأوى , صار إلى النّبي مضطراً وأظهر الإسلام , وكان إسلامه قبل وفاة النّبي بخمسة أشهر , وطرح نفسه على العبّاس عمّ رسول الله , فتشقّع فيه رسول الله فعفى عنه , ثمّ إنّ العبّاس تشقّع لمعاوية عند الرّسول (ص) أن يجعله من جملة كتّاب الرّسائل , وكان النّبي (ع) لا يحب مخالفة عمّه العبّاس , فأجابه إلى ذلك .

ولو سلّم أنّه كان من كتّاب الوحي , فكم يستحق من الكتابة المتداولة بين أربع عشرة نفساً حتّى استحقّ أن يوصف بذلك دون غيره , كيف وقد حكى عبد الله بن عمر قال : أتيت النّبي وهو في مسجده , فسمعتة يقول لجلسائه : ((الآن يطلع عليكم رجل يموت على غير سنّي)) . فما استتم كلامه إذ طلع معاوية وجلس معنأ في المسجد , فقام النّبي يخطب , فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة , فلمّا رآه النّبي خارجاً مع ابنه , قال : ((لعن الله القايد والمقود)) .

ثمّ إنّ معاوية بعد وفاة الرّسول بالغ في محاربة الإمام عليّ , وقتل جمعاً كثيراً من خيار الصّحابة , وطال حربه معه حتّى هلك عالم كثير , ثمّ إنّ استمرّ مع قومه على سبّ عليّ ثمانين سنة , ولم يكفه ذلك حتّى سمّ الحسن الزّكي (عليه السلام) .

ولمّا هلك معاوية , تولى من بعده ولده يزيد (لعنه الله) , فنهض إلى حرب الحسين (عليه السلام) , وجّهز له العساكر وجيوش له الجيوش , وأمر عليهم عُبيد الله بن زياد , وأمرهم بقتل الحسين (ع) وقتل رجاله وذبح أطفاله , وسبى عياله ونهب أمواله , ولم يقنعهم ذلك حتّى إنهم بعد قتله رضوا أضلاعه وصدّره بحوافر الخيول , عادمي الرّأي والعقول ,

وحملوا رؤوسهم على القنا وحرّمهم على أقتاب الجمال في أشدّ العنا , مع أنّ مشايخهم رووا : إنّ يوم قُتل الحسين قطرت السماء دماً.

ونُقل عن الشّافعي في شرح الوجيز : أنّ هذه الحمرة إليّ ترى في السماء , ظهرت يوم قُتل الحسين ولم تُرى قبله أبداً . ونُقل عنه أيضاً : إنّ ما رُفع حجر في الدّنيا يوم قُتل الحسين , إلّا وجد تحته دم عبيط . ولقد مطرت السماء يوم قتله دماً , حتّى بقي أثره على التّبات حتّى فيني :

واخجلتـا من أبيهم يوم يشهدهم	مضـرّجين نشـاوا من دم قـان
يقول يا أمّة حـف الضلال بها	واسـتبدلت للعمى كـفـراً بإيمان
مـاذا جنيت عليكم إذ أتيتكم	بخـير ما جاء من آي وفرقان
ألم أجـركم وأنتم في ضلالنكم	على شفا حفرة من حر نيران
قتلتم ولدي صبراً على ظمأ	هذا وترجون عند الحوض إحسان
قتلتم ولدي صبراً على ظمأ	هذا وترجون عند الحوض إحسان
سـبيتم ثكلتكم أمهاتكم	بني البتول وهم لحمي وجثماني
ومـاذا تجيئون والزهراء خصمكم	والحـاكم الله للمظلوم والجاني

عن رسول الله (ﷺ) : ((تُحشر ابنتي فاطمة الزهراء يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم , فتعلّق بقائمة من قوائم العرش , فتقول : يا عدل يا جبار , احكم بيني وبين قاتل ولدي)) . قال رسول الله (ص) : ((فيحكم لابنتي وربّ الكعبة)) .
وعنه (ﷺ) , أنّه قال لسلمان : ((يا سلمان , من أحبّ فاطمة ابنتي فهو في الجنّة معي , ومن أبغضها فهو في النّار . يا سلمان , حُبّ فاطمة ينفع مئة موطن من المواطن , أيسر تلك المواطن ؛ الموت والقبر والميزان , والمحشر والسّراط والمُحاسبة , فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيت عنه , ومن رضيت عنه رضيت عنه ﷺ , ومن غضبت عليه غضبت عليه , ومن غضبت عليه غضب الله عليه . يا سلمان , ويل لمن يظلمها ويظلم بعلمها ! وويل لمن يظلم ذريّتها !)) .

وعنه (ﷺ) أنّه قال : ((أنا شجرة وفاطمة فرعها وعلّيّ لقاحها , والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها , فالشّجرة أصلها في جنّة عدن , والأصل والفرع واللّقاح , والورق والتمرّ في الجنّة)) :

يا حبّذا دوحة في الخلد نابتة	ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثمّ اللّقاح عليّ سيّد البشر

والهاشميان سببناه لها ثمر
 إني بحبهم أرجو النجاة غداً
 والشبيعة الورق الملتف بالثمر
 وأهل الرواية في العالي من الخير
 والفوز في زمرة من أفضل الزمر
 فها إخواني , كيف لا نبكي على أمناء الرحمن وسادات أهل الزمان ؟ وكيف لا نُجَدِّد النَّوح والأحزان في كُلِّ آن ومكان ,
 على الشهيد العطشان النَّائي عن الأهل والأوطان , المدفون بلا غسل ولا أكفان ؟
 فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول (ص) فليبك الباكون , وإياهم فليندب النَّادبون , ومثلهم تذرف الدموع من العيون ,
 أو لا تكون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم.

القصيدة للشيخ مُحَمَّد , وكأته لابن حماد:

مصاب شهيد الطف جسمي انحلا
 فما هلّ شهر العشر إلا تجددت
 واذكر مولاي الحسين وما جرى
 فو الله لا أنساه بالطف قائلاً
 ألا فأنزلوا في هذه الأرض واعلموا
 وأسقى بها كأس المنون على ظمأ
 ولهفي له يدغو اللثام تأملوا
 ألم تعلموا إني ابن بنت محمد
 فهل سنة غيرتها أو شريعة
 أحللت ما قد حرم الطهر أحمد
 فقالوا له دع ما تقول فإننا
 كفعل أبيك المرتضى بشيوخنا
 فإثني إلى نحو النساء جواده
 ونادى ألا أهل بيتي تصبروا
 فإني بهذا اليوم أرحل عنكم
 فقوموا جميعاً أهل بيتي واسرعوا
 فصبراً جميلاً واتقوا الله إنه
 فإثني على أهل العناد مبادراً

وكدر من دهري وعيشي ما حلا
 بقلبي أحزان توسد في السبلا
 عليه من الأرجاس في طف كربلا
 لعترته الغر الكرام ومن تلا
 بأني بها أمسي صريعاً مجدلاً
 ويصبح جسمي بالدماء مغسلاً
 مقالي يا شمر الأنام وارذلا
 ووالدي الكرار للدين كملا
 وهل كنت في دين الإله مبدلاً
 أحرمت ما قد كان قبل محلاً
 سنسقيك كأس الموت غصباً معجلاً
 ونشفي صدوراً من ضغائنكم ملا
 وأحزانه منها الفؤاد قد امتلى
 على الضر بعدي والشدائد والسبلا
 على الرغم مني لا ملال ولا قلى
 أودعكم والدمع في الخد مسبلاً
 سيجزيكم خير الجزاء وأفضلاً
 يحامي عن دين المهيمن ذي العلا

وصال عليهم كالهزبر مجاهداً
فمال عليه القوم من كل جانب
وحز كريم السبط يا لك نكبة
فارتجت السبع الشداد وزلزلت
وراح جواد السبط نحو نسائه
خرجن بنيات البتول حواسراً
قادمين باللطم الحدود لفقده
ولم أنس زينب تستغيث سكينه
أخي يا قتييل الأديماء كسررتني
أخي كنت أرجو أن أكون لك الفدا
أخي ليتني أصبحت عمياً ولا أرى
وتدعو إلى الزهراء بنت محمد
أيا أم قد أمسى حبيبك بالعرى
أيا أم نوحى فالكريم على القنا
ونوحى على النحر الخضيب واسكي
ونوحى على السجاد في الأسر بعده
فيا حسرة ما تنقضي ومصيبة
إمام مقيم الدين بعد خفائه
أيا آل طه يا رجائي وعدتي
يميناً بأني ما ذكرت مصابكم
فحزني عليكم كل آن مجدد
عبيدكم العبد الحقير محمد
يوملكم يا سادتي تشفعوا له
فو الله ما أرجو النجاة بغيركم
إذا فر مني والدي ومصاحبي

كفعل أبيه لن يذل ويخذلاً
فألقوه عن ظهر الجواد معجلاً
بها أصبح الدين القويم معطلا
وناجت عليه الجن والوحش في الفلا
ينوح وينعي الظامي المترملاً
فعايين مهر السبط والسرج قد خلا
واسكن دمعاً حره ليس يصطلى
أخي كنت لي حصناً حصيناً وموثلاً
وأورثتني حزنناً مقيمياً مطولاً
فقد خبت فيما كنت فيه أواملاً
جبينك والوجه الجميل مرماً
أيا أم ركني قد وهى وتزلزلاً
طريحاً ذيحاً بالدماء مغسلاً
يلوح كالبدر المنير إذا انجلاً
دموعاً على الخد التريب المرماً
يقاد إلى الرجس اللعين مغسلاً
إلى أن نرى المهدي بالنصر أقبلاً
إمام له رب السماوات فضلاً
وعوني ويا أهل المفاخر والعلى
أيا سادتي إلا أبيت مقلقلاً
مقيم إلى أن أسكن الترب والقبلاً
كئيب وقد أمسى عليكم معولاً
إذا ما أتى يوم الحساب ليسألاً
غداً يوم آتي خائفاً متوجلاً
وعاينت ما قدمت في زمن خلا

ومنوا على الحضار بالعفو في غد لأن بكم قـدري وقـدرهم عـلا
علـيكم سـلام الله يا آل أحمد سلام على مرّ الزمان مطـولا

الباب الثالث

اعلموا أيها الأمة ، إنّ الأئمة كثيرة جمّة ، كلّما كتّمها المبغضون نمت اشتهاراً ، وكلّما سترها الحاسدون انكشفت إظهاراً ، حتّى من الخصوم في مصنفاتهم وأخبارهم ورواياتهم ، وفي ذلك تكمل الحجّة وتستتم عليهم الحجّة ، والله درّ من قال :
ومليحة شهت لها ضرائها والفضل ما شهت به الضراء
روي من طريق الخصم ، عن البلخي يرويه متصلاً عن مشايخه ، قال : كانت فاطمة عند رسول الله في شكاته التي قبض فيها ، فبكت حتى ارتفع صوتها ، فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) طرفه إليها فقال : ((حبيبي فاطمة ، ما الذي يبكيك ؟)) . قالت : ((أخشى الضيعة من بعدك)) . فقال : ((يا حبيبي ، أما علمت أنّ الله قد أطلع إلى الدنيا اطلاعة ، فاختر منها أباك فبعثه برسالته ، وأطلع إطلاعة أخرى فاختر منها بعلك ، وأوحى إليّ أن أزوّجك به . يا فاطمة ، نحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال ، لم يعطها لأحد قبلنا ولا يعطي لأحد بعدنا ، أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحبّ المخلوقين إليه ، ووصي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله تعالى وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وأحبّهم إلى الله تعالى ، وهو حمزة بن عبد المطلب عمّ أبيك وبعلك ، وممّن من له جناحان أخضران ، يطير بهما في الجنّة مع الملائكة حيث يشاء ، وهو ابن عمّ أبيك وأخو بعلك ، وممّن سبطا هذه الأمة ؛ وهما ابنك الحسن والحسين (عليهما السلام) ، وهما سيّدنا شباب أهل الجنّة ، وأبوهما والذي بعثني بالحقّ ، خير منهما . يا فاطمة ، والذي بعثني بالحقّ ، إنّ منهما مهديّ هذه الأمة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وتظاهرت الفتن وتقطّعت السبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقر كبيراً ، فبيعت الله عند ذلك ، من يفتح حصون الضلالة ، ويقوم بالدّين في آخر الزّمان ما قمت به أوّل الزّمان ، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، لا تحزني ولا تبكي فإنّ الله أرحم بك وأرأف عليك ؛ لمكانك منّي وموقعك من قلبي ، وزوّجك

الله بعليّ , وهو أشرف أهل بيتك حسباً , وأعلاهم منصباً , وأرحمهم بالرّعية , وأعدلهم بالسّوية , وأبصرهم بالقضية . وقد سألت ربّي أن تكوني أوّل من يلحقني ((. فلم تبقّ بعده إلّا خمسة وسبعون يوماً , حتّى ألحقها الله به .

وبالإسناد المذكور قال : قال رسول الله (ع) : ((فيأتي المهدي وقد نزل عيسى بن مريم كأنما يقطر من شعره الماء , فيقول المهدي : تقدّم صلّ بالنّاس . فيقول عيسى : إنّما أقيمت الصّلاة لك . فيصليّ عيسى ثمّ خلفه رجل من ولدي , فإذا صلّيت الصّلاة , قام عيسى حتّى جلس في المقام فبايعه , فيمكث أربعين سنة)) . أوّل الآيات في زمان الدّجال , ثمّ نزول عيسى , ثمّ نار تخرج من بحر عدن تسوق النّاس إلى المحشر .

فيا إخواني , أيّ فضل أعظم من فضل أئمتكم ؟ وأيّ حقّ أوجب من حقّ صفوتكم ؟ شهد القرآن بفضلهم وأكّد الله على النّاس بحمّهم , فقال - فيما أوحى على لسان الرّسول (ﷺ) - : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (1) . فجعل جزاء الإسلام والخلاص من النّار محبة الأهل الأطهار , فانظروا إلى البلاء الذي رُفِع بسبب مودّتهم عنكم , ولكن على قدرة المحبة لهم منكم , والله درّ من قال :

وإني قد علقت بحب قوم إذا ناداهم المضر طر جـاءوا
هم القوم الذي إذا ألمت من الأيام مظلّمة أضـاءوا
وإن بلادهم ما قد علمتم على الأيام أن يقع البلاء

بمدحهم يسعتين المادحون , فيتسع لهم المقال فيما يقول , كأنّ لهم الصّيب الكامل , بل الكلّ لديهم حاصل , وإن كان لغيرهم شيء من الشرف , فمن بحرهم أخذ واغترف .

روى جمع من الصّحابة قالوا : دخل النبيّ دار فاطمة فقال : ((يا فاطمة , إنّ أباك اليوم ضيفك)) . فقالت : ((يا أبة , إنّ الحسن والحسين يطالباني بشيء من الرّزاد , فلم أجد لهما شيئاً يقتاتان به)) . ثمّ إنّ النبيّ دخل وجلس مع ؛ عليّ والحسن والحسين وفاطمة (عليها السلام) , وفاطمة مُتَحَيِّرة ما تدري كيف تصنع , ثمّ إنّ النبيّ نظر إلى السّماء ساعة , وإذا بجبرائيل قد نزل وقال : يا مُحمّد , العليّ الأعلى يقرؤك السّلام ويخصّك بالتّحية والإكرام ويقول لك : ((قُلْ لعلّيّ وفاطمة والحسن والحسين , أيّ شيء يشتهون من فواكه الجنّة ؟)) . فقال النبيّ : ((يا عليّ يا فاطمة يا حسن يا حسين , إنّ ربّ العرّة

(1) سورة الشّورى / 23.

علم أنكم جياع , فأبي شيء تشتهون من فواكه الجنة ؟)) . فأمسكوا عن الكلام ولم يردّوا جواباً ؛ حياء من النبي (ص) , فقال الحسين (ع) : ((عن إذنك يا أباه يا أمير المؤمنين , وعن إذنك يا أمهات نساء العالمين , وعن إذنك يا أخاه الحسن الزكي , أختار لكم شيئاً من فواكه الجنة ؟)) . فقالوا جميعاً (عليه السلام) : ((قل يا حسين ما شئت , فقد رضينا بما تختاره لنا)) . فقال : ((يا رسول الله , قل لجبرائيل إننا نشتهي رطباً جنيّاً)) . فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : ((قد علم الله ذلك)) . ثم قال : ((يا فاطمة , قومي ادخلي البيت واحضري إلينا ما فيه)) . فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلور مُغطّى بمنديل من السندس الأخضر , وفيه رطب جني في غير أوانه , فقال النبي : ((أتى لك هذا؟!)) . قالت : ((هو من عند الله , إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب)) . (كما قالت بنت عمران) . فقام النبي وتناوله منها وقدمه بين أيديهم , ثم قال : ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) . ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسين , فقال : ((هنيئاً مريئاً يا حسين)) . ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسن , وقال : ((هنيئاً مريئاً يا حسن)) . ثم أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزهراء , وقال : ((هنيئاً مريئاً لك يا فاطمة الزهراء)) . ثم أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم عليّ , وقال : ((هنيئاً مريئاً لك يا عليّ)) . ثم ناول رطبة أخرى , والنبي يقول له : ((هنيئاً لك يا عليّ)) . ثم وثب النبي قائماً ثم جلس , ثم أكلوا جميعاً من ذلك الرطب , فلما اكتفوا وشبعوا , ارتفعت المائدة إلى السماء بإذن الله تعالى , فقالت فاطمة : ((يا أبة , لقد رأيت اليوم منك عجباً !)) . فقال : ((يا فاطمة , أما الرطبة الأولى التي وضعتها في فم الحسين وقلت له : هنيئاً يا حسين . فإنّي سمعت ميكائيل وإسرافيل يقولان : هنيئاً لك يا حسين . فقلت أيضاً موافقاً لهما بالقول : هنيئاً لك يا حسين . ثم أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن , فسمعت جبرائيل وميكائيل يقولان : هنيئاً لك يا حسن . فقلت أنا موافقاً لهما في القول , ثم أخذت الثالثة فوضعتها في فمك يا فاطمة , فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان , وهنّ يقلنّ : هنيئاً لك يا فاطمة . فقلت موافقاً لهنّ بالقول , ولما أخذت الرابعة فوضعتها في فم عليّ , سمعت النداء من الحقّ سبحانه وتعالى يقول : هنيئاً مريئاً لك يا عليّ . فقلت موافقاً لقول الله عزّ وجلّ , ثم ناولت عليّاً رطبة أخرى ثمّ أخرى , وأنا أسمع صوت الحقّ سبحانه وتعالى يقول : هنيئاً مريئاً لك يا عليّ . ثمّ قمت إجلالاً لرّب العزة جلّ جلاله , فسمعتة يقول : يا

محمد ، وعزّي وجلالي ، لو ناولت علياً من هذه السّاعة إلى يوم القيامة رُطبة رُطبة ، لقلت له هنيئاً مريئاً بغير انقطاع ((. فيا إخواني ، هذا هو الشّرف الرّفيع والفضل المنيع ، والله درّ من قال :

لمثل علاهم ينتهي المجد والفخر وعند نداهم ينجل الغيث والبحر
وعمر سواهم في العلى مثل يومهم إذا ما علا قدراً ويومهم عمر
وأيامهم بيض إذا اسود حادث وأسـيافهم حمـر وأكنافهم خضر
ملكتم فلا عدوى حكمتم فلاهوى علمتم فلا دعوى علوتم فلا كبر
وذكركم في كل شـرق ومغرب على الناس يتلى كلما تلي الذكر

فيا إخواني ، كيف الصّبر لمن يتأمل مولاه الحسين (عليه السلام) واقفاً في عرصة كربلاء ، وهو ينادي : ((ألا هل من نصير ينصر آل محمد المختار ؟ ألا هل من ذاب يذبّ عن الذرّيّة الأطهار ؟ أين الثّقة البررة ؟ أين الأتقياء ؟ أين من أوجب حقاً عليه الإسلام ؟ أين الوصيّة فينا من الرّسول (صلى الله عليه وآله) ؟)).

فوا عجباه من غفلة أهل هذا الزّمان واشتغالهم عن إقامة عزاء الشّهيد العطشان ! وما عذر أهل الإيمان في إضاعة البكاء والأحزان على سيّد شباب أهل الجنان ونسل سيّد ولد عدنان ، ألم يعلموا أنّ النّبي (ص) أضحى لمصابه موتوراً ولقتله مضطهداً مقهوراً ؟!

وكيف لا نبكي لبكاء الرّهراء (عليها السلام) ؟! وكيف لا نحزن لحزن المُرْتضى ؟! وكيف لا ننوح لقتل الإمام المنبوذ بالعراء ؛ لنفوز بثواب هذا المصاب ونحوز الجنّة يوم المآب .

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التّادبون ، ولتلهم تذرّف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم .

القصيدة للشيخ الجليل ابن حماد:

أهـجـرت يا ذات الجمـال دلالا وجعلت جسمي للصدود خيالاً
وسـقـيتني كأس الفـراق مـرارة ومنعت عذب رضا بك السلسالاً
أسفأ كما منع الحسين بكربلا مـاء الفـرات وأوسـعوه خيالاً
وسـقـوه أطراف الأسنـة والقنـا ويزيد يشرب في القصـور زلالاً
لم أنس مـولاي الحـسين بكربلا ملقى طريحاً بالدماء رمالاً

واحسرتاكم يستغيث بجمده
ويقول يا جداه ليتك حاضراً
ويقول للشمر اللعين وقد علا
يا شمر تقتلني بغير جناية
فاحتز بالغضب المهند رأسه
وعلا به فوق السنان وكبروا
فارتجت السبع الطباق وأظلمت
وبكين أطباق السماء وأمطرت
يا ويلكم اتكبرون لفقده من
تركوه شملوا في الفلاة وصبروا
ولقد عجبت من الإله وحلمه
كفروا فلم يخسف بهم أرضاً بما
وغدا الحصان من الوقعة عارياً
متوجهاً نحو الخيام مخضباً
وتقول زينب ياسكينة قد أتى
قامت سكينة عاينته محمماً
فبكت وقالت واثماتة حاسدي
يا عمتهاه جاء الحصان مخضباً
لما سمعن الطاهرات سكينة
ابرزن من وسط الخدود صوارخا
فلطمن مننهن الخدود وكشفت
وخمشن مننهن الوجوه لفقده من
قتل الإمام ابن الإمام بكربلا
وتقول يا جداه نسل أمية
يا جدنا فعلوا علوج أمية
يا جدنا هذا الحسين بكربلا

والشمر منه يقطع الأوصالا
ففساك تمنع دون الأندالا
صداً تـرى في تقى ودلالا
حقاً ستجزى في الجحيم نكالا
ظلماً وهز برأسه العسالا
لله جلال جلاله وتعالى
وتزلزلت لمصابه زلزالا
أسفاً لمصرعه دما قد سالا
قتلوا به التكبير والتهليلة
للخيل في جسد الحسين مجالا
في الحال جلال جلاله وتعالى
فعلوا وأمهاهم به إمهالا
ينعي الحسين وقد مضى إجمالا
بدم الحسين وسرجه قد مالا
فرس الحسين فانظري ذا الحالا
ملقي العنان فأعولت إعمالا
قتلوا الحسين وأبتموا الأطفالا
بدم الشهيد ودمعه قد سالا
تنعي الحسين وتظهر الأعوالا
يندين سبط محمد المفضالا
منها الوجوه وأعولت إعمالا
نادى مناد في السماء وقالا
ظلماً وقاسى منهم الأهوالا
قتلوا الحسين وذبحوا الأطفالا
فعلا شنيعاً يدهش الأفعالا
قد بضعه أسنة ونصالا

ملقى على شاطئ الفرات مجدلاً
ثم استباحوا في الطفوف حرماً
وغدوا بزينة العابدين مكثفاً
بيكي أبيه بعبرة مسفوحة
وأثوا به نحو الخيام وأمه
وتقول لبيت الموت جاء ولم أرى
لو كان والده علي المرتضى
ولفر جيش المارقين هزيمة
يا ويلكم فستسحبون أذلة
فعلى ابن سعد واللعين عبيدة
وعلى محمد آل محمد
وعليهم صلي المهيمن ما حدا
فمتى تعود لآل أحمد دولة
يا آل أحمد أنتم سفن النجا
أرجوكم لي في المعاد ذريعة
فلأنتم حجج الإله على الورى
والله أنزل هل أتى في مدحك
والمرتقى من فوق منكب أحمد
وعليكم نزل الكتاب مفضلاً
نص بإذن الله لا من نفسه
فتكلم المختار لما جاءه
إذ قال هذا وارثي وخليفتي
أفديكم آل النبي بمهجتي
وأنا ابن حماد وليكم الذي
أصبحت معتصماً بجبل ولأئكم
وأنا الذي أهواكم يا سادتي
بعد الصلاة على النبي محمد

في الغاضرية للورى أمثالاً
نهبوا السراة وقوضوا الاجمالات
فوق المطيعة يشتكى الأهوالاً
أسروه مضى لا يطيق نزلاً
تبكي وتسحب خلفه الأذيات
هذي الفعال وانظر الأندالاً
حيلاً لجنادل دونه الأبطالاً
من سيفه لا يستطيع قتالاً
وسحملون بفعالكم أنقالات
لعن تجدد لا يزول زوالاً
روح ويرحان يمدوم مقالات
في البيد ركبان تسير عجالات
ونرى لملك الظالمين زوالاً
وأنا وحقكم لكم أتواتلاً
وبكم أفوز وأبلغ الأمالات
من لم يقل ما قلت قال محالاً
والنمل والحجرات والأنفالات
منكم ولو رام السماء لنالات
والله أنزله لكم إنزالاً
ذو العرش به نص لكم إفضالاً
من ربه جبريلهم إرسالات
في أممي فلتسمعوا ما قالاً
وأبي وأبذل فيكم الأموات
لم يرض غيركم ولم يتواتلاً
جسداً وإن قصر الزمان وطالات
أرجو بذلك عناية ونوات
ما غرد القمري وأرخى البالات

المجلس الثاني

في أول يوم من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

يا إخواني ، لو تصوّر المُحب لآل الرّسول ، ما لاقوا من الخطب المهول ، لاختاروا الموت ولفنا على الحياة والبقا ، وكيف لا ، والحُسين (عليه السلام) مجدلّ فوق الرّمال ، معلّى رأسه على رأس رمح ميّال ، وذرايه تُسبي حسراً على الجمال ، يُطاف بهم في البلاد مقيدّين في الأصفاد ، كلّ هذا والدّموع جامدة ، والعيون راقدة والأصوات خامدة ، فسيلوا رحمكم الله على هذا المصاب شآبيب الهتان ، وتجلّبوا جلابيب الإكتئاب والأحزان ، واظهروا النوح والعيويل على هذا الرّزء الجليل ، أما علمتم أنّكم توافقون الملائكة في ثوابهم ، وتواسون التّبي في الحزن على مصابهم ؟ أما تحبّون أن يرضى عنكم مبدع الموجودات ؟ أما تريدون أن تكونوا بذلك آمنين من الكُربات يوم عرض الخلائق على ربّ السّماوات ؟ فإنّ من لم يحزن لمصابهم فليس هو من أتباعهم وأحبائهم ، والله درّ من قال :

يا لكرب بكربلاء عظيم	ولرزء على التّبي ثقيل
كم بكى جبريل ممداه	في بنيه صلوا على جبريل
سوف تأتي الزهراء تلتمس	الحكم إذا حان محشر التعديل
وأبوها وبعلهما وبنوها	حولها والخصام غير قليل
وتنادي يا رب ذبح أولادي	لماذا وأنت خير مدليل

فيناد بمالك إلهب النار وأجج وخذ بأهل الغول
يا بني المصطفى بكيت وأبكي ونفسي لم تأت بعد بسول
ليت روحي ذابت دموعاً فأبكي للذي نالكم من التذليل
ومتى كادني النواصب فيكم حسبي الله وهو خير وكيل

روي عن سيّد البشر فيما جاء من الخبر ، أنّه قال: ((من ذكر الحسين (عليه السلام) عنده ، فخرج من عينه من الدموع بقدر جناح الذبابة ، كان ثوابه على الله تعالى ، ولم يرض له بدون الجنة جزاء)) .

وعن أبي هارون المكفوف أنّه قال : قال لي الصادق (عليه السلام) : ((يا أبا هارون ، أنشد لي في الحسين شعراً)) . فأنشدته قصيدة ، فبكا بكاءً شديداً وكذلك أصحابه ، فقال : ((زدني قصيدة أخرى)) . فأنشدته ، فبكى طويلاً وسمعت أيضاً نحيباً من وراء الستّر من أهل بيته ، ولم أزل أسمع نحيب عياله وأهل بيته حتّى فرغت من إنشاد القصيدة ، فلمّا فرغت ، قال لي : ((يا أبا هارون ، من أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكى أو أبكى واحداً ، كتب الله له (ولهما) الجنة)) .

وحكى دعبل الخزاعي ، قال : دخلت على سيدي ومولاي عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) في مثل هذه الأيام ، فرأيتّه جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله ، فلمّا رأني مُقبلاً ، قال لي : ((مرحباً بك يا دعبل ، مرحباً بناصرتنا بيده ولسانه)) . ثمّ إنّه وسع لي وأجلسني إلى جانبه ، ثمّ قال لي : ((يا دعبل ، أحبّ أن تنشدني شعراً ، فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت ، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أميّة . يا دعبل ، من بكى أو أبكى على مصابنا ولو كان واحداً أجره على الله . يا دعبل ، من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا ، حشره الله معنا في زمرتنا . يا دعبل ، من بكى على مصاب جدّي الحسين غفر الله له ذنوبه البتّة)) . ثمّ إنّه (عليه السلام) نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه ، وأجلس أهل بيته من وراء الستّر ؛ ليكفوا على مصاب جدّهم الحسين (عليه السلام) ، ثمّ التفّت إليّ وقال : ((يا دعبل ، ارث الحسين ، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيّاً ، فلا تقصّر عن نصرتنا ما استطعت)) .

قال دعبل : فاسعبرت وسالت عبرتي ، وأنشأت أقول :

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذا للطمست الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات

نجموم سماوات بأرض فـلات
وأخرى (بفـخ) نالها صلوات
معـرستهم فيها بشـط فـرات
توفيت فيهم قبل حين وفـاة
سقتني بكأس الثكل والـصـعات
وجبريل والقـرآن والسـورات
وفاطمة الزهراء خير بنات
وجعفرها الطيار في الحـجـبات
سمية من نوكي ومن قـذرات
وهم تركوا الأبناء رهـن شـتات
وما ناح قمري على الشـجـرات
فقد آن للتسـكاب والهمـلات
وآل رسول الله منهـتـكات
وآل رسول الله في الفـلـوات
وآل زياد تسـكن الحـجـرات
وآل زياد غلظ القـصـرات
وآل زياد ربة الحـجـلات
وآل زياد آمنوا السـرـبات
أكفـأ عـن الأوتار منقبضات
ونادي منادي الخـير للـصـلات
وبالليل أبكـيهم وبالغدوات

أفاطم قومي يابنة الخـير وانـدي
قبور (بكوفـان) وأخرى بطيـة
قبور بـطن النهر من جنب (كـربـلا)
توفوا عطاشى بالـعـرى فليـتـني
إلى الله أشكوا لوعة عند ذكـرهم
إذا فـخـروا يوماً أتوا بمـحـمد
وعـدوا علياً ذا المناقب والعلـى
وحمزة والعبـاس ذا الـدين والتقى
أولئك مشـؤمون هنـداً وحـربها
هم منعوا الآباء من أخـذ حقهم
سأبكيهم ما حجـج لله راكـب
فيا عين أبكـيهم وجـودي بعـبرة
بنات زياد في القـصـور مصـونة
وآل زياد في الحـصـون منيعـة
ديار رسول الله أصـبـحن بـلقـعاً
وآل رسول الله نحـف جسـومهم
وآل رسول الله تدمى نحـورهم
وآل رسول الله تسـبى حـريمهم
إذا وتـروا مـدوا إلى واتـرهم
سأبكيهم ما در في الأرض شـارق
وما طلعت شمس وحن غروبها

فيا إخواني , كيف لا يحقّ لنا البكاء عليهم وإظهار الجزع والإكتئاب لديهم , وهم أعلام الرّحمن وأمناء القرآن؟! روي عن الباقر (عليه السلام) , أنّه قال : ((أيما مؤمن ذرفت عيناه على مصاب الحسين (عليه السلام) حتّى تسيل على خده , بوأه الله في الجنّة عُرفاً , يسكنها أحقاباً . وأيما مؤمن مسّه أذى فينا , صرف الله عن وجهه الأذى يوم القيامة , وآمنه من سخط النّار)). وعن الصادق (عليه السلام) أنّه قال : ((من ذكرنا عنده

ففاض من عينه دمع ولو مثل رأس الدُّبابة ، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زَبَد البحر)) .
وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، أَنَّهُ قَالَ : ((رَحِمَ اللَّهُ شَيْعَتَنَا ، لَقَدْ شَارَكُونَا فِي الْمَصِيبَةِ ، بِطَوْلِ الْحَزْنِ وَالْحَسْرَةِ عَلَى مَصَابِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ))) .

وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، أَنَّهُ قَالَ : ((مَنْ بَكَى أَوْ أَبَكَى فِينَا مِئَةَ فَهَلْ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ بَكَى أَوْ أَبَكَى عَشْرَةَ فَهَلْ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ بَكَى أَوْ أَبَكَى وَاحِدًا فَهَلْ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ تَبَاكَى فَهَلْ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَبْكِي ، فَلْيَقْشَعِرْ جِلْدَهُ مِنَ الْحَزْنِ فِينَا)) .
فِيَا إِخْوَانِي ، انظُرُوا إِلَى عَظَمِ فَضِيلَةِ الْبُكَاءِ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ الرَّبَّانِي ، وَاغْسَلُوا دَرْنَ ذُنُوبِكُمْ بِمَاءِ دُمُوعِكُمْ ، وَنَعُودِ بِاللَّهِ مِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ .

رَوَى : أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ بِقَتْلِ وَلَدِهَا الْحُسَيْنِ ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْحَنِّ ، بَكَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بُكَاءً شَدِيدًا ، وَقَالَتْ : ((يَا أَبِي ؛ مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ ؟)) . قَالَ (ص) : ((فِي زَمَانِ خَالِ مَتِّي وَمَنْكَ وَمَنْ عَلِيٍّ)) . فَاشْتَدَّ بَكَاءُهَا وَقَالَتْ : ((يَا أُمَّة ؛ فَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِ ؟ وَمَنْ يَلْتَزِمُ بِإِقَامَةِ الْعِزَاءِ لَهُ ؟)) .

فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ((يَا فَاطِمَةُ ، إِنَّ نِسَاءَ أُمَّيْ يَكُونُ عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ بَيْتِي ، وَرِجَالُهُمْ يَكُونُ عَلَى رِجَالِ أَهْلِ بَيْتِي ، وَيَجِدُدُونَ الْعِزَاءَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَشْفَعِينَ أَنْتَ لِلنِّسَاءِ وَأَنَا أَشْفَعُ لِلرِّجَالِ ، وَكُلٌّ مِنْ بَكَى مِنْهُمْ عَلَى مَصَابِ الْحُسَيْنِ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وَأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ . يَا فَاطِمَةُ ، كُتِّبَ عَيْنُ بَاكِيةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا عَيْنُ بَكَتْ عَلَى مَصَابِ الْحُسَيْنِ ، فَإِنَّهَا ضَاكِحَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ)) .

فِيَا إِخْوَانِي ، أَكْثَرُوا الْبُكَاءَ وَالْعُوبِيلَ عَلَى هَذَا الْعَزِيزِ الْجَلِيلِ ؛ لِتَفُوزُوا بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنَ الرَّبِّ الْجَلِيلِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مِتَابِعَتَنَا لَهُمْ فِيمَا أَمَكْنَ مِنَ الْفِعَالِ ، وَبِكَاؤُنَا عَلَيْهِمُ بِالذَّمْعِ السَّجَالِ ، وَبِعَثِّ عِيُوبِ أَعْدَائِهِمْ أَهْلِ الضَّلَالِ قَائِمًا مَقَامَ الْجِهَادِ مَعَهُمْ فِي يَوْمِ الْقِتَالِ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ وَصِيِّ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : ((الزَّمُوا بِيُوتِكُمْ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَلَا تَتَحَرَّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسِيُوفِكُمْ وَهُوَ أَلْسَنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجَلُوا بِمَا لَمْ يَعْجَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ مَنْ حَقَّ رَبُّهُ وَحَقَّ رَسُولُهُ وَآلُ رَسُولِهِ ، كَانَ كَمَنْ مَاتَ شَهِيدًا وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِصَالَتِهِ وَجِهَادِهِ بِسَيْفِهِ وَيَدِهِ ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجْلًا)) .

وانتهاءاً)).

فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التادبون ، ولثلهم تذرف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمته الله)

أي عذر لمهجرة لا تذوب
ولقلب يفيق من ألم للحزن
وابن بنت النبي بالطرف مطروح
حولته مني بني أبيه شباب
وحريم النبي عبري من الكل
تلك تدعو أخي وتلك تنادي
لهف قلبي وطفله في يديه
لهف قلبي لأخته زينب تأوي
لهف قلبي لفاطم خيفة السبي
لهف قلبي لأُم كلثوم والخندان
وهي تدعو يا واحدي يا شقيقي
ثم تشكو إلى النبي ودمع العين
جد يا جد لو ترانا حيارى
جد يا جد لم يفد ذلك النصح
جد لم تقبل الوصية في الأهل
يصبح الجاحد البعيد من الحق
أين عيناك والحسين قتيلا
لو ترى سبطك المفدى طريحا
لو ترانا نساق بالذل ما بين
لو ترانا حرى وقد أبرزت منا
بأبي الطاهرات تحدى بمن العيس
بأبي رأس جلال فاطمة

وحشا لا يشب فيها لهيب
ولعين دموعها لا تصوب
ملقى والجبين منه تريب
صرعتهم أيدي المنايا وشيب
وحرى خمارها منهوب
يا أبي وهو شاخص لا يجيب
يتلظى والنحر منه خضيب
اليتامى ودمعها مسكوب
تجاني وقلبه مرعوب
منها قد خددتها الندوب
يا مغيثي قد برحت بي الخطوب
في خدها الأسيل وصيب
قد عرنتنا بكربلاء الكربوب
وذاك الترغيب والترهيب
ولم يرحم الوحيه الغريب
قريباً منهم ويقضي القريب
وعلى مغلل مضروب
عارياً والرداء منه سليل
العدى قد قسمت علينا القلوب
وجوه صينت وشقت جيوب
بين الملا وطوى السهوب
يشهره للعيون رمح كعوب

مثلك يستحسن البكا والنحيب
 قرحي وقلبي لما رزيت كئيب
 وأيمن المحقق والمستريب
 باد وقد علاه قضيب
 يفدي المولى الحسيب النسيب
 لـ والله عنك سهم مصيب
 لـ دعوا للهدي ولم يستجيبوا
 الخليعي مستهام طروب
 القرى وجوباً وإرثكم مغصوب
 وأنتم للطالب المطلبوب
 أعمالنا وتمحى الذنوب
 صب وشقت من الغول القلوب

يا بن أركى الورى نجاراً على
 هاجفوني لما أصيبت به
 أين قلبي الشجي والفاغ البال
 لا هناني عيشي ومبسمك الدرى
 لبت أبي فداك لو كان بالعبد
 سهم بغى الأولى أصابك من قب
 أظهروا فيك حقد بدر من قب
 يا بني أحمد إلى مدحك قلب
 كيف صبر امرئ برى الود في
 أنتم حجة الإله على الخلق
 بولاكم وبغض أعدائكم تقبل
 لثناكم شاهت وجوه ذوي النـ

الباب الثاني

اعلموا أيها الأخوان ، إنّ نغثات الأحزان إذا صدر عن زفير نيران الأشجان ، فرجت بعض الكرب عن الواله المكروب ،
 والدّموع الهتان إذا أسبلت عن مقرحات الأجنان ، نفس ذلك الدّمع المصبوب ما يجده المتيم المتعوب ، فليلبس كلّ واحد منكم
 شعار أحزانه ، وليتجلبب بجلباب كآبته واشجانه.

أما تعلمون أنّ لكلّ واحد منكم تمام إيمانه ؟ أما تحبّون أن يرجع ذلك لكلّ واحد منكم بميزانه ؟ أبلغ شاهد من هذا تريدون
 ؟ فلم عن إقامة العزاء متقاصرون ؟ أما بلغكم أنّ بعينهم جميع ما تصنعون ؟ أما قال عزّ وجلّ : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي**
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (1) ؟ . بل والله أنّه قول لا مريّة فيه ولا شكّ يعتريه ، والله درّ من قال :

لذوي المراتب في البرايا سادوا
 عالي البناء له العلاء عماد
 يروي به الرواد والوراد

يا من بجاههم الظليل وعزهم
 فلهم على السبع الطريق منصب
 وحياض وردهم لكل مؤمل

(1) سورة آل عمران / 169 .

إن أوعدوا صفحوا عن الجاني وإن وعدوا بخير انجزوا الميعاد
تضع الملوك جباههم في أرضهم ولزهدهم تتأدب الزهاد
إن كان غيري ناسياً لمصابكم فالحزن في قلبي لله تزداد
بالله أقسم لا تعدي دينكم إلا زنى دينه الحاد

عن الصادق (عليه السلام) : ((إذا كان يوم القيامة ، نُصِبَ لفاطمة (عليها السلام) قبة من نور ، ويقبل الحسين (عليه السلام) ماشياً ورأسه في يده ، فإذا رآته فاطمة (عليها السلام) ، شهقت شهقة عظيمة ، فلا يبقى في ذلك الموقف ملك ولا نبي إلا وبكى لبكائها ، فيمثل الله الحسين في أحسن صور ، فيخاصم قتلته وهو بلا رأس ، فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ومن شرك في قتاله فيقتلهم عليّ ، ثم يُنشرون فيقتلهم الحسن ، ثم يُنشرون فيقتلهم الأئمة)) .

وفي خبر آخر عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، قال : ((إذا كان يوم القيامة ، جاءت فاطمة الزهراء في لمة من نساء أهل الجنة ، فيقال لها : ادخلي . فتقول : لا ادخل حتى أعلم ما صنع بولدي الحسين . فيقال لها : انظري في قلب القيامة . فتنظر يميناً وشمالاً فترى الحسين وهو قائم ليس عليه رأس ، فتصرخ صرخة عالية وتصرخ الملائكة لصرختها ، وتقول : وا ولداه وا ثمرة فؤاده ! قال : فيشتد غضب الله عند ذلك ، فيأمر الله ناراً اسمها هبهب ، قد أوقدوا عليها ألف عام حتى اسودت واطلمت ، لا يدخلها روح ولا يخرج منها هم ولا غم أبداً ، فيقال لها : التقتي قتلة الحسين . فتلتقطهم جميعاً واحداً بعد واحد ، فإذا صاروا في حوصلتها ، سهلت بهم وسهلوا بها ، وشهقت بهم وشهقوا بها ، واشتد عليهم العذاب ، فيقولون : ربنا لم أوجب علينا النار قبل عبدة الأوثان ؟ فيأتيهم الجواب عن الله : إن من علم ليس كمن لا يعلم)) . ﴿ **فَالْيَوْمَ نُجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ** ﴾ (1) . والله درّ من قال :

عين تروم فراق شخصك ساعة كحلت بأميال العمى أماقها
نفس للحظك لم تكن مشتاقة ضربت بأسياف العدى أعناقها

روي عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الرضا (عليه السلام) يقول : ((لما أمر الله إبراهيم (عليه السلام) أن يذبح مكان إسماعيل الكبش - الذي أنزله عليه - ، تمنى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده ، وإنه يؤمر بذبح الكبش مكانه ؛ ليرجع إلى قلبه ما

(1) سورة الأحقاف / 20.

يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده ، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا إبراهيم ، مَنْ أَحَبَّ خَلْقِي إِلَيْكَ ؟ فقال : يا ربّ ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك مُحَمَّد (ﷺ) . فأوحى الله إليه : يا إبراهيم ، هو أحبّ إليك أم نفسك ؟ فقال : بل هو أحبّ إليّ من نفسي . قال : فولده أحبّ إليك أم ولدك ؟ قال : بل ولده . قال : فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال : يا ربّ ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي . قال : يا إبراهيم ، إنّ طائفة تزعم أنّها من أمته ، ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش ، ويستوجبون بذلك بيدك ؛ بجزعك على الحسين وقتله ، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (1) . والله درّ من قال :

عليك ابن خير المرسلين تأسفي وحزني وإن طال الزمان طويلاً
جللت فجّل الرزء فيك على الوري كذا كل رزء للجليل جليل

فوا حسرتاه لتلك الجسوم المرقلة بالدماء ! ووا لهفتاه لتلك الأفواه اليابسة من الظّماء ! وواحرّ قلباه لمولاي الحسين وهو يُنادي فلا يُجاب ، ويستغيث وليس من يرد الخطاب ، ويطلب شربة من الماء فلا يُسقى أو لا يدارى ، وقد حرّموه عليه وحلّوه على اليهود والنصارى ، ومنعوه من توديع الأحباب والأولاد ، وأظهروا في الإسلام حُزناً لا ينقضي حتّى المعاد ! فلا غرو إن بكت عليه محاجري أو قرّ السّهاد عن ناظري .

فيا إخواني ، كيف يحسن نوح النّائحين وبكاء الباكين على إلف وخذين ؟ ولا يحسن على ابن أمير المؤمنين وابن سيّدة نساء العالمين ، بلى والله والحقّ المُبين ، والله درّ من قال :

يا أهل بيت محمد دمعي لكم جار وقلبي ما حييت كئيب
أنتم ولاة المسلمين وحبكم فرض ونهج هداكم ملحوب
طبتم فحبكم النجاة وبغضكم كفر برب العالمين وحبوب

نُقِل عن ابن عباس أنّه قال : لما حضرت رسول الله الوفاة ، بكى بكاء شديداً حتّى بلّت دموعه لحيته ، فقلت له : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ فقال :

(1) سورة الصّافات / 107 .

((أبكي لذرتي وما يصنع بهم من بعدي ، وما يفعلون بهم أشرار أمّتي ، فكأني بفاطمة (عليها السلام) ابنتي وقد ظلّمت من بعدي ، وعُصّب حقّها وفُهر بعلمها وعُصبت على ميراثها ، فكأني بها وهي تُنادي : يا أبتاه يا أبتاه ! فلا يعينها أحد من أمّتي)) . فسمعت فاطمة كلام أبيها فبكت ، فقال لها النبي : ((اسكتي يا فاطمة ، ابشري يا بنت مُحمّد بسرعة اللحاق بي ، ولم تلبثي بعدي إلا قليلاً ، وأنك أوّل من يلحق بي من أهل بيتي)) . فسرت بذلك سروراً عظيماً .

وفي بعض الأخبار عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : ((ما رأيت فاطمة ضاحكة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))) . وقيل : ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة ، كانت تقوم للصلاة حتى تتورّم قدمها . وقيل : لما دُفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجعت فاطمة إلى بيتها ، اجتمع إليها نساؤها ، فقالت : ((إنا لله وإنا إليه راجعون ، انقطع عنا خبر السماء)) . ثمّ قالت :

أغبر آفاق البلاد وكورت
والأرض من بعد النبي حزينة
فليكنه شرق البلاد وغربها
نفسى فداؤك ما لرأسك مائلاً
وئقل : إنّها وقعت على قبره ، وقالت :

ما ضر من شم تربة أحمد
صبت عليّ مصائب لو أنّها
أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صبت على الأيام صرن لياليها

فيا إخواني ، إن رغبت في المنزل الكريم والثواب العظيم الجسيم ، فأديموا الحزن عليهم والجزع والكآبة لديهم ، فإنّه يكتب لكم في صحائف الحسنات ويمحو عنكم الذنوب المعضلات . فعلى الأطائب من أهل البيت فليكن الباكون ، وإياهم فليندب النّادبن ، ولمثلهم تدرف دموع العيون ، أولاً تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحران والأشجان ، فنظم وقال :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمته الله)

خواطر فكري في الحشَاء تجول
وأراق دموعي ظلّم آل محمد
وحزني على آل النبي طویل
وقتلبي لنفسي في الهداة قليل

تهمون الرزايا عند ذكر مصابهم
لعمرك خطب لو علمت جليل
مصارع أولاد النبي بكربلا
قبور عليها النور يزهو عندها
قبور بها يستدفع الضر والأذى
ولما رأيت الحير حارت مدامعي
ومثل لي يوم الحسين وقوله
أما فيكم يا أيها الناس راحم
أقتل مظلوماً وقدما علمتم
أليس أبي خير الوصيين كلهم
أما فاطم الزهراء أمي ويلكم
دعوني أرد ماء الفرات ودونكم
فنادوه مهلاً يابن بنت محمد
فداؤك روحي يا حسين وعترتي
فديتك لما مر مهرك عارياً
بناتك تسبي كالأماء حواسراً
وزينب تدعو بالحسين وقلبهما
أخي يا أخي قد كنت عزي ومنعتي
أخي يا أخي لم أعط سؤلي ولم يكن
أخي لو ترى عيناك ما فعل العدا
ترانا سباباً كالأماء حواسراً
أخي لاهنتي بعد فقدك عيشتي
فإن كنت أزمعت المغيب فقل لنا
أقول كما قد قال عني والدي
أرى علل الدنيا عليّ كثيرة
لكل اجتماع من خليلين فرقة

ورزؤهم في العالمين جليل
وأمر عنيف لو علمت مهول
عليهن حزني ما حييت يطول
صعود لأمالك السما ونزول
ويعطي بهي بها رب السما ونييل
وكان لها من قبل ذاك همول
لأعدائه بالطف وهو يقول :
لعثرة أولاد النبي وصول
بأن ليس لي في العالمين عدل
أما أنا للطهر النبي سليل
وعمّاي أيضاً جعفر وعقيل
لقتلي فعندي للظماء غليل
فليس إلى ما تتغيه سبيل
وأنت غفير في التراب جديل
ورأسك في رأس السنان مثيل
وسبئك ما بين العداة قتيل
حزين لفقدان السلو ثكول
فأصبح عزي فيك وهو ذليل
لأختك مأمول سواك وسول
بنات لرات أمراً هناك يهول
يجد بنا نحو الشئام رحيل
ولا طاب لي حتى الممات مقيل
أمالك من بعد المغيب قفول
وأدمعه بعد البتول همول
وصاحبها حتى الممات عليـل
وإن بقائي بعدكم لقليل

وليس إلى ما يتغيه سبيل
 دليل على أن لا يدوم خليل
 ومن فضلهم عند الإله جليل
 بان على ما في الأمور دليل
 إذ الطرف في اليوم المعاد كليل
 خفيف لما يأتي به وثقيل
 مقيم عليه لست عنه أحول
 ومالي سواكم إن علقست وسيل
 تتيه على أقرانها وتصول
 على الشعر إن رام القريض يقول
 ورأيي شديد في الأمور دليل
 وفضل إلهي للعباد جزيل
 لكان إلى ما في الأمور يؤول
 يكون سواء عالم وجهول
 لقلت ولكن الجميل جميل
 لأم تناشوا في الخنا ونغول
 لهم شميم محمود وعقول
 ويعلوه ظل في الجنان ظليل
 رويداً رويداً فالحديث يطول

يريد الفتى أن لا يفارق خلوه
 وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد
 عليكم سلام الله يا خيرة السورى
 بكم طاب ميلادي وإن ودادكم
 لأنكم أعلى السورى عند ربكم
 وإن موازين الخلائق حسبكم
 وأصافيتكم ودي ودنت بحبكم
 وإنكم يوم المعاد وسيلتي
 تسمع لها بكر الغواني إذا بدت
 منمقة الألفاظ من قول قادر
 لساني حسامي مرهف الحد قاطع
 وذلك فضل من إلهي وطوله
 ألا رب مغرور تناسى ولو درى
 تشبه لي في الشعر عز فهل ترى
 ولو لا حفاظ العهد بيني وبينه
 كفى أن من يهوى غوات أراذل
 وإني بحمد الله ما بين عصبة
 بحبكم يرجو ابن حماد سؤله
 فقل للذي يبغى عنادي حينه

الباب الثالث

اتظنون أيها المؤمنون إخوانكم أصحاب الحسين (عليه السلام) عظمت عليهم تلك الآلام ، أو أضرت بهم تلك الجراح في ميدان الكفاح ؟ لا وخالق الأرواح ، أليس هم بعين الملك الجبار ؟ أليس هم في نصرة النبي المختار ؟ أما هم الذين باعوا الدنيا بالآخرة في نصرة الدرية الطاهرة ؟ لقد والله ، شاهدوا مقاعدهم في الجنان مشاهدة الحضور والعيان ، وعلموا أنهم قادمون عليها فبدلوا وسارعوا إليها ، والله درّ من قال فيهم :

قوم إذا حضر الوغى لم يسألوا حذر المنيّة عن سبيل الهارب
وإذا الكمّاة تطاعنوا ألفتهم يتقدمون إلى مكان الضارب

فيا حبّذا نجم سعدهم اللائح ويا طيب نشر عطرهم الفائح ، كيف لا وقد تحقق أنّ القتل منهم في سبيل الملّك الجليل لا
يجب له التّغسيل ؛ لما ورد في الخبر عن سيّد البشر (ص) : ((رملوهم بدمائهم ؛ فيأثمّ يُحشرون يوم القيامة تشخب أوداجهم
دماً ، اللون لون الدّم والرّيح ريح المسك)) .

فيا إخواني ، هل هذا إلّا لمكرمة حصلوها وفضيلة أدركوها ؟ وذلك هو الحظّ العظيم والتّيبل الجسيم .

نقل أنّه لما قدم الحسين (عليه السلام) إلى أرض كربلاء ، كان معه اثنان وسبعون رجلاً ، وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ، وكان
عسكر ابن سعد سبعين ألف فارس ، فحملوا بأجمعهم على الحسين وأصحابه (عليهم السلام) ، فأمر ابن سعد برميهم في السّهام ،
فرموهم بها حتّى صار جسد الحسين كالقنفذ ، وجرحوه في بدنه ثلاثمئة ونيّفاً وعشرين جرحاً ؛ بالرّماح والسّيوف والتّيبل
والحجارة، حتّى أنّه (عليه السلام) حجم عنهم وضعف عن القتال ، فطعنه سنان بسنانه فصرعه إلى الأرض ، فابتدر إليه خولي ؛
ليحتز رأسه فارتعد ورجع عن قتله ، فقال له الشّمر : فتّ الله عضدك ، ما لك ترعد ؟ ثمّ إنّ الشّمر نزل عن فرسه ودنا إلى
الحسين ، فدبحه كما يُذبح الكبش ، ألا لعنة الله على القوم الظّالمين .

وكان عدد من قُتل مع الحسين من أهل بيته وعشيرته (عليهم السلام) ثمانية عشر نفساً ، فمن أولاد عليّ ستة وهم ؛ العبّاس وعبد
الله ، وجعفر وعثمان ، وعبيد الله وأبو بكر ، ومن أولاد الحسين (عليهم السلام) اثنان ، وهما ؛ عليّ بن الحسين ، وعبد الله الطّفّل
المذبوح بالسّهم ، ومن أولاد الحسن (عليهم السلام) ثلاثة ، وهم ؛ القاسم وأبو بكر وعبد الله ، ومن أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي
طالب اثنان ، وهما ؛ محمّد وعون ، ومن أولاد عقيل ثلاثة ، وهم ؛ عون وجعفر وعبد الرّحمن ، ومن أولاد مُسلم بن عقيل اثنان
، وهما ؛ عبد الله بن مُسلم وعبيد الله بن مُسلم . فهؤلاء ثمانية عشر نفساً من أهل البيت (عليهم السلام) قُتلوا مع الحسين (عليهم السلام) ،
وكلّهم مدفونون مما يلي رجلي الحسين في مشهده ، وإثمّ حُفر لهم حفيرة عميقة ، وألقوا فيها جميعاً وسوّي عليهم التّراب (رحمة
الله عليهم) ، وأما العبّاس ، فإنّه دُفن ناحية عنهم في موضع المعركة عند (المسناة) ، وقبره ظاهر على ما هو الآن ، وليس لقبور
إخوته

وبني عمّه الذين سمعنا لهم أثر ظاهر ، وإتّما يزورهم الزّائر عند رجلي الحسين (ع) ، ويومي إلى الأرض ويشير إليهم بالسّلام ، وعليّ بن الحسين من جملتهم ، وقيل : إنّه أقرب منهم إلى قبر أبيه.

وأما أصحاب الحسين الذين قُتلوا معه من سائر النّاس ، وهم ثلاثة وخمسون رجلاً ، فإنّهم دُفِنوا حوله ، وليس لهم أجدات على الحقيقة ، ولا شكّ أنّهم في الحائر المقدّس على ما نُقل من الثّقاة ، والحائر مُحيط بهم (رضوان الله عليهم أجمعين).

وأما رأس الحسين (عليه السلام) ، فنُقل عن بعض علمائنا ، إنّهُ زُدّ من الشّام ودُفن مع جسده الشّريف . وفي خبر آخر عن الصّادق (عليه السلام) ، إنّهُ بلغ في مسيره من المدينة إلى الغري شرفه الله تعالى ، ومعه ابنه إسماعيل وجماعة من أصحابه (عليه السلام) ، نزل عن دابته في موضع عند الغري قريباً من القبر مما يلي الرأس ، وزار الحسين وصلّى عنده ركعتين ، فقال له بعض مَنْ كان معه : يا بن رسول الله ، أليس رأس الحسين بُعث إلى الشّام إلى يزيد ؟ فقال : ((بلى ، ولكنّه رجل من موالينا اشتراه من بعد موت يزيد ، وأتى به إلى هذا الموضع ودفنه هنا)) . وليس هذا بعيد ، وكذلك اشتهر بين الأصحاب زيارته من عند رأس قبر أبيه.

وجاء في بعض الأخبار ، أنّه كان للحسين أربعة أولاد ذكور ، وهم ؛ عليّ بن الحسين الأكبر ، وكان عمره يوم قُتل مع أبيه سبع عشر سنة ، وعليّ بن الحسين الأصغر ، وهو الإمام (عليه السلام) الذي عاش بعد حياة أبيه ، وجعفر بن الحسين (عليه السلام) ، مات في حياة أبيه ودُفن بالمدينة ولا بقية له ، وعبد الله بن الحسين (عليه السلام) ، هو الطّفل الذي قُتل في حجر أبيه ، جاءه سهم ميشوم وهو يستقي له من القوم ماءً ، فجاءه السّهم في نحره ، فذبحه من الأذن إلى الأذن ، فجعل أبوه الحسين (ع) يلقي الدّم من نحره ويرمي به إلى السّماء ، فلا يسقط منه قطرة ، وهو مع ذلك بيدي الشّكاية إلى الله تعالى ويكي ويقول : ((قتل الله قوماً قتلوك يا بُني ، ما أجرأهم على انتهاك حرمة الرّسول ، على الدّنيا بعدك العفا)) .

فانظروا يا إخواني بعيون بصائرکم إلى مصاب العترة الطّاهرة ، واعملوا فكرکم فيما أصابهم من الفئة الفاجرة ، أتدرون إذا حزنتم على المصاب أيّ شيء تحوزون من الأجر والثّواب ؟ .

لقد طال ما أسهر أجفاني تمثّلهم في خاطري وجناني

ولله درّ من قال :

حتى متى وإلى متى تتصبر فلمثل هذا اليوم دمعتك يذخر
اليوم فلتذب النفوس كأبوة وعلى الحدود من الحاجر تقطر
روي عن الإمام أبي عبد الله (ع) ، قال : ((سمعت أبي يقول : إنّ فاطمة (عليها السلام) كانت تأتي قبور الشهداء فتبكي ، ثم تأتي قبور البقيع بين اليوم واليومين ، فكانت إذا وهجها الشمس تفيأت بظل أراكة هناك ، فبلغ الرجلين ذلك فبعثا فقطعا (الإراكة) . فلا جرم ، لقد كانت الأراكة سبباً لإعمال سيوف فتاكة في نسلها وبنيتها وولدها وذريتها ، والله درّ من قال :
ستعلم في الحسباب إذا التقينا غداً عند الإله من الظلوم
إلى ديان يوم الـمـدين تمضي وعند الله تجتمع الخصوم
روي عن الصادق (عليه السلام) ، أنّه إذا هلّ هلال عاشور ، اشتدّ حزنه وعظم بكأؤه على مصاب جدّه الحسين (عليه السلام) ، والناس يأتون إليه من كلّ جانب ومكان ؛ يُعزّونه بالحسين ويكون وينوحون على مصاب الحسين (عليه السلام) ، فإذا فرغوا من البكاء ، يقول لهم : ((أيّها الناس ، اعلموا أنّ الحسين حيّ عند ربّه يُرزق من حيث يشاء ، وهو دائماً ينظر إلى موضع عسكره ومصرعه ومن حلّ فيه من الشهداء ، وينظر إلى زوّاره والباكين عليه والمقيمين العزاء عليه ، وهو أعرف بهم وباسمائهم واسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنازلهم في الجنّة ، وإنّه ليرى من يبكي عليه فيستغفر له ، ويسأل جدّه وأباه وأمه وأخاه أن يستغفروا للباكين على مصابه والمقيمين عزاءه ، ويقول : لو يعلم زائري والباكي عليّ ما له من الأجر عند الله تعالى ، لكان فرحه أكثر من جزعه ، وأنّ زائري والباكي عليّ لينقلب إلى أهله مسروراً ، وما يقوم من مجلسه إلّا وما عليه ذنب ، وصار كيوم ولدته أمّه)) .
وعنه (عليه السلام) أنّه قال : ((لما قُتل الحسين (عليه السلام) ، بكت عليه السّموات السّبع ، ومن فيهنّ من الجن والإنس ، والوحوش والدّواب ، والأشجار والأطيّار ، ومن في الجنّة والنّار وما لا يرى ، كلّ ذلك يبكون على الحسين (عليه السلام) ويمجنون لأجله ، إلّا ثلاث طوائف من النّاس ، فإنّها لم تبك عليه أبداً)) . فقيل : فمن هذه الثلاثة التي لم تبك على الحسين ؟ فقال : ((هم ؛ أهل دمشق ، وأهل البصرة ، وبنو أميّة ، لعنة الله على الظّالمين)) .
فيا عجباً من القلوب القاسية والنّفوس العاصية ، كيف لا تبكي لمن بكاه مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى ، وعليّ المُرتضى وفاطمة الزّهراء سيّدة

النساء , وملائكة السماء وما بينهما وما تحت الثرى !؟

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإياهم فليندب النادبون , ولملتهم تذرف الدموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمته الله)

ألا يا عـين لا لمراتـع وخيـامي
لا ينفـع الغـل الـدموع برهـما
ما عذر من لم يبكي يوم مصابه
سحي الدموع على الحسين وحا
وتمثليـه بكـربلا يا ظاميـاً
وأبكي على الشيب التريب معفراً
وتمثليـه إخوانه وبناته
هذي تنوح وهذي تبكي لما
وأبكي اليتامى للطغاة خواضعا
وأبكي مصارع فتية علوية
أحشاء فاطمة لهم مقروحة
وأبكي لزینب تستغيث بأمهـا
يا أم قـومي من ثراك وسارعي
وقفـي على المقتول وانفجعي له
وأبكي على الطفل الصغير مضمخاً
وأبكي عزيزات الحسين حواسراً
وأبكي لزين العابدين مقيداً
وأبكي لنا نسي على الأقتاب ما
وأبكي لرأس السبط يشهر في القنا
يا للرجال لثار عترة أحمد
أيكون صاحب شرعة الأحكام
تبيد آل زياد آل محمد

أودت بساكنها يــــد الأيام
ألا إذا ندب القتيـل الظامي
متأسفاً بدم ودمع همام
ذري تستزك ألسن اللوام
يرنو إلى ماء الفرات الطامي
وأبكي على النحر الخضيب الدامي
يندبـه بتفجـع ولطـامي
سلب العدى من برقع ولثام
وارحمتهاه لتخضع الأيتام
شربوا على ظمأ كؤوس حمام
وعلى النبي توجع الأيتام
ذات المفـاخـر والمحل السامي
وتبني ذلي وسوء مقامي
وأبكي له فرداً بغير محامي
بدماه بعد تحرق وأوام
يسترن أوجههـن بالأكمـام
في الأسر يشكو كربـة الأسقام
بين المـلأ في مهمه وأكام
كالبدر يجلو حنـدس الأظلام
الهادي وبالحمية الإسـلام
والداعي الأنام مننكس الأعـلام
قتلاً بجد صـوارم وسهام

ترباً يوطئ الخيـل والأقـدم
يسري بعين الواحد العـلام
وبضغنة من ثغره البسام
في الكفـر وازدادوا من الآثام
فيهم من الإجلال والإعظام
هانـت عليه مصائب الأيام
لكم وذلك أعظم الأقسام
فيكم وجرأهم على الأقدام
ما أحكم الهادي من الإبرام
فرض عليّ مؤكـد الإلزام
وعليك معتمـدي وأنـت عصامي
ونبي الهادي معاً وإمامي
المعصوم لا حصر ولا متعامي
طبتم فـادخلو بسـلام
عصب الخنـا والرجس والآثام
غـدروا فأبلغ من عـداك مرامي

ويبيت جسم ابن النبي مرماً
وإلى ابن آكلة الكبـود برأسه
ويمكن الرجس القضيب بجهله
لكنه أملى لهم فتمردوا
يا سادة شرف الكتاب بما حوى
يا من إذا ذكر اللبيب مصابهم
قسماً بمن فرض الولاء على الوري
ما أطمع الأرجاس فيما أبدعوا
إلا الذين تعاقـدوا أن ينقضوا
يا قاسم النيران يا من حبه
أنا عبدك الخلعي لا أخشى لظى
فلقد عرفت بغير نكر خالقي
ولقد دللت على وجوب رئاسـة
فلتعظن على يوم تقول للأشياء
وتقاد أعداء الرسول إلى الوردى
ويعجل الله العذاب لمعشـر

الجلس الثالث

في الليلة الثانية من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

اعلموا أعزكم الله بقيام الدين واحياكم واماتكم على سنة سيّد المرسلين , إنّ نور الإسلام ما ظهر ولا استقام إلا بعليّ (عليه الصلّاة والسّلام) ، وجهاده بين يدي سيّد الأنام لظهار الإسلام ، فقتل الرّجال وجدّل الأبطال في حومة النّزال ، فلم يبق بيت من فُرَيْش إلا وعمل صليل حسامه في جوانبه ، وأخنى على أهله وأقاربه ، لا جرم بغضه أهل الشّقاق ، فأبطنوا الخلاف وأظهروا الوفاق ، فحين عرف النّبي ذلك من ضمائرهم - إذ هو المُطّلع على ما في سرائرهم - قام فيهم بالوصية فيه وفي ذرّيته وبنيه ، مقاماً بعد مقام حتىّ أسمع كافة الإسلام ، فلم يسعهم إلاّ القبول في الظّاهر لما يقول ، فلمّا توفّي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، ارتدّوا وقصدوه وأساءوا إلى وصيه وقتلوه ، وثنوا ببنيه وأشياعه ومواليه ، فحقّت عليهم كلمة الكفر ؛ بالإرتداد التي وعدهم بها ربّ العباد.

روي عن ابن عبّاس قال : حضرت مسألة فعجز عمر عن ردّها ، فقال ما تقولون يا صحابة رسول الله ، من ترون يقوم بجواب هذه المسألة ؟ فقالوا : أنت أعرف منا . قال : كُنّا والله يعلم ابن بجدتها والخبير بها . فقالوا : لعلك أردت عليّ بن أبي طالب . قال : وإنيّ يعدل بي عنه . قالوا : لوبعثت إليه لأتاك . قال : هيّات هُناك شيخ من هاشم وأثره من علم يؤتى لا يأتي ، قوموا بنا إليه . فقام القوم بأجمعهم ، فإذا هو (عَلِيٌّ) في حائط له مُتّك على مسحة في يده ،

يتلو قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى ﴾ (1). ودموعه تجري على خديه ، فأجهش القوم لبكائه ثم سكن وسكنوا ، فأصدر إليه عمر مسألته وأدى عليّ جوابها ، فقال : يا أبا الحسن ، لقد أراذك الحقّ ولكن أبي قومك . فقال (ع) : ((يا أبا حفص ، حَقِّظْ عَلَيْكَ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ (2))) . فلما أراد عمر الإنصراف ، قال : أونسك يا بن عباس ؟ قال ابن عباس : فأخذ بيدي وقال : يا بن عباس ، لقد كان ابن عمّك أحقّ بهذا الأمر لو لا ثلاث . قلت : وما هي ؟ قال : حدائث سنّه ومحبّته لأهل بيته وبغض فُريش له . قال ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الجواب ؟ فقال : قُل . فقلت : أمّا حدائث سنّه ، فوالله ما استحدثه الله حين جعله أخصاً لنبّيّه ، وجعل نفسه كنفسه ، وأمّا محبّته لأهل بيته ، فقد عمل بقول الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (3) . وأمّا بغض فُريش له ، فعلى من نعمت فُريش ، أعلى الله حيث أمر رسوله بحربها ؟ أم على رسوله حيث أمر عليّاً بقتالها ؟ أم على عليّ حيث أطاع رسوله فيها ؟ قال : فجذب يده وقال : يا بن عباس ، إنك لتغرق من بحر .

فانظروا يا إخواني إلى ما في ضمائرهم من الأحقاد ، حيث قتل بسيفه منهم الآباء والأولاد ؛ امتثالاً لأمر ربّ العباد ، طلبوا نيل مفاخرة الجميلة ، فعجزوا عنها وأعمتتهم وجوه الحيلة ، فلما صارت أزمة الأمور إليهم ووردوها عليهم ، صوّبوا صوائب المصائب في ذريّته وبنيه وشيعته ومحبّيه ، فلا ترى إلا قتيلاً على وجه الثرى ، أو مأسوراً قد أضربه طول السرى ، أو نسوة حواسر على أقتاب الجمال ، تصفح وجوههم الرّجال ، يندبن جدّهم المصطفى وأباهم المُرْتَضَى وأمّهم الرّهراء ، يُسار بهم بالعنف الشّدِيد إلى أشر العبيد ، كأهم أسارى بعض اليهود والنّصارى ، والله درّ من قال من الرّجال :

يا للرجال لعظم هول مصيبة	جلّت مصيبتها وخطب هايل
الشمس كاسفة لفقْد إمامنا	خير الخلائق والإمام العادل
يا خير من ركب المطى ومن مشى	فوق الثرى من محتف أو ناعل
يا بن التّبي لرزءكم هدم الهدى	والحق أصبح خاضعاً للباطل

روي عن أبي سلمة قال : حججت مع عمر بن الخطاب ، فلما صرنا بالأبطح ، فإذا بأعرابي قد أقبل علينا فقال : يا عمر

، إنّي خرجت من منزلي وأنا حاج

(1) سورة القيامة / 37.

(2) سورة التّبا / 17.

(3) سورة الشّورى / 23.

مُحْرَم ، فأصبت بيض التَّعام فاجتنت وشويت وأكلت ، فما يجب عليّ ؟ قال : ما يحضرنِي في ذلك شيء فاجلس ، لعنَ اللهُ يُفْرَجُ عنكَ ببعض أصحاب مُحَمَّد (ﷺ) . فإذا بأَمير المؤمنين (عليه السلام) قد أقبل والحُسين يتلوه ، فقال عمر : يا أعرابي ، هذا عليّ بن أبي طالب فدونك ومساءلتك . فقام الأعرابي فسأله ، فقال عليّ (عليه السلام) : ((يا أعرابي ، سل هذا الغلام عندك)) . يعني : الحُسين (عليه السلام)) فقال الأعرابي : إنّما يحيلني كلّ واحد منكم على الآخر . فأشار النَّاس إليه : ويحك ! هذا ابن رسول الله فسأله . فقال الأعرابي : يا ابن رسول الله ، إنّني خرجت من بيتي حاجاً مُحرمًا وقصّ عليه القصة . فقال الحُسين (عليه السلام) : ((ألك إبل ؟)) . قال : نعم . قال : ((خذ بعدد البيض الذي أصبت نوقاً ، فاضربها بالفحولة ، فما فضلت فاهدها إلى بيت الله الحرام)) . فقال عمر : يا حُسين ، التَّوق يزلقن . فقال الحُسين : ((يا عمر ، إنّ البيض يمرقن)) . فقال : صدقت وبررت . فقام عليّ (عليه السلام) وضمّمه إلى صدره ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1) .

فوا عجباه من قوم عرفوا فضائلهم الكريمة وارتكبوا منهم هذه الأفعال العظيمة ! ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، والله درّ من قال :

مطهرون نقيات ثيابهم	تجري الصلاة عليهم أين ما ذكروا
من لم يكن علويّاً حين تنسبه	فماله من قديم الدهر مفتخر
والله لما بدأ خلقاً فاتقنه	صفاكم واصطفاكم أيتها البشر
فأنتم المالأ الأعلا وعندكم	علم الكتاب وما جاءت به السور

روى بشّار بن عبد الله قال : دخلت على مولاي الصّادق (عليه السلام) وهو يومئذ مُقيم بالكوفة ، فرأيت قدّامه طبقاً فيه رطب وهو يأكل منه ، فقال لي : ((يا بشّار ، ادن فكلّ معي من هذا الرّطب)) . فقلت : هنّاك الله به وجعلني فداك . فقال لي : ((لم لا تأكل ؟)) . فقلت : إنّني في همّ عظيم من شيء رأيته الآن في طريقي هذا ، قد أوجع قلبي وأهّاج حزني ، فقال لي : ((بحقّي عليك ، إلّا ما أخبرتني بما رأيت)) . فقلت : يا مولاي ، رأيت ظالماً يضرب امرأة ويسوقها إلى الحبس ، وهي تنادي : المُستغاث بالله وبرسول الله . ولم يغتها أحد من النَّاس ، فقال : ((ولم فُعل بما ذلك ؟)) . فقلت : سمعت من النَّاس يقولون : إنّها عثرت بحجر وهي تمشي ، فقالت : لعن الله ظالميك يا فاطمة

(1) سورة آل عمران / 34.

الزَّهراء . فسمعها هذا الجلواز فصنع بها ما سمعت ، قال : فقطع الصَّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أكله وتظاهر حزنه ، ولم يزل يبكي حتى ابتلَّ منديله ولحيته ، وقال لي : ((نَعَّصت عليَّ يا بَشَّار ، فُثم بنا إلى مسجد سهيل ؛ لندعوا الله عزَّ وجلَّ ونسأله خلاص هذه المرأة)) . قال : ووجَّه بعض أصحابه إلى باب السُّلطان ، وقال له : ((لا تبرح حتى تأتيني بالخبر الصَّحيح ، فإن حدث في المرأة حدث ، سر إلينا حيث كُنَّا)) . فسرنا إلى مسجد السَّهيلة ، وصَلَّيْ كُلَّ مَنَّا ركعتين لله عزَّ وجلَّ ، ثمَّ رفع الصَّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يديه بالدُّعاء ، وابتهل إلى الله تعالى بالتَّناء ، ثمَّ خرَّ ساجداً لله ساعة ثمَّ رفع رأسه ، وقال : ((الحمد لله ، فُثم يا بَشَّار أُطلقت المرأة)) . فبينما نحن على الطَّريق ، إذ أتانا الرَّجل الذي وجهه الصَّادق إلى باب السُّلطان ، فقال له : ((ما الخبر ؟)) . فقال : أُطلقت المرأة . فقال ((كيف كان إطلاقها ؟)) . قال : كنت واقفاً عند باب السُّلطان ، إذ خرج الحاجب فدعا المرأة وقال لها : ما الذي تكلمت به ؟ قالت : عثرت بحجر فقلت : لعن الله ظالميك يا فاطمة الزَّهراء . ففعل بي ما ترون . قال : فناولها مئتي درهم وقال : حُذي هذا المال واجعلي السُّلطان في حلِّ . فأبت أن تأخذها وانصرفت إلى منزلها ، فقال الصَّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ((أبت أن تأخذها وهي والله محتاجة إليها)) . ثمَّ إنَّه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أخرج من جيبه صرَّة فيها سبعة دنانير لم يكن عنده غيرها ، وقال لي : ((اذهب أنت يا بَشَّار إلى منزلها ، واقراها عني السَّلام وادفع إليها هذه الدنانير)) . فقال : فمضيت إليها واقراها منه السَّلام ، فقالت : بالله عليك ، اقرأني مولاي الصَّادق السَّلام ؟ فقلت : أي والله . فخرَّت ساجدة لله ساعة ورفعت رأسها ، وقالت : اقرأني مولاي السَّلام ؟ فقلت : نعم . فسجدت لله شكراً حتى فعلت ذلك ثلاث مرَّات ، فقلت لها : يا أمة الله ، حُذي ما أرسله إليك سيدي وابشري بالجنَّة . فأخذت واستبشرت وشكرته على ذلك ، وقالت : يا بَشَّار ، اسأله أن يستوهب أمة الله من الله تعالى . قال فرجعت إليه وحديثه بما جرى ، فجعل يبكي ويقول : ((غفر الله لها)) .

فتفكروا يا إخواني بمصائب سادة النَّاس وما حلَّ بهم من الكفرة الأرجاس ، أزالوهم عن مناصبهم التي أحلَّهم الله فيها ، ودفعوهم عن الدَّرَجَة التي لم يصلوا إليها ، فهذه القضية أصل كلِّ بليَّة إن كنت تعيها ، ولأن علا نحبي من هذا المصاب ؛ فلعظم ما في قلبي من الحزن والاكتئاب ، وعظم شوقي وتزايد زفرتي ، غير خفيِّ على مواليِّ وسادتي ، والله درّ من قال :

سلوا ضمائرکم عني فإن وجدت
غير الصفا فلوموني على الكدر
فإن وفيت فأنا ذاك الوفي على
ما تعهدون إلى أن ينقضي عمري
فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب التادبون , ومثلهم تذرف الدموع من العيون , أولاً
تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمته الله)

العين عبرى دمعها مسفوح
والقلب ممن ألم الأسى مقروح
ما عذر مثلي يوم عاشورا إذا
لم أبك آل محمد وأنروح
أم كيف لا أبكي الحسين وقد غدا
شلولاً بأرض الطف وهو ذبيح
والطاهرات حواسر من حوله
كل تنوح ودمعها مسفوح
هذي تقول أخي وهذي والدي
ومن الرزية قلبها مقروح
أسفي لذاك الشيب وهو مضمخ
بدمائه والوجه فيه قروح
ولفاطم تبكي عليه بجرقة
وتقبل الوجعات هي تصيح
ظلت تلعلع حاسراً مسبية
وسكينة ولهى عليه تنوح
يا والدي لا كان يومك إنه
يوم لباب مصائبي مفتوح
اليوم مات محمد يا والدي
والطهر موسى والمسيح ونوح
اليوم آدم في العزاء وعرسه
حوى وقد جل المصاب جموح
اليوم تبكيك السماء بأدمع
مثل الدماء أسفاً ويكسف نوح
لهفي عليه مرملاً بدمائه
ومن السوافي كفتته الريح
لهفي له يبغي النصيح وماله
في كربلاء ممن الأنام نصوح
لهفي له والجسم مه مجدلا
فوق الثرى حتى حواه ضريح
لهفي لرأس ابن النبي محمد
كالبدن من فوق السنان يلوح
والطهر زين العابدين مقيد
يمشي وقد أردى به التبريح
والطاهرات على المطايا حسر
تغدوا العداة عليهم وتروح
قد أقفلوهن الشئام بلا وطا
وعلى الجسم لباسهن مسفوح
وإلى الذبول جيوبهن وقد غدت
تلك الجسموم بها القروح تسريح

باد وفي وجوه الثراء كلروح
وعليه وحش الفلا مقروح
واليه طرف الحادثات لمروح
والمدح ما طال المدى تسبيح
في الناس شرف مادحاً ممدوح
يوماً على جسدي يضم ضريح
وبظاهر السر الخفي يبيح
إلا ومنها المسك ظل يفروح
جسم بلا روح وشعرى روح
خير أتى والنقل عنه صحيح
وهذا واضح مشروح
ما غاب نجم في السماء يلروح

والجو معتكر الظلام بلا ضحي
والأرض ترجف من رزية أحمد
وعلى الزمان من الكآبة ذلة
يا آل أحمد أن شعري فيكم
شرفي بكم ومدحكم ولطال ما
أتري أرى المهدي يظهر قبل ما
فهالك الخلعي يبلغ ما نوى
والبيكم مرثية ما أنشدت
شعر السورى في غير آل محمد
ولقد روى عن جعفر بن محمد
إن الولاء بلا براء ما ينفع المولى
صلى الإله عليكم يا سادتي

الباب الثاني

أيها المؤمنون ، اجروا ماء العيون ، ويا أيها الباكون ، سلوا لذيذ الرقاد من جفون الجفون ، أما تنظرون إلى هذا الخطب الفادح وهذا المصاب الفادح ؟ أما تستحقّ مواليكم أهل العلاء الممدوح بكاء بك ونوح نائح ؟ بلى والله ؛ لأنّه خطب تدلّ له النفوس وتحلّ بين أطباق الثرى والرموس . مصاب أبكى فاطمة البتول وأحزن قلب المصطفى الرسول ، مصاب بكت عليه السماء دماً وأقيم له فوق الطباق مأتماً ، افئذ من ذوي الألباب في ترك الحزن والإكتئاب على المصاب ، كيف ؟ وهم الذين فيهم قال بعض مادحيهم :

إن كنت من يهوى النبي المرسلا
فيه الأخير فقد تبعت الأولا
من دوحه لمحمد فسقت علا
ذرواتها ناحت حمامات الابل
حاق الحاق بما فأمست أفلا
قد كان للوارد عذبا سلسلا

أحب آل محمد جد بالبكا
واسكب شآبيب الدموع فإن تكن
وابك الفروع الطيبات تفرعت
وابك الغصون الناظرات ومن علا
وابك البذور الطالعات كواملا
وابك البحور الزاخرات ووردها

وأبك الجبال الراسخات ومن بنى
ممصابه أبكى السماء كأبوة
مجداً أسمى سما العلاء مؤثلاً
والشهب حزنناً والسماك الأعزلاً
متقلقاً لمصائبهم متقلقلاً
فيها فما يخلو فكيف وما حلاً
والعيش في الدنيا إذا ما نغصوا

روي : أنّ آدم (عليه السلام) لما هبط إلى الأرض , لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها , فمرّ بكربلاء , فاعتلّ وأعاق وضاق صدره من غير سبب , وعثر في الموضع الذي قُتل فيه الحسين (عليه السلام) حتّى سال الدّم من رجله , ورفع رأسه إلى السّماء وقال : إلهي هل حدث ممّي ذنب آخر فعاقبتني به , فإنّي طفت جميع الأرض ما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض ؟ فأوحى الله إليه : ((يا آدم , ما حدث منك ذنب , ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين (عليه السلام) ظلماً , فسال دمك موافقة لدمه)) . فقال آدم : يا ربّ , أياكون الحسين نبياً ؟ قال : ((لا , ولكنّه سبط النّبي محمّد)) . فقال : ومن القاتل له ؟ قال : ((قاتله يزيد)) . فقال آدم : فأيّ شيء أصنع يا جبرائيل ؟ فقال : العنه يا آدم . فلعنه أربع مرّات , ومشى خطوات إلى جبل عرفات , فوجد حواء هناك .

وروي : أنّ نوحاً (عليه السلام) لما ركب في السّفينة , طافت به جميع الدّنيا , فلمّا مرّت بكربلاء , أخذته الأرض وخاف نوح الغرق , فدعا ربّه وقال : إلهي طفت جميع الدّنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض . فنزل جبرائيل وقال : يا نوح , في هذا الموضع يُقتل الحسين (عليه السلام) سبط محمّد خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء . فقال : ومن القاتل له يا جبرائيل ؟ قال : قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين . فلعنه نوح أربع مرّات , فسارت السّفينة حتّى بلغت الجودي واستقرّت عليه .
وروي : أنّ إبراهيم مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً , فعثرت به وسقط إبراهيم (عليه السلام) وشج رأسه وسال دمه , فأخذ في الاستغفار وقال : إلهي أيّ شيء حدث ممّي ؟ فنزل إليه جبرائيل وقال : يا إبراهيم , ما حدث منك ذنب , ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء ؛ فسال دمك موافقة لدمه . قال : يا جبرائيل , ومن يكون قاتله ؟ قال : لعين أهل السّماوات والأرض , والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه , فأوحى الله تعالى إلى القلم : أنّك استحقّيت الثّناء بهذا اللعن . فرفع إبراهيم (عليه السلام) يديه ولعن يزيداً لعناً كثيراً ,

وأمن فرسه بلسان فصيح , فقال إبراهيم لفرسه : أي شيء عرفت حتى تؤمن علي دعائي ؟ فقال : يا إبراهيم , أنا أفتخر
بركوبك عليّ , فلما عثرت وسقطت عن ظهري , عظمت خجلتي , وكان سبب ذلك من يزيد.

وروي : أنّ إسماعيل (عليه السلام) كانت أغنامه ترعى بشط الفرات , فأخبره الراعي أنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا
يوماً , فسأل ربه عن سبب ذلك , فنزل جبرائيل (عليه السلام) , وقال : يا إسماعيل , سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك
فقال : لم لا تشربين من هذا الماء ؟ فقالت بلسان فصيح : قد بلغنا أنّ ولدك الحسين (عليه السلام) سبط محمد يقتل عطشاناً , فحن
لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه . فسألها عن قاتله , فقالت : يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين . فقال
إسماعيل : اللهم العن قاتل الحسين .

وروي : أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون , فلما جاء إلى أرض كربلاء , انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل
الحسك في رجله وسال دمه , فقال : إلهي ! أي شيء حدث مني ؟ فأوحى الله إليه : ((إنّ هنا يقتل الحسين , وهنا يُسفك
دمك موافقة لدمه)) . فقال : ربّ ومن يكون الحسين ؟ فقيل له : ((هو سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى))
فقال : ومن يكون قاتله ؟ فقيل : ((هو لعين السمك في البحار , والوحوش في القفار , والطير في الهواء)) . فرجع موسى يديه
ولعن يزيد ودعى عليه , وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه .

وروي : أنّ سليمان (عليه السلام) كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء , فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء , فأدارت
الريح بساطه ثلاث دورات حتى خافوا السقوط , فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء , فقال سليمان للريح : لم
سكنتي ؟ فقالت : إنّ هنا يقتل الحسين (عليه السلام) . فقال : ومن يكون الحسين ؟ قال : هو سبط محمد المختار وابن عليّ
الكرار . فقال : ومن قاتله ؟ قالت : لعين أهل السماوات والأرض يزيد . فرجع سليمان يديه ولعنه ودعى عليه , وأمن دعائه
الإنس والجن , فهبت الريح وسار البساط .

وروي : أنّ عيسى (عليه السلام) كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون , فمروا بكربلاء , فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق ,
فتقدّم عيسى إلى الأسد , وقال له : لم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمرّ فيه ؟ فقال الأسد بلسان فصيح : إني لم أدع لكم
الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين . فقال عيسى

وَمَنْ يَكُونُ الْحُسَيْنَ ؟ قال : سبط مُحَمَّد النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وابنِ عَلِيِّ الْوَلِيِّ . قال : وَمَنْ قَاتَلَهُ ؟ قال : قاتله لعين الوحوش والدُّنَّابِ والسَّبَّاعِ أَجْمَعِ خصوصاً أَيَّامَ عَاشُورَاءَ . فرفع عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يديه ولعن يزيد ودعى عليه ، وأمَّن الحواريون على دعائه ، فتنحَّى الأسد عن طريقهم ومشوا لشأنهم .

فيا إخواني الذين اقتدوا بالأنبياء والمرسلين والملائكة المُقَرَّبِينَ ، باللعن على يزيد الغوي العنيد ، ألا لعنة الله على الظَّالِمِينَ . والله درّ مَنْ قال :

إذا جاء عاشوراء تضاعف حسرتي	لآل رسول الله وانهمل عـبرتي
هو اليوم فيه اغبرت الأرض كلها	وجوماً عليهم والسماء اقشعرت
مصائب ساءت كل من كان مسلماً	ولكن عيون الفاجرات أقـرت
إذا ذكرت نفسي مصيبة كربلا	وأشلاء سادات بها قد تـفـرت
أضـاقت فؤادي واستباحـت تجارتي	وعظـم كـربي ثم عيشي أمرت
أريقـت دمـاء الفاطمـيات بالمـلا	فلو عقلت شمس النهار لـخـرت
ألا بأبي تلك الدماء التي جـرت	بأيدي كلاب في الجحيم اسـتـقـرت
توايبت من نار عليهم قد أطـبـقت	لهم زفرة في جوفها بعد زفرة
فشتان من في النار قد كان هكذا	ومن هو في الفردوس فوق الأسرة

روي عن طريق الخصم ، مما صح روايته عن أبي هريرة ، قال : خرج علينا رسول الله (ﷺ) ومعه حسن وحسين (عليهما السلام) ، هذا على عاتقه الأيمن وهذا على عاتقه الأيسر ، وهو يلثم هذا مرّة وهذا أخرى حتّى انتهى إلينا ، فقال له رجل : إنك لتحبّهما ؟ قال : ((ومن أحبّهما فقد أحبّني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني)) .

وبالطّريق المذكور عن ابن عبّاس : إنّ النّبي (ﷺ) ، قال للحسن والحسين : ((من أحبّكما كان معي في الجنّة ، ومن أبغضكما ففي النار)) .

فيا عاذلي خل عن عذلي أيجسن أن يسـلو مثلهم مثـلي
 أتروم ويحك سلواني ، أو تحاول إطفاء نيراني وتبريد وجدي وأشجاني ؟ هيهات هيهات هذا لا يكون ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فيا حرقني تزايدني ويا نار وجدي توقّدي ، ويا فؤادي القريح من الحزن والكآبة لا يستريح ، ويا

قلبي الولهان دم في العناء والأحزان ، والله درّ من قال :

لا أضحك الله سن الدهر إن ضحكت
مشردون نفوا عن عقور دارهم
وآل أحمد مظلومون قد قهروا
كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

روي عن بعض الأخبار : أنّ النبي (ﷺ) أجلس يوماً الحسين (عليه السلام) على فخذه الأيمن ، وولده إبراهيم على فخذه الأيسر ، وجعل يلثم هذا مرّة وهذا أخرى ؛ من شدة شغفه بهما ، فهبط جبرائيل من ربّ العالمين ، وقال : يا محمد ، إنّ الله لم يكن ليجمع لك بينهما ، فاختر من شئت منهما ؛ فإنّ الله قد أمر بقبض روح واحد منهما . فقال : ((يا أخي جبرائيل ، إن مات الحسين ، بكى عليه عليّ وفاطمة والحسن وأنا ، وإن مات ولدي إبراهيم بكيت أنا وحدي ، فسل ربك إليه يقبض إبراهيم ولدي)) . فمات إبراهيم بعد ثلاثة أيام ، فكان النبي (ﷺ) إذا رأى حسيناً مُقبلاً إليه ، يقول له : ((مرحباً بمن فديته بابني إبراهيم)) .

فانظروا يا إخواني إلى هذا الشخص العظيم الرّباني ، أيفديه سيّد المرسلين بولده الذي هو من فلذة أحشائه وكبده ؟ ويقتله أولاد الرّواني وتخون فيه الأماني ، أولئك هم الخاسرون : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) .
فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التّادبون ، ومثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم فيهم وقال :

القصيدة للخليعي (رحمته الله)

جفون لا تمل من همول
وقلب لا يفيق من الرزايا
قتيل بالطفوف أطال نوحى
قتيل أورث المختار حزنأ
بنفسى وهو يسرى والمنايا
بنفسى وهو يسرى مستدلا
يقول ألا أخبروني ما اسم أرض
أبينوا ما اسمها المشهور عنها ؟
وجسم لا يفك من النحول
لتذكار القتيل ابن القتيل
وأسلمني إلى الحزن الطويل
وأذكى النار في قلب البتول
أمام الركب تسرى بالحمول
وضوء سناه نهج هذا الدليل
أراني كارهها فيها نزلولي
فقالوا كـربلا يابن الرسول

(1) سورة الشعراء / 227.

فقال هي السبلا وفي تراها
بها تضحى أعزتنا أسارى
بها تسمى كرائمنا وفيها
إلى الرحمن أسعدني وأشكو
أضاعوا عهد جدي عن قريب
ألا حطوا رحالكم وقيلوا
ومن رام النجاة وحاد عني
فقالوا مالنا فيها خلود
وكيف يلذ بعدك طيب عيش
أنا وأبيك لا نلوي وظلل
فمر إلى المضارب غير وأن
ونادى زينباً يا أخت قومي
أوصيكم بتقوى الله إنا
عليك بطاعة السجاد بعدي
وإن نودي بقتل أخيك بين
وقولي في سبيلي الله إني
ولطم الخد يقبح بالموالي
ومر مشمراً للحرب يسطو
فلمما أتخنموا وخرر ملقى
بزرز الطاهرات مهتكات
ونادت زينب لما رأته
أخي هل للسبايا من ولي
وخرت فوقه تلقى دماءاً
وتدعو أمها الزهراء وتطفي
ألا يا أم قومي وساعدني
تري هل أنت عالمة بأنا

تريق دماؤنا أيدي النغول
يلوح عليهم كسر الذليل
يتامانا تعثر في الذبول
على غضب رموني بالذحول
وساقوني إلى الورد الويصل
فليس من المنية من مقيبل
إلى الدنيا ففني دعة الجليل
وليس متاعها غير القليل
لأرباب البصائر والعقول
سيوف مظنة الظل الظليل
بقلب عاطف بر وصول
إلى التوديع من قبل الرحيل
قبيل محمد خير القبيل
محل الذكر والعلم الجزيل
الورى فعليك بالصبر الجميل
رزيت فإنه خير السبيل
وشق الجيب يرزي بالأصيل
على الأبطال بالسيف الصقيل
وراح المهمر يعلن بالصهيل
حيارى لا يفقن من العويل
يجود بنفسه تحت الخيول
أخي هل لليتامى من كفيل
براحتها على الخد الأسيل
بسح دموعها حر الغليل
على نكبات دهري واندي لي
نجرر بالحزون وبالسهول

مع الأعداء في قيد ثقيل
فوا أسفي على العاني العليل
يلاحظها بناظره الكليل
بأسهمها ومن خطب جليل
إلى الأمصار في رمح طويل
سبانيا بالمدللة والخمبول
بحبكم إلى نوح السبيل
جفوني لا البكاء على الطلول
فؤادي لا مفارقة الخليل
الشفاعة منك في اليوم المهول
بإيضاح الحججة والدليل
ولا يصغي إلى عدل العذول
ويككم وما هو بالملول
عليه وفاز منكم بالقبول

وهل أخبرت بالسجاد أضحى
عليلا يشتكى مرضاً وأسراً
ويدعو السبوط وهو لقي رميل
في الله من نوب رمتنا
أيميل رأس مولى الخلق طراً
وتهدى الطاهرات إلى يزيد
ألا يابن النبي ومن هادي
مصائبك يا قتييل الطوف أدمى
وبعدي عن مزار ثراك أضنى
وإن وليك الخلع يبرجو
محبكم وعماركم يقيناً
يواليكم ويبرئ من عداكم
ينوح عليكم ما دام حياً
لقد بلغ المنى بعد عطفتم

الباب الثالث

أيها الإخوان ، ألا تستنهضون مضمرة الأحزان ، فتجرونها في ميادين الأشجان ؟ ألا تمتطون كواهل عوامل الأشواق وتحثونها في ميادين السباق ، فتحوزوا قصب السبق التي أنتم أولى بها وأحق ؟ أما علمتم أن المقتصر عن هذه الغاية بنفسه قصر ، والمتأخر عن بلوغ النهاية لحظة أخرى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (1) ؟ ولئن سحت من جفوني الدموع ، فإنها عن نيران بين الضلوع ، ولئن جزعت من هذا المصاب ، فلعظم ما في قلبي من الوجد والاكتئاب . والله درّ من قال من الرجال :

وتقضي نفوس أو تفت كبود
عظيم على أهل السماء شديد
سهام لحبات القلوب تبيد
وللحزن حزن زايد ويزيد

لأي مصاب يذرف الشان ماءه
لأعظم من هذا المصاب وخطبه
مصاب له في قلب كل مصيبة
وللهم هم والرزايا رزية

(1) سورة فصلت / 46.

روي في بعض الأخبار عن الصحابة الأخيار ، قال : رأيت النبي (ﷺ) ، يمص لعاب الحسين كما يمص الرجل السكره ، وهو يقول : ((حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، وأبغض الله من أبغض حسيناً ، حسين سبط من الأسباط لعن الله قاتله)) . فنزل جبرائيل ، وقال : يا محمد ، إن الله قتل يحيى بن زكريا سبعين ألفاً من المنافقين ، وسيقتل بابن ابنتك الحسين ، سبعين ألفاً من الكافرين وسبعين ألفاً من المعتدين ، وإن قاتل الحسين في تابوت من نار ، ويكون عليه نصف عذاب أهل الدنيا ، وقد شددت يداه ورجلاه بسلاسل من نار ، وهو منكس على أم رأسه في قعر جهنم ، وله ريح يتعود أهل النار من شدة ننتها ، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم لا يفتر عنه ، ويسقى من حميم جهنم .

وروي عن الصادق (عليه السلام) أيضاً في بعض الأخبار : ((أن ملكاً من ملائكة الصف الأعلى ، اشتاق لرؤية النبي (ﷺ) ، واستأذن ربه بالنزول إلى الأرض لزيارته ، وكان ذلك الملك لم ينزل إلى الأرض أبداً منذ خلق ، فلما أراد النزول ، أوحى الله تعالى إليه يقول : أيها الملك ، أخبر محمداً أن رجلاً من أمته اسمه يزيد ، يقتل فرخه الطاهر بن الطاهرة ، نظيرة البتول مريم بنت عمران . فقال الملك : لقد نزلت إلى الأرض وأنا مسرور برؤية نبيك محمد (ﷺ) ، فكيف أخبره بهذا الخبر الفظيع ، وإني لاستحي منه أن أفجعه بقتل ولده ، فليتني لم أنزل إلى الأرض ، قال فنودي الملك من فوق رأسه : أن أفعل ما أمرت به . فدخل الملك إلى رسول الله ونشر أجنحته بين يديه ، وقال : يا رسول الله ، اعلم أي أستأذنت ربي في النزول إلى الأرض ؛ شوقاً لرؤيتك وزيارتك ، فليت ربي كان حطّم أجنحتي ولم أتك بهذا الخبر ، ولكن لا بدّ من إنفاذ أمر ربي عزّ وجلّ ، اعلم يا محمد ، إن رجلاً من أمتك اسمه يزيد ، (زاده الله لعناً في الدنيا وعذاباً في الآخرة) ، يقتل فرخك الطاهر ابن الطاهرة ، ولن يتمتع قاتله في الدنيا من بعده إلا قليلاً ، ويأخذه الله مقاصاً له على سوء عمله ، ويكون مخلداً في النار . فبكى النبي (ﷺ) بكاءً شديداً ، وقال : أيها الملك ، هل تفلح أمة تقتل ولدي وفرخ ابنتي ؟ قال : لا يا محمد ، بل يرميهم الله باختلاف قلوبهم وألستهم في دار الدنيا ، وهم في الآخرة عذاب أليم)) .

وعن كعب الأخبار حين أسلم في أيام خلافة عمر بن الخطاب ، وجعل الناس يسألونه عن الملاحم التي تظهر في آخر الزمان

فصار كعب يجبرهم بأنواع الأخبار والملاحكم والفتن التي تظهر في العالم ، ثم قال : وأعظمها فتنة وأشدّها مصيبة لا تنسى إلى أبد الأبدين ، مصيبة الحسين (عليه السلام) ، وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد ، حيث قال : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾ (1) . وإمّا فُتِحَ الفساد بقتل هابيل بن آدم ، وُخِتم بقتل الحسين (عليه السلام) ، أو لا تعلمون أنّه تُفْتَحُ يوم قتله أبواب السّمَوات ، ويؤذَنُ للسّمَاءِ بالبكاء فتبكي دماً ، فرأيتم الحمرة في السّمَاءِ قد ارتفعت ، فاعلموا أنّ السّمَاءِ تبكي حُسيناً .

فقيل : يا كعب ، لم لا تفعل السّمَاءُ كذلك ولا تبكي دماً لقتل الأنبياء ممّن كان أفضل من الحسين ؟ فقال : ويحكم ! إنّ قتل الحسين أمر عظيم ، وإنّه ابن سيّد المرسلين ، وإنّه يُقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً ، ولا تُحفظ فيه وصيّة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو مزاج مائه وبضعة من لحمه ، يُذبح بعرضة كربلاء ، فو الذي نفس كعب بيده ، لتبكيه زمرة من الملائكة في السّمَوات السّبع ، لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدّهر ، وإنّ البقعة التي يُدفن فيها خير البقاع ، وما من نبيّ إلا ويأتي إليها ويزورها ويبكي على مصابه ، ولكربلاء في كلّ يوم زيارة من الملائكة والجن والإنس ، فإذا كانت ليلة الجُمعة ، ينزل إليها تسعون ألف ملك ، ويكون على الحسين ويذكرون فضله ، وإنّه يُسمّى في السّمَاءِ حُسيناً المذبوح ، وفي الأرض أبا عبد الله المقتول - وفي البحار : الفرخ الأزهر المظلوم - وإنّه يوم قتله ، تنكسف الشّمس بالنّهار ، ومن الليل ينخسف القمر ، وتدوم الظّلمة على النّاس ثلاثة أيّام ، وتمطر السّمَاءُ دماً ، وتدكدك الجبال وتغطمط البحار ؛ ولو لا بقية من ذرّيته وطائفة من شيعة الذين يطلبون بدمه يأخذون بثاره ، لصبّ الله عليهم ناراً من السّمَاءِ ، أحرقت الأرض ومَن عليها .

ثمّ قال كعب : يا قوم ، كأنّكم تتعجبون بما أحدثكم فيه من أمر الحسين (عليه السلام) ، وإنّ الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أوّل الدّهر إلى آخره ، إلا وقد فسّره لموسى (عليه السلام) ، وما نسمة خُلقت إلا وقد رُفعت إلى آدم (عليه السلام) في عالم الدّر وعُرِضت عليه ، ولقد عُرضت عليه هذه الأُمَّة ، ونظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدّنيا الدّنية ، فقال آدم : يا ربّ ، ما لهذه الأُمَّة الرّكيّة وبلاء الدّنيا وهم أفضل الأمم ؟ فقال له : ((يا آدم ، إنّهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم ، وسيظهرون الفساد في الأرض ، كفساد قابيل حين قتل هابيل ، وأنّهم يقتلون فرخ

(1) سورة الروم / 41.

حبيبي مُحَمَّد المُصطفى)) . ثمّ مثل لآدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مقتل الحسين ومصرعه , ووثوب أمة جدّه عليه , فنظر إليهم فرآهم مسوّدّة وجوههم , فقال : يا ربّ , أبسط عليهم الانتقام , كما قتلوا فرخ نبيك الكريم عليه أفضل الصّلاة . والله درّ من قال من الرّجال :

إذا أبصرتك العين من بعد غايّة وعارض فيك الشك أثبتك القلب
ولو أن قوماً يمموك لقادهم باسمك حتّى يستدل بك الركب

وروي عن ريان بن شبيب , قال : دخلت على الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في أوّل يوم من المُحرّم , فقال لي : ((يابن شبيب , أصائم أنت ؟)) . فقلت : لا . فقال : ((إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا زكريا ربّه عزّ وجلّ , فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ ﴾ (1) . فاستجاب الله تعالى له , وأمر الملائكة فنادت زكريا : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُنْشِرُكَ بِحَيِّى ﴾ (2) . فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله تعالى , استجاب الله له كما استجاب لزكريا . يابن شبيب , إنّ المُحرّم هو الشّهر الذي كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال الحُرْمته , فما عرفت هذه الأمة حُرْمته شهرها ولا حُرْمته نبيّها , لقد قتلوا في هذا الشّهر ذرّيّته , وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله , فلا غفر الله لهم ذلك أبداً . يابن شبيب , إن كنت باكباً لشيء , فابك للحسين بن عليّ بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) , فإنّه ذُبح كما يُذبح الكبش , وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهه , ولقد بكت السّماء والأرض لقتله , ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصرته فلم يؤذن لهم , فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فيكونون من أنصاره , وشعارهم يا لثارات الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . يابن شبيب , لقد حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) , أنّه لما قُتل جدّي الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) , أمطرت السّماء دماً وتراباً أحمرّاً .

يابن شبيب , إن بكيت على الحسين , ثمّ تصير دموعك على خديك , غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً . يابن شبيب , إن سرّك أن تلقى الله ولا ذنب عليك , فزر الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . يابن شبيب , إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنّة مع النّبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) , فالعن قاتل الحسين . يابن شبيب , إن سرّك أن يكون لك من الثّواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) , فقل متى ما ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ! يابن شبيب , إن سرّك أن تكون معنا في الدّرجات العُلى من الجنات , فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا

(1) سورة آل عمران / 38.

(2) سورة آل عمران / 39.

وعليك بولايتنا , فلو أنّ رجلاً أحبّ حجراً , لحشره الله معه يوم القيامة (().

فيا أيّها الأبرار , لا تبخلوا بالدموع الغزار على عترة النبيّ المُختار , ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ويجزل ثوابكم ؟ أليس هم شفعاءكم يوم المعاد إذا وقفتم بين يدي ربّ العباد ؟ أليس بهم تحطّ الأوزار ؟ أليس هم الجنن الواقية من النار ؟ فسارعوا رحمكم الله إلى التّوحيّ والبكاء عليهم , فإنّ ذلك من أعظم القرب إلى الله وإليهم , فيا عجباً ممّن يطيل التّوحيّ على الدّيار , ويندب الرّبوع المقفرة والآثار , ولا يبكي لمصاب السّادة الأطهار وأولاد عليّ الكرّار ! ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور .

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , وملتلهم تذرف الدموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم فيهم وقال :

القصيدة للنيلي (عليه السلام)

لا تنكـري إن ألفت الهم والأرقا	وبت من بعدهم حلف الأسي قلقا
قد كنت أمل روعي أن تفارقني	ولا أرى شملنا الملتام مفترقا
ليث الرائب لازمت لبيـنهم	وليت ناعق يوم البين لا نعقا
كم هد ركني وكم أوهى قوى جلدي	وكم دم بمواضي جوره هرقا
لا تطلبوا أبداً مني البقاء فهل	يرجى مع البين من أهل الغرام بقا
يحق لي أن بكت عيني دماً لهم	وإن غدوت بنار الحزن محترقا
يا منزلاً لعبت أيدي الشتات به	لعب النحول بجسمي إذ به علقا
مالي على ربعك البالي غدوت به	وظلت أسأل عن أهليه ما نطقا
أبكي عليه ولو أن البكاء على	سوى بني أحمد المختار ما خلقا
تحكمت فيهم الأعداء ويلهم	ومن نجيع الدما أسقوهم علقا
تداركت منهم الأعداء ثارهم	يوم الطفوف وداروا حولهم حلقا
ذادوهم عن ورود الماء ويلهم	ومن نجيعهم اسقوهم العلقا
تا لله كم قصموا ظهراً لحيدة	وكم برروا للرّسول المصطفى عنقا
والله ما قبلوا بالطف يومهم	إلا بما يوم (بدر) فيهم سبقا
وقد رواه حديثاً صادقاً لهم	زيد بن أرقم إذ كان أمره حذقا

إذا قال كنت مقيماً في دمشق حتى إذا أحضر روهن الطغاة إلى حتى إذا أبرزت للسبي جارية فقال من هذه قالوا سكينه بنت فقال كيف رأيت الله مكني أخذت تأري من ابن النبي ومن هناك قالت أمه أني ثكلتك يا اسمع مناماً رأيت عيناى بارحتى فقال قصي لنا رؤياك فابتدرت فبينما أنا إذ صليت نافلتني إذ الحسين أبي قد جاء ملتثماً وعانيت مقلتي من بعد ذلك إلى عال شرانفه الياقوت حمرتها فبينما أنا نحو القصر ناظرة وعانيت مقلتي خمساً وقد برزوا ومن بين أيديهم شخص فقلت له لمن ترى يا فتى ذا القصر قالوا لمو وهذه الخمسة الأشباح آدم وذا الخليل وهناك الكلبيم وذا وعانيت مقلتي شخصاً لطلعته وكفه قابض من فوق لمتته وقد قطعت زفرات الحزن مهجته فقلت من ذا فقالوا يا سكينه ذا فقمتم اسعى إليه ثم قلت له يا جدنا لو ترى بالطف قد قتلت يا جدنا لو ترانا نستغيث فلا

جاءت سبانيا حسين تذرफ الأمقا يزيد إذ زاده من كفره حنقا كأنها البدر من حسن إذا اتسقا الخارجي الذي عن حكمننا أبقا رقابكم إذ لنا صرتم من العتقا غدا من أسلافنا من جدكم سبقا أردى الأنام ويا من ليس فيه تقا يزيد قلبك همماً عندما طفقا تقص والدمع منها يسبق النطقا أثنى عليّ خالقي والليل قد غسقا فرقى وقد مد لي كفيه معتقنا قصر من النور يزهو أبيضاً يققا للناظرين إليها يدهش الامقا إذ شرع الباب لي من بعدما غلقا من المشايخ في ترتيبهم نسقا والقلب مني لما عانيت قد خفقا لآك الحسين ولولاه لما خلقنا ثم الطهر نوح الذي في حبكم سقا عيسى النبي الذي يبرئ بغير رقا نور علا الشمس لما تبلغ الأفقا باك بعبرته قد صار محتقنا والقلب منه لما قد ناله حنقا النبي جدك ينجو من به علقا يا جد لم يبق منا من به وثقا رجالنا وإنك السبط الشهيد لقا نغاث قد قطعوا من دوننا الطرقا

يا جدنا لو ترانا إذ نحث على
فعدنا ضمني جدي وقبلني
ومد كفي وصيف القوم أدخلني
وفيه خمس نساء لو برزن إلى
وبين تلك النساء الخمس باكية
أثوابها من سود قد صبغن وفي
وشعرها فوق كتفيها تنشره
فقلت أخبرني يا ذا الوصف فمن
فقال هاتيك يا سكينه و
وهذه مريم أيضاً وسارتها
وذو القميص الذي قد ضمخته دماً
فقلت أسعى إليها ثم قلت لها
يا جدنا لو ترى عيناك إبنك
يا جدنا لو رأيتنا وليس لنا
فعدنا صرخت في الحل فاطمة
وأقبلت وهي تشكي تستغيث على
والهفتاه لحزني فيك يا ولدي
وا طول لهفي عليك اليوم يا ولدي
وظل من حولها النسوان في ثكل
هنا قامت وضمتني براحتها
وأقبلت وهي تذري الدمع تسألني
وتستغيث وتدعو يا سكينه من
ويلاه ويلاه من أضحى يكفنه
ويلاه ويلاه من عبي الحنوط
ويلاه ويلاه من صلي عليه ومن
ومن ترى يكفل الأيتام ويحك بعد

الأقتاب نطلب من أعدائنا الرفقا
وخر من عظم ما حدثته صغقا
في القصر وهو بطيب المسك قد عبقا
الشمس الظهيرة خلتا نورها شفقا
قد أكثرت دونهن النوح والحرقا
أزيقها الدمع في الأردن قد خرقا
على الحسين ومنها الجيب قد مزقا
هذي النساء فقل لي لا لقيت شقا
الأخرى خديجة أو في العالمين تقا
مع هاجر قد ملكن الخلق والخلق
بنت النبي الذي فوق البراق رقا
أخبرك أن أبي بالببيض قد مزقا
بين الرأس منه وبين الجسم قد مزقا
عن أعين الناس من فوق المطى وقا
حتى لقد خلت أن القصر قد طبقا
قتل الحسين وتذري الدمع مندققا
وا حسرتا يا قتيلا الصاحب والرفقا
لأهجرن سهادي فيك والأرقا
يندبن للسب لا لهواً ولا ملقا
لصدرها فسكبت الدمع مندققا
عن الحسين وعن طاغ به طرقا
أضحى يغسل إبنني من به رفقا
ومن رأى وجهه والنحر والحدقا
ومن ترى سار حول النعش والنطقا
أيضاً ترى للثرى في حده طبقا
ابني الحسين ومن في حنبا صداقا

وكيف خلف زين العابدين ومن
متى أرى القائم المهدي يقدم جيش
هناك أظهر عن مالو أردت به
يا آل طه لقد نال الأمان بكم
أحب أعدائي فيكم إذ تحبكم
فهانموها من النيلني رائقة
إذا تلا نائح يوماً محاسنها
من شاعر في مجال الشعر خاطره
بها سموت على من قال مقتوما
وأزفت ما قال نصر في قصيدته
بعد الصلاة على المختار سيدنا

أوصى إليه من الأصحاب والرفقا
الله والسنجق المنصور قد خفقا
خرق السموات من دون الورى خرقا
في البعث كلّ ولي مؤمن صدقا
وإنني أهجر الأهلين والرفقا
تحكي الحيا رقة لفظاً ومنتسقا
أزرت على كلّ من بالشعر قد نطقا
إلى طريق العالا والمجد قد سبقا
حي الفريق الحبي فافترقا
طيف لحنساء من بعد الكرى طرقا
خير الورى شرفاً ما مثله خلقا

المجلس الرابع

في اليوم الثاني من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

أيها المؤمنون , ألم تسمعوا بمصائب آل الرسول وأولاد الزهراء البتول ؟ أم سمعتم وأنتم غافلون بإهراق الدّموع متباخلون ؟ ليس هذا من فعل المحبّين ولا من دأب المرّيدين , وكيف لا يحزن على مثلهم وهم أمناء الرّحمن , ومَن شهد بفضلهم القرآن , وبكى عليهم كلّ مخلوق كان , والمخدومون والملائكة الكرام , والمباهي بفضلهم النّبي (صلى الله عليه وآله) ؟! تركهم الأعداء بين مقتول بالسّم , وشهيد مضرّج بالدمّ , وفقيد لا يُعرف قبره وإلى أيّ شيء آل أمره , وبين رأس على سنان , وبدن بلا رأس بين الأبدان , وبين شبيبة بالدماء مخضوبة , وبنت لرسول الله مسلوّبة , وحرمة الرسول مهتوكة , وطريدة بالعلی منهوكة . فيا شوهاً لطوائف الأدعياء وقُبْحاً لأولئك الأشقياء , كيف ترونهم ينظر إليهم النّبي أو يسقيهم من الحوض الوصي ؟! وكيف بهم إذا أتت بنت سيّد الثّقلين , مصبوغة ثيابها بدماء الحسين , وتعلّقت بقائمة العرش وهي تقول : ((يا عدل يا حكيم , احكم بيني وبين قاتل ولدي)) . فهنالكَ حقّت عليهم كلمة العذاب , ولهم عذاب شديد غير مبيد , ولله درّ بعض ذوي العقول حيث يقول :

بنفسي طريحاً نازحاً عن دياره تريب الحيا عاري الجسم مجتلا
بنفسي نساء السبب يكيّن حوله ظمايا حيارى حاسرات وثكلا

بنفسي عليّ بن الحسين مقيداً
تناديه بالشجوة العظيم سكينه
وزينب تدعو جدها يا محمد
أيا جدنا يعزز عليك بأن يرى
وساقوا السايحاسرات أذلة
وساروا برأس الطاهرين وخلفوا
تجر عليه العاصفات ذيوها
الا لعن الرحمن آل أمية
وأشيعاهم أو من رضي بفعالهم
عليكم سلام الله ما در شارق
بقيد ثقيل بالحديد مكلابلا
أيا أبتا ماذا دهانا وأثكلا
أيا جدنا صفة الله ذي العلالا
حبيبك مقتولاً عفيراً مجدلا
وقادوا عليّ بن الحسين مغللا
حسيناً بأرض الطف شلواً مجدلا
ويكي عليه الوحش والطيير في الفلالا
وعجلهم ثم اللدلام ونعثلالا
واتبعهم أو من لهم كان قد تلالا
وما أن حدي الحادي وركب تحملا

روى شرحبيل بن أبي عون ، أنه قال : لما ولد الحسين (عليه السلام) ، هبط ملك من ملائكة الفردوس الأعلى ونزل إلى البحر الأعظم ، ونادى في أقطار السموات والأرض : يا عباد الله ، البسوا ثوب الأحران واطهروا التفجع والأشجان ؛ فإن فرخ محمد مذبح مظلوم مقهور . ثم جاء ذلك الملك إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقال : يا حبيب الله ، يقتل على هذه الأرض قوم من أهل بيتك ، تقتلهم فرقة باغية من أمتك ، ظالمة معتدية فاسقة ، يقتلون فرخك الحسين ابن ابنتك الطاهرة ، يقتلوه بأرض كربلاء وهذه تربته . ثم ناوله قبضة من أرض كربلاء ، وقال له : يا محمد ، احفظ هذه التربة عندك حتى تراها وقد تغيرت واحمرت وصارت كالدم ، فاعلم أن ولدك الحسين قد قُتل .

ثم إن ذلك الملك ، حمل من تربة الحسين (عليه السلام) على بعض أجنحته وصعد إلى السماء بها ، فلم يبق ملك في السماء إلا وشم تربة الحسين (عليه السلام) وتبرك بها ، قال : ولما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) تربة الحسين (عليه السلام) ، جعل يشمها ويكي وهو يقول : ((قتل الله قاتلك يا حسين ، وأصلاه في نار الجحيم ، اللهم لا تبارك في قاتله ، وأصله حرّ نار جهنم وبئس المصير)) . ثم دفع تلك التربة من تربة الحسين إلى زوجته أم سلمة ، وأخبرها بقتل الحسين (عليه السلام) بطف كربلاء ، وقال لها : ((يا أم سلمة ، خذي هذه التربة إليك وتعاهديها بعد وفاتي ، فإذا رأيتها وقد تغيرت واحمرت وصارت دماً عبيطاً ، فاعلمي أن ولدي الحسين قد قُتل بطف كربلاء)) . فلما أتى للحسين سنة

كاملة من مولده , هبط إلى رسول الله اثني عشر ألف ملك على صور شتى , محرمة وجوههم باكية عيونهم , ونشروا أجنحتهم بين يدي رسول الله وهم يقولون : يا مُحَمَّد , إِنَّه سينزل بولئك الحسين مثل ما نزل بهائيل من قابيل .

قال : ولم يبق ملك في السماء إلا ونزل على رسول الله ؛ يُعزِّبه بولده الحسين , ويخبره بما يُعطى من الأجر لزاره والباكي عليه , والنبي مع ذلك يبكي ويقول : ((اللهم اخذل من خذله واقتل من قتله , ولا تمتعه بما أمله في الدنيا , واصله حرّ نارك في الآخرة)) . والله درّ من قال :

أزالوهم بالقهر عن إرث جدهم	عناداً وما شاءوا أحلوا وحرّموا
وقادوا علينا في حمائل سيفه	وعمار دقوا ضلعه وتهجموا
على بيت بنت المصطفى وإمامهم	ينادي ألا في بيتها النار فاضرم
فو الله ما أدري الحسين ورهطه	وصبرهم فيئأ يحاز ويقسم
سوى جبرثم الدلام ونعثل	لأنهم في كلّ ظلم تقدموا
وتلك التي جاءت تقود عسكراً	على جمل يحدوا بها المترنم
أبوها يولي الدبر في كلّ موقف	وابنته عند اللقا تتقدم
ألا لعن الله المهيمن جبرثا	وابنته تعداد ما الله يعلم

روي في بعض الأخبار عن ثقاة الأخيار : أنّ نصرانياً أتى رسولاً من ملك الروم إلى يزيد , وقد حضر في مجلسه الذي أتى فيه برأس الحسين (عليه السلام) , فلما رأى النصراني رأس الحسين , بكى وصاح وناح حتّى ابتلت لحيته بالدموع , ثمّ قال : اعلم يا يزيد , إنّني دخلت المدينة تاجراً في أيام حياة النبي (صلى الله عليه وآله) , وقد أردت أن آتيه بهدية , فسألت من أصحابه : أيّ شيء أحبّ إليه من الهدايا ؟ فقالوا : الطيب أحبّ إليه من كلّ شيء , وإنّ له رغبة فيه . قال : فحملت من المسك فارتين , وقدرت من العنبر الأشهب , وجئت به إليه وهو يومئذ في بيت زوجته أمّ سلمة (رضي الله عنها) , فلما شاهدت جماله , أزد لعيني من لقائه نوراً ساطعاً , وزادني منه سروراً , وقد تعلق قلبي بمحبّته , فسلمت عليه ووضعت العطر بين يديه , فقال : ((ما هذا ؟)) . قلت : هدية محقرة أتيت بها إلى حضرتك . فقال لي : ((ما اسمك ؟)) . فقلت : اسمي عبد شمس . فقال لي : ((بدّل اسمك , فأنا أسميك عبد الوهاب . إن قبلت منّي الإسلام قبلت منك الهدية)) . قال : فنظرته وتأملتته , فعلمت أنّه نبيّ وهو الذي أخبرنا عنه عيسى , حيث قال : إنّني

مبشر لكم برسول يأتي من بعدي , اسمه أحمد .فاعتقدت ذلك وأسلمت على يده في تلك الساعة , ورجعت إلى الرّوم وأنا أخفي الإسلام , ولي مدّة من السّنين وأنا مُسلم مع خمس من البنين وأربع من البنات , وأنا اليوم وزير ملك الرّوم , وليس لأحد من النّصارى اطلاع على حالنا .

واعلم يا يزيد , إنّني يوم كنت في حضرة النّبي وهو في بيت أمّ سلمة , رأيت هذا العزيز الذي رأسه وضع بين يديك مُهاناً حقيراً , قد دخل على جدّه من باب الحجره , والنّبي فاتح بابه ليتناوله , وهو يقول : ((مرحباً بك يا حبيبي)) .حتّى أنّه تناوله واجلسه في حجره , وجعل يُقبل شفّتيه ويرشف ثناياه , وهو يقول : ((بُعداً , لا رحمه الله من قتلك يا حسين وأعان على قتلك)) .والنّبي مع ذلك يبكي , فلمّا كان اليوم الثّاني , كنت مع النّبي (ﷺ) في مسجده , إذ أتاه الحسن (عليه السلام) مع أخيه الحسين (عليه السلام) , وقال : ((يا جدّاه , قد تصارعت مع أخي الحسين (عليه السلام) , ولم يغلب أحدنا الآخر , وإتّما نريد أن نعلم أيّنا أشدّ قوّة من الآخر)) .فقال لهما النّبي (ﷺ) : ((يا حبيبي ويا مهجتي , إنّ التّصارح لا يليق لكما , اذهبا فتكاتبا , فمَن كان خطّه أحسن , كذلك تكون قوّته أكثر)) .قال : فمضيا وكتب كلّ واحد منهما سطرّاً , وأتيا إلى جدّهما النّبي (ﷺ) , فأعطياه اللوح ليقضي بينهما , فنظر النّبي إليهما ساعة ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما , فقال لهما : ((يا حبيبي , إنّني أمّي لا أعرف الخط , اذهبا إلى أبيكما ليحكم بينكما , وينظر أيكما أحسن خطأ)) .قال : فمضيا إليه وقام النّبي (ﷺ) أيضاً معهما , ودخلوا جميعاً إلى منزل فاطمة (عليها السلام) , فما كان إلّا ساعة وإذا النّبي (ﷺ) مُقبل وسلمان الفارسي معه , وكان بيني وبين سلمان صداقة ومودّة , فسألته : كيف حكم أبوهما , وخطّ أيّهما أحسن ؟ قال سلمان (رضي الله عنه) : إنّ النّبي (ﷺ) لم يجبهما بشيء ؛ لأنّه تأمّل أمرهما وقال : ((لو قُلت خطأ الحسن أحسن كان يغتمّ الحسين , ولو قُلت خطأ الحسين أحسن كان يغتمّ الحسن , فوجهتهما إلى أبيهما)) .فقلت : يا سلمان , بحقّ الصّداقة والإخوّة التي بيني وبينك , وبحقّ دين الإسلام , إلّا ما أخبرتني كيف حكم أبوهما بينهما ؟ فقال : لمّا أتيا إلى أبيهما وتأمّل حالهما , رقّ لهما ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما , قال لهما : ((امضيا إلى أمّكما فهي تحكم بينكما)) .فأتيا إلى أمّهما وعرضوا عليها ما كتبا في اللوح وقالوا : ((يا أمّاه , إنّ جدّنا أمرنا أن نتكاتب , فكلّ من كان خطّه أحسن تكون قوّته أكثر , فتكاتبنا وجئنا إليه , فوجّهنا إلى أبينا فلم

يحكم بيننا , ووجهنا إلى عندك)) . فتفكرت فاطمة (عليها السلام) بأن جدّها وأبهما ما أرادا كسر خاطرها , أنا ما أصنع وكيف أحكم بينهما , فقالت لهما : ((يا قرّبي عيني , إني أقطع قلاذتي على رأسكما , فأيكما يلتقط من لؤلؤها أكثر , كان خطّه أحسن وتكون قوّته أكثر)) . قال : وكان في قلاذتها سبع لؤلؤات . ثمّ إنّها قامت فقطعت قلاذتها على رأسهما , فالتقط الحسن ثلاث لؤلؤات , والتقط الحسين ثلاث لؤلؤات وبقيت الأخرى , فأراد كلّ منهما تناولها , فأمر الله تعالى جبرائيل (عليه السلام) بنزوله إلى الأرض , وأن يضرب بجناحيه تلك اللؤلؤة ويقدها نصفين بالسّوية , ليأخذ كلّ منهما نصفاً ؛ لئلا يغتم قلب أحدهما , فنزل جبرائيل (عليه السلام) كطرفة عين وقدّ اللؤلؤة نصفين , فأخذ كلّ منهما نصفاً . فانظر يا يزيد , إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يدخل على أحدهما ألم الترجيح في الكتابة , ولم يرد كسر قلبهما , وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) , وكذلك ربّ العزة لم يرد كسر قلب أحدهما , بل أمر من يقسم اللؤلؤة بينهما ؛ لجر قلبهما , وأنت هكذا تفعل بابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! أفّ لك ولدينك يا يزيد.

ثمّ إنّ النّصراني نهض إلى رأس الحسين (عليه السلام) , واحتضنه وجعل يقبله , وهو يبكي ويقول : يا حسين , اشهد لي عند جدّك محمد المصطفى , وعند أبيك المرتضى , وعند أمك فاطمة الزّهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) .
فيا إخواني , أديموا رحمكم الله الحزن الطويل , وواظبوا على النّدب والعيول , فعلى مثل أهل البيت فليكن الباكون , وإيّاهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للخليعي (رحمته الله)

لم أبك ربعاً دارس العرصات	أضحت معارفه من النكرات
درست معاهده وغيرها البلى	ونأت بساكنها يد الغربات
عفت الوقوف على الديار تجني	منها الصدى بتردد الكلمات
لكن بكيّت على حرّيم محمد	يشهرن فوق غوارب البدنات
وتذكري رفيع الكريم أعاد لي	حزناً كيوم مصارع السادات
بأبي ربيبات البتول نوادباً	من عظم أحزان وطول شتات
لما قفلن إلى الشام قريحة	أجفانن سواكب العبرات

ودموعها تجري على الوجنات
كالبدر يجلو حنـدس الظلمات
وخليفة لعظمائـم النكبات
ملقى على الرضـاء في الفلوات
حرر الظمـا وتلهب الزفرات
من قتل أبناء وسي بنيات
فواضـل الأردن محتمـرات
وفؤاد فاطمة من الحسرات
من ذلنا وتعزز الشـمات
من فقد أحباب وقتل حمات
قرحى الجفون خوافت الأصوات
في الليل يتلو محكم الآيات
اصطبري فإت كلمها هو آت
فعليك منه أفضل الصلوات
لا تحسبـيه يعد في الأموات
بقيام دولة آخذ الثارات
يستأصل الأعـداء بالنقمات
وسنـاهم يجلـي دجى الظلمات
نيـل المـنى وتقبل الطاعات
يعفو الإله غدا من الزلات
فرفعتـم فوق العلى درجات
وتظـاهرا بالحقـد والأحنـات
منهم وممن خان عقـد ولات
وتحـاملوا ظلمـا على مـولاتي
ونجـا من النـيران أي نجـات
تـحديـد فضـلكم بكنـه صفات

والرأس منتصب وزينب عنده
تشكو إليه ووجهه متوقـد
وتصيح وا حـزاني وتدعو يا أخي
لهفي عليك وأنت ثاو بالعرى
لهفي عليك وأنت تشـتكي
لهفي على ما نيل منك بكرىلا
لهفي لهـن مسـلبات حسـرا
لهفي لما أودعت قلب محمـد
يا واحدي لو كنت شاهد ما جرى
صبت على مصائب لا تنقضي
وتعـجج والأيام سـكرى حولها
ولرأس مـولاي الحـسين تـرتم
والسيد السـجاد يـدعوها ألا
وكفى الدموع ورأفتي رب العـلا
وتيقـني أن الشـهيد مـخلـد
واستبشـري يا عمـتي فلك الهنا
والقائم المهدي والمولى الـذي
يا سـادتي يا من بنـور هـداهم
بـولاكم يا خير وطأ الثرى
وكذا البراءة من أعاديكم بها
واليـتكم ونصبت حرب عـداكم
وتناوشـوني حاسـد ومعانـد
يا رب فاشـهد أنـني مـتـبرء
من معشر جحدوا النبي حقوقه
نال الخليعي الأمان بـبكم
لا تحسب الشعراء إن قد أدركوا

لكنهم نظروا الكتاب فضمنوا من مدحكم ما جاء في الآيات
ليبدلن الله خوف ووليكم أمنأً ويجزيه على الحسنات
ويمكن الدين الذي لكم ارتضى جهراً على رغم الزنيم العات

الباب الثاني

اعلموا تقبل الله أعمالكم وأحسن لديه لكم , إن الله تعالى لا يقبل الأعذار في ترك المآثم على الآل الأطهار ؛ لأنه تعالى جرت عادته بتكليف العباد بعد إلهامهم الرشد ؛ ليفيض عليهم من الخيرات فيصلون إلى الكمالات , ولا شيء لعمري , أدعى لحصول الثواب العظيم وإزالة العذاب الأليم , من إظهار شعائر الأحران وإجراء الدموع الهتان , على ما أصابهم في ذلك الزمان من أهل الغدر والخذلان , فكم من دم مسفوح وطفل مذبوح وقلب مقروح , ومرمل بالدماء ومسلوب للرداء , ومنبوذ بالعرى ومذبوح من القفا , وقرّة عين المصطفى , وثمره فؤاد الزهراء بنت خاتم الأنبياء , فيا لله ! ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول , فنوحوا أيها الإخوان , وضجوا بالعويل وعجوا بالبكاء على هذا الرزء الجليل , والله در من قال من الرجال :

بنفسي خدوداً في التراب تعفرت بنفسي جسوماً بالعرء تعفرت
بنفسي رؤوساً معلبات على القنا إلى الشام تهدي بارقات الأسنتي
بنفسي شفات ذابلات من الظما ولم تحظ من ماء الفرات بقطرة
بنفسي عيوناً غايرات شواهرا الى الماء منها نظرة بعد نظرة
بنفسي من آل النبي خرائد حواسر لم تغدف عليهم بسطرة
تفيض دموعاً بالدماء مشوبة كقطر الغوادي من مدامع ثرت
على خير جيل من كهول وفتية مصاليت انجاد إذا الخيل كرت
ربيع اليتامى والأرامل فابكها مدارس للقرآن في كل سحرة
وأعلام دين المصطفى وولاته وأصحاب قريان وحج وعمرة
ينادون يا جداه أية محنة نراها علينا من أمية مرت
ضغائن بدر بعد ستين أظهرت وكانت أجننت في الحشا وأسرت

كأني بنيت المصطفى قد تعلقت
وفي حجرها ثوب الحسين مضمخا
تقول أيا عدل أقض بيني وبين من
أجالوا عليه بالصوارم والقنا
هم أول العادين ظلماً على الوري
مضوا وانقضت أيامهم وعهودهم
يأداها بساق العرش والدمع أذرت
وعنها جميع العالمين بحسرت
تعدي على ابني بعد قهر وقسرت
وأسقوه كأس الموت طعم الممرت
ومن سار فيهم بالأذى والمضرت
سوى لعنة باءوا بها واستمرت

روي عن السيد السعيد عبد الحميد يرفعه إلى مشايخه , عن منذر الثوري , عن أبيه , عن أخيه , قال : قال الحسين (عليه السلام) : ((أنا قتيل العبرة , ما ذكرت عند مؤمن إلا بكى واغتم لمصابي)) .

وروى أيضاً عبد الحميد يرفعه إلى مشايخه إلى جابر الجعفي , يرويه عن أبي عبد الله , ثم قال : ((يا جابر , كم بينكم وبين قبر الحسين (عليه السلام) ؟)) . قال , قلت : يوم وبعض آخر . قال , فقال لي : ((أتزوره ؟)) . قال , قلت : نعم . قال : ((ألا أفرحك ألا أبشرك بث وابه ؟)) . قلت : بلى جعلت فداك ! قال : ((إن الرجل منكم ليتهياً لزيارته , فتباشر به أهل السماء , فإذا خرج من باب منزله راكباً أو ماشياً , وكل الله عز وجل به أربعين ألفاً من الملائكة , يُصلّون عليه حتى يوافي قبر الحسين (عليه السلام) , وثواب كل قدم يرفعها , كثواب المشحط بدمه في سبيل الله , فإذا سلّمت على القبر , فاستلمه بيدك وقُل : السلام عليك يا حجة الله في أرضه . ثم انهض إلى صلاتك , فإن الله تعالى يُصلي عليك وملائكته حتى تفرغ من صلاتك , ولك بكل ركعة تركعها عنده ؛ ثواب من حج ألف حجة , واعتمر ألف عمرة , وأعتق ألف رقبة , وكمن وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل , فإذا أنت قمت من عند القبر , نادى مناد لو سمعت مقالته , لأفانيت عمرك عند قبر الحسين (عليه السلام) , وهو يقول : طوبى لك أيها العبد , لقد غنمت وسلمت , قد غفر الله لك ما سلف فاستأنف العمل)) . قال : ((فإن مات من عامه أو من ليلته أو من يومه , لم يقبض روحه إلا الله تعالى)) . قال : ((ويقوم معه الملائكة يُسبحون ويُصلّون عليه حتى يوافي منزله , فتقول الملائكة : ربنا , عبدك واني قبر وليك وقد واني منزله , فأين نذهب ؟ فيأتيهم النداء من قبل السماء : يا ملائكتي , فقوا بباب عبدي , فسبحوني وقدسوني وهللوني , واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم وفاته . فإذا توفّي ذلك العبد , شهدوا غسله

وكفنه والصلاة عليه ، ثم يقولون : ربنا ، وكلتنا بباب عبدك وتوفي ، فأين نذهب ؟ فيأتيهم النداء : يا ملائكتي ، قفوا بقبر عبدي ، فسبحوني وقدسوني وهللوني ، واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم القيامة ((.

فيا طوبى لمن أحبهم ووالاهم ، ويا خسران من أبغضهم وعاداهم :

عدوي عن محبتكم فنادى وموتى تحت أرجلكم صلاحى
هوكم قبله تهوى إليها قلوب الناس من كل النواحي
فلا والله لا أسلوهاكم ولا أصبو إلى قول اللواحي

فلعمري ، لو تضاعفت أحزاني فتزايدت أشجاني ، وأجريت عوض الدموع دماً ، وجعلت عمري كله مأتماً ، وبقيت من شدة الجزع والاكتئاب كالخلال ، لم أوف ببعض ما يجب علي من حق الآل.

روي عن عاصم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ((يا عاصم ، من زار الحسين (عليه السلام) وهو مغموم ، أذهب الله غمه ، ومن زاره وهو فقير ، أذهب الله الفقر عنه ، ومن كانت به عاهة فدعى الله أن يذهبها ، أستجيب دعوته وفرج همه وعمه ، فلا تدع زيارته ، فكأنك كُلمت أتيته ، كتب الله لك بكل خطوة تخطوها عشر حسنات ، ومحى عنك عشر سيئات ، وكتب لك ثواب شهيد في سبيل الله أهريق دمه ، فيأيك أن تفوتك زيارته ، وأما في الآخرة ، فبولايتهم يحصل الفوز بالتعميم الدائم المقيم ، وبحبهم يحصل الخلاص من العذاب الأليم ((.

وعن الإمام أبي عبد الله (ع) قال : ((قال الحسين (عليه السلام) : من زارني بعد موتي ، زرته يوم القيامة ولو لم يكن إلا في النار لأخرجته)) .:

يا عترة الهادي النبي ومن هم عزي وكنزي والرجا والمفزع
والياتكم وبرئت من أعدائكم فأنا بغير ولاكم لا أقنع
صلّى إليه عليكم ما أحييت فكروا وقضت العيون الهجع

روي عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : ((ما بين قبر الحسين (عليه السلام) إلى السماء مختلف الملائكة ((. وعن بشير الدهان قال ، قلت لأبي عبد الله : ربما فاتني الحج وأعرف عند قبر الحسين . قال : ((أحسنت يا بشير ، أيما مؤمن أتى قبر الحسين (عليه السلام) ، عارفاً بحقه في غير يوم عيد ، كتب الله له عشرين حجة وعشرين

عمرة مبرورات مُتَقَبَّلات , وأُلف غزوة مع نبيِّ مُرسل أو إمام عادل)) . قال , قلت : وكيف لي مثل الموقف ؟ قال : فنظر إليّ شبه المُغضب , ثمّ قال : ((يا بشير , إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين يوم عرفة , فاغتسل بالفُرات ثمّ توجّه إليه , كتب الله عزّ وجلّ له بكلّ خطوة حجّة بمناسكها)) . ولا أعلمه إلّا وقال : ((عمرة)) .

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) , أنّه قال : ((خلق الله تعالى كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام , ثمّ قدّسها وبارك فيها , فما زالت أرض كربلاء مُقدّسة مباركة طاهرة , قبل أن يخلق الله الخلق وقبل أن يكون الكون , ولم تنزل كذلك حتّى جعلها الله أفضل أرض في الجنّة , وأفضل منزل ومسكن يسكن الله أوليائه في الجنّة , وهي أعلا وأرفع مساكن الجنّة , وأتمّها إذا زلزل الله الأرض وسيّرها , زُفعت كما هي بتربتها نورانية صافية , فجُعلت أوّل روضة من رياض الجنّة , وأفضل مسكن في الجنّة , لا يسكنها إلّا النّبيون والمرسلون وأولوا العزم من الرّسل , وأتمّها لتزهو بين رياض الجنّة , كما يزهو الكوكب الدّرّي لأهل الأرض , يغشي نورها أبصار أهل الجنّة جميعاً , وهي تُنادي : أنا الأرض المُقدّسة والطّينة المُباركة التي تضمّنت جسد سيّد الشّهداء , وسيّد شباب أهل الجنّة أبا عبد الله الحسين)) .

وفي بعض الأخبار : إنّ الله تعالى لما خلق أرض الكعبة , افتخرت وابتهجت وقالت : من مثلي وقد بُني بيت الله على ظهري , ويأتيني النَّاس من كلّ فجّ عميق , وجُعلت حرم الله وأمنه؟! فأوحى الله تعالى إليها : ((يا أرض الكعبة , كفيّ وقريّ , فوعزّي وجلالي , ما فضّلتك به فيما أعطيت كربلاء , إلّا بمنزلة الإبرة التي أغمست في البحر , ولو لا تربة كربلاء ما فضّلتك , ولو لا ما تضمّنته أرض كربلاء , ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به , فقرّي واستقرّي وكوني متواضعة ذليلة مهينة , غير مستنكفة ولا مستكبرة على أرض كربلاء , وإلّا سخت بك وأهويت بك في نار جهنّم)) . كلّ ذلك تعظيماً للحسين (عليه السلام) وإجلالاً له :

ما لي إذا وضع الحساب وسيلة أنجو بها من حرّ نار الموعد
إلّا اعتراني بالذنوب وانني متمسكك بولاء آل محمّد

روي في بعض الأخبار , إنّ رجلاً جاء إلى الصّادق (عليه السلام) وشكا إليه من علّة أردته , فقال له الصّادق (عليه السلام) : ((يا هذا , استعمل تربة جدّي الحسين (عليه السلام) , فإنّ الله

تعالى جعل الشفاء فيها من جميع الأمراض , وأماناً من جميع الخوف , وإذا أراد أن يستعملها للشفاء , فليأخذ من تلك التربة , ثم يقبلها ويضعها على وجهه وعينييه وينزلها على جميع بدنه , ويقول : اللهم بحق هذه التربة وبحق من حل بها وثوى فيها , وبحق جدّه وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من ولده , بحق الملائكة الحافين به , إلا جعلتها شفاء من كلّ داء , وبرء من كلّ مرض , ونجاة من كلّ خوف , وحرزاً مما أخاف وأحذر , برحمتك يا أرحم الراحمين . ثم استعمل من تلك التربة أقل من الحمصة , فإنك تبرئ بإذن الله تعالى)) . قال الرجل : فو الله , إنّي فعلت ذلك فشفيت من علتي في وقتي وساعتي , من بركات سيدي وابن سيدي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

وعن إسحاق بن إسماعيل , أنّه قال : سمعت من الصادق (عليه السلام) , يقول : ((إنّ لموضع قبر الحسين (عليه السلام) حرمة معروفة , من عرفها واستجار بها أُجبر)) . فقلت : يا مولاي , فصف لي موضعها جعلت فداك ! فقال : ((امسح من موضع قبره الآن خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه , ومن ناحية رجله كذلك , وعن يمينه كذلك وعن شماله , واعلم أنّ ذلك روضة من رياض الجنّة , ومنه معراج الملائكة تعرج فيه إلى السّماء بأعمال زوّاره , وليس ملك في السّموات ولا في الأرض , إلا وهم يسألون الله عزّ وجلّ في زيارة قبر الحسين , ففوج منهم ينزل وفوج يعرج إلى يوم القيامة)) .

يا جـوهر قـام الـوجـود بـه	والنـاس بـعدك كلـهـم عـرض
أسـهـرت عـينـاً أنـت قـرتهـا	ولـهـي عـليـك ولـيس تـغمـض
وأتهـت قـلبـاً أنـت مـنيتـه	القـصـوى بـحـزن فـيـك يـعـترض

روي : أنّ الصادق (عليه السلام) أصابه مرض , فأمر مولى أن يستأجر له أجيّراً يدعو له بالعافية عند قبر الحسين (عليه السلام) , فخرج المولى فوجد رجلاً مؤمناً على الباب , فحكى له ما أمر به الصادق , فقال الرجل : أنا أمضي , لكنّ الحسين إمام مفترض الطّاعة , والصادق إمام مفترض الطّاعة , فكيف ذلك؟! فرجع مولاه وعرفه بمقالة الرجل , فقال الصادق : ((صدق الرجل في مقالته , لكنّ لله بقاعاً يُستجاب فيها الدّعاء , فتلك البقعة من تلك البقاع , وإنّ الله عزّ وجلّ عوض الحسين (عليه السلام) من قتله بثلاثة أشياء ؛ إجابة الدّعاء تحت قُبّته والشفاء في تُربته والأئمة من ذُرّيّته)) . :

يا بـفـعـة مـات بـهـا سـيد	ما مثـله في النـاس مـن سـيد
----------------------------	-----------------------------

مات الهدى من بعده والندا والعلوم والحلوم مع السؤدد
 روي في بعض الأخبار : إن رجلاً صالحاً , قال : رفعت إليّ امرأة غزلاً أبيض , فقالت لي : ادفع هذا الغزل إلى سدة مكة ,
 ليخيط بها كسوة الكعبة . فكرهت أن أدفعه إلى الحجة , فقال (عليه السلام) : ((اشتر به عسلاً وزعفراناً , ولخذ قليلاً من طين قبر
 الحسين (عليه السلام) , واعجنه بماء السماء , واجعل فيه العسل والزعفران , وفرقه على أوليائنا المؤمنين ليداووا به مرضاهم)) . ففعلت
 ما أمرني مولاي , فكلّ مريض أخذ منه شفي بإذن الله تعالى .

فيا إخواني , ما أطيب نشر فضائلهم الفاضلة , وما أعذب ذكر مدائحهم الكاملة , تقدرت أنفوس امتنعت عليهم من
 الهجوع , وطهرت أعين أسبلت عليهم شآبيب الدموع , وظفر بالنصيب الوافر من والاهم , وحصل الشرف الظاهر من مال
 عمّن عاداهم , ما ضرهم ما تجرّعوه من الآلام , لم تكن لحظة واحدة فيحلّون دار السلم جوار الملك العلام . فيا عيني سخي
 دموعي ويا جفوني واقفي وأطيعي .

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإياهم فليندب النادبون , ومثلهم تذرف الدموع من العيون , أو لا تكونون
 كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ محمد السمين (رحمته الله)

بان صبري وبان خافي شـجوني	واسـتهلت بالدمع مـني جـفوني
واسـتهلت لما اسـتهلت بدمع	حين جادت به شـؤون شـؤوني
وقلت مقلتي الرقاد ارتقـاباً	بالسهي والسهاد ألف عيوني
وأستسرت مسـرت السر لما	بان خوفي من سرها المكنون
فتبـدت مصونة الحزن من قلبي	المعنى المتـمـيم المحزون
ثم قالت للطرف أبرز ما كان	مصاناً من دمـعك المسجون
واسـتمد الدماء أن نـفـد الدمع	فبالدمع أنت غير ضنين
وانـدب السـبط في الطفوف فريداً	قد تخللا من مسعد ومعين
يتمني لكـي يـيل غـليلاً	وشـربه من مباح ماء معين
فسقاه العـدو كأساً دهاقـا	من كؤوس الردى وماء المنون
لهـف قلبي عليه وهو فـؤول	يهـدو في قولـه وسـكون

ويحكمم لا تهونوا بقتل حسين
لا تقولوا يوم القيامة إنا
تعرفوني بأنني خير خلق الله
تنكروني فلم بغير اجترام
إن جدي النبي أشرف خلق الله
وأبي المرتضى الوصي عليّ
والبتول الزهراء بنت رسول الله
فأجابوه قد علمنا يقيناً
غير أنا نروم منك مراماً
قل رضينا يزيد مولاً ولياً
فمتى قلت أنت في دعوة الله
عندما أفحشوا الجواب اجترأاً
ثم نادى أهل الخيام ودمع العين
أم كلثوم يا سكينه يا زينب
أنت في عترتي وفي أهل بيتي
ثم قومي إذا أردت وداعاً
إن هذا الأوان آن انتقالي
أخت ابني عليّ بعد وليي
أخت صبراً صبراً فليس يضيع
لا تشقي جيلاً عليّ وابككي
وإذا ما مررت بالجسد الملقى
وإذا ما تلوت نافلة الذكر
والعني ما شربت ماء فرات
فأجابته عزّ والله ما قلت
لو قدرنا على الفداء فديناك
وشربنا من شربك كاسات

فتذوقوا طعم العذاب المهين
ما علمنا وإنكم تجهلوني
قدماً وأنفلاً تنكروني
تقتلوني وأنتم تعرفوني
ذو الفضل والفخر المبين
وهو رب الإمكان والتمكين
أممي لأجله راقبوني
أن هذا الكلام حرق اليقين
فاعطيه بالطموع يابن الأمين
واليأ حاكماً بحق مبين
وحرز من بأسنا بيقين
آب عنهم بصفحة المغبون
جازية برقعة وبلجين
يا بنت فاطمة جاوييني
وعوالي وصبيتي تخليفي
ودعي من قبل أن تفقديني
وارتحالي وحنان يا أخت حيني
وإمام هاد لدينا ودين
الله أجزر الصبور والمستكين
كل حين بفيض دمع هتون
على الأرض شاحباً فاندبيني
وصليت دائماً فاذا ذكريني
من عن الماء ظامياً منعوني
علينا وليس ذاك بهتون
وبأرواحنا وبالمخزون
المنايا من كف ساقني المنون

تريب الخدين دامى الجبين
العيس رفقاً هنية أوقفوني
بوداعي منه ولا تمنعوني
وهو قلبي فعنه لا تقلبوني
فاشخصوا ثم عنه لا تشخصوني
فاعدلوا ثم عنه لا تعدلوني
وبضرب يدي خفي الأنين
وأخيها الزاكي الإمام المبين
من جفون قرحى وقلب حزين
يا حصوني وأين مني حصوني
آه يا خذلي لفققد معين
آه يا ذلتي ويا طول هوان
ثم بالسوط بعد قنعوني
عناداً له بقب البطون
جامع للحنوط والتكفين
وسنان يغله باليمن
وهي تهدي إلى يزيد اللعين
بعد دار الأعزاز في دار هون
مبديات لكل وجهه مصون
في سهول من بيدها وحزون
أزعجوا العيس عامداً وأزعجوني
سلبوني ثوبي وما ستروني
تعبدوا كفرةً وما حجبوني
رحموني بغيماً وما رحموني
فيه من الأذى والهون
والحجر والصفا والحجون
والأعراف والنحل والنساء ونون

ثم لما رآته ملقى على الترب
صرخت صرخة وقالت أجدة
لأودعه كى أبلى غليلي
فهو روحي فأين عنه رواحي
وهو شخصي فأين عنه شخوصي
وهو عدلي فأين عنه عدولي
فأجابوا صوت الشجي بسوط
فاستغاثت بجدها وأبيها
بدموع على الخدود تجاري
ثم قالت يا موئلي يا مآلي
آه يا كسرتي لفققد حماي
آه يا حسرتي ويا طول وحدي
جدي هذا القناع يسلب مني
جدي هذا صدر الحسين فقد ديس
رضضوه بغير إفراض غسل
جدي هذا الكريم فوق سنان
جدي هذي الرؤوس فوق قناها
جدي هذي سكينه أسكنوها
والسبايا على المطايا عرايا
سائرنا بنا بغير وطاء
وإذا قلت للحداة رويداً
وإذا قلت استروني بثوب
وإذا قلت احجبوني عن الناس
وإذا ما شكوت ضراً وبؤساً
وإلى الله مشتكنا وما نلقاه
يا ذوي البيوت والمشاعر والأركان
يا ذوي النذريات والطور

فاز من مكن اليدين من الود فاز بالصدق في الولاء كما
 وفازت يــــداه بالتمكين فعلتكم من ربكم صلوات
 فاز بصدق الولاء نجل السمين عبداكم أهدي إليكم نظاماً
 فاق في نظمه نظام الثمين فعلتكم من ربكم صلوات
 وسلام في كل وقت وحين

الباب الثالث

تفكروا يا إخواني في الدين ، فيما قدم عليه الأنصار من إخوانكم المؤمنين ، لكنهم ظهر لهم السر المكنون فعلموا ما كان وما يكون ، ورضوا عن الرحمن فسمحوا في محبته بالأرواح ، وغضبوا الملك الديان فأجادوا في سبيله بالكفاح ، آساد غيل غرير عرينها قليل قرينها ، جاهدوا في سبيل ذي الجلال وبدلوا نفوسهم في محاربة أهل الزيغ والضلال ، رموهم بالجياد حتى انطوين ، وضربوهم بالسيف حتى انحنين ، وطعنوهم بالرمح حتى ارتوين ، أو ليس هم القوم الذين إذا دعوا لم يقولوا أين أين ولم يخافوا الحين ، ولا سقطوا بين بين وأين ؟ لكم مثل أنصار مولاكم الحسين أين ؟ والله درّ من قال فيهم من الرجال :

هم القوم أقيال منا جيد سادة مذ أو يد أبطال لها الحرب منزل
 كماة حماة يرهب الموت بأسهم وليس لهم عن حومة الضرب معدل
 فكهم غادروا من غادر في كربهة وكم عقلوا من كافر ليس يعقل
 وحادوا وجادوا بالنفوس أمامه وذاك من الجود العظيم المؤمل
 وسادوا فسادوا منزلاً متطاولاً دعائمه فوق السماكين أطول
 وحاموا فحاموا دون سبط محمد إلى أن تداعوا للمنايا وقتلوا
 فلهفي لهم صرعى أمام إمامهم ومن دمهم وجهه الثرى متبلل
 وقد نسجت أيدي الرياح من الثرى لهم حلالاً من فوقهم تتجلل
 فلو أنني شاهدت مشهد كربلا وسيفي بكفي كنت للنفس أبذل
 وواسيتهم بالطعن والضرب والقنا فذاك المني لو أن ذلك يحصل

روي من طريق الخصم ، وعن أنس بن مالك ، قال : قرأ رسول الله (ﷺ) : ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجَالٌ ﴾

لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾ . فقام إليه رجل ، فقال : أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ فقال : ((بيوت الأنبياء)) . فقام الأول فقال : يا رسول الله ، هذا البيت منها - يعني بيت علي وفاطمة - ؟ قال : ((نعم ، من أفاضلها)) . ومن طريقهم أيضاً في الصحيحين ، قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ﴿٢﴾ . قالوا : يا رسول الله ، ومن قرابتك التي أوجبت علينا مودتهم ؟ فقال : ((علي وفاطمة وابناهما)) .

ومن طريقهم أيضاً ، ما رواه الفقيه المغازلي الشافعي ، بإسناده عن ابن عباس ، قال : سئل النبي (ﷺ) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه . فقال : ((سأله بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي ، فتاب عليه)) . :

آل طهه يا من بهم يغفر الله	ذنوبي وما جنته يميني
وإمامي في يوم بعثني وأمني	عند خوئي في كل خطب وضيئي
أنتموا قبلتي وحجتي وفرضي	وصلاتي وأصل نسكي وديني
من تمسك بكم وأم إليكم	قد نجنا والتجنا بحصن حصين
لا أبالي وإن تعاطم ذنوبي	يوم بعثني لكن يقيني يقيني
كل عزي بين الأنام وفخري	يوم أخشى بآبكم تقبلوني
أنا منكم لكم بكم واليكم	فرط وجددي وذا حنين أنيني
فعليتكم من الإله صلاة	كلمنا ناح طائر بالغصون

يا إخواني ، من علق بحبهم سلم ، والتجأ إلى كهف عزهم ربح وغنم ، ومن اقتفى أثرهم حصل على سواء الطريق ، ومن تنكّب عن سمتهم وقع في المضيق بالتحقيق ، إذا أحبّ الله عبداً القى حجّتهم عليه ، وإن أبغض عبداً ألقى الشيطان بغضهم إليه ، فمحبّتهم المقرّبة إلى الملك العلام ، المؤدّية إلى أعظم المرام ، لا تحصل بمجرد الكلام ما لم تفتقر بإعتقاد يحصل به برد الإيمان ، وتشبّ به على مصابهم نيران الأحران .

روى قتادة : أنّ أروى بنت الحارث بن عبد الملك ، دخلت على معاوية بن أبي سفيان وقد قدم المدينة - وهي عجوز كبيرة - ، فلمّا رآها معاوية ، قال : مرحباً بك يا خالة ، كيف كنت بعدي ؟ قالت : كيف أنت يا بن أخي ، لقد كفرت التّعمة وأسأت لابن عمك الصّحبة ، وتسمّيت بغير اسمك

(1) سورة التّور / 36 - 37 .

(2) سورة الشّورى / 23 .

، واخذت غير حقك بلا بلاء كان منك ولا من آبائك في ديننا ، ولا سابقة كانت لكم ، بل كفرتم بما جاء به مُحَمَّد (ﷺ) ، فانغس الله الحدود ، وأصغر منكم الحدود ، ورد الحق إلى أهله ، فكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا هو المنصور على من ناواه ، فوثبت فُريش علينا من بعده حسداً لنا وبغياً ، فكنا بحمد الله ونعمته ، أهل بيت فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان سيّدنا فيكم بعد نبينا (ﷺ) ، بمنزلة هارون من موسى ، غايتنا الجنة وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضّالة ، واقصري من قولك مع ذهاب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك . فقالت : وأنت يا بن الباغية ، تتكلم وأمك أشهر بغي بمكة وأفلهم أجرة ، وادعاك خمسة من فُريش ، فسألت أمك عن ذلك ، فقالت : كلّ أتاها . فانظروا أشبههم به فالحقوه به ، فغلب شبه العاص بن وايل جزار فُريش ، لأهمهم مكرراً وأبهمهم خبراً ، فما ألومك ببغضاً .

قال مروان بن الحكم : كفى أيتها العجوز واقصدي لما جئت له . فقالت : وأنت يا بن الزرقاء تتكلم ، والله وأنت ببشير مولى ابن كلدة أشبهه منك بالحكم بن العاص ، وقد رأيت الحكم سبط الشّعر مديد القامة ، وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضّامر من الأتان المقرف ، فاسأل عمّا أخبرتك به أمك ، فإنّها ستخبرك بذلك .

ثمّ التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ، ما جرّأ هؤلاء غيرك ، وإنّ أمك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات السعير
إلى آخر الأبيات ، فأجابتها ابنة عمّي :

خزيت في بدر وغير بدري يا بنت وقاح عظيم الكفر
إلى آخر الأبيات .

فالتفت معاوية إلى مروان وعمرو ، وقال : والله ، ما جرّأها عليّ غيركما ، ولا أسمعني هذا الكلام سواكما ، ثمّ قال : يا خالة ، اقصدي ودعي أساطير النساء عنك . قالت : تعطيني ألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار . قال : ما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أزوّج فقراء بني الحارث بن عبد المطلب . قال : هي لك ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أستعين بها على شدة الزّمان وزيارة بيت الله الحرام . قال : قد أمرت بها لك . قال : فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت :

أشترى بها عيناً خزارة في أرض خوّارة , تكون لفقرء بني الحارث بن عبد الملك . قال : هي لك يا خالة ، أما والله لو كان ابن عمك على ما أمر لك بها . قالت : تذكر علياً فضّ الله فاك وأجهد بلاك . ثمّ علا نحيبها وبكاؤها وجعلت تقول :

ألا يا عيين ويحك فاسعدينا	ألا فبابكي أمير المؤمنين
رزينا خير من ركب المطايا	وجال بها ومن رب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمبينا
إذا استقبلت وجهه أبي حسين	رأيت البدر راق الناظرينا
ألا فابلغ معاوية بن حرب	فلا قرت عيون الشامتينا
أبي الشهر الحرام فجعتمونا	بخير الخلق طراً أجمعينا
مضى بعد النبي ففته نفسي	أبو حسن وخير الصالحينا
كأن الناس إذ فقدوا علياً	نعام جال في بلد سنينا
فلا والله لا أنسى علياً	وحسن صلواته في الراكعينا
لقد علمت قرش حيث كانت	بأنك خيرها حسباً وديننا
فلا يفرح معاوية بن حرب	فإن بقيّة الخلفاء فينا

قال : فبكي معاوية ثمّ قال : يا خالة , لقد كان كما قلت وأفضل .

فانظروا يا إخوان الدّين إلى هؤلاء الكفرة الملعين , يعترفون بالحقّ ويرغبون عنه , ويتطلّعون إليه ويفرّون منه , استحوذ عليهم الشيطان فسلك بهم في أودية الهوان , وقادتهم أزيمة الباطل وأرخت لهم العنان , فباءوا بالخيبة والخسران واستحقّوا عذاب التيران :

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (1)

روي عن بعض الصّادقين , أنّه قال : دخلت إلى جامع بني أميّة لأصلي صلاة الصّبح , وإذا أنا برجل من بني أميّة جاء ووقف يصلي قريباً مني , فلمّا طأطأ رأسه للسجود , سقطت عمامته عن رأسه , فإذا رأسه ووجهه كرأس الخنزير وشعره كشعر الخنزير , فلمّا نظرته , طار عقلي وطاش لبي , ولم اعلم ما صليت ولا ما قلت في صلاتي , فلمّا فرغ من الصّلاة , تنفّس الصّعداء وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله , يا أخي , إنّي أخبرك بقصتي وأظهرك على حالي . ثمّ إنّه كشف عن رأسه ونزع قميصه , فإذا رأسه ووجهه كالخنزير , وبدنه وشعره مثل جلد الخنزير , فتعجبت منه وقلت له : ما الذي أرى

(1) سورة التّحل / 118 .

بك من البلاء؟ فقال: اعلم أيّ كنت مؤدّناً لبني أميّة، وكنت كلّ يوم العن عليّ بن أبي طالب ألف مرّة بين الأذان والإقامة، وإذا كان يوم الجمعة العنة أربعين ألف مرّة، فبينما أنا نائم ليلة الجمعة، رأيت في منامي كأنّ القيامة قد قامت، ورأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّاً والحسن والحسين وماء الكوثر مترع، ويبد الحسن (عليه السلام) إبريق من نور، ويبد الحسين (عليه السلام) كأس من نورهما، يسقيان الناس كافّة وأنا في عطش شديد، فدنوت من الحسين (عليه السلام) وقلت له: اسقني يا ابن رسول الله. فقال لي: ((ستشرب من حميم جهنّم)) . فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): ((لم لا تسقيه؟)) . فقال: ((يا جدّاه، كيف اسقيه وهو يلعن أبي كلّ يوم ألف مرّة؟)) . فالتفت إليّ النبي (صلى الله عليه وآله)، وقال لي: ((ما لك يا لعين يا شقي! أتلعن أخي وخليفتي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب؟!)) . ثمّ بصق في وجهي، وقال: ((غير الله ما بك من نعمة)) . فاتبهت من منامي مرعوباً وإذا هو قد مُسَخ كما ترى، وصار عبرة لمن يسمع ويرى، وأنا أحمد الله تعالى مما كان منّي، وواليت عليّ بن أبي طالب وتبرأت من أعدائه:

أيا من هم فلك النجاة ومن هم	هداة وغوث للأنام وجود
ولولاهم ما كان نور ولا دجا	ظلام ولا للخلق كان وجود
عليكم سلام الله حيث ثناءكم	حكى نشره نداءً يضيوع وجود
وحيث بكم هبت نسيم ونسمة	هبوب وللعيدان زوح وجود
وأزهر من زهر البروج زواهر	وورد من زهر المبروج ورود

فالويل الدائم لمن عاداهم! والخيبة لمن ضلّ عن هداهم وما والاهم!

روي: أنّه دخل أبو أمامة الباهلي على معاوية، فقربه وأدناه ثمّ دعا بالطعام، فجعل يطعم أبا أمامة بيده، ثمّ أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده، وأمر له ببدره من دنانير فدفعها إليه، ثمّ قال: يا أبا أمامة، أباالله أنا خير أم عليّ بن أبي طالب؟ فقال أبو أمامة: نعم ولا كذب، ولو بغير الله سألتني لصدقت، عليّ والله خير منك وأكرم، وأقدم إسلاماً وأقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قرابة، وأشدّ في المُشركين نكاية، وأعظم عند الأُمّة غناء، أتدري من عليّ بن معاوية؟ عليّ ابن عمّ رسول الله وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وابن أخي حمزة سيّد الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت من

هذا يا معاوية؟! أظننت أنني اخترت على عليّ بالطفلك وإطعامك وعطائك ، فأدخل إليك مؤمناً وأخرج منك كافراً ، بعس ما سوّلت لك نفسك يا معاوية ! ثمّ نهض وخرج من عنده ، فاتبعه بالمال ، فقال : لا والله ، لا أقبل منك ديناراً واحداً.

فهذه هي المحبّة الناصحة والمودّة الرائقة الخالصة ، وعلى مثل أهل البيت فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ولمثلهم تذرّف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان ، فنظم وقال :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

ألا ما لجفني بالسهاد توكل
وما بال عيني ليس ترقى دموعها
ولم يشجني فقد الأنيس ولم أطل
ولا قلت للحادي ترفق هنيئة
ولم ارتقيت طيف الخيال من الكرى
ولكن شجنتني عصبة علوية
لهم طال حزني وأسكنت أظالعي
ولم أنس مولاي الحسين وقد غدا
ينادي ألا يا أهل بيت محمد
علّيكم بتقوى الله لا تتغيروا
ودوموا على أعمالكم وابتهالكم
وإن نابكم خطب فلا تتعضوا
وفاطمة الصغرى تقول لاختها
أرى والدي يوصي بنا اخواته
وتدعو ألا يا سيدي بلغ العدا
فيحنوا عليها باكياً ويضمها
ومر إلى حرب الطغاة ولم يزل
إلى أن هوى فوق السراب مجدلاً
فقمّن النساء الفاطميات وهلاً

وقلبي لأعباء الهوى يتحمل
وقلبي بعبء السم يذوي فينحل
وقوفي على الربيع الدريس فأسأل
وللركب لما سار أين ترحل
ولا أنا ممن بالمني يتعلل
تداعوا جميعاً بالفتي ثمّ قتلوا
على جمرة في عشرة عاشور تشعل
يودع أهليه ويوصي ويعجل
أصيخوا لما أوصيكموا وتقبلوا
لعظّم رزاياكم ولا تتبدلوا
وقوموا إذا جن الدجى وتقبلوا
لوقع الرزايا واصبروا وتحملوا
هلمي إلى التوديع فالأمر مهول
وعيناه من حزن تفيض وتهمل
بنا ما تمنوا في النفوس واملوا
ويدي إليّه وجهها ويقبل
يفلق هامات العدى ويقلّل
قتيلاً وراح المهمر ينعي ويعول
فأبصرن منه ما يسوء ويذهل

وخرت عليه زينب مستغيثة
وتشكو إلى الزهراء فاطم حالها
أيا أم قومي من ثرى القبر وانظري
ترى هل شهدت اليوم يا بنت أحمد
وهل أنت يا ست النساء عليمه
وهل لك علم من عليّ بأنه
علمتم وما أعلمتمونا برزئنا
فيا حسرة لا تنقضي ومصيبة
ويا عثرة للدهر لينت مقالة
أيشتهر الرأس السماوي في القنى
وتسبي بنيات الرسول حواسر
ويعنف السجاد وهو ممرض
وينظر في تلك الوجوه التي لها
وتلك الأنوف الشاخات برغمها
ولم يعجل الله العذاب لمعشر
لقد أورثتنا قتلته الطف قرحة
فلا حزنه يسلي ولا الوجد نازح
ألا يا بني المختار يا من بحبهم
خذوا بيد العبد الخليعي في غد
وأفلح من والاكم متبرء

ومعجرتها من نحرها متبلبل
وتندب مما نالها وتولول
حبيبك ملقى في الثرى لا يغسل
وخيري مكسور وعزي مذل
بأنا حيارى نستجير ونسأل
أسير عليل في القيود مغلل
وحلمتمونا اليوم ما ليس يحمل
لقد نزلت بالناس دهياء معضل
ويا صفة مغونها متزلزل
ويهدي إلى الرجس اللعين ويحمل
وينهرهن المارق المتحلل
عليل بأصفاد الحديد مثقل
تدين البدور المشرقات وتجل
تتهك ما بين الملاء وتبذل
أراقوا دماء المصطفى وتأولوا
وحزناً على مر الزمان مطول
ولا مدمني يرقى ولا الجرح يدمل
إلى الله فيمنا نابني أتوسل
فقد فاز من أضحى عليكم يعول
إلى الله من قوم أضاعوا وبدلوا

المجلس الخامس

في الليلة الثالثة من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها الإخوان ، دعوا التّشاغل عن الأهل والأوطان ، وتفكّروا فيما أصاب سادات الرّمان ، الذين بمولاتهم استحققتهم دخول الجنان ، فلو أنصف المُحبّ الوهّان لأضرمت في جسمه نيران الأحزان ، ولو صدق في المحبّة العشاق ما شجوا بالدمع المهراق ، ولعجلوا السّماح بالأرواح يوم التّلاق.

فلو تلفت نفس من شدّة الأحزان ، لتلفت نفس محبّهم عليهم ، ولو تفتت كبده من شدّة الأشجان ، لتفتت أكباد مواليتهم بالنّسبة إليهم . وهيّهات هيّهات لا وفاء للأحباء بعد الممات ، أو ما بلغكم مقال الحسين (عليه السلام) وهو يُنادي على رؤوس الأشهاد ، وما لاقاه به أهل الرّيب والفساد ، حيث أظهروا له العناد وأجابوه بخلاف ما طلب وأراد ، أسرعوا فيه وفي بنيه وبني أبيه النّبال ، فصرعوه على الآكام والرّمال ، فهم مُلقون على غير فراش ولا مهاد ، ولا وطأ ولا وساد ، تمبّ عليهم الصّبا والدّبور ، وتغدوا عليهم العقبان والنّسور ، والله درّ بعض محبّيتهم حيث قال فيهم :

لييك على الإسلام من كان باكياً	فقد ضيعت أحكامه واستحلت
غداة حسين والرماح رمية	وقد نهلته منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء حمأً مبدداً	عليه عتاق الطير باتت وظلت
فما نصرته أمة السوء إذا دعا	لقد طاشت الأحلام منها وظلت

ولكن محروا أنوارهم بأكفهم
فلا سلمت تلك الأكف وشلت
أذاقته حر القتل أمة جده
هفت نعلها في كربلاء وزلت
فلا قدس الرحمن أمة جده
وإن هي صامت للإله وصلت
كما فجعت بنت الرسول بنسلها
وكانوا حماة الحرب حين استقلت

روي عن أم سلمة زوجة النبي (ﷺ) ، قالت : دخل علي رسول الله ذات يوم ، ودخل في أثره الحسن والحسين (عليهما السلام) وجلسا إلى جانبه ، فأخذ الحسن على ركبته اليمنى ، والحسين على ركبته اليسرى ، وجعل يقبل هذا تارة وهذا أخرى ، وإذا بجبرائيل قد نزل وقال : يا رسول الله ، إنك لتحب الحسن والحسين . فقال : ((وكيف لا أحبهما وهما ريحانتي من الدنيا وقرّتا عيني ؟)) . فقال جبرائيل : يا نبي الله ، إنّ الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له . فقال : ((وما هو يا أخي ؟)) . فقال : قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً ، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبحاً ، وإنّ لكلّ نبي دعوة مستجابة ، فإن شئت كانت دعوتك لولدك الحسن والحسين ، فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل ، وإن شئت كانت مصيبتهم ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة . فقال النبي (ﷺ) : ((يا أخي جبرائيل ، أنا راض بحكم ربي لا أريد إلا ما يريد ، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمّتي ، ويقضي الله في ولدي ما يشاء)) .

وروي : أنّ النبي (ﷺ) كان ذات يوم جالساً ، وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، فقال لهم : ((يا أهل بيتي ، كيف لي بكم إذا كنتم صرعى وقبوركم شتى ؟)) . فقال له الحسين (عليه السلام) : ((يا جدّي ، نموت موتاً أو نُقتل قتلاً ؟)) . قال : ((يا بُني ، بل نُقتل ظلماً وعدواناً ، وتشرّد ذراريكم في الأرض شرقاً وغرباً)) . فقال الحسين : ((ومن يقتلنا يا جد ؟)) . فقال : ((يقتلكم أشرار الناس)) . قال : ((فهل يزورنا بعد قتلنا أحد من أمتك ؟)) . فقال : ((نعم ، طائفة من أمّتي يزورون قبوركم ويكون عليكم ويندبون وينوحون ؛ حزناً على مصابكم ؛ يُريدون بذلك برّي وصلتي ، فإذا كان يوم القيامة ، جئتهم إلى الموقف فأخذ بأعضادهم فأخلصهم من أهوال يوم القيامة وشدائدها)) . :

عجباً لمصقول أصابك حده
في الرأس منك وقد علاه غبار
لم لا تقطعت السيوف بأسرها
حزناً عليك وطننت الأوتار

فويل لأولئك الكفرة اللثام ! أما علموا أنه أشرف المقول والأحلام ؟ أليس هو ممن باهل الله به أهل نجران صغيراً ؟ وقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ (4). فضمه مع أبيه وأمه وأخيه ، فوصف بالكمال وأن يبلغ مبالغ الرجال.

روي عن الليث بن سعد ، قال : إنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) كان يُصَلِّي في فئة من أصحابه ، وكان الحسين (عليه السلام) صغيراً جالساً بالقرب منه ، فلمَّا سجد النَّبِيُّ ، قام الحسين وركب على ظهره ، فصار النَّبِيُّ يُطِيل الذِّكْر في سجوده ، فإذا أراد النَّبِيُّ أن يرفع رأسه ، أخذه أخذاً رفيقاً ووضعهُ إلى جانبه ، فإذا سجد عاد الحسين على ظهره ، ولمَّا يفعل هكذا حتَّى فرغ النَّبِيُّ من صلاته ، وكان رجل يهودي واقفاً ينظر ما يصنع الحسين بجدِّه رسول الله ، فقال اليهودي : يا مُحَمَّد ، إنَّكم لتفعلون بصبيانكم شيئاً لم نفعله نحن ! فقال النَّبِيُّ (ﷺ) : ((لو أنكم تؤمنون بالله وبرسوله ، لرحمتم الصِّبيان الصِّغار)) . فقال اليهودي : ما أحسن سجيته وما أحسن خُلقك . ثمَّ إنَّه أسلم على يد رسول الله لما رأى كرم أخلاقه مع جلالته قدره .

ومن طرفهم : أنَّ الحسين (عليه السلام) كان يركب على ظهر جدِّه في بعض صلاته ، فيبلغ به التَّعظيم للحسين أن يُطِيل الذِّكْر في سجوده إلى أن ينزل الحسين عن ظهر جدِّه باختياره ، فإذا فرغ النَّبِيُّ من صلاته ، يأخذه إليه ويجلسه على ركبتيه ، ويقبله ويرشف ثناياه ويضمُّه إلى صدره ، فقال له بعض الأنصار : يا رسول الله ، إنَّ لي ابناً قد نشأ وكبر وما قبلته قط . فقال رسول الله (ﷺ) : ((أرايت كان الله قد نزع الرِّحمة من قلبك ، فما أصنع بك ؟ من لم يرحم صغيراً ولم يوقر كبيراً ، فليس منَّا في شيء)) . ثمَّ قال : ((من لا يرحم لا يُرحم)) . :

يا أمة قتلت حسينا عنوة	لم ترع حـق الله فيه فتهتدي
قتلوه يوم الطف طعناً بالقنا	وبكل بيض صـارم ومهند
ولطال ما ناداهم بكلامه	جدي النبي خصمكم في المشهد
جدي النبي وأبي علي فاعلموا	والفخر فاطمة الزكية محتدي
يا قوم إن الماء يشربه الـورى	ولقد ظمئت وقل منه تجلدي
قد شقني عطشي وأقلقني الذي	ألقاه من ثقل الحديد الموتد
قالوا له هذا عليك محرم	حتي تباع للبغي الأسود

(1) سورة الإنسان / 8.

فَأَتَاهُ سَهْمٌ مِّن يَدِ مَشْرُومَةٍ مِّن قَوْسٍ مَّلْعُونٍ خَبِيثِ الْمَوْلِدِ
 يَا عَيْنِ جُودِي بِالْدمِوعِ وَجُودِي وَابْكِي الْحُسَيْنِ السَّيِّدِ ابْنِ السَّيِّدِ
 روي عن عبد الله بن عمر ، قال : رأيت رسول الله (ﷺ) يخطب على المنبر ، إذ أقبل الحسين من عند أمه وهو طفل صغير ، فوطأ الحسين (عليه السلام) على ذيل ثوبه فكبى وسقط على وجهه فبكى ، فنزل النبي إليه وضمه إلى صدره وسكته من البكاء ، وقال : ((قاتل الله الشيطان ! إن الولد لفتنة ، والذي نفسي بيده ، لما كبى ابني هذا ، رأيت كأن فؤادي قد وهى مني)) ؛ لأنه (ﷺ) كان رحيم القلب سريع الدمعة ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (1).

وعن أبي السعادات ، قال : خرج النبي (ﷺ) من بيت عائشة ، فمرّ على باب دار ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فسمع الحسين يبكي ، فقال لها : ((يا فاطمة ، سكتيه ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني ؟)) . أخذه إليه ومسح الدموع عن عينيه ، وقبله وضمه إليه (صلوات الله وسلامه عليه) ، فكيف ولو رآه مُلقى على الرّمضاء مذبحاً من القفا ، مرملاً بالدماء يتلظى من الظّماء ، والشّمر جاث على صدره وأولغ السيف في نحره ، وهو يستغيث فلا يُعاث ، ويستجير فلا يُجار ؟ فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، ولقد صدق فيما قال (لسان الحال) :

وما حيلة المضني وقد شط إلفه وحوال التنائي دون نيل مراده
 هو الشوق لا دمع يضرن وكوفه إذ ضن وكاف الحيا بعهاده
 وزفرة أشجان يكراد مرورها يذيب الحصى من حره واتقاده

روي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، قال : ((مرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بكربلاء ، فبكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، وقال : هذا مناخ ركابهم ، هذا ملقى رحالهم ، ها هنا تُراق دماؤهم ، طوبى لك من تربة عليها تُراق دم الأحبة ، مناخ ركاب ومنازل شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم)) .

فيا إخواني ، كيف لا يستحقّون هذه الأوصاف من صاحب الأعراف ؟ وقد وقوا ولده بأنفسهم من مصارع الهوان ، وعرضوا أرواحهم دونه للحدثان ، فوا حسرتاه على تلك الجسوم المرملة بالدماء ! ويا لهفتاه على تلك الأفواه اليابسة من الظّماء ! حسدوهم على الكمال ، وجلّ وعلا مجدهم أن ينال فأخذوا في تحصيل الفرص

(1) سورة الأحزاب / 43.

فما أمكنتهم ، جرّعوهم الغصص فخالفوا في أفعالهم الملك الجليل ، فضلوا عن الإهتداء إلى سواء السبيل ، فالويل لمن شفعاؤه يوم القيامة خصماؤه ، ومن خصماؤه يوم القيامة شفعاؤه ! وما ضرهم ما تجرّعوه من الغصص والآلام ما هي إلا لحظة واحدة ، وإذا هم في دار السّلام وجوار الملك العلام ، والله درّ من قال فيهم من بعض محبيهم :

هنيئاً لكم روح الجنان وطيبها نعيماً مقيماً دائماً يتجدد
ديار من الياقوت والأرض فضة وخيمات مرجان وفيها محمد
وأنهارها خمرة ومسك تراها وفيها قصور لؤلؤ وزبرجد
وأشجارها مملوءة من ثمارها وأطيّارها من فوقها تتغرد

روي : أنه لما ثقل رسول الله في مرضه والبيت غاص بمن فيه ، قال : ((ادعوا إليّ الحسن والحسين)) . قال : فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه ، قال : فجعل عليّ يرفعهما عن وجه رسول الله ، ففتح النبي عينيه وقال : ((دعهما يتمتعان منّي وأمتع منهما ، فإنهما سيصيبيهما بعدي أثره)) . ثم قال : ((أيّها النّاس ، قد خلّفت فيكم كتاب الله وسنّي ، سيصيبيهما بعدي أثره)) . ثم قال : ((أيّها النّاس ، قد خلّفت فيكم كتاب الله وسنّي وعترتي أهل بيتي ، فالْمُضِيع لكتاب الله كالْمُضِيع لسنّي ، والمُضِيع لسنّي كالْمُضِيع لعترتي)) .

وعن ابن عبّاس في حديث أمّ الفضل بنت الحارث ، حين أدخلت حُسيناً على رسول الله ، فأخذه رسول الله (ﷺ) وبكى وأخبرها بمقتله ، إلى أن قال : ثم هبط جبرائيل (عليه السلام) في قبيل من الملائكة ، قد نشروا أجنحتهم ليكون حزناً منهم على الحسين (عليه السلام) ، وجبرائيل معه قبضة من تربة الحسين تفوح مسكاً أذفر ، فدفعها على الحسين (عليه السلام) ، وقال : يا حبيب الله ، هذه تربة ولدك الحسين بن فاطمة ، وستقتله اللعناء بأرض كربلاء . قال ، فقال النبي (ﷺ) : ((حبيبي جبرائيل ، وهل تفلح أمة تقتل فرخي وفرخ ابنتي ؟)) . فقال جبرائيل : لا ، بل يضرهم الله بالإختلاف ، فتختلف قلوبهم وألسنتهم إلى آخر الدهر . وعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون ، وإيّاهم فليندب النّادبون ، ومثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ محمد بن السمين

دمع عين يجود غير نحيل
مساء عين لم يطف حر غرام
كيف يشقى الفؤاد من ألم الحزن
وجو الحزن لا يزال مقيماً
أين صبري إذا ذكرت قتيلاً
ما ذكرت القتيلاً إلا وسالت
وذكرى الوجد في الفؤاد وشبت
لست أنساه في الطفوف ينادي
وينادي عياله أخت : قومي
أخت : أوصيك في العيال جميلاً
نحن قوم إذا بلينا بأمر
ثم أبداً عن ذراً وقال مقالاً
أيها الناس قد علمتم بأبي
وأبي المرتضى وربي ارتضاه
والتبول الطهر الزكية أممي
راقبوا الله واسمعوا ما أتانا
واحدروا زلة الفعال وخافوا
فأبى الأشقياء إلا عدوا
عندها قال للمواسين قوموا
قاتلوا القوم ساعة ثم قتلوا
فأجاب النداء كل نجيب
فأحبوا كره الفنا وأجابوا
وغدا بعدهم فريداً ينادي
فأعينوا ولم يعينوا وأردوه
وغدا المهربا كياً يندب السبب

وغرام يقوى بجسم نحيل
وعليل فيه شفاء عليل
وداء بين الضلوع دخيل
فيه والصبر مؤذن بالرحيل
الطف ملقى أكرم به من قتيلاً
عبرتي في الحدود كل مسيل
نار حزني ولوعتي وعويلي
جيله الأكرم من أكرم جيل
لوداعي من قبل وشك الرحيل
وتلقى الـبلا بصبر جميل
نتلقاه بالرضى والقبول
واضحاً بيناً لأهل العقول
للنبي الأمي خير سليل
لهداه فما له من مثيل
خير أم أكرم بها من بتول
في الوصايا على يدي جبريل
عشرات وما لها من مقيلاً
عنه في البغي ما له من عدول
أيها القوم للثواب الجزيل
في ظلال الجنان خير مقيلاً
طيب النجر رب أصل أصيل
داعي الله للبقا الطويل
هل معين لأهل بيت الرسول
بسمر القنا وبيض النصول
ويدي بكاءه بالصهيل

قد غيبته حجب الأفول
قد رضضته أيدي الخيول
بغرام من الأسى مشغول
يا خير مرسل ورسول
نعم مولى لنا وخير كفيل
وخصب البلاد عند المحول
وجريح دامى وبين قتييل
سيّد من شبابنا وكهول
زدت حزنًا على الأسير العليل
كلّ وجه لناظر مبذول
من هوان وذلة وخمول
في حزون من الفلا وسهول
فوق الرمّاح بين الحمول
ورمّاح خطيئة ونصول
هاتف الجن بين تلك الطول
ثمّ يدي نظام سمر مقول
أبشروا بالعداب والتنكيل
من مليك ومرسل وقبيل
وموسى وصاحب الإنجيل
شؤماً وخطب أمر جليل
غير نزر من الأنام قليل
وسموت أعلا العلال الأثيل
فسمى شأن قدرها بالحلول
فركى فرعكم لطيب الأصول
وأبوكم للعلم باب الدخول
ما اهتمدنا إلى سواء السبيل

فرأى النسوة الكرائم بدر التم
وهو ملقى على ثرى الأرض في البيداء
أسفى للنساء يندبن ندباً
وينادين جدهن رسول الله
لو ترانا يا جدنا قد فقدنا
وغيث العباد إن أجذب الدهر
لو ترانا ونحن بين أسير
قتلوا كلّ ماجد وكريم
أو ترى ابنك العليل أسيراً
أو ترى أوجهاً فقدن وجهاً
وكسينا لما سلبن لباساً
أو ترانا ونحن نسرى أسارى
أو ترانا والرؤوس وهي أمام الركب
كنت جاهدت دوننا بمواض
غير يا جد أننا قد سمعنا
يندب السبب باكياً وحزيناً
أيها القاتلون ظلماً حسيناً
كل أهل السّماء تدعوا عليكم
قد لعنتم على لسان ابن داود
يا لها من مصيبة عمّت الإسلام
يا لها من محنة ولم ينج منها
آل ياسين سدتم الخلق طرّاً
وحللتهم أسماء المعالي
وكرمتهم عناصراً ونجاراً
جدكم للهدى مدينة علم
فلهدنا والله لو لا هديكم

فهديكم هو الدليل وقد قام
وولاكم فرض به قد أتتنا
من تلقى الولا بحسن قبول
تسكنوه وقد نجى من حميم
حبكم جنة له وولاكم
فاز نجل السمين من بعد هذا
أنتم سؤله وأقصى مناه
فعلكم آل التبي صلاة

بهذا الدليل صدق الدليل
بينات التنزيل والتأويل
تلقونوه بحسن القبول
تحت ظل من الجنان ظليل
جنة من عذاب يوم مهول
مذت وولاكم بخير جزيل
ورجلاه وغاية المأمول
كل يوم في بكرة وأصيل

الباب الثاني

اعلموا وفقكم الله تعالى لتحصيل الكمالات والارتقاء إلى معالي الدرجات ، أن كل جزع في المصائب قبيح إلا على أهل هدايتكم ، والأسف على الفئات مذموم عند العقلاء إلا على أئمتكم السادات النجباء ، فيا ليت لفاطم وأبيها عيناً تنظر ما صنع بناتها وبنيتها ؛ ما بين مسلوب وجريح ، ومسموم وذبيح ، ومقتول وطريح ، ومشققات للجيوب ، ومفجوعات بقتل المحبوب شاكيات بين يدي علام الغيوب ، ناشرات للشعور ، بارزات من الخدور ، لا طمات للخدود ، فاقدمات للأبناء والأبناء والجدود ، يسترن وجوههن بالأردان حذراً من أهل العناد والطغيان ، فيا لها من حسرات لا تنقضي أبداً ، ومن أحزان مجدداً طول المدى :

يا أهل عاشور يا لهفي على الدين
اليوم شقق جيب الدين وانتهدبت
اليوم قام بأعلى الطيف نادبهم
اليوم خر نجوم الفخر من مضر
اليوم أطفى نور الله متقداً
اليوم هتك أستار الهدى مزقاً
اليوم زعزع قدس من جوانبه
اليوم شققوا على الزهراء كلتها

خذوا حدادكم يا آل ياسين
بنات أحمد نهب الروم والصين
يقول من ليتيم أو لمسكين
على مناخر تذليل وتوهين
وجررت لهم التقوى على الطين
وبرقت غرة الإسلام بالهون
وهاج بالخيل سادات الميادين
وساوروها بتكيب وتوهين

اليوم نال بنو حرب طوايلهم
اليوم جدك سبط المصطفى شرفاً
نالوا أزمة دنياهم بييعهم
آل الرسول عباديد السيوف فمن
يا عين لا تدعي شبا لغادته
قومي على جدث بالطف فانتقضي
مما صلوه بييدر ثم صـفـين
من نفسه بنجيع غير مسنون
فليتهم سمحوا منها بماعون
هام على وجهه خوفاً ومسجون
تمهي ولا تدعي دمعاً لمخزون
بكل لؤلؤ دمع فيك مكنون

فيا إخواني ، تعساً لمن أردى تلك العصاة الكرام ! وخيبة لمن نكس أعلام أولئك الأعلام !

روي عن سعيد بن المسيب ، قال : لما استشهد سيدي ومولاي الحسين (عليه السلام) وحج الناس من قابل ، دخلت على علي بن الحسين ، فقلت له : يا مولاي ، قد قرب الحج فماذا تأمرني ؟ فقال : ((امض على نيتك وحج)) . فحججت ، فبينما أنا أطوف بالكعبة ، وإذا أنا برجل مقطوع اليدين ووجهه كقطع الليل المظلم ، وهو مُتعلق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم رب هذا البيت الحرام اغفر لي ، وما احسبك تفعل ولو تشققت في سكان سماواتك وأراضيك وجميع ما خلقت ؛ لعظم جرمي .

قال سعيد بن المسيب : فشغلت وشغل الناس عن الطواف ، حتى حفّ به الناس واجتمعنا عليه ، فقلنا : يا ويلك ! لو كنت إبليس ما كان ينبغي لك أن تياس من رحمة الله ، فمن أنت وما ذنبك ؟! فبكى وقال : يا قوم ، أنا أعرف بنفسي وذني وما جنيت . فقلنا له : تذكره لنا ؟ فقال : أنا كنت جملاً لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) لما خرج من المدينة إلى العراق ، وكنت أراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي ، فأرى تكته تغشي الأبصار بحسن إشرافها ، وكنت أتمناها تكون لي ، إلى أن صرنا بكرلاء وقتل الحسين (عليه السلام) وهي معه ، فدفنت نفسي في مكان من الأرض ، فلما جنّ الليل ، خرجت من مكاني فرأيت في تلك المعركة ، نوراً لا ظلمة ونهاراً لا ليلاً ، والقتلى مُطرحين على وجه الأرض ، فذكرت لحيني وشقائي التكة ، فقلت : والله ، لأطلبنّ الحسين وأرجو أن تكون التكة في سرواله فأخذها . ولم أزل أنظر في وجوه القتلى حتى أتيت إلى الحسين ، فوجدته مكبواً على وجهه وهو جثة بلا رأس ونوره مشرق ، مرقل بدمائه والرياح سافية عليه ، فقلت : هذا والله الحسين . فنظرت إلى سرواله كما كنت أراها ، فدنوت منه وضربت بيدي إلى التكة لأخذها ، فإذا هو قد

عقدتها عقداً كثيرة ، فلم أزل أحلّها حتّى حللت عقدة منها ، فمدّ يده اليمنى وقبص على التّكّة ، فلم أقدر على أخذ يده عنها ولا أصل إليها ، فدعنتي النّفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاً أقطع به يده ، فوجدت قطعة سيف مطروح فأخذتها ، واتكيت على يده ولم أزل أحزّها حتّى فصلتها عن زنده ، ثمّ نحييتها عن التّكّة ومددت يدي لأحلّها ، فمدّ يده اليسرى فقبض عليها ، فلم أقدر على أخذها ، فأخذت قطعة السّيف ولم أزل أحزّها حتّى فصلتها عن التّكّة ، ومددت يدي إلى التّكّة لأخذها ، فإذا الأرض ترجف والسّماء تهتزّ ، وإذا بجلبة عظيمة وبكاء ونداء وقائل يقول : ((واأبتاه ! وا مقتولاه ! وا ذبيحاه ! وا حسينا ! وا غريباه ! يا بُني قتلوك وما عرفوك ومن شرب الماء منعوك !)) . فلما رأيت ذلك ، صعقت ورميت نفسي بين القتلى ، وإذا بثلاثة نفر وامرأة وحوّهم خلائق وقوف ، وقد امتلكت الأرض بصور النّاس واجنحة الملائكة ، إذ بواحد منهم يقول : ((يا ابتاه يا حسين ! فداؤك جدّك وأبوك وأمّك وأخوك !)) . وإذا بالحُسين قد جلس ورأسه على بدنه ، وهو يقول : ((لبيك يا جدّاه يا رسول الله ، ويا أبتاه يا أمير المؤمنين ، ويا أمّاه يا فاطمة الزّهراء ، ويا أخاه المقتول بالسّم ، عليكم منّي السّلام)) . ثمّ إنّه بكى وقال : ((يا جدّاه قتلوا والله رجالنا ! يا جدّاه سلبوا والله نساءنا ! يا جدّاه نهبوا والله رحالنا ! يا جدّاه ذبحوا والله أطفالنا ! يا جدّاه يعزّ والله عليك أن ترى رحالنا ، وما فعل الكفّار بنا !)) . وإذا هم جلسوا ليكون على ما أصابه ، وفاطمة تقول : ((يا أباه يا رسول الله ! أما ترى ما فعلت أمتك بولدي؟! أتأذن لي أن آخذ من دم شبيهه وأخضب به ناصيتي ، وألقى الله عزّ وجلّ وأنا محتضبة بدم ولدي الحسين)) . فقال لها : ((حُذي وأنا آخذ يا فاطمة)) . فرأيتهم يأخذون من دم شبيهه وتمسح به فاطمة ناصيتها ، والنّبي وعليّ والحسن بمسحون به نحوهم وصدورهم وأبدانهم إلى المرافق ، وسمعت رسول الله يقول : ((فديتك يا حُسين ! يعزّ والله عليّ أن أراك مقطوع الرأس ، مرّق الجبينين دامي النّحر ، مكبواً على قفاك قد كساك الدّاري من الرّمول وأنت طريح مقتول مقطوع الكفّين ، يا بُني ! مَنْ قطع يدك اليمنى وثنى باليسرى ؟)) . فقال : ((يا جدّاه ! كان معي جمال من المدينة ، وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء ، فيتمنّى أن تكون تكّتي له ، فما منعني أن أدفعها إليه لا لعلمي أنّه صاحب هذا الفعل ، فلما قُتلت خرج يطلبني بين القتلى ، فقد وجدني جثّة بلا رأس ،

فتفقد سراويلي , فرأى التكة وقد عقدتها عقداً كثيرة , فضرب بيده إلى التكة فحلّ عقدة منها , فمددت يدي اليمنى فقبضت على التكة , فطلب المعركة فوجد قطعة سيف مكسور فقطع يميني , ثم حلّ عقدة أخرى , فقبضت على التكة بيدي اليسرى كي لا يحلها فتكشف عورتِي , فحزّ يدي اليسرى , فلما أراد حلّ التكة حسّ بك , فرمى نفسه بين القتلى ((.

فلما سمع النبي كلام الحسين , بكى بكاءً شديداً وأتى إليّ بين القتلى إلى أن وقف نحوي , فقال : ((مالي ومالك يا جمال , تقطع يدين طالما قبلهما جبرائيل وملائكة الله أجمعين , وتباركت بهما أهل السماوات والأرضين ؟ أما كفالك ما صنع به الملاعين من الدّل والهوان , هتكوا نساءه من بعد الخدور وانسدال الستور ؟! سوّد الله وجهك يا جمال في الدنيا والآخرة , وقطع الله يديك ورجليك , وجعلك في حزب من سفك دماءنا وتجراً على الله)) . فما استتم دعاؤه (ﷺ) حتى شلت يداي , وحسست بوجهي كأنه ألبس قطعاً من الليل مظلماً , وبقيت على هذه الحالة , فجئت إلى هذا البيت استشفع , وأنا أعلم أنه لا يغفر لي أبداً . فلم يبق في مكة أحد إلا وسمع حديثه وتقرّب إلى الله تعالى بلعنه , وكلّ يقول : حسبك ما جنيت يا لعين : ﴿

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١﴾ .

وإني لمطوي الضلوع على جوى متى حل فوق الجمر يحترق الجمر
أحن إلى أنفاسكم ونسيمكم واذكركم والصب يلقه الذكر
فقربكم مع قلة المال لي غنى وبعدمكم مع كثرة المال لي فقر

روي عن الصادق (عليه السلام) , أنه قال : ((البكاؤن خمسة : آدم ويعقوب ويوسف , وفاطمة بنت محمد , وعليّ بن الحسين (عليه السلام) , فأما آدم فبكى على الجنة حتى صارت في خديه أمثال الأودية , وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره , حتى قيل له : ﴿ تَاللّهِ نَفْتًا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (2) . وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن , فقالوا : إما تبكي بالليل وتسكت النهار , أو تبكي بالنهار وتسكت الليل , فصالحهم على واحد منهما , وأما فاطمة بنت محمد , فبكت على رسول الله حتى تأذى بها أهل المدينة , وقالوا لها : قد آذيتنا بكائك , فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء , فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف , وأما عليّ بن الحسين (عليه السلام) , فإنه بكى على الحسين (عليه السلام) أربعين سنة , وما

(1) سورة الشعراء / 227.

(2) سورة يوسف / 85.

وضع بين يديه طعاماً إلا بكى , حتى قال مولى له : جعلت فداك يا بن رسول الله , إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين , فيقول : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1) . إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنفتني العبرة . ((

تعودت مس الضر حتى أفتته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيرني ياسي من الناس وانقأ بحسن صنيع الله من حيث لا أدري
روي عن بعض المشايخ , قالوا : دخلنا كنيسة في الروم , فإذا في الحائط صخرة مكتوب عليها :
أترجوا أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب
فقلنا لشيخ في الكنيسة : منذ كم هذه الكتابة في هذه الصخرة ؟ قال : قبل أن يُبعث صاحبكم بثلاثمئة عام . فأكثرها أيها
الإخوان من التوح والأحزان على ما أصاب سادات الزمان من أهل البغي والعدوان , ولا تبخلوا بالدموع الهتان , فإنها السبب
التام لدخول الجنان والخور والولدان .

فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب التادبون , ومثلهم تذرف الدموع من العيون , أو لا
تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ راشد بن سليمان الحريري (رحمه الله تعالى)

حسين ابن بنت المصطفى خيرة الورى وأكرم خلق الله طوراً وأفضلاً
قتيل بني حرب وآل أمية فدبت القتييل المستظام المجدلاً
دعيت بكتب الخدع أن سر مبادراً إيننا وشمير للمسير وعجلاً
فليس لنا إلا جنابك سيد إمام رشيد بالفخار تسربلاً
فسار حسين الطهر من أرض يثرب بذرية والأهل والصحب والملا
وجد السير يطوي الفيافي ميمماً إلى أن أتى في سيره أرض كربلاً

(1) سورة يوسف / 86.

فلم ينبعث مهر الحُسين بخطوة
فقالوا : تسمى كربلا قال هونوا
ففي هذه يا قوم قتلي ومصرعي
وفي هذه تضحي الرؤوس على القنا
وفي هذه نبقي على الأرض صرعا
قفوا وانزلوا يا قوم إن بهذه
فلا حول لي يا قوم بل لا قوة
فما كان إلا ساعة ثم أقبلت
وحاطوا بمولاي الحُسين وصحبه
ألا تكتبوا لي بالمسير إليكم
فليس لنا كتب إليك ولا أتى
فقال اتركوني نحو يثرب راجعاً
لقد علقتم فيكم مخالبتنا فلا
فصال عليهم صولة عليوة
إلى أن سقوا أصحابه جمرة الردى
يكر عليهم كرة إثر كرة
فخر عن الطرف الجواد لوجهه
وأقبل شمر الرجس فاحتز رأسه
وركب رأس السبب فوق قناته
وأقبل مهر السبب يصرخ ناعياً
فلما رأين المهر قد جاء خالياً
وشققن منهن الجيوب بحسرة
وصحن ألا وا سيدها بربيه
وهبت خيول الظالمين بركظها
وهشمت الصدر الكريم وظهره
وأظلمت الدنيا وأكسفت شمسها

فقال ألا يا صاحبي ما هذه الفلا
مسيركم يا قوم قد نزل البلا
وهتك حريمي عاجلاً لا مؤجلاً
تسير بها الأقسام أن تتمهلاً
بلا كفن نلقى ولن تنغسلاً
نقلاً على رؤوس القنا ونزللاً
ولا حكم لي إلا لذي الطول والعلی
جيوش ابن سعد جحفاً ثم جحفاً
فقال لهم ما شأنكم أيها الملا
فقالوا له دع عنك هذا التطولا
رسول فأقصر عن كلامك مجملاً
فقالوا له هيهات لن تتحولاً
براح إلى أن تقتلن وتخذلنا
فحكم فيهم اسماً ثم منصلاً
وظل وحيداً للأذى متحملاً
إلى أن أتاه سهم رجس فجداً
عفيراً خضيباً بالدماء مغسلاً
وكبر لله العلي وهلاً
كبدر الدجى في دمه قد ترملاً
إلى خيمة النسوان يكي معولاً
خرجن من الفسطاط يكين حفلاً
وأبرزن من بعد الخدور إلى الملا
تكاد لها الأطواد أن تنزللاً
لتجري على جثمانه وتمرولاً
وقطعت الأوصال عال واسفلاً
وزلزلت الأرضون منه تزللاً

وناحت عليه من عظم شجوها
وهتكت النسوان من بعد صونها
بنفسي صريعاً ظامياً مرضضاً
بنفسي طريحاً نازحاً عن دياره
بنفسي نساء السبب بيكين حوله
بنفسي علي بن الحسين مقيداً
تناديه بالشجوة العظيم سكينه
وزينب تدعو جدها يا محمد
أيا جدنا يعزز عليك بأن ترى
ونادى ابن سعد بالطغاة ألا ارحلوا
وساقوا السببا حاسرات أذلة
وساروا برؤوس الطاهرين وخلفوا
تجر عليه السافيات ذبولها
أيا لهف نفسي يوم سير برأسه
ونسوته فوق المطايا حواسراً
ويروى لنا عن جابر أن فاجراً
وقد كان جمالاً لمولاي أنفياً
وكان كثيراً قد يرى معه تكة
وتغشى سنا الأبصار حسناً ورونقاً
وكان يقول الرجس يا ليتها تكن
فلما أتى أرض العراق ميمماً
وقد قصد الملعون بطن مغارة
فقام اللعين الرجس جذلان باسمماً
ومد إلى نحو الحسين يمينه
فلما أراد الرجس حل عقودهها
وشد بها يميني يديه مدافعاً

وجبريل نادى في السماء وأعولاً
يصحن بشجوة لا طمات وذللاً
بنفسي ذيحاً بالتراب مغسلاً
تريب المحبي عاري الجسم مجدلاً
ظمايا حيارى حاسرات وثكلاً
بقيد ثقيل بالحديد مكبلاً
أيا أبتا ماذا دهانا واثكلاً
أيا جدنا يا صفوة الله ذي العلاء
حبيبك مقتولاً عفواً مجدلاً
إلى الشام لم نلبث ولن نتمهلاً
وغاروا على ابن الحسين مغللاً
حسيناً بأرض الطف شلواً مجدلاً
وتبكي عليه الوحوش والطيور في الفلا
على رأس رمح نوره قد تهللاً
بلا وطاء بين الخلائق والملا
لئيماً على فعل النقي لن يعولاً
وكان الحسين الطهر للرجس موئلاً
حجازية حازت نساجاً مكماً
وتشرق إشراقاً كبدراً تهللاً
لمثلي ملبوساً عطاء معجلاً
وجدل مولاي الحسين بكرلاً
إلى أن دجي الليل البهيم والبللاً
وجاء إلى نحر الحسين معجلاً
ليأخذ منه تكة لن تعولاً
فمانعه مولاي أن تتحللاً
فلم يقدر الملعون أن يتوصلاً

من الزند أبراهاماً وعظاماً ومفصلاً
إذا يسار السبب صار محولاً
فطير منه الكف بالسيف معجلاً
به الأرض رجفاناً فاثنتي وتزلزلاً
فقام اللعين الرجس حيران مجفلاً
إذا برسول الله في الأرض أنزللاً
تسبح لله المهيمن ذي العلالا
يعزز علينا أن نراك مجدلاً
عفيراً نحيراً بالدماء مغسلاً
وقال ألا لبيك يا سيّد الملا
علينا وأسقونا العذاب معجلاً
وأبدي بكاءً عاجلاً وتوجلاً
لوجنة مولاي الحسين مقبلاً
فأسقيهم كأس المنون معجلاً
لرأسك من فوق القناة محملاً
فلم يك جبار السماء ليغفلاً
ولا غاسلاً يأتي إليك ليغسلاً
بدم الحسين الطهر حتى تبللاً
وأشكو إليه ما الاقي من البلاً
فما فعل الرجس اللعين المضللاً
ولا راقب الله المهيمن ذا العلالا
إلى الطف جمال وكان مضللاً
فلما قتلت الآن قام معجلاً
أقام على الطغيان لن يتبدلاً
وأهوى إلى تلك العقود ليحللاً
رمى نفسه كي لا تراه فيقتلاً

فحز يمين السبب بالسيف عامداً
وأهوى إليها كي يحل عقودها
فلم يستطع تحريك كف إمامنا
فحل سراويل الإمام فأرجفت
فأسمع ذات الرجس صوت مهول
وجاء إلى القتلى فألقى بنفسه
وأهبطت الأملاك من كل جانب
فنادى رسول الله يا سبط أحمد
يعزز علينا أن نراك مرضضاً
إذا بحسين الطهر قد صار جالساً
ألا يا رسول الله صالت أمية
فصاح رسول الله إذ ذاك صيحة
وجاء على الطهر بيكيه ناعياً
وقال ألا يا ليتني كنت حاضرراً
يعزز علينا يا حسين بأن نرى
حسين ألا يا شق روعي ومنيتي
فديتك لا قبيراً ولا كفنناً أرى
وأقبلت الزهراء تمسح فرقتها
فقالت الاقي الله في يوم حشرنا
فقال رسول الله يا سبط أحمد
ومن قطع الكفين منك بسيفه
فقال له يا جد قد كان صحتي
وقد كان ينظر في سراويل تكتي
ليأخذها مني فمانعته وقد
فقص يدي اليمنى وثني بأختها
فلما أحسن الرجس أنك هابط

رأى الرجس في وسط المغارة قد خلا
ويا شر خلق الله طراً وأنذلا
وسود منك الوجه يا أرذل الملا
وأصلاك ناراً حرها لن يبدلا
إذ بيديه قد أبيت من العلا
ظلامه ليل حالك ليس يجتلا
وعجلهم ثم الدلام ونعثلا
تغشاهم ما دامت الأرض والفسلا
وخولى وشمراً وابن سعد المضللا
وأتباعهم أو من لهم كان قد تلى
ملاذي وذخري لا أبالي بمن قلى
ولا خيب الرحمن من قد توكللا
وحاشاكموا أن تحرموا المتأمللا
منمقة الألفاظ تحلو لمن قلى
ويعلوه ظل في الجنان مظللا
وما أن حدى الحادي وركب تحملا

فمد رسول الله في الطرف طرفه
فقال رسول الله يا أرذل السورى
عليك من الله المهيم لعنة
وأشلل منك الكف يمين ويسرة
فلما استتم الطهر منه دعاؤه
وسود منه وجهه فكأنه
ألا لعن الرحمن آل أمية
عليهم من الله المهيم لعنة
وتغشى يزيد الرجس وابن سمية
وأشباعهم أو من رضي رفعالهم
أيا سادتي يا آل أحمد أنتم
وإني عليكم وافد متوكل
أؤمل أن أحظى بحور وجنة
فدونكم ابن الحري مذحة
بها يرتجى منكم شفاعتكم غداً
عليكم سلام الله ما در شارق

الباب الثالث

يا إخواني ، شهد لهم بالفوز الجليل والثناء الجميل الربّ الجليل ، فقال تعالى في كتابه المكنون لا يمسه إلا المطهرون : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (1) . ولا جهاد أعظم من جهاد أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) ، أذن لهم في ترك القتال ومقاسات الأهوال ، فأبوا واختاروا الموت على الحياة في طاعته ، واحبوا مفارقة الدنيا دون مفارقتة :

جادوا بأنفسهم في حب سيدهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود
يُعد أحدهم مصافحة الصّفاح غنيمة باردة ، ومزاحمة الرّماح فائدة زائدة ،

(1) سورة التّوبة / 20.

ومكافحة الكتاب مكرمة عائدة ، ومناوحة المقانب منقبة شاهدة :

يرى الموت أولى من ركوب دنية ولا يغتدي للناقصين عديلا
ويستعذب التعذيب فيما يفيد نزهة عن أن لا يكون ذليلا
فوا حر قلباه على تلك الأجساد بلا مهاد ووساد !

روي : أنّ فاطمة (عليها السلام) أتت النبي (صلى الله عليه وآله) وهي تبكي وتقول : ((خرج الحسن والحسين ولا أدري أين هما ؟)) . فقال : ((يا فاطمة ، طيبي نفساً فهما في ضمان الله تعالى حيث كانا)) . فنزل جبرائيل (عليه السلام) ، فقال : هما في حائط بني التجار نائمان متعانقان ، وقد بعث الله إليهما ملكاً ، فبسط جناحاً تحتها وجناحاً فوقهما . فخرج رسول الله وأصحابه معه ، فرآهما هناك (وحية) دائرة كالحلقة حولهما ، فأخذهما رسول الله على سكينه فحملهما ، فقال أصحابه : نحملهما عنك يا رسول الله . فقال : ((نعم المطية مطيتهما ، ونعم الركبان هما ، وأبوهما خير منهما)) .

ألا فيا إخواني ، هذا هو الشرف الرفيع والفضل الشامخ المنيع ، ولذا حسدوهم على الكمال فجلّ وعلا مجدهم أن ينال :
إليكم كل منقبة تؤول إذا ما قيل جردكم الرسول
وفـيكم كل مكرمة تجـول إذا ما قيل أمكم التـول
فلا يبقى لمـادحكم كلام إذا تمّ الكلام فـما أقـول

روي : أنّ فاطمة (عليها السلام) جاءت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تبكي ، فقال : ((ما يبكيك ؟)) . فقالت : ((ضاع منّي الحسين فلا أجده)) . فقام النبي (صلى الله عليه وآله) واغروقت عيناه وذهب ليطلبه ، فلقيه يهودي فقال : ((يا محمد ما لك تبكي ؟)) . فقال : ((ضاع ابني)) . فقال : لا تحزن فإنّي رأيته على تل كذا نائماً . فقصدته النبي (صلى الله عليه وآله) واليهودي معه ، فلمّا قرب من التل ، رأى ضرباً بغمه غصن أخضر يروح به إلى الحسين ، فلمّا رأى الضبّ النبي ، قال بلسان فصيح : السّلام عليك يا زين القيامة . وشهد له بشهادة الحقّ ، ثمّ قال : لم أر أهل بيت أكثر بركة من أهل بيتك ؛ لأنّ ولدي ضاع منّي ثلاث سنين ، فطفت العالم أطلبه فلم أجده ، فببركة ولدك وجدته الآن فأكافيه . ثمّ قال ولد الضبّ : يا رسول الله ، أخذني السّيل فادخلني البحر ، ثمّ ضربت بي الأمواج إلى أن وقعت

بجزيرة كذا ، فلم أجد سبيلاً ومخرجاً منها حتى أهبَّ الله ريحاً فأخذتني وألقتني في هذا الموضع عند أبي . فقال (ﷺ) : ((من تلك الجزيرة إلى ههنا ألف فرسخ)) . فأسلم اليهودي وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . :

لآل مُحَمَّدٍ أَصْـبَحْتَ عِبْـدًا وَآلِ مُحَمَّدٍ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ
أَنَاسٍ حَلَّ فِيهِمْ كُلَّ خَيْرٍ مَوَارِيثِ النَّبِـوَةِ وَالْوَصِيَّةِ

روى ابن عباس ، أنه قال : لما ولد الحسين (ع) ، أمر الله عزَّ وجلَّ جبرائيل أن يهبط إلى الأرض بألف من الملائكة المقربين ؛ ليهنئ مُحَمَّدًا خاتم النبيين بمولود سيِّدة نساء العالمين ، قال : فهبط جبرائيل مع الملائكة على جزيرة من جزائر البحر ، فرأى فيها ملكاً يُقال له (فطرس) - وكان قد أرسله الله إلى أمر من أموره ، فأبطأ عليه فغضب عليه ، فكسَّر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة مدَّة طويلة ، فمكث الملك يعبد الله تعالى سبعمئة عام حتى ولد الحسين (ﷺ) - فقال الملك : يا أخي جبرائيل ، أين تريد ؟ فقال : إنَّ الله تعالى أنعم على مُحَمَّدٍ بمولود من ابنته ، فُبُعِثت إليه أهنئه عن الله تعالى . فقال الملك : يا جبرائيل ، قد مكثت في هذه الجزيرة سبعمئة سنة ، وقد ضاق صدري وعيل صبري أريد أن تحملني معك إليه ؛ لعل مُحَمَّدًا يدعو لي بالعافية ، ويشفع لي عند الله تعالى في جبر جناحي المكسور . قال : فحمله جبرائيل معه على طرف ريشة من جناحه حتى أدخل به على النبي (ﷺ) ، فهنأه جبرائيل من الله تعالى ومنه ، وأخبره بحال الملك فطرس ، فقال النبي (ﷺ) : ((يا جبرائيل ، قُلْ له : يقوم ويمسح بجناحه بهذا المولود وعد إليَّ)) . قال : فقام الملك ومسح جناحه المكسور بالحسين (ﷺ) ، فعوفي من ساعته وصار كما كان ، فقال الملك فطرس : يا رسول الله ، اعلم أنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُ وَلَدَكَ هَذَا - يعني الحسين (ﷺ) - وله عليّ مكافأة . يا مُحَمَّد ، لا يزوره زائر إلاَّ أبلغته عنه الزيارة ، ولا يسلم عليه مُسَلِّمٌ إلاَّ أبلغته سلامه ، ولا يُصَلِّي عليه مُصَلِّ إلاَّ أبلغته صلواته . ثمَّ ارتفع طائراً إلى السَّماء ؛ ببركة الحسين سيِّد الشهداء ، وهو يقول : مَنْ مثلي وأنا عتيق الحسين بن فاطمة ، وعتيق جدِّه النبي الأُمِّي . قال ابن عباس : فهذا الملك لا يُعرف في السَّماء بين الملائكة إلاَّ أن يُقال : هذا مولى الحسين (ﷺ) .

ونُقل عن أبي جعفر الطُّوسي في (مصباح الأنوار) ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا

غضب على هذا الملك ، خيّر في عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة ، فاختار عذاب الدنيا ، فكسّر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة ، وكان مُعلّقاً بأشفار عينيه سبعة سنة ، لا يمرّ به حيوان من تحته إلا احترق من دخان يخرج منه غير منقطع ، فلمّا أحسّ بجبرائيل والملائكة النازلين من السماء ، كان ما كان من أمره بإذن الله تعالى ، فعفى الله عنه ببركة الحسين (عليه السلام) .

فانظروا يا أهل المعالي إلى هذا الشرف العالي ، جعلنا الله وإياكم من أشياعهم وأتباعهم ومواليهم :

نعم بإذكارى كـربلاء ومن بها تفـاقم كـربى واسـتحم بلائى
وأنفذ عيني ماءها بكائها عليهم وقد أمـددها بدمائى
وسيق بنو بنت النبي محمد إلى الشام للذبح العنيف كشائى
فيا ويح قوم قاتلوهم إذا بدا شفيعتهم في معرض الخصماء

عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (1) . قالوا : يا رسول الله ،

من قربتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم ؟ قال : ((عليّ وفاطمة وابناهما)) .

وعن الحسين بن عليّ (عليه السلام) ، قال : ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فاطمة بهجة قلبي ، وابناها ثمرة فؤادي . بعلمها نور

بصري ، والأئمة من ولدها أمنائي وحبلى الممدود بينه وبين خلقه ، ومن اعتصم بهم نجى ، ومن تخلف عنهم هوى)) .

وعن بلال بن حمّامة ، قال : طلع علينا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فقام عبد الرحمن بن عوف ،

فقال : يا رسول الله ، ما هذا النور ؟ فقال : ((بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي ، وإنّ الله تعالى زوج عليّاً من

فاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى ، فحملت رقاقاً - يعني : صكاً - بعدد محبّي أهل بيتي ، وأنشأ من تحتها

ملائكة من نور ودفع إلى كلّ ملك صكّاً ، فإذا استوت القيامة بأهلها ، نادى الملائكة في الخلائق ، فلا تلقى محبّاً لنا أهل

البيت إلا دفعت إليه صكّاً ، فيه فكاكه من النار بأخي وابن عمّي وإبنتي)) .

عن جابر قال : رأى رسول الله على فاطمة كساء من أوبار الإبل وهي تطحن ، فبكى وقال : ((يا فاطمة ، اصبري على

مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً)) . قال : فنزلت عند ذلك : ﴿ وَاسْتَوْفُ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (2) :

محـن الزـمان سـحائب مترادفة هي بالفـواحـع سـاجمة

(1) سورة الشورى / 23 .

(2) سورة الصّحى / 5 .

وإذا المهموم تعاورتك فسألها بمصائب أولاد البتولة فاطمة

عن ابن عباس قال : كنت جالساً بين يدي النبي (ﷺ) ذات يوم ، وبين يديه عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، إذ هبط جبرائيل ومعه تَفَاحَة ، فتحيّا بها النبيّ وحيا بها عليّ بن أبي طالب ، فتحيّا بها عليّ وقبلها وردّها إلى رسول الله ، فتحيّا بها رسول الله وحيا بها الحسن ، فتحيّا بها الحسن وقبلها وردّها إلى رسول الله ، فتحيّا بها رسول الله وحيا بها الحسين ، فتحيّا بها الحسين وقبلها وردّها إلى النبيّ ، فتحيّا بها (ﷺ) وحيا بها فاطمة ، فتحيّت بها فاطمة وقبلتها وردّها إلى النبيّ ، فتحيّا بها الرّابعة وحيا بها عليّ بن أبي طالب ، فتحيّا بها عليّ بن أبي طالب ، فلما همّ أن يردها إلى النبيّ (ﷺ) ، سقطت التّفاحَة من بين أنامله فانفلقت نصفين ، فسطع منها نور حتّى بلغ السّماء ، فإذا عليها سطران مكتوبان : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، تحيّة من الله تعالى إلى مُحَمَّد المصطفى ، وعليّ وفاطمة الزّهراء ، والحسن والحسين سبطي رسول الله ، وأمان لمحبيهما يوم القيامة من النّار.

وعن أبي سلمان - راعي رسول الله (ﷺ) - قال : سمعت رسول الله يقول : ((ليلة أُسري بي إلى السّماء ، قال لي الجليل جلّ جلاله : ﴿ أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (1) . قُلت : والمؤمنون . قال : صدقت يا مُحَمَّد ، مَنْ خَلَفْتَ فِي أُمَّتِكَ ؟ قُلت : خيرها . قال : عليّ بن أبي طالب ؟ قُلت : نعم يا رب . قال : يا مُحَمَّد ، إنّي اطلعت على الأرض إطلاعة فاخترتك منها ، فشقققت لك اسماً من اسمائي ، فلا أذكر في موضع إلّا ذُكرت معي ، فأنا المحمود وأنت مُحَمَّد ، ثمّ اطلعت الثّانية ، فاخترت منها عليّاً وشقققت له اسماً من اسمائي ، فأنا الأعلى وهو عليّ . يا مُحَمَّد ، إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة ، والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري ، وعرضت ولايتكم على أهل السّماوات وأهل الأرض ، فمَنْ قبلها كان عندي من المؤمنين ، ومَنْ جردها كان عندي من الكافرين . يا مُحَمَّد ، لو أنّ عبداً من عبدي ، عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشّن البالي ، ثمّ اتاني جاحداً لولايتكم ، ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم . يا مُحَمَّد ، تحبّ أن تراهم ؟ قُلت : نعم يا رب . فقال لي : التفت إلى يمين العرش . فالتفت ، وإذا أنا بعليّ وفاطمة ، والحسن والحسين ، وعليّ بن الحسين ، ومُحَمَّد بن عليّ ، وجعفر بن مُحَمَّد ، وموسى بن جعفر ، وعليّ بن

(1) سورة البقرة / 285.

موسى ، ومُحمَّد بن عليّ ، وعليّ بن مُحمَّد ، والحسن بن عليّ ، والمهدي ، في ضحضاح من نور ، قيام يُصلِّون وهو في وسطهم - يعني المهدي - كأنّه كوكب دريّ ، وقال : يا مُحمَّد ، هؤلاء الحجج ، وإنّه - يعني المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - الحجّة الواجبة لأوليائى والمنتقم من أعدائى)) .. :

هم النور نور الله جلّ جلاله	هم التين والزيتون والشفيع والوتر
مهابط وحي الله خزان علمه	ميامين في أيّباتهم نزل الذكر
وأسماءهم مكتوبة فوق عرشه	ومكنونة من قبل أن يخلق النذر
فلولاهم لم يخلق الله آدمياً	ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو
ولا سطحت أرض ولا رفعت سما	ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر
ونوح بهم في الفلك لما دعا نجى	وغيض به طوفانه وقضى الأمر
ولولاهم نار الخليل لما غدت	سلاماً وبرداً وانطفئ ذلك الجمر
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه	ولا كان عن أيوب ينكشف الضر
ولان لداود الحديد بسرهم	وقدر في سر يحير به الفكر
ولما سليمان البساط بهم دعا	اسيلت له عين يفيض بها القطر
وسخرت الريح الرجاء بأمره	فغدوتها شهر وروحتهها شهر
وهم سر موسى في العصا عندما عصى	أوامره فرعون والتقشف السحر
ولولاهم ما كان عيسى بن مريم	يغادر من طي اللحود له نشر
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم	فكل نبي فيه من سرهم سر
مصائبكم يا آل طه مصيبة	ورزء على الإسلام أحدثه الكفر

فيا إخواني ، على مثل هؤلاء فليكن الباكون ، وإياهم فليندب التادبون ، ومثلهم تذرف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عزته الأحران وتتابع عليه الأشجان ، فنظم فيهم وقال :

القصيدة للشيخ ابن حماد (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

أيفرح من له كبد يذوب	وقلب من صبابته كئيب
وقفت بكربلاء فهيجت لي	كروياً ليس يشفيها طيب

ومثل لي الحسين بهما غريباً
فلا سعد ابن سعد حين حرب
عجبت لهم وحلم الله عنهم
حبيب محمد فيهم صريع
بنات محمد فيهم سببا
كأني بالنساء مهتكات
فلما أن بصرن به صريعاً
سقطن على الوجوه مولولات
وشققن الثياب عليه حزنأ
وأنت زينب من حزن قلب
ونادت لبت أمي لم تلدني
تنادي اختها يا أخت قومي
فيا لبت المنيعة قدمتنا
أخيلة لا حيننا بعد هذا
فوا حزنأ ووا سلباً إذا ما
فيا رب السماء إليك نشكو
سأبكي ما حييت لهم وأبكي
صلاة الله والأملاك تترى
سأنشر فضلهم سرراً وجهراً
وحسبي مدح ساداتي حبيباً
هم نجباء خير الخلق طراً
وذكرهم يبين كل أصل
لعبدكم ابن حماد قريض

بنفسي ذلك الثاوي الغريب
إلى حرب الحسين به الحروب
وكل فعالمهم تعس عجيب
يناديهم وليس له مجيب
ورحل محمد فيهم نهي
علين الكآبة والشحوب
له خد على الرضا تريب
وادمعون وأكفة تصوب
وشقت منهم أسفاً جيوب
بنار الوجهد محترق يذوب
ولم أرى ما الذي بك يا غريب
فموتك بعد سيدنا قريب
ومتنا قبل ما قتل الحبيب
فإن حياتنا ليست تطيب
تراءى جسمه العاري السليب
فأنت على فعالمهم رقيب
وقل لهم بكائي والنحيب
عليهم ما سرت في الأرض نيب
وألعن ثم من لهم يعيب
بهم أرجو النجاة ولا أخيب
وليس يحبهم إلا نجيوب
بهم عرف المطهر والمشوب
يلذ سماعه الفطن اللبيب

المجلس السادس

في اليوم الثالث من عشر المُحَرَّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها المؤمنون النَّاصِحون والأَتْقياء الصّالحون , إجروا الدّماء من العيون واهجروا لذيذ الرّقاد من الجفون , لهذا الخطب العظيم والتّزء الجسيم , مصاب أبكى الرّسول والزّهراء البتول والسّماء دماً , وأقيم له فوق الطّباق مائماً , فوا أسفاه على ما تجرّعه من الحتوف ومرارات حرّ السّيوف !

فيا إخواني , بالغوا في النّوح والإجتهد , وأعدّوه أكرم الرّاد ليوم المعاد , على قوم بهم أفيضت عليكم النّعم الفاخرة في الحياة الدّنيا والآخرة , وكيف لا نحزن لفتية عصمهم الله من الخطأ والزّلل , وجعلهم سفن النّجاة ليمنّ بهم اتصل , كما ورد في الخبر عن سيّد البشر , أنّه قال : ((أهل بيتي كسفينة نوح في قومه , من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك)) . أعلام الله في أرضه وحججه على عباده , فرسان الكلام وولاة الإسلام , المجاهدون في سبيل ذي الجلال بالأنفس والأموال , الصّابرون على عظم النّكال وشديد الوبال :

لهم وجوه على الأنوار مشرقة	تضيء نوراً بإشراق ولمعان
تضيء أنوار آثار السجود لها	لما بها من علامات وعنوان
لهم بالطف من جسد	مسرّبل بقميص النقع عريان
ملقى على الأرض هوناً بعد غربته	بلا حنوط ولا غسل وأكفان

زهـر المناقب من شـيب وشـبان
وكل نجم هـوى رجم لـشيطان
تـروي ويقتـل فيها غير ديان
يشـكو إلى الله من فقـد ووجـدان
لهـفي للمهوفـة تشـكو للهفـان
بكسر قلب من الأحزان مالان
فكيف لم تجر من عيني عينان
إذا تنشـفته في الـترب أحـياني
لا ينقضـي وصـباباتي وأشـجاني

لهـفي وقد صـرعوا من حولـه نـفر
كأنهم أنجم تنقض من فلك
لهـفي وقد خرّ والرمضاء من دمه
لهـفي على مهـره إذ مرّ منقلباً
لهـفي لنسـوته يندبـنه أسفـاً
لهـفي لفاطمـة تدعوه صـارخة
وكل عين على هذا المصاب جرت
يا آل أحمد يا من طيب ذكـرهم
حزني لكم مثل ودي دائماً أبداً

روي عن طريق أهل البيت (عليهم السلام): ((أنه لما استشهد الحسين ، بقي في كربلاء صريعاً ودمه على الأرض مسفوحاً ، وإذا بطائر أبيض قد أتى ومسح بدمه ، وجاء والدم يقطر منه ، فرأى صوراً تحت الظلال على الغصون والأشجار ، وكلّ منهم يذكر الحبّ والعلف والماء ، فقال لهم ذلك الطير المتلخ بالدم : يا ويلكم ، أتشتغلون بالملاهي وذكر الدنيا والمناهي ، والحسين في أرض كربلاء في هذا الحرّ مُلقى على الرّمضاء ، ظام مذبوح ودمعه مسفوح؟! فعادت الطيور كلّ منها قاصدة كربلاء ، فرأوا سيدنا الحسين (عليه السلام) مُلقى في الأرض ، جثة بلا رأس ولا عُسل ولا كفن ، قد سفت عليه السّواني ، وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بجوافرها ، زوّاره وحوش القفار ، وندبته جنّ السّهول والأوغار ، قد أضاء التّراب من أنواره ، وأزهر الجو من إزهاره ، فلمّا رآته الطيور ، تصايحن وأعلنّ بالكباء والتّبور ، وتواقعن على دمه يتمرغن فيه ، وطار كلّ واحد منهم إلى ناحية يُعلم أهلها عن قتل أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، فمن القضاء والقدر أنّ طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرسول ، وجاء يرفرف والدم يتقاطر من أجنحته ، ودار حول قبر سيّدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعلن بالنداء : ألا قُتل الحسين بكربلاء ! ألا ذُبِح الحسين بكربلاء ! فاجتمعت الطيور عليه وهم يبكون عليه وينوحون ، فلمّا نظر أهل المدينة من الطيور ذلك النّوح ، وشاهدوا الدّم يتقاطر من الطير ، ولم يعلموا ما الخبر حتّى انقضت مدّة من الزّمن ، وجاء خبر مقتل الحسين (عليه السلام) ، علموا أنّ ذلك الطير كان يخبر رسول الله بقتل ابن فاطمة

البتول , وقرّة عين الرسول ((.

وقد نُقل أنّه في ذلك اليوم الذي جاء فيه الطّير إلى المدينة , أنّه كان في المدينة رجل يهودي , وله بنت عمياء زمنة طرشاء مشلولة , والجذام قد أحاط ببدنها , فجاء ذلك الطّائر والدّم يتقاطر منه , ووقع على شجرة يبكي طول ليلته , وكان اليهودي قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان , وتركها في البستان الذي جاء الطّير ووقع فيه , فمن القضاء والقدر أنّ تلك الليلة عرض لليهودي عارض , فدخل المدينة لقضاء حاجته , فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيها ابنته المعولة , والبنت لما نظرت أباه لم يأتها تلك الليلة , لم يأتها نوم لوحدها ؛ لأنّ أباه كان يحدّثها ويسلّيها حتّى تنام , فسمعت عند السّحر بكاء الطّير وحنينه , فبقيت تتقلب على وجه الأرض إلى أن صارت تحت الشّجرة التي عليها الطّير , فصارت كلّما حنّ ذلك الطّير , تجاوبه من قلب محزون , فبينما هي كذلك إذ وقع من الطّير قطرة من الدّم , فوقعت على عينها ففتحت , ثمّ قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرئت , ثمّ قطرة على يديها فعوفيت , ثمّ على رجليها فبرئت , وعادت كلّما قطرت قطرة من الدّم , تلتطخ بها جسدها , فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحسين (عليه السلام) , فلمّا أصبح الصّباح , أقبل أبوها إلى البستان فرأى بنتاً تدور ولم يعلم أنّها ابنته , فسألها : أنّه كان لي في البستان بنت عليلة لم تقدر أن تتحرّك. فقالت ابنته : والله أنا ابنتك . فلمّا سمع كلامها وقع مغشياً عليه , فلمّا أفاق قام على قدميه , فأتت به إلى ذلك الطّير , فرآه وكرّاً على الشّجرة يئنّ من قلب حزين محترق ؛ مما فُعل بالحسين (عليه السلام) , فقال له اليهودي : بالذي خلقك أيّها الطّير , أن تكلمني بقدرة الله تعالى . فنطق الطّير مستعبراً , ثمّ قال : اعلم أيّ كنت وكرّاً على بعض الأشجار مع جملة من الطّيور قبالة الظّهر , وإذا بطير ساقط علينا وهو يقول : أيّها الطّيور ! تأكلون وتتعمون والحسين في أرض كربلاء في هذا الحرّ على الرّمضاء طريحاً ظامياً , والنّحر دام ورأسه مقطوع على الرّمح مرفوع , ونساءه سبايا حفاة عرايا . فلمّا سمعن بذلك , تطايرن إلى كربلاء فرأيناه في ذلك الوادي طريحاً , الغسل من دمه والكفن الرّملي السّافي عليه , فوقعنا كلّنا ننوح عليه ونتمرّع بدمه الشّريف , وكان كلّ منّا طار إلى ناحية , فوقعت أنا في هذا المكان . فلمّا سمع اليهودي ذلك , تعجّب وقال : لو لم

يُكُنُّ الحُسَيْنِ ذَا قَدْرٍ رَفِيعٍ عِنْدَ اللَّهِ ، مَا كَانَ دَمُهُ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ . ثُمَّ أَسْلَمَ الْيَهُودِيُّ وَأَسْلَمَتِ الْبِنْتُ وَأَسْلَمَ خَمْسَمِئَةٌ مِنْ قَوْمِهِ .:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدارار
الجسم منه بكريلاء مخرج والرأس منه على القنائة يدار
روي : أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) نذبت ولدها الحسين من قبل أن تحمل به ، ولقد نذبت به بالغريب العطشان ، البعيد عن
الأوطان ، الظّامي اللفهان ، المدفون بلا غسل ولا أكفان ، ثمّ قالت لابيها : ((يا رسول الله ، من يبكي علي ولدي الحسين
من بعدي ؟)) . فنزل جبرائيل من الرّب الجليل يقول : إنّ الله تعالى ينشئ له شيعة تندبه جيلاً بعد جيل . فلمّا سمعت كلام
جبرائيل ، سكن بعض ما كان عندها من الوجل .

القصيدة للسيد المرتضى (رحمته الله)

شغل الدموع عن الديار بكاؤها لبكاء فاطمة على أولادها
والهفتاه لعصبة علوية تبعت أمية بعد ذل قيادها
الله سابقتكم إلى أرواحها وكسبتم الآثام في أجسادها
إن قوضت تلك القباب فانها خرت عماد الدين قبل عمادها
هي صفوة الله التي أحى لها وقضى أوامره إلى أمجادها
تروي مناقب فضلها أعداؤها أبداً فتسندها إلى أضدادها
يا فرقة ضاعت دماء محمد وبنيه بين يزيدها وزيادها
صفدت بمال الله مالا أكفها وأكف آل الله في أصفادها
ضربوا بسيف محمد أبناءه ضرب الغرائب عدن بعد زيادها
يا يوم عاشوراء كم لك لوعة تترقص الأحشاء في إيقادها
ما عدت إلا عاد قلبي غلة حزني ولو بالغت في إيرادها

روي عن رسول الله (ص) أنّه قال : ((بي أنذرتم ، ثم بعلي بن أبي طالب اهتديتم)) . وقرأ ((: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (1) . وبالحسن أعطيتم الإحسان ، وبالْحُسَيْنِ تسعدون وبه تشقون ، ألا وإِنَّمَا الحُسَيْنِ باب من أبواب الجنّة ، من عانده حرّم الله

(1) سورة الزّعد / 7 .

عليه رائحة الجنة)).

وروي : أنّ رسول الله (ﷺ) خرج مع أصحابه إلى طعام دُعوا له , فتقدم رسول الله أمام القوم والحُسين مع غلمان يلعب , فأراد رسول الله أن يأخذه , فطفق يفرّ ههنا مرّة وههنا مرّة , فجعل رسول الله أيضاً يضاحكه حتى أخذه , قال : فوضع إحدى يديه تحت فاه والأخرى تحت ذقنه , فوضع فاه على فيه فقَبَله , وقال : ((حُسين مِنّي وأنا من حُسين , أحبّ الله من أحبّ حُسيناً , حُسين سبط من الأسباط)) .:

حسب الذي قتل الحسين من الحسرة والندامة
إن الشفيق لى الإله خصيمه يوم القيامة

ذكر أحمد بن أعثم الكوفي : إنّ الفرزدق لقي الحسين (ع) وسلّم عليه ودنا منه فقَبَل يده , فقال له الحسين (عليه السلام) : ((من أين أقبلت يا أبا فراس ؟)) . فقال : من الكوفة يا بن رسول الله . قال : ((فكيف خلّفت أهل الكوفة ؟)) . قال : خلّفت , قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أميّة , والقضاء ينزل من السماء , والله يفعل ما يشاء . فقال له الحسين : ((صدقت وبررت , إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء , ربّنا تبارك وتعالى كلّ يوم هو في شأن , فإن نزل القضاء بما نحبّ , فالحمد لله على نعمائه وهو المُستعان على أداء الشكر , وإن حال القضاء دون الرجاء , فلن تبعد من الحقّ بلية)) . فقال له الفرزدق : يا بن رسول الله , وكيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مُسلم بن عقيل وشيعته ؟! قال : فاستعبر الحسين باكياً , ثمّ قال : ((رحم الله مُسلماً , فلقد صار إلى روح الله وربّحانه وتحبّته ورضوانه , أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا)) . قال : ثمّ أنشأ يقول :

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ في الله بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدرًا فقلّة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

ثمّ ودّعه الفرزدق في نفر من أصحابه ومضى يُريد مكّة , فأقبل عليه ابن عمّ له من بني مجاشع , فقال : يا أبا فراس , هذا

الحسين بن عليّ ؟ فقال الفرزدق : هذا

الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى ، هذا والله ابن خير الله وأفضل من مشى على الأرض من ولد آدم أبي البشر ، وقد كنت قلت أبياتاً قبل اليوم ، فلا عليك أن تسمعها . فقال له ابن عمّه : ما أكره ذلك يا أبا فراس ، فإن رأيت أن تنشديني ما قلت فيه ؟ فقال الفرزدق : نعم ، أنا القائل فيه وفي أبيه وأخيه وجدّه هذه الأبيات :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا حسين رسول الله والديه	أمست بنور هداة تتهدي الأمم
هذا ابن فاطمة الزهراء عترتها	أئمة الدين مجرباً به القلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
بكفه خيزران ريحه عبوق	بكف أروع في عرنيته شمم
يغضي حياء من مهابتة	فلا يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الدجى عن نور غرته	كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
مشقة من رسول الله نبعتة	طابت أرومته والخيم والشيم
من معشر حبههم دين وبغضهم	كفر وقهرهم فوز ومعتصم
يستدفع الظلم والبلوى بحبهم	ويستقيم به الإحسان والنعم
إن عد أهل الندى كانوا أئمتهم	أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جوازاً بعد غايتهم	ولا يبدانهم قوم وإن كرموا
بيوتهم في قريش يستضاء بها	في النائبات وعند الحكم إن حكموا
وجده من قريش في أرومتها	محمد وعلي علي بعده علم
بدر له شاهد والشعب من أحد	والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخير وحنين يشهدان له	وفي قريضة يوم صيلم قتم
مواطن قد علت في كل نائبة	على الصحابة لم أكرم كما كنتموا

ثم أقبل الفرزدق على ابن عمّه ذلك ، فقال : والله ، لقد قلت فيه الأبيات غير متعرضاً لمعروفة ، ولكن أردت الله بذلك

والدار الآخرة .

فعلى مثل هؤلاء الأطائب

فليبك الباكون ، وإيّاهم فليندب النّادبون ، وملثهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمته الله)

هـاج حـزني وهـاج حـر لهيبي
وجفت مقلتي كراهها وسحت
وقليل لمن يمثّل مـولاه
فيض دمع على الخدود وتسهاد
كربلا كم تركت عندي كرباً
كم هوى في ثراك من بدر تم
لهف نفسي على ابن بنت رسول الله
قائلاً : ليس في الأنام ابن بنت
هل على بدعة أجمتم دمي ، أم
لهف قلبي لطفلة فوق كفيه
وهو يستقبل الدماء ويلقيها
لهف نفسي لزئيب تلطم الوجه
وتناديه يا أخي يا بن أمي
أين جدي أين البتول ألا أين
لهف نفسي لسبي فاطمة الصغرى
لهف نفسي على سكينه من خوف
لهف نفسي لأم كلثوم من سلب
لست أنسى رأس الحسين كبدر
يا لثارات أحمد وعلي
أيرى ثغر ابن فاطمة يقرعه
يا ابن بنت النبي يا بن الذي
ليت أن الوصي وافاك بالطف
ولقد أخبر الرواة عن الشيخ المفيد

وشجاني ذكر القتيل الغريب
سحب أجفانها بدمع سكوب
لدى الطف ذاحين تريب
جفون قرحى وطول نحيب
برزايا تذيب حب القلوب
وأضر النوى بغصن رطيب
يدعو وماله من مجيب
لنبي غيري فلا تغدروا بي
كنت قصرت ساهياً عن وجوب
بصدر ظام ونحر خضيب
ويدي شكواه للمس تجيب
فتدمي خدودها بالنـدوب
يا شقيقي أسلمتني للخطوب
عليّ وا وحـدتي وا لهيبي
ولهفي لقلبهـا المرعوب
الأعدادي تبكي بدمع صبيب
نقـاب ومحجـر منهـوب
التم يـدو في رأس رمح كعوب
من شنيع جرى وأمر عصب
أرذل الـورى بالقضيب
أودعه الله سر علم الغيوب
فلم تخش من أذى وكروب
الحـبر الصـدوق الأريب

عدل ثقاة لا نقل أفك وحبوب
يومياً بغير شك مريب
فيما رواه غير كذوب
صافين مؤذناً للحروب
مستعبراً باكباً بقلب كئيب
القوم يفنون من شباب وشيب
المنايا بكل سهل مصيب
بكرب الظما وعمار سليل
واجب كلفوا ولا مندوب
احتسابي والله خير حسيب
يأتي بكل أمر عجيب
ثم ملقى فضل الإمام النجيب
وتكليمه لجان وذيب
جهداً ورد شمس المغيب
سر من القريب المجيب
بمدحي وأنتم مطلوبي
أماناً من موبقات الذنوب

يسند النقل عن رجال ذوي
أخبر العامري عن جابر بن الحر
قال يروي عن جويرية العدي
قال : لما توجه المُرْتَضَى يطلب
مُرَّ في كربلاء فقام بها
ثم نادى هذا مناخ ركاب
ومحط الرحال منهم وتفوق
وكأني بهم وهم بين مقتول
يدخلون الجنان ولم يسألوا عن
بأبي افتديتهم وإلى الله
فعجبنا من أمره حيث لا ينفك
فعرفنا لما رأينا حسيناً
وعلمنا بأن كشف الطويات
وخطاب الإله بالطائر المشهور
لم تكن في الأنام إلا لمسودع
يا بني أحمد إليكم تطربت
بكم يرتجى الخليعي في الحشر

الباب الثاني

أيها المؤمنون الصالحون ! كيف لا تحزنون على سادات العباد ، وأنوار الله في جميع الأقطار والبلاد ، وحجج الله على الخلائق
ولسانه الناطق ، والشهداء على الأمم بين يدي باري التسم ، وهم بين قتيل بالتسم وآخر مضرّج بالدم ؟! أترونها ما علموا
فضلهم الذي أجمع عليه كافة المسلمين ، أم عساهم جهلوا رتبهم العالية عند رب العالمين ؟ كلا ، ولكن أغواهم الشيطان
وأوصلهم إلى دار الهوان ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) .:

أيأمن وحش البر غائلة الورى وآل النبي المصطفى غير آمن

(1) سورة الشعراء / 227.

تكدرت الدنيا عليهم وقد صفت لكل عيـد جاهل متمـاجن
فيا خيبة ظالمهم كيف لم يتفطنوا بما ورد فيهم ؟ فمما صح روايته من طريق الخصم , مرفوعاً إلى أحمد بن حنبل , عن عليّ
(عليه السلام) , قال : ((أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد الحسن والحسين , فقال : مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا , كَانَ مَعِيَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ)) .

وبالإسناد المذكور , مرفوعاً إلى عليّ (عليه السلام) , قال : ((دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا نائم في المنام , فاستسقى الحسن
والحسين)) . قال (ع) : ((فقام النبي إلى شاة لنا كي يجلبها فدرت , فجاء الحسين فنحاه النبي , فقالت فاطمة : يا رسول
الله , كان الحسن أحبهما إليك ؟ فقال : لا , لكن استسقي قبله . ثم قال (ص) : إني وإيّاك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم
القيامة)) .

وبالإسناد المذكور , قال (ع) : ((كان الحسن والحسين يأتيان رسول الله وهو في الصلاة فيثبان عليه , فإذا نهما عن ذلك ,
أشار بيده دعوهما , فإذا قضى الصلاة , ضمّهما وقال : مَنْ أَحَبَّنِي فليحب هذين)) .

وبالإسناد المذكور , عن عليّ (عليه السلام) : ((قال (ص) : في الجنة درجة تُسمّى الوسيلة , وهي لنبيّ أو لرسول , فإذا سألتموها
لي ؟ قالوا : ومن يسكن معك فيها ؟ قال (ص) : فاطمة والحسن والحسين)) .

أيا بني الوحي والتنزيل يا أملي يا من ولاهم غداً في البر يؤنسني
حزني عليكم جديد دائم أبداً ما دمت حياً إلى أن ينقضي زمني
روي : أنه لما كان من أمر الحسين (عليه السلام) ما كان , وقُتل شهيداً وقُطع رأسه الشريف , أمر عمر بن سعد (لعنه الله) بدفن
جميع الخوارج والمنافقين من بني أمية , وتركوا الحسين (عليه السلام) على وجه الأرض ملقى بغير دفن وكذلك أصحابه , وجاءوا بالنساء
قصداً وعناداً وعبروهم على مصارع آل الرسول , فلما رأت أم كلثوم أخاها الحسين (عليه السلام) وهو مطروح على وجه الأرض ,
تسفوا عليه الرياح وهو مكبوب مسلوب , وقعت من أعلى البعير إلى الأرض , وحضنت أخاها الحسين , وهي تقول يبكاء
وعويل : يا رسول الله , انظر إلى جسد ولدك ملقى على الأرض بغير غسل , كفته الرمل السافي عليه وغسله الدم الجاري من
وريده , وهؤلاء أهل بيته يُساقون أسارى في سبي الذي ما لهم محام يمانع عنهم , ورؤوس أولاده مع رأسه الشريف

على الرّماح كالأقمار .فلما أحسّوا بها , عنّفوها وأركبوها وصاروا بها , باكية لا ترقى لها دمة ولا تبطل لها حسرة :

ستسأل تميم عنهم وعديها وبيعتهم من أفجر الفجرات
هم منعوا الآباء عن أخذ حقهم وهم تركوا الأبناء رهن شتات
وهم عدلوا عن وصي محمد فبيعتهم جاءت على الفلتات

روي : أنّ فاطمة (عليها السلام) لا زالت بعد رسول الله معصبة الرأس ناحلة الجسم , منهدة الركن من المصيبة بموت النبي (صلى الله عليه وآله) , وهي ؛ مغمومة مهمومة , محزونة مكروبة , كئيبة باكية العين , محترقة القلب , يُغشى عليها ساعة بعد ساعة حين تذكره , وتذكر الساعات التي كان يدخل فيها عليها , فيعظم حزنها مرّة بعد مرّة , وتنظر مرّة إلى الحسن ومرّة إلى الحسين وهما بين يديها , فتقول : ((أين أبوكما النبي كان يكرمكما ويملكما مرّة بعد مرّة ؟ أين أبوكما النبي كان أشدّ الناس شفقة عليكما , فلا يدعكما تمشيان على وجه الأرض ؟ فإنّا لله وإنا إليه راجعون , فقد والله جدكما وحبيب قلبي , ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً , ولم يملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما)) .

ثمّ إنّها مرضت مرضاً شديداً , ومكثت أربعين ليلة في مرضها الذي توفيت فيه , فلما نُعيت إليها نفسها , دعت أمّ أيمن وأسماء بنت عميس , ووجهت خلف عليّ وأحضرتة , وقالت : ((يابن العمّ , إنّته قد نُعيت إليّ نفسي , وإنّي لأرى ما بي لا شك , إلا أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة , وأنا أوصيك بأشياء في قلبي)) . قال لها عليّ (عليه السلام) : ((أوصيني بما أحببت يابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله))) . فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت , ثمّ قالت : ((ابن العمّ , ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني ؟)) . فقال (عليه السلام) : ((معاذ الله ! أنت أعلم بالله وأتقى وأكرم , وأشدّ خوفاً من الله أن أوبّخك بمخالفتي , فقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك إلا أنّه أمر لا بدّ منه , والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله , وقد عظمت وفاتك وفقدك , فإنّا لله وإنا إليه راجعون , مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها , هذه والله مصيبة لا عزاء لها ورزّة لا خلف لها)) . ثمّ بكيا جميعاً ساعة واحدة على رأسها وضمتها إلى صدره , ثمّ قال : ((أوصيني بما شئت تجدني وفيّاً , امضي كلّ ما امرتيني به وأختار أمرك على أمري)) . ثمّ قالت : ((جزاك الله عني خير الجزاء , يابن العمّ , أوصيك أولاً أن تتزوّج

بعدي بابنة أختي أمامة ؛ فإنها تكون لولدي مثلي ، فإن الرجال لا بد لهم من النساء ، ثم أوصيك يا بن العم ، أن تتخذ لي نعشاً ، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته ((.فقال لها : ((صفيه لي)) .فوصفته ، فاتخذها لها ، فأول نعش عمل على وجه الأرض ذلك ، وما رأى أحد قبله ، ثم قالت : ((أوصيك أن لا يشاهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقي ، فإنهم أعدائي وأعداء رسول الله ، ولا تترك أن يُصلي علي أحد منهم ومن أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار)) .ثم توفيت (صلوات الله عليها).

وعن ابن عباس ، أنه قال : لما جاء فاطمة الأجل ، لم تحل ولم تصدع ولكن أخذت بيد الحسن والحسين ، فذهبت بهما إلى قبر النبي (ﷺ) ، فاجلستهما عنده ، ثم وقفت بين المنبر والقبر فصلت ركعتين ، ثم ضمت الحسن والحسين إلى صدرها والتزمتهما ، وقالت : ((يا أولادي ، اجلسا عند أبيكما ساعة)) .وعلي (عليه السلام) يفتي في المسجد ، ثم رجعت من عندهما نحو المنزل ، فحملت ما فضل من حنوط النبي ، فاغتسلت به ولبست فضل كفته ، وقالت : ((يا أسماء)) (وهي : امرأة جعفر الطيار) فقالت : لبيك يا بنت رسول الله .قالت : ((تعاهديني ، فإنني أدخل هذا البيت فأضع جنبي ساعة ، فإذا مضت ساعة ولم أخرج فناديني ثلاثاً ، فإن أجبتك ، وإلا فاعلمي أنني لحقت رسول الله (ﷺ))) .ثم قامت مقام رسول الله في بيتها ، فصلت ركعتين ، ثم جللت وجهها بطرف رداءها ، وقضت نحبها.

وفي نقل آخر : أنها ماتت في سجودها ، فلما مضت ساعة ، أقبلت أسماء فنادت : يا فاطمة الزهراء ! يا أم الحسن والحسين ! يا بنت رسول الله ! يا سيّدة نساء العالمين ! فلم تجب ، فإذا هي ميتة - قيل لابن عباس : كيف علمت وقت وفاتها ؟ قال : أعلمها أبوها - ثم إن أسماء شقت جيبها ، وقالت : كيف أجتري أن أخبر ابني رسول الله بوفاتك ؟ ثم خرجت فتلقاها الحسن والحسين ، فقالا : ((أين أمنا ؟)) .فسكتت فدخلت البيت فإذا هي ممتدة ، فحركها الحسين فإذا هي ميتة ، فقال : ((يا أسماء ، أجرك الله في الوالدة)) .وخرجوا يُناديان : ((يا محمداه ! يا أحمداه ! اليوم جُدد لنا موتك إذ ماتت أمنا)) .ثم أخبرا علياً وهو في المسجد ، فغشي عليه حتى رُش عليه الماء ، فلما أفاق حملهما حتى أدخلهما إلى بيت فاطمة ، وعند رأسها أسماء تبكي وتقول : وا ابنا محمداه ! كنّا نتعزى بفاطمة بعد موت جدكما ، فيمن نتعزى بعدها ؟ فكشف

عليّ عن وجهها , فإذا برقعة عند رأسها , فنظر إليها فإذا فيها : ((بسم الله الرحمن الرحيم , هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله , وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله , وأنّ الجنّة حقّ والنار حقّ , وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها , وأنّ الله يبعث من في القبور . يا عليّ , أنا فاطمة بنت محمد , زوجني الله منك ؛ لأكون لك في الدنيا والآخرة , أنت أولى بي من غيرك , حنّطني وغسّطني وكفّني , وصلّ عليّ , وادفني بالليل , ولا تعلم أحداً , واستودعك الله , واقرأ ولدي السّلام إلى يوم القيامة)) . فلما جنّ الليل , غسّلتها عليّ ووضعها على السّرير , وقال للحُسين : ((ادع لي أبا ذر)) . فدعاه , فحملها إلى المصلى , فصلى عليها , ثمّ صلى ركعتين ورفع يده إلى السّماء , فنادى : ((هذه بنت نبيك فاطمة , اخرجها من الظلمات إلى النور)) . فأضأت الأرض ميلاً في ميل , فلما أرادوا أن يدفنها , نادوا من بقعة من البقع : إيّ إليّ , فقد رفع تربتها مني . فنظروا فإذا بقبر محفور , فحملوا السّرير إليه فدفنوها , فلما أنزلها عليّ والحسن والحسين (عليه السلام) , جلس عليّ على شفير القبر , فقال : ((يا أرض استودعتك وديعتي , هذه فاطمة بنت رسول الله)) . فنودي منها : ((يا عليّ , أنا أرفق بها منك , فارجع ولا تهم)) . فرجع وانسدّ القبر واستوت الأرض , فلم يُعلم اين كان إلى يوم القيامة .

وفي نقل آخر : أمّا لما توفيت (عليه السلام) , صاح أهل المدينة صيحة واحدة , واجتمعت نساء بني هاشم في دارها , فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهنّ , وهنّ يقلنّ : يا سيدتاه ! يا بنت رسول الله ! وأقبل الناس إلى عليّ وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان والناس يبكون لبكائهما , وخرجت أمّ كلثوم عليها برقعها وهي تجرّ ذيلها , متجللة برداء عليها تسحبه وهي تقول : يا أبتاه ! يا رسول الله ! الآن فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً . واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون أن تخرج الجنازة ليصلّوا عليها , فخرج أبو ذر , فقال : انصرفوا , فإنّ بيت محمد قد أحرّ إخراجها في هذه العشيّة . فانصرف الناس , فلما أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل , أخرجها ؛ عليّ والحسن , وعمار والمقداد , وعقيل وأبوذر وسلمان , ونفر من بني هاشم , ودفنوها في جوف الليل , وسوى عليّ (عليه السلام) حولها قبوراً مزوّرة ؛ حتّى لا يُعرف قبرها , وقال عند دفنها : ((السّلام عليك يا رسول الله عنيّ , ومن ابتك النّازلة في جوارك السّريّة اللحاق بك , قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري

ورقّ عنها تجلدي ، إلا أنّ لي في التأسّي بعظم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نخري وصدري نفسك ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، فلقد استرجعت الوديعه وأخذت الرّهينة ، أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، وستنبئك فاحفها السؤال واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ، والسّلام عليكما سلام مودّع لا قال ولا سئم ، فإن انصرف لا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصّابرين)) .

قال الأصبغ بن نباتة : سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن علة دفن فاطمة ليلاً ، فقال (عليه السلام) : ((إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها ، وحرام على من لا أتولاهم أن يصلّي على أحد من ولدها)) .

قال عبد الرحمن الهمداني : لما دفن عليّ فاطمة ، قام على شفير القبر وأنشأ يقول :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الـذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يـدوم خليل
سيعرض عن ذكرى وينسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

فتفكروا يا إخوان الدّين على هؤلاء الكفرة الملاحين ، كيف انتهزوا في أهل بيت الرّسول الفرص ، وجرّعوهم كاسات الغصص ، ضيّعوا من الرّسول وصيته ، وابتزّوا نخلته ، وشحّوا ببلغة ذرّيته ، وغدروا بيته وعترته شرّدهم عن الأوطان ، وتبعوهم في كلّ مكان ، فوا حسرتاه عليهم ! ووا لهفتاه لديهم ! فعلى مثل هؤلاء فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التّادبون ، وعليهم فلتندرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحران ، فنظم وقال فيهم :

القصيدّة للشيخ عليّ بن عبد الحميد (رحمه الله تعالى)

أجسـن من بعد الفراق سرور وكيف وعيشي بعد ذاك مـرير
تنكـرت الأيام من بعد بعدهم فعيـني عـبري والفـؤاد كـسير
على لذة العيش الحشـاء وهل ترى يـلـذذ مـكـروب الفـؤاد أسـير
يقول عـذولي أيـن صـبرك إننا عـهدناك لا تخشـى وأنـت صـبور
تـروح عليـك النـائبـات وتغتـدي وما أنت ممـا يعترـيك ضـجور

إذا ما عرى الخطب المهول وأصبحت
لبست له الصبر الجميل ذريعة
فأبي مصاب هد ركنك وقعه
لحى الله عذالي أما علموا الذي
أعاذل خيل اللوم عني فإنه
أنتسى مصاب السبط نفسي له الفدا
أبي الذل لما حاولوا منه بيعه
وراح إلى البيوت الحرام يؤممه
فجاءته كتب الغادرين بعهدده
فقدم من قبل القدوم بمسلم
فألقيه من فوق الجدار مغفراً
ووافاهم حتى أناخ بكربلا
فلما أتاه الحر بالخيل ضمراً
فقال علينا أم لنا قال بل إلى
فقال أما كما تبتموني وقلتم
فقالوا كذبنا كي يحط بك الردى
وجاء ابن سعد بالجيش كأنها
فقال لهم يا عصابة الكفر إنني
أما فاطم أمي أما حيدر أبي
أما جدي الهادي أما أنا سبطه
بأي إجترام أم بأي جناية
فقالوا أطع حكم الأمير فإننا
وإلا فعدع عنك الجدال وقم إلى
فلما رأى أن لا مناص من الردى
فقال لأهليته وبقائي صجبه
عليكم بهذا الليل فاستتروا به

له نوب أمواجهن تمور
فقلبك مرتاح وأنت قريـر
فقلبك فيه حرفة وزفير
عراني ومما الدمع ظل يفور
أصابك إثم لو علمت كبير
مصاب له قتل النفوس حقير
وإن حسناً بالإباء جدير
بعزم شديد ليس فيه قصور
فأقدم إلينا فالنصير كثير
فأسلمه العادون وهو كسير
له طيب جنات الخلود مصير
على أنهم عون له ونصير
جواد على أصواتهن شرور
قتالك يا بن الأكرمين نسير
إلينا فهنا كل إليك يشير
ونشفي بأخذ الثأر منك صدور
عمام تفاديها صبا ودبور
لعمري على مر الزمان صبور
وجعفر عمي في الجنان يطير
أما بذوي القرى إلي يشير
أجتمتم قتلتي أن ذا لغور
إلى أمره فيما يقول نصير
القتال فإن القول منك كثير
وإن مراد القوم منه كبير
ألا إن لبثي فسيكم ليسير
وقوموا وجدوا في الظلام وسيروا

ويأخذ كل منكم يد واحد
فما بغية الأرجاس غيري وخالقي
فقالوا معاذ الله نسلمك للعدى
فأي حياة بعد فقدك نرتجي
ولكن نقى عنك الردى بسيفونا
فقال جزيتم كل خير فأنتم
فأصبح يدعو هل مغيث يغيثنا
ولم تبق إلا عصبة علوية
ولما شبت نار الحروب وأضرمت
ولم أنسه يوم الهياج كأنه
يكر عليهم والحسام بكفه
وراح إلى نحو الخيام مودعاً
فقمنا إليه الفاطميات حسراً
فقال استعينوا بالإله فإنه
الا لا تشققن الجيوب ولا يرى
ألم تعلمي يا أخت أن جميع من
عليك بزین العابدين فإنه
أطيعي له إن قال مولى فإنه
عليّ بطفلي كي أودعه اني
فلما أقل الطفل يطلب لثمه
رموه بسهم ظل منه معفراً
فقال إلهي أنت أعلم بالذي
وشد عليهم شدة علوية
فقاتلهم فرداً وحيداً وإذا هم
يفرون كالمعزى إذا شد نحوهم
إذا ما سطا شاهدت هاماً مفلقاً
بخط يخطي القنا فهي ظهورهم

من الآن واخفوا في البلاد وغوروا
على كل شيء يتغيه قدير
وتضفي علينا للحياة ستور
وأي فؤاد يعتريه سرور
لتحظى بنا دار النعيم وحرور
لكل الورى يوم القيامة نور
فقل مجيؤه وعز نصرير
لهم عزمات ما بهن قصور
وقت نفسه هام لهم ونحور
هزبر له وقع السيوف زئير
فلم يبر إلا صارخ وعفير
يهمهم بالقرآن حيث يسير
يفدينه والمعولات كثرير
عليهم بما يخفي العباد بصير
لكمن عويل إن ذاك غرور
على الأرض كل للمماة بصير
إمامك بل للمؤمنين أمير
المطاع بأحكام الكتاب خبير
عليه لعمري مشفق وحنير
ومن حوله خيل العداة تدور
وظلل دم الأوداج منه يفور
لقيت وهذا في رضاك يسير
تكاد لها الصمم الصلاد تمور
ثلاثون ألفاً دارع وحسير
أبو أشبل عبل الذراع مبير
وأيد من الضرب الإدراك تطير
خطوطاً لها وقع السيوف سطور

إذا جردت يوم الهياج سيوفه
رقا فوق أطباق الطباق وقد غدا
له زجل كالرعد والبرق سيفه
فلما رأوا أن لا وصول إلى الذي
تنادوا ألا بالنبل نيل مرادكم
فظلت بنو الزرقاء ترشق وجهه
رموه بسهم طاح في وسط لبه
فخر صريعاً لليدين مرملة
وجاء سنان فارتقى فوق صدره
وعلا كريم السبط من فوق ذابل
فيا ذلة الإسلام من بعد عزه
وأي حياة بعد ذي الرزة يرتجى
فيا عبرتي سحي ويا حرقتي ازدي
على طيب عيش لو صفا بعدك العفا
ومر جواد السبط يدي صهيله
فقمنا إليه الفاطميات حسراً
قتلتم حسيناً ليت لا در فوقكم
وراحوا إلى سلب الفواطم جهرة
ولم أنس بنت المُرْتَضَى زينباً وقد
فنادت بأعلى صوتها مستجيرة
أيا جد لو عاينت سبطك بالعرا
أيا جد لو عاينتنا ورأيتنا
أخي يا أخي ما كان أسرع فرقتي
حيارى على الأقتاب تبدو وجوهها
بناتك يا جداه تبادوا جسومها
ألسنا ذوي القرى أما حقنا على

فلا سيف إلا والرقاب حفير
له فوق أملاك السماء سرير
فيمطـرهم حتفاً لهم فيمير
يريدون والأمر المراد خطير
وإلا فخلوا عن لقاءه وسيروا
بنبل له نحو الحسين درورا
وأخر في نحر الحسين يفور
الترائب لا يلوي عليه نصير
وظلل لأوداج الحسين يبير
كبدر مطلل في البلاد يسير
ويا لك رزة في الأنام خطير
وأي فؤاد يعتريه سرور
ويا نفس ذوي المصائب كبير
وظلمة حزني لا أضياء لك نور
إلى نعي مولاي الحسين يشير
يقلن ألا ويمل لكم وثبور
سحاب هطـول صوبهن درور
وظلل عليّ في القيود أسير
رأته صريعاً والدماء تفور
ألا هل لنا مما نراه مجير
قتيلاً بأرض الطف وهو عفير
اسارى إلى نحو الشمام نسير
ألا أن دهري بالكـرام عثور
وكان لعمري دونهن ستور
ونسوة حرب دونهن قصور
الأنام به نص الكتاب يشير

لكم عصم فيها الحياة ونور
إلى بعض ما قد صيره يصير
لعمري كبير منهم وصغير
وظل عمود الدين وهو كسير
غرام تكاد النفس منه تطير
كأني رغاء في الرغاء أغور
ولكن لعيش راح وهو نظير
ابتلاه لكي يلقاه وهو صبور
النعيم ويجزي قاتليه سعير
ومن بهم يرجو النجاة أسير
سعير لها في الظالمين سعير
طروب بكم يوم الحساب قرير
وأنتم له يوم القيامة نور
فمتن بأن يلقي الرسا وجرير
لدى الحشر والراجي لذاك كثير
ويعجز عنها جرول وجرير
تضوع منها مندل وعبير
وما شأنها عما يراد قصور
وما غردت فوق الغصون طيور

أما قلت يا جد احفظوهم فإنهم
فلو لم تقل هذا ترى كان أمرنا
فأبكت جميع الناس طراً بنوحها
لقد هدموا الدين الحنيف بقتله
وأني ليعرفوني إذا ما ذكرتهم
أفكر في هذا المصاب فأغتدي
وقال أناس جل أن ير هالكاً
وليس كما قالوا ولكن إلهنا
فيجزيه بالفضل العميم وجنة
أيا آل طه والحواميم والنسا
وعودكم دار الرضا ووعيدكم
علي فتى عبد الحميد بمدحك
بحبكم يعلو على قمم العالا
ومن أنتم عون له في وجودكم
منحتكم مدحي رجاء شفاعاة
خذوها قصيداً ينجل الشمس نورها
إذا نثرت بين الملال بمدحك
محيرة قد زانها بث مدحك
عليكم سلام الله ما لاح بارق

الباب الثالث

يا إخواني , سارعوا إلى الخيرات وارتقوا إلى علي الدرجات , واجتهدوا في شكر من يفضله أولاكم , ودلكم على مولات
وليكم ومولاكم , فتابعوه إن كنتم تحبوه فما أمكنكم من الأقوال والأعمال , فإنه لا خير في قول تكذبه الفعال , واعدوا ذلك
من أتم النعم الواصلة إليكم والتي أفاضها الله واسبغها عليكم , فيا لها نعمة فاز بها المؤمنون , فاغنت عنهم يوم لا ينفع مال ولا
بنون.

فيا إخواني , إن نظرتم ببصر بصيرتكم , عرفتم من تقصدونه بعزيتكم , إنكم والله تعزّون البتول

والنبي المصطفى الرسول ، والوصي المرتضى والزكي المجتبي ، وأئمة الهدى وذوي النهى ، وحجج الله في الورى .
فبالله عليكم أيها المحبون لأولاد فاطمة الزهراء ، نوحوا وانذبوا على المنبوذين بالعراء ، المسلوبين لأولاد الأديعاء ، المحمولين
على أقتاب الجمال بلا مهاد ولا وطاء :

أصبيت ذراري المصطفى بمصيبة تجدد حزني كل يوم مجدداً
أذاب فرؤادي رزؤهم فبكيهم لأنهم فخري وذخري وسؤدد
فكيف ألد العيش أو أعرف الكرى وقلبي على جمر الغضا يتوقد

روي عن بعض الثقات الأخيار : أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) دخلا يوم عيد على حجرة جدّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقالا :
(يا جدّاه ، اليوم يوم العيد ، وقد تزّين أولاد العرب بألوان اللباس ولبسوا جديد الثياب ، وليس لنا ثوب جديد ، وقد توجّهنا
لجنابك لنأخذ عيديتنا منك ، ولا نريد سوى ثياب نلبسها)) . فتأمل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى حالهما وبكى ، ولم يكن عنده في البيت
ثياب تليق بهما ، ولا رأى أن يمنعهما فيكسر خاطرهما ، فتوجّه إلى الأحذية وعرض الحال على الحضرة الصمدية ، وقال : ((
إلهي ، اجر قلبهما وقلب أمهما)) . فنزل جبرائيل من السماء تلك الحال ، ومعه حلتان بيضاوتان من حلل الجنة ، فسّر النبي
(صلى الله عليه وآله) ، وقال لهما : ((يا سيدي شباب أهل الجنة ، هاكما أثوابكما خاطهما خياط القدرة على طولكما ، أتتكما مخيطة
من عالم الغيب)) . فلمّا رأيا الخلع بيضاً ، قالوا : ((يا جدّاه ، كيف هذا وجميع صبيان العرب لا بسون ألوان الثياب
؟!)) . فأطرق النبي (صلى الله عليه وآله) ساعة متفكراً في أمرهما ، فقال جبرائيل : يا محمد ، طب نفساً وقر عيناً ، إنّ صابغ صبغة الله عزّ
وجلّ يقضي لهما هذا الأمر ، ويفرح قلوبهما بأيّ لون شاء ، فأمر يا محمد ، بإحضار الطّشت والإبريق . فحضرا ، فقال جبرائيل
: يا رسول الله ، أنا أصبّ الماء على هذه الخلع ، وأنت تفركهما بيدك ، فتصبغ بأيّ لون شاء . فوضع النبي حلّة الحسن في
الطّشت ، فأخذ جبرائيل يصبّ الماء ، ثمّ أقبل النبي على الحسن ، وقال : ((يا قرّة عيني ، بأيّ لون تريد حلّتك ؟)) . فقال :
((أريدها خضراء)) . ففركها النبي (صلى الله عليه وآله) بيده في ذلك الماء ، فأخذت بقدرة الله لونا أخضر فابقاً كالزّبرجد الأخضر ،
فأخرجها النبي (صلى الله عليه وآله) وأعطاهما للحسن فلبسها ، ثمّ وضع حلّة الحسين (عليه السلام) في الطّشت ، وأخذ جبرائيل يصبّ الماء ،
فالتفت النبي إلى نحو

الحسين ، وكان له من العمر خمس سنين ، وقال له : ((يا قرة عيني ، أيّ لون تريد حلتك ؟)) فقال الحسين (عليه السلام) : ((يا جدّاه ، أريدها حمراء)) . ففركها النبي بيده في ذلك الماء ، فصارت حمراء كالياقوت الأحمر فلبسها الحسين ، فسرى النبي (عليه السلام) بذلك ، وتوجّه الحسن والحسين إلى أمّهما فرحين مسرورين ، فبكى جبرائيل لما شاهد تلك الحال ، فقال النبي (عليه السلام) : ((يا أخي ، في مثل هذا اليوم الذي فرح فيه ولداي تبكي وتحزن ، فبالله عليك إلّا ما أخبرتني ؟)) . فقال جبرائيل : أعلم يا رسول الله ، إنّ اختيار ابنك على اختلاف اللون ، فلا بدّ للحسن أن يسقوه السمّ ، ويخضر لون جسده من عظم السمّ ، ولا بدّ للحسين أن يقتلوه ويذبحوه ويخضبّ بدنه من دمه . فبكى النبي (عليه السلام) وزاد حزنه لذلك .

وروى هشام بن عروة ، عن أمّ سلمة ، أنّها قالت : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلبس ولده الحسين (عليه السلام) حلّة ليست من ثياب أهل الدّنيا ، وهو يُدخل أزرار الحسين بعضها ببعض ، فقلت له : يا رسول الله ، ما هذه الحلّة ؟ فقال : ((هذه هدية أهداها إليّ ربّي لأجل الحسين ، وأنّ لحمتها من زغب جناح جبرائيل ، وها أنا ألبسه إياها وأزيّنه بها ، فإنّ اليوم يوم الزّينة وأنا أحبّه)) .

وروى أبو عبد الله المفيد النّيسابوري في أماليه ، أنّه قال : قال الرضا (عليه السلام) : ((عري الحسن والحسين (عليهما السلام) وقد أدركهما العيد ، فقالا لأُمّهما فاطمة : يا أمّاه ، قد تزّين صبيان المدينة إلّا نحن ، فما بالك لا تزّينينا بشيء من الثّياب ، فها نحن عرايا كما ترين ؟ فقالت لهما : يا قرة العينين ، إنّ ثيابكما عند الحياط ، فإذا خاطها وأتى بها زيّتكما بما يوم العيد . تطيب خواطرها ، قال : فلمّا كانت ليلة العيد ، أعادا القول على أمّهما وقالوا : يا أمّاه ، الليلة ليلة العيد . فبكت فاطمة رحمة لهما ، وقالت لهما : يا قرة العينين طيبا نفساً ، إذا أتاني الحياط بما ، زيّتكما إن شاء الله تعالى . قال : فلمّا مضى وهن من الليل وكانت ليلة العيد ، إذ قرع الباب قارع ، فقالت فاطمة : من هذا ؟ فنادى : يا بنت رسول الله ، افتحي الباب أنا الحياط قد جئت بثياب الحسن والحسين . قالت فاطمة : ففتحت الباب ، فإذا هو رجل لم أر أهيب منه شبيهة ولا أطيب منه رائحة ، فناولني منديلاً مشدوداً ثمّ انصرف لشأنه ، فدخلت فاطمة وفتحت المنديل ، فإذا فيه قميصان ودراعتان وسروالان ورداءان وعمامتان وخفّان ، فسرت فاطمة بذلك سروراً عظيماً ، فلمّا استيقظ الحسنان ، ألبستهما وزيّتتهما

بأحسن زينة ، فدخل النبي إليهما يوم العيد وهما مزيتان ، فقبلهما وهنأهما بالعيد ، وحملهما على كتفيه ومشى بهما إلى أمهما ، ثم قال : يا فاطمة ، رأيت الخيَاط الذي أعطاك الثياب هل تعرفيه ؟ قالت : لا والله ، لست أعرفه ولست أعلم أنّ لي ثياباً عند الخياط ، فإله ورسوله أعلم بذلك . فقال : يا فاطمة ، ليس هو خيَاط ، وإنما هو رضوان خازن الجنان ، والثياب من حلل الجنة ، أخبرني بذلك جبرائيل عن رب العالمين)) .:

فضائلهم جلّت مناقبهم علت مدائحهم شهد منائحهم ندد
 علوا في الورى جداً وأماً ووالداً وطابوا وطاب الأم والأب والجد
 بأسمائهم يستجاب البر والرضا بذكرهم يستدفع الضر والجهد

روى بعض الأخيار : أنّ أعرابياً أتى الرسول ، فقال له : يا رسول الله ، لقد صدت خشفة غزالة وأتيت بها إليك ؛ هدية لولدك الحسن والحسين ، فقبلها النبي ودعا له بالخير ، فإذا الحسن واقف عند جدّه ، فرغب إليها وأعطها إيّاه ، فمضى ساعة إلّا والحسين قد أقبل ، فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها ، فقال : ((يا أخي ، من أين لك هذه الخشفة ؟)) . فقال الحسن : ((أعطانيها جدّي رسول الله ﷺ)) . فسار الحسين مسرعاً إلى جدّه ، فقال : ((يا جدّاه ، أعطيت أخي خشفة يلعب بها ولم تعطني مثلها ؟)) . وجعل يكرر القول على جدّه وهو ساكت ، لكنّه يسليّ خاطره ويلطفه بشيء من الكلام ، حتّى أفضى من أمر الحسين إلى أن همّ يبكي ، فبينما هو كذلك ، إذ نحن بصياح قد ارتفع عند باب المسجد ، فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفها ، ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله وتضربها بأحد أطرافها ، حتّى أتت بها إلى النبي ، ثمّ نظقت الغزالة بلسان فصيح ، وقالت : يا رسول الله ، قد كانت لي خشفتان ، إحداهما صاها الصياد وأتى بها إليك ، وبقيت لي هذه الأخرى وأنا بها مسرورة ، وإني كنت الآن أرضعها ، فسمعت قائلاً يقول : أسرعي أسرعي يا غزالة بخشفك إلى النبي ﷺ ، وأوصليه سريعاً ؛ لأنّ الحسين واقف بين يدي جدّه وقد همّ أن يبكي ، والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة ، ولو بكى الحسين ، لبكت الملائكة المقربون لبكائه . وسمعت أيضاً قائلاً يقول : أسرعي يا غزالة ، قبل جريان الدّموع على خدّ الحسين ، فإن لم تفعلني سلّطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفك .

فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله , وقطعت مسافة بعيدة , لكن طويت الأرض حتى أتيتك سريعة , وأنا أحمد الله ربّي كيف جنتك قبل جريان دموع الحسين على خده . فارتفع التكبير والتهليل من الأصحاب , ودعا النبي (ﷺ) للغزاة بالخير والبركة , وأخذ الحسين الخشفة وأتى بها إلى أمه الزهراء (عليها السلام) , فسرت بذلك سروراً عظيماً .

فيا أيها السامعون تأملوا وتبصّروا وتدبّروا وتفكّروا , إذا كان النبي (ﷺ) يحزنه حزنها ويسره سرورها , وكذلك الزهراء أمهما , وكذلك الأنزع البطين أبوها , فكيف لو نظروه مطروحاً على الرّمضاء , يتلظى من الظّمأ بين الأعداء , وذرايه وأولاده يُحملون على الأقتاب بغير غطاء ولا وطاء؟! حزناً والله لا ينفذ وحسرة في طول الزّمان تجدد . فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , ومثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحران , فقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

لم أبك من وقفة على التدمن	ولا لخجل نأى ولا سـ
ولم تمجني الـديار موحشة	ولا شـجتي بـواكر الطعن
لكن شـجاني بكاء فاطمة	على أبيها بـدمع هـتن
وبيت أحزانها ووحـدتها	فيه حمى مقلتي عن الوسـن
ومنعها من حقوقها بأباطيل	أحـاديثهم يـروعي
وقولهم ليس للنبي موارد	خلاف الفـروض والسـنن
ومشيتها في ملاءة مثل مشي	المُصطفى راعـني وأرقـني
مع نسوة من قريش تحجبها	وهي تشكو من لوعة الحزن
واحر قلبي لها وأنتها	قد أجهشـتهم والدمع كالمزن
ثم تنادي الأنصار يا بيضة الإسلام	هل من ناصر فينصرني
أنا ابنة للمُصطفى النبي ومن	أطفأ نار الضلال والفـتن
إن لم تكونوا أنصار آل رسول	الله فمـا ينـوهم فمـن
خذوا بحقي من المكذب بالدين	فقد دعّـني ودافعـني
بأي شرع يزوي تـراث أبي	عـني ويجتـاحني ويظلمـني

أو لم أطعمه فلا يرثني
ما لم يكن والدي يعلمني
عن أداً منه وأعوذي
تكون في قبره مع الكفن
رب الأنام ذو الممنون
ويلاه من كل غارب وجن
ونيل مني وقد وهى ركني
فحسبي الله فهو ينصوني
أودعني قبل أن يودعني
مديحهم في المعاد ينقذني
وبغض أعدائكم يخلصني
إمام الهدى أبو حسن
المبضّر لا كالمقلد اللكن
من غير شك فيه يخامرني
يفعل بي ما به يعاقبني
يخبرني كارهاً ويلزمي
وحاشاه وهو عنه غني
ما كان من سيء ومن حسن
حكم الحضور والزمين
من لا على سورة بمؤمن
عندي كعابد الوثن
رميت فيه بسائر المحن
ويا من إليه مـرتكن
للميت ليس يقنعني
تدهش غيري وليس تدهشني
حدّث سلمان لا يغبرني

هل دنبت ربي بغير ملتته
أم خصّ هذا دوني وعلمته
حتى احتوى نخلتي وبلغه أطفالي
فليرتلها مخطومة ذللاً
ويوم حشر العباد ألقاه والحاكم
ويلاه من كل شارق بهج
مات اعتمادي وفنت في عضدي
وجار في حكم ظالمي سفهاً
وحسب خصمي والدي وبما
يا سادتي يا بني النبي ومن
حبكم في السورى يشرفني
ديني هو الله والنبي ومولاي
عرفتهم بالدليل والنظر
والقول عندي بالعدل معتقدي
لست أرى أن خالقي أبداً
ولا على طاعة ومعصية
وكيف يعزى إلى القبيح من الفعل
لكن أفعال تنطاط بنا
وبالدليل القطعي أوجب للمعصوم
ولا أولي حكم الكتاب إلى
وكل من يدعي الإمامة بالباطل
يا محنة الله في العباد ومن
يا نافذ الأمر في السماء وفي الأرض
تكليمك الجنان والجنين وإحياؤك
وردك الشمس بعدما غربت
والماء لمّا طغى الفرات وما

تـنـزل بـكـأس الـيـقـين تـنـهـلـني
يـوـرد عـني وـعـنـك يـوـردني
تـطـرب مـني طـوراً وـتـطـربني
وـتـدـعو سـري فـتـسـمـعني
يـنـكـرني حـاسـدي وـيـجـحـديني
مـقـصـر في هـواك يـبـعـديني
إـلـا للـبـاحـث اللـسـن
فـلـيـنـتـبـه ذـووا الفـطـن
تـعـرف عـن صـدر عـارف لـقـن
والمـنـدل الرـطـب هـيـن العـطـن
عـوئاً لـه مـن طـوارق الفـن

أوردت قلبي مـاء الحـياة ولم
فـمـشـري مـنـك لم يـزل أبـداً
وـنـشـوئي مـن شـراب مـعـرفتي
دعـاك سـري بـجـيـث تـسـمـع نـجـواي
وكلـمـا ازـدـدت فيـك مـعـرفـة
ولـسـت آسـي بـالقـرب مـنـك عـلـى
تـمـنـعت أـعـين المـعـارف أن تـدرك
والـعـلم يـأبـى أن يـنـال بـغـير الجـد
فـسـمـع لـهـا دـرة مـهـذبـة
تـكـرم في نـائـلـهـا وـغـرابـتـهـا
بـك الخـلـيـعـي يـسـتـجـير فـكـن

المجلس السابع

في الليلة الرابعة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

أيها الأمناء الصالحون والأتقياء الصادقون ، اعلموا أنّ الله تعالى جعل أعمار العباد مضمّار السباق إلى دار السلام ، فيا خيبة من أفنى عمره فيما ليس له بل عليه ! ويا حسرته إذا جاء الأجل ووافى إليه ! : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (1) . لا سيّما إذا كان الخصم في يوم المعاد رسول الله الشاهد على العباد ، فيا ليت علمي ماذا هناك الظالم لعثرة الرسول ، جهدوا في إطفاء نور خاتم النبیین ، ومحو ذرّيته من بين العالمين ، ومنعوهم من الأخماس التي جعلها الله تعالى لهم عوضاً عن أوساخ الناس ، وانتزعوا ما انتحلهم الرسول (ﷺ) ، ولم يرقبوا ربهم ولم يلتفتوا إليه حتى أذاقوهم حرّ السيوف ومرارات الحتوف ، فهم ما بين قتيل مرمّل بدمائه ، ومشرّد عن أوطانه وأحبّائه ، أو طريح ملقى بالعراء يودّ أنّه يكون تحت طباق الثرى حتى لا يُرى ، أهكذا أمرهم الرحمن؟ أم على هذا دلّم الرسول والديان ؟ :

وأكفهم من فيهم صفر	الفيء منقسّم لغيرهم
الكرام السادة الغر	المال حل للعصاة ويجرمه
عن طارق يغشاهم حذر	والناس في أمن وليس لهم

(1) سورة المؤمنون / 99 - 100 .

ويكاد من خوف ومن فزع بهم يضيق السبر والبحر
حال تسود ذوي النهي وبها يستبشّر المتجاهل العمر

روي عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) ، أنه قال : ((لما ولي أبو بكر بن أبي قحافة ، قال له عمر : إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها ، فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً ، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك ، تركوا عليّاً وأقبلوا إليك ؛ رغبة في الدنيا وإيثاراً لها ومحابة عليها . ففعل أبو بكر ذلك وأضرب عنهم جميع ذلك ، فلمّا أقام مناديه : من كان له عند رسول الله دين أو عدّة ، فليأتني حتى أقضيه ؟ قال عليّ لفاطمة (عليها السلام) : سيرني إلى أبي بكر ودكّريه . فسارت فاطمة إليه ، وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء ، فقال لها : ها تبيّنة يا بنت رسول الله . فقالت : أمّا فدك ، فإنّ الله أنزل على نبيّه قرآناً يأمره بأن يعطيني وولدي حقّي ، قال الله تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ (1) . فكننت أنا وولدي أقرب الخلائق إلى رسول الله ، فنحلني وولدي خاصّة فدكاً ، فلمّا تلا جبرائيل : ﴿ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (2) . قال رسول الله : أين حقّ المسكين وابن السبيل ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (3) . فقسّم الله الخمس ستة أقسام ، فقال : ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (4) . كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، فما لله فهو لرسول الله ، وما لرسول الله فهو لذي القربى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (5) . فنظر أبو بكر إلى عمر ، وقال له : ما تقول ؟ فقال عمر : فأريّ الخمس والفيء ، كلّه لكم ولمواليكم وأشياعكم ؟! فقالت فاطمة (عليها السلام) : أمّا فدك ، فقد أوجبها الله لي ولولدي من دون موالينا وشيعتنا ، وأمّا الخمس ، فقسّمه الله لنا ولموالينا وشيعتنا ، ما تقرأ في كتاب الله تعالى ؟! قال عمر : فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ؟ فقالت فاطمة : إن كانوا من موالينا وأشياعنا ، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإن لم يكونوا من أشياعنا ، فلهم الصدقات التي أوجبها الله في كتابه ، فقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ (الآية) (6) . فقال عمر : فدك خاصّة والخمس والفيء لكم ولأولياكم ، ما أحسب

(1) سورة الرّوم / 38.

(2) سورة الإسراء / 26.

(3) سورة الأنفال / 41.

(4) سورة الحشر / 7.

(5) سورة الشّورى / 23.

(6) سورة التّوبة / 60.

أصحاب مُحمَّد يرضون بهذا. فقالت فاطمة : إنّ الله تعالى رضي بذلك ورسوله رضي له , وقسمه على الموالاتة والمتابعة لا على المعاداة والمخادعة , ومَن عادانا فقد عادا الله , ومَن خالفنا فقد خالف الله , ومَن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم والعقاب الشَّدِيد في الدنيا والآخرة . فقال عمر : ها هي بيّنة على ما تدّعين . فقالت فاطمة : قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجريراً بن عبد الله , ولم تسألوهما البيّنة وبيّنتي في كتاب الله ؟! فقال عمر : إنّ جابراً وجريراً ذكرا أمراً هيّناً , وأنت تدّعين أمراً عظيماً تقع به الرّدة من المهاجرين والأنصار . فقالت (عليها السلام) : إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه , والأنصار بالإيمان بالله وبرسوله وبذي القربى أحسنوا , فلا هجرة إلّا إلينا , ولا نصرة إلّا لنا , ولا اتباع بإحسان إلّا لنا , ومَن ارتدّ عنّا في الجاهلية . فقال لها عمر : دعينا من أباطيلك وأحضرينا مَن يشهد لك بما تقولين .

فبعثت إلى عليّ والحسن والحسين وأمّ أيمن وأسماء بنت عميس - وكانت يومئذ تحت أبي بكر , وكانت من قبل زوجة جعفر بن أبي طالب - فشهدوا لها بجميع ما قالت , فردّ عمر شهادة الجميع , وقال : كلّ هؤلاء يجرون النّفع إلى أنفسهم , فقال له عليّ : أمّا فاطمة فبضعة رسول الله , ومَن آذاها فقد آذى رسول الله , ومَن كذّبها فقد كذّب رسول الله , وأمّا الحسن والحسين فابنا رسول الله , وسيّدا شباب أهل الجنّة , مَن كذّبهما فقد كذّب رسول الله إذ كان أهل الجنّة صادقين , وأمّا أنا , فقد قال رسول الله : أنت مّي وأنا منك , وأنت أخي في الدنيا والآخرة , والرّاد عليك كالرّاد عليّ , مَن أطاعك فقد أطاعني , ومَن عصاك فقد عصاني , وأمّا أمّ أيمن , فقد شهد لها النّبي بالجنّة , ودعا لأسماء بنت عميس وذريّتها . فقال عمر : أنتم كما وصفتم به أنفسكم , ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تُقبل . فقال عليّ (عليه السلام) : إذا كنّا بحيث تعرفون ولا تنكرون , وشهادتنا لأنفسنا لا تُقبل , وشهادة رسول الله لا تُقبل , فإنّا لله وإنّا إليه راجعون إذا دعينا لأنفسنا سُئلنا البيّنة , أفما من معين يعين ؟ وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله , فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجّة : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) . ثمّ قال لفاطمة : انصربي حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

قال المُفضل بن عمر : قال مولاي جعفر بن مُحمَّد الصّادق (عليه السلام) : ((كلّ ظلامة حدثت في الإسلام

(1) سورة الشّعراء / 227.

أو تحدث ، وكلّ دم مسفوك حرام ، أو منكر مشهور ، وأمر غير محمود ، فوزره في أعناقهما وأعناق من شايعهما وتابعهما وأعانهما ، ورضي ولايتهما إلى يوم تقوم الساعة)) .

وعن الحارث البصري ، قال : دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) ، فجلست عنده ، فإذا نجبة قد استأذن عليه ، فأذن له فدخل ، فجنّ على ركبتيه ، ثمّ قال : جعلت فداك ! إنّي أريد أن أسألك عن مسألة ، ما أريد بها إلاّ فكاك رقبتي من النار . فكاكته رقّي له فاستوى جالساً ، فقال : جعلت فداك ! ما تقول في فلان وفلان ؟ فقال : ((يا نجبة ، لنا الخمس في كتاب الله ، ولنا الأنفال ولنا صفو المال ، هُما والله أوّل من ظلمنا حقّنا في كتاب الله ، وأوّل من حمل النّاس على رقابنا ، ودماؤنا في أعناقهما إلى يوم القيامة ؛ بظلمنا أهل البيت)) . فقال نجبة : إنّنا لله وإنّا إليه راجعون (ثلاث مرّات) ، هلكننا وربّ الكعبة . فرفع (ع) فخذه عن الوسادة واستقبل القبلة ، ودعا بدعاء فلم أفهم منه شيئاً ، إلاّ إنّنا سمعناه في آخر دعائه وهو يقول : ((اللهمّ ، إنّنا أحللنا ذلك لشيعتنا)) . قال : ثمّ أقبل إلينا بوجهه ، وقال : ((يا نجبة ، ما على فطرة إبراهيم غيرنا وغير شيعتنا)) .

فيا إخواني ، هل يجب الإقتداء في الدّين بالذين اتخذوا دينهم هواً ، وغرّتهم الدّنيا وقنعوا بعاجلها ، ورضوا برئاستها وبما نالوه من حطامها ، وجلسوا غير مجالسهم ، ووردوا غير مشاربهم ، ونازعوا الأمر مستحقّيه ، وولوا في دين الله بالرّأي ، وحكموا بغير ما أنزل الله ، فأتبعهم السّواد الأغلب ، وأهل الفاقة والاحتياج ، ورعاع المدن كبني أميّة وبني العباس ، ومن تابعهم في المآكل والمشارب والمناكح ، ومن أبدع في الفجور وشرب الخمر ، وعبث بالمردان بخلاف ما أمر الرّحمن ، والتّواريخ والكتب تنطق بأعمالهم ، فهل هؤلاء أئمة الدّين؟! أم عليّ وأولاده المعصومون ، المأمونون على سرّ الله ، المحتجون بغيبته ، المستسرون بدينه ، المعلنون به ، الواصفون لعظمته ، المنتزّهون عن معاصيه ، الدّاعون إلى سبيله ، السّابِقون في علمه ، المجاهدون في طاعته ، تلامذة الرّسول في المنقول والمعقول ، أهل العلوم والأدكار ، نقلة الأسرار ، حملة الكتاب ، أولوا الألباب ، الذين حفظوا في جوارحهم من العبث ونفوسهم من الوعث ، الرّهاد العبّاد الأتقياء الأمجاد .

فيا إخواني ، أيّ الفريقين على الحقّ ، وأولى بالأمر وأحقّ ؟ ولكن الشّمس تطمس أعين الخفاش ، والحقّ مضرّ باستماع الأوباش : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) .:

(1) سورة الشّعراء / 227.

شعر للخليعي (رحمه الله تعالى)

ألا من يدعي الإيمان فأبذل حنيباً باحتراق واكتئاب
وعزى المرتضى في السبب وأذرف من الأجفان دمعاً ذا انسكاب
وقل لو أن عينك عاينته طعيناً في ثرى الرمضاء كأبي
ولو عاينت بنتك تستجير الطغاة وتختفي بين الشعاب
صفت القلب من أرجاس قوم ومكنت الحسام من الرقاب
فيا رب السماء إليك نشكو من الفجار نسل بني كلاب

روي : أن النبي (ﷺ) لما مرض مرض الموت ، اتفق يوماً كان رأسه في حجر أم الفضل - امرأة العباس - فاستعبرت أم الفضل وبكت ، وقطرت دموعها على خد رسول الله ، فقال لها : ((ما يبكيك يا أم الفضل ؟)) . قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! إنك نعت لنا نفسك ، فقلت : قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ (1) . فإن كان هذا الأمر فينا ، فبيته لنا ، وإن كان في غيرنا فأوص بنا ؟ فقال (ﷺ) : ((ابعتي إلى ابني الحسن والحسين)) . ففعلت ، فلما أقبلنا ، استدناهما إلى صدره ، ووضع خد أحدهما على خده الأيمن ، وخد الآخر على خده الآخر ، ثم استعبر فبكى وبكى من كان حاضراً ، وصاحت فاطمة وقالت شعراً :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثم اليتامى عصمة للأرامل

فقال رسول الله (ص) : ((يا فاطمة ، هذا قول عمك ولكن قولي : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ﴾ (2) . أنتم المقهورون بعدي المستضعفون ، فمن صبر منكم واحتسب في دار البوار ، كان له الدائم الباقي في دار القرار : ﴿ **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ (3))) . قالت أم الفضل : يا رسول الله ، إلى من نفرغ بعدك ؟ قال (ص) : ((إلى أخي ووصيي وخليفتي ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)) . فلما اشتد الأمر برسول الله ، خلا بعلي (عليه السلام) يوم الإثنين ، وقال لعائشة وسائر نسائه وأصحابه وأهل بيته : ((هذا يوم لا يجتمع فيه عندي غير عترتي أهل بيتي ؛ علي وفاطمة والحسن والحسين ، فإنهم شركائي في ديني ودقيق أموري وجليلها)) . فكان علي (عليه السلام) عند رأسه ويده اليمنى على ذقنه ، وفاطمة من الجانب الآخر ،

(1) سورة الزمر / 30 .

(2) سورة آل عمران / 144 .

(3) سورة الأعلى / 17 .

والحسن والحسين إلى جانبهما ، ثم إنَّ عليّاً غمّض رسول الله ، فلما مات النبي (ﷺ) ، سُمع هاتف من ناحية البيت يتلو : ﴿كُلَّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ (1) . لنبلون آل محمد في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا ، أذى كثيراً ، في الله خلف من كلِّ هالك ، ودرك من كلِّ فائت ، وعزّ من كلِّ مصيبة ، ألا إنَّ المحروم من حُرْم ثوابه ، والمغبون من غير دينه ، والمصائب من ذهب يقينه .

فيا إخواني ، إذا رجعنا إلى أنفسنا وتركنا عبادة الهوى ومتابعة من ضلّ وغوى ، أترى تكون فاطمة (عليها السلام) راضية حين عصرها خالد بن الوليد ، فأسقطت محسناً ، وضربها قنفذ مولى أبي بكر فأثر فيها الضرب ؟ أفتراها تكون راضية حين سحب زوجها وابن عمّها وأبو السبطين ؟ أفترى منع إرثها وتكذيب شهودها على دعواها ترضاهما ؟ أتراها لو شاهدت عساكر بني أمية ، وقد استداروا على ولدها الحسين (عليه السلام) يريدون قتله ، ويكيدونه بالعطش ، ويمنعونه شرب الماء المباح ، ويرشقونه بالنبال ، حتى خرقوا جلده ، ويضربونه بالسيف حتى رويت الأرض من دمه ، ويطعنونه بالرّماح حتى خرّ إلى الأرض مجذلاً ، وأحروا السكاكين على أوداجه ورقبته حتى فصلوا رأسه عن بدنه ، وسلخوا جلد وجهه ، وألقوا عظامه وجسده أشلاء للطير والوحش ، وقتلوا أهله ورجاله ، ونهبوا حرمه ، وتتبعوا شيعته قتلاً وتمثيلاً ، فهل تكون راضية بذلك أم غضبانه ؟ وإذا كانت غضبانه ، أيكون الله عزّ وجلّ غضباناً ؟ أم يكون هذا كله في رضا الأوّل والثاني والثالث ، ومعاوية ويزيد بن معاوية ، هيئاً عند الله ؟ كلا ، ولكن راجعون على الأعقاب القهقري : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (2) .

فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مفلح الصيمري (رحمته الله تعالى)

أعد لك يا هذا الزمان محرم أم الجور مفروض عليك محتم
أم أنت ملوم والجود لئيمة فلم تـرع إلا للذي هو الأم

(1) سورة آل عمران / 185 .

(2) سورة الشعراء / 227 .

فشأنك تعظميم الأراذل دائماً
إذا زاد فضل المرء زاد امتحانه
إذا اجتمع المعروف والدين والتقوى
وكم جامع أسباب كل رذيلة
فأضحى وقد ألقى الزمان جراه
وذاك لأن الدين والعلم والندى
فمعدننه آل النبي محمد
فاقبلت الدنيا عليه بزينة
فاعرض عنها كارهاً لنعيمها
فمالت إلى أهل الرذائل والخناس
فجاءوا إليها يهرعون فأقبلت
صداقي عليكم ظلم آل محمد
فقالوا رضينا بالصادق وأسرجوا
وشنوا بها الغارات من كل جانب
أزالوهم بالقهر عن إرث جدهم
وقادوا علياً في حمائل سيفه
على بيت بنت المصطفى وإمامهم
وتغصب ميراث النبي محمد
وأعظم من كل الرزايا رزية
فما أحدث الأيام من يوم أنشئت
بأعظم منها في الزمان رزية
ولم أنس سبط المصطفى وهو ظامي
وقد صرعت أنصاره وهو مفرد
ألسنا أولي القربى الذي أجبنا لنا
ألسنا آل النبي محمد
تموت عطاشى آل بيت محمد
أهذا الذي أوصى النبي بآله

وعزنين أرباب الفصاحة ترغم
وترعى لمن لا فضل فيه وترحم
لشخص رماه الدهر وهو مصمم
وليس لما قد قال أو قيل هم
لديه فيقضي ما يشاء ويحكم
له معدن أهله يؤخذ عنهم
وخيرهم صنو النبي الأعظم
وألقت إليهم نفسها وهي تبسم
وقابلها منه الطلاق المحرم
وأومت إليهم أيها القوم أقدموا
عليهم وقالت فاسمعوا ثم افهموا
وشيعتهم أهل الفضائل منهم
على حرهم خيل الضلال وأجموا
وخصوا بها آل النبي وصمموا
عناداً وما شاءوا أحلوا وحرّموا
وعمار دقوا ضلعه وتهجموا
ينادي ألا في بيتها النار أضرموا
وتوجع ضرباً بالسياط وتلطم
مصارع يوم الطّفّ أدهى وأعظم
ولا حادث فيها إلى يوم تعدم
يقام لها حتى القيامة ماتم
يذاد عن الماء المباح ويحرم
ينادي ألا هل راحم يترحم
مودتنا أي الكتاب عليكم
يصلّى عليهم دائماً ويسلم
ويشرب هذا الماء ترك وديلم
ألم تسمعوا أم ليس في القوم مسلم

فقالوا له إن شئت ترجع سالمًا
فبايع طوعاً للأُمير مسالمًا
فقال لهم لا تزعمون بأنني
وما هي إلا ساعة ثم ألتقي
ويجمعنا يوم القيامة معشر
فخصصكم فيه النبي وحيدر
أهل تخصصمون المصطفى وابن عمه
فما زادهم ما قال إلا تجبراً
فمالوا عليه بالسيف وبالقنا
وحكمهم فيهم سمهـ رياً مقوماً
وصال عليهم صولة علوية
فصاروا عريناً كلفر فوقه
فنادى ابن سعد بالرماة ألا أقصدوا
ففوق كل سهمه وهو مغرق
فصادته في النحر سهم مصرد
فخرّ طريحاً في التراب مغفراً
ويأخذ من دم الوريد بكفه
فنادى ابن سعد من يجيء برأسه
وأضجعه فوق التراب مغفراً
بأني صريع في التراب مجدلاً
فقال له من أنت يا ذا ألا أتمي
فقال هو أنا الشمر الضبابي راجياً
فقال له إن الحبي عند والدي
فما زاد قلب الرجس إلا قساوة
تكاد السماوات الشداد لقتله
وكور أنوار النجوم جميعها
وبادر ينعه الحصان مسارعاً

وتسقى من الماء الزلال وتطعم
وإلا فحد السيف فيك محكم
أبايع رهياً خيفة الموت فاعلموا
بجدي وأحظى بالجنان وأنعم
وأقبل فيه شاكياً أنظلم
وفاطمة والسجن فيها جهنم
وفاطمة لم ذلك اليوم تخصصوا
وصاح ابن سعد عجلوا وتهجموا
فبارزهم وهو الهزبر الغشمشم
وأبيض لا ينبو ولا يتثلثم
فكانوا كضأن صال فيهم ضيغم
ومال إلى الأخرى ففي الحال تهزم
إليه جميعاً بالسهم ويموا
من النزع نحو السبط وهو مصمم
له شعب قعب المنية تعلم
يعالج نزع السهم والسهم محكم
ويرمي به نحو السما يتظلم
فسار إليه الشمر لا يتبرم
ينادي أيا جداه هل أنت تعلم
أو ينحر نحري والضلع تحطم
فإنك أقسى كل قلب وأجرم
بقتلك أن أحبي عظيمأ وأكرم
وجدي وأممي في القيامة أعظم
وميز عنه الرأس لا يترحم
تفطرن والأرضون تحسف فيهم
وأمرت الدم السماء عليهم
إلى خيم النسوان وهو يمحهم

فلما رأين المهر والسرج خالياً
ونادين هذا اليوم مات مُحَمَّد
فهذا الذي أبقي لنا الدهر بعدهم
وهذا الذي كنا نعيش بظلمه
وهذا هو الحصن الذي كان محصناً
فهذا حسين في التراب مجدلاً
فشن عليهم ابن سعد بغارة
وصرن بأيدي الجرمن غنيمه
فيالك من يوم به الكفر ناطق
فو الله ما أدري الحسين ورهطه
سوى جبرتم الدلام ونعثل
وتلك التي جاءت تقود عساكراً
وخالفت القرآن ثم تبرجت
لنفرق شمل الدين بعد اجتماعه
أبوها يولي الدبر في كل موقف
ألا لعن الله المهيمن جبراً
وبعدهما فالعن دلاماً ونعثلاً
والعن مرواناً وآل أمييه
ولا تنسى أبا موسى وضاعف لعنه
برئت إلى الرحمن ثم مُحَمَّد
وممن دان في أقوالهم وأفعالهم
فلعنهم للدين أصل مؤصل
أيا ساداتي يا آل بيت مُحَمَّد
فأنتم له حصن منيع وجنة
ألا فاقبلوا من عبدكم ما استطاعه
فأنتم مما قلت أو قال قائل

خرجن وكل حاسر وهي تلطم
ومات عليّ والزكي وفاطم
نصان به من كل سوء ونعصم
يلوذ به طفيل رضيع وايم
لنا من صروف الدهر فهو مهدم
ونحن سبايا نستباح ونغنم
ونادي مباح ما حواه المخيم
وتسلب كل ما عليها وتلطم
ودين الهدى أعمى أصم وأبكم
وصيرهم فيئلاً يحاز ويقسم
لأنهم في كل ظل تقدموا
على جميل يحدو بها المترنم
تبرج أهل الجهل بل هي أعظم
وتنقض ما قد أبرموه وأحكموا
وابنته عند اللقاء تتقدم
وابنته تعداد ما الله يعلم
وهنداً ونغليها ومن مال معهم
كذلك دعى العاص فهو المزنم
ومن قد رضي في أنه يتحكم
وحيذرة وابنييه والأم منهم
ومن كل شيعي ففي اللعن عنهم
ودين بلا أصل فذاك مهدم
بكم مفلح مستعصم متلزم
وعروته الوثقى بدارييه أنتم
فعبدكم عبد مقل ومعدم
من الناس طراً يا موالي أعظم

الباب الثاني

اعلموا أيها المؤمنون ، إنّ فضل ساداتكم لا يُحصى ولو اجتمع له العالمون ، وما جهد المادحون في مدح من ورد في مدحهم القرآن المُبين ؟ ولعمري ، إنّ في فضيلة من فضائلهم عبرة للمعتبرين وتبصرة للمتبصرين ، إلّا من أغواه الشيطان ، فأصمّ سمعه وعميت منه العينان ، فتبّاً لمن أعمتهم أطماعهم الدنيّة ، وأهواؤهم المرديّة الرديّة ، فجعلوا يركضون على مطايا الأطماع ، ويتحمّلون من الأثقال ما لا يُستطاع ، فتعساً لهم ما حملهم على غضب البتول وقتل ذرّيّة الرّسول ، أليس هي إلاّ أيام قلائل ؟ حتّى يردوا على الهول الهائل : ﴿ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (1).

فيا إخواني ، كيف لا تتمايل أعطائي وتظهر نشوتي ، وقد شربت بالكأس المترع من رحيق محبّي لمواليي وساداتي ؟ :
حديث فإن ربي العقيق ويثمد يجلى بطيب حديثها قلبي الصد
إيه بعيشك كيف خلفت الحمى قد طال عهدي بالديار فجدد
بالله قصص عليّ من أنبائهم فإذا ثملت بها وملت فردد
فيا إخواني ، إذا ذكرت ما أصابهم من الآلام في تلك الأوقات والأيام ، اعتراني الهمّ والحزن حتّى أكاد أن تُسلب روحي من البدن ، فاشتهي من أبتّ حزني إليه ؛ ليساعدني ما أنا عليه.

روي : أنّه لما قدم آل الله وآل رسوله على يزيد في الشّام ، أفرد لهم داراً ، وكانوا مشغولين بإقامة العزاء ، وإنّه كان لمولانا الحسين (عليه السلام) بنتاً عمرها ثلاث سنوات ، ومن يوم استشهد الحسين ما بقيت تراه ، فعظم ذلك عليها واستوحشت لأبيها ، وكانت كلّما طلبته ، يقولون لها : غداً يأتي ومعه ما تطلبين . إلى أن كانت ليلة من الليالي رأت أباه بنومها ، فلمّا انتبهت ، صاحت وبكت وانزعجت ، فهجعوها وقالوا : لما هذا البكاء والعويل ؟ فقالت : آتوني بوالدي وقرّة عيني . وكلّما هجعوها ، ازدادت حزناً وبكاءاً ، فعظم ذلك على أهل البيت ، فضجّوا بالبكاء وجدّدوا الأحزان ، ولطموا الخدود وحثوا على رؤوسهم التراب ، ونشروا الشّعور وقام الصّياح ، فسمع يزيد صيحتهم وبكاءهم ، فقال : ما الخبر ؟ قالوا : إنّ بنت الحسين الصّغيرة رأت أباه بنومها ، فانتهت وهي تطلبه وتبكي

(1) سورة التّحريم / 6.

منحياً على ثنايا أبي عبد الله الحسين ، ربحانة رسول الله سيد شباب أهل الجنة ، تنكثها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك؟! أو قد نكأت القرحة وأنصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد (ﷺ) ، نجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتحتف بأشياخك زعمت تناديهم ، لتزدن وشيكاً موردهم ، ولتودن أنك شللت قبل فعلتك هذه وبكمت ولم تكن قلت ما قلت.

ثم قالت : اللهم ، خذ بحقنا وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماء ذريته ، وانتهاك حرمة في عترته ، حيث يجمع شملهم ويلم شعنهم ويؤخذ بحقهم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (1). وحسبك الله حاكماً ومحمد خصيماً وجبرائيل ظهيراً ، فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنفط من دماننا والأفواه تتحلّب من لحوมนา ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي ، تتناهبها العوائل وتعقرها أمهات الفواعل ، وإن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك ، والله ليس بظلام للعبيد ، فيألي الله المشتكى وعليه المعول ، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك ، فو الله ، لا تمحو ذكرنا ولا تمت وحيننا ولا تدرك أمدنا ، ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

قال : فنظر رجل من الشام إلى يزيد (لعنه الله) ، وقال : يا أمير ، هب لي هذه الجارية . فقالت فاطمة لعمتها زينب : يا عمتاه ! قُتلت رجالنا ، ليت الموت أعدمني الحياة ولا كنت أسبي بين الأعداء . فقالت زينب : لا حباً ولا كرامة لهذا الفاسق . فقال الشامي : من هذه الجارية ؟ قال يزيد (لعنه الله) : هذه فاطمة الصغرى بنت الحسين ، وتلك زينب بنت أمير المؤمنين . فقال الشامي : لعنك الله يا يزيد ، تقتل عترة نبيك وتسبي ذريته . فقال يزيد : لألحقنك بهم .

فيا إخواني ، رحم الله قوماً باعوا أنفسهم بالآخرة ، وتركوا العيش الأهنى والتّعيم الأسنى ، فنالوا السعادة الأبدية والدولة السرمدية ، فقطّعوا القلوب واشتروا التّعيم الدائم بقليل من المحن والكروب :

سكينة خوف السبي وهو مكيد	وفاطمة الصغرى تقول لأختها
قريح وبالأحزان فهو كميد	وزينب ما بين السماء وقلبها
ومبدي لاسرار الهموم مقيد	تقول وللأحزان في القلب مبدع

(1) سورة آل عمران / 169 .

أخي يا بن أمي يا شقيقي وسيد
عليك جفوني الذاريات ذوارف
ومــــن لي دون الأنام عميــــد
وأما دمــــوعي المرسلات نجــــود
وأخي ثل عرش الدين وانهد ركنه
وعطــــل منه إذ أصبــــت حــــودود
يا ويلهم ! كأثم لم يسمعوا ما أنزل في حثهم , ولم يعتبروا ما قاله النبي في نعتهم , بل والله قد عرفوا وانكروهم وأساءوا إليهم
بعدما أخبروهم.

روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (1). إنه إذا قبض الله إليه نبياً من الأنبياء , بكت عليه السماء والأرض أربعين سنة , وإذا مات إمام من الأئمة الأوصياء , تبكي عليه السماء والأرض أربعين شهراً , وإذا مات العالم العامل بعلمه , بكيا عليه أربعين يوماً , وأما الحسين (عليه السلام) فتبكي عليه السماء طول الدهر , وتصديق ذلك أنّ يوم قتله قطرت السماء دماً , وإنّ هذه الحمرة التي تُرى في السماء , ظهرت يوم قتل الحسين ولم تُر قبله أبداً , وإنّ يوم قتله لم يُرفع حجر في الدنيا إلّا وجد تحته دم . حُكي في بعض الأخبار : إنّ الحسين لما سقط عن سرجه يوم الطفّ , عفيراً بدمه رامقاً بطرفه , يستغيث فلا يُعاث ويستجير فلا يُجار , بكت ملائكة السماء , وقالوا : إلهنا وسيدنا , يُفعل هذا كلّه بابن بنت نبيك وأنت بالمرصاد , تنظر وترى وأنت شديد الإنتقام . فأوحى الله إليهم يقول : ((يا ملائكتي , انظروا عن يمين العرش)) . فينظرون , فيمثل الله لهم شخص القائم المهدي , فيرونه يُصلي عن يمين العرش راعياً وساجداً , فيقول : ((يا ملائكتي , سأنتقم لهذا بهذا)) . ثمّ يقول : ((يا ملائكتي , إنّي قتلت بثأر يحيى بن زكريا , سبعين ألفاً من بني إسرائيل , وسأقتل بثأر الحسين بن فاطمة الزهراء , سبعين ألفاً وسبعين ألفاً من بني أميّة على يد القائم المهدي , ولهم في الآخرة عذاب عظيم)) .

إلى أي عمــــدل أم إلى أي رأفــــة
ســــواهم يــــؤم الظــــاعن المتحمــــل
لأهل العمى فيهم جلاء من العمى
مع النصح لو أن النصيحة تقبل
روى صاحب زهرة الكمال , قال : لما أخرج آدم (عليه السلام) من الجنة , انحدر ببلدة من بلاد الهند تسمى سرانديب , وبقي يبكي على مصيبتة مدّة طويلة , حتّى نُقل أنّه ظهرت لمحاكيه ولم يبق لها لحم بفيه , فمنّ عليه الملك الجليل بإرسال جبرائيل , فكشف له عن بصره حتّى أراه ساق العرش , فرأى أنواراً ساطعة كالنجوم اللامعة ,

(1) سورة الدخان / 29.

فتلاها وإذا هي ؛ مُحَمَّد وعليّ وفاطمة ، والحسن والحسين والأئمة من ولده (ﷺ) ، حصناً مَنْ دخله كان آمناً . فقال : يا أخي جبرائيل ، هل خلق الله خلقاً أكرم مني ؟ قال : نعم . قال : متى خُلِقوا ؟ قال : قبل خلق السماوات والأرضين وقبلك بألفي عام ، ولولاهم ما خلقك الله تعالى ، وهم من ولدك . فقال : اللهم ، يا مَنْ شَرَفْتَ هذا الوالد على الولد ، إغفر لي خطيئتي . فغفر له .

وروى صاحب درّ الثمين في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (1) . إنّه رأى ساق العرش والأسماء عليه ، فلقنه جبرائيل وقال له : قُل يا حميد بحق مُحَمَّد ، يا عليّ بحق عليّ ، يا فاطر بحق فاطمة ، يا مُحسن بحق الحسن ، يا قديم الإحسان بحق الحسين . فلما ذكرت الحسين (ﷺ) ، سألت دموعه وانخشع قلبه ، وقال : يا أخي جبرائيل ، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي ؟ قال جبرائيل : ولدك هذا يُصاب بمصيبة وتقصّر عندها المصائب . فقال : يا أخي ، وما هي ؟ قال : يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ، ليس له ناصر ولا مُعين ، ولو تراه يا آدم يُنادي : وا عطشاه ! وا قلّة ناصراه ! حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان ، فلم يجبه أحد إلا بالسيف وشرب الختوف ، فيُذبح ذبح الشاة من قفاه ، ويكسب رحله أعداء ، وتُشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم التّسوان ، سبق في علم الواحد المتّان . فبكى آدم مع جبرائيل بكاء التّكلى . والله درّ مَنْ قال من الرّجال :

يا قتيلاً بكاه آدم حقاً ونعاه من السما جبريل
وبكى الجنان والملائك جمعاً أي عين دموعها لا تسيل
وغدا الطير في السماء ينادي آه وا سيدها ايمن المثيل
وعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليك الباكون ، وإياهم فليندب التّادبون ، ومثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونوا كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مفلح الصّيمري (رحمه الله تعالى)

إلى كم مصاييح الدجى ليس تطلع وحتام غيم الجـو لا يتقشع
لقد طبق الأفاق شرقاً وغربها فلا ينجلي أنا ولا يتقطـع

(1) سورة البقرة / 37.

وأطهر في كل البلاد صواعقاً
فلم ينج منهم غير من باع دينه
ولا عز إلا من أتى بنميمه
منازل أهل الجور في كل بلدة
يقولون في أرض العراق مشعشع
فلا فرق إلا عجزهم واقتداره
لقد صاقت الآفاق وارتق الفضاء
فهل عامر في الأرض بل أو مفازة
وما سن فيها الظلم إلا عصاة
فأولهم نسل القحافي حبتر
أبوه دعى لابن جذعان خادم
وتابعه ابن الصمهاكي أدم
إذا كان منسوباً لسبع ...
وتابعه في الظلم آل أمية
فلم يتركوا للدين أصلاً يقله
وقادوا علياً في حمائل سيفه
كسيف زبير ثم ضلع ابن ياسر
إذا فعلوا هذا بأصحاب أحمد
على حبتر ثم ارتضوه أميرهم
وفاطمة الزهراء حازوا تراثها
فقال أبوك المصطفى قال معلناً
فقالته فهاتوا نخلتي وعطيتي
فقالته شهودي أذهب الرجس عنهم
هم حيدر وابناه مع أم أيمن
فقال لها ظمماً وكفراً وقسوة
فلما رأت تصممه في ضلاله

وهبت له ربح من الشر زرع
وقال بما يرضي الضلوع ويقنع
ولا ذل إلا مؤون متورع
عمار وأهل العدل في تلك بلقع
وهل بقعة إلا وفيها مشعشع
وظلمهم فيما يطيقون اشنع
فليس لأهل الدين في الأرض موضع
وليس لها في الظلم جمع مجمع
تقول على آل النبي تجمع
لئيم له في اللؤم أصل وموضع
وحبتر أدنى محل وأوضع
عتل زعيم فاجر متباعد
فهل عجب فيما يقول ويصنع
تواطوا على ظلم الوصي وأجمعوا
ولم يتركوا فرعاً له يتفرع
وكسر أسياًفاً لقوم وأضلع
وضلع ابن مسعود وللصحف قطع
وقالوا لنا إن الصحابة أجمعوا
فهل عاقل يرضى بهذا ويقنع
عناداً فجاءت حبتراً تتشفع
بأن أولي القربى من الإرث يمنعوا
فقالوا لها هل شاهد لك يسمع
لهم آية التطهير ما فيه مدفع
فهل لك في رد الشهادة مطمع
فلسنا بقول البعل والابن نقنع
وليس عن العصيان أو الظلم يقلع

فقامت وأنت عند ذلك أنة
وتابعت الزفرات والنوح والبكا
فيا عجباً من رده لشهودها
ألم يفقهوا أقواله وفعالته
فهل رد إلا من نفى الرجس عنهم
يزكي إليه العالمين وأحمد
فتباً لها من أمة ضل سعيها
وأعظم من كل الرزايا رزية
بها لبس الدين الحنيفي خلعة
فما أنس لا أنس الحسين ورهطه
ولم أنسه والشمر من فوق رأسه
ولم أنس مظلوماً ذيحاً من القنا
يقبله الهادي النبي بنحوه
إذا حز عضو منه نادى بجده
وميز عنه الرأس ظلماً وقسوة
تزلزلت الأفلاك من كل جانب
وعرج جبرائيل ينوح بحرقه
وضجت أملاك السماء وتناوحت
وجعن كريمات الرسول حواسراً
تقبل جثمان الحسين سكينه
فيؤلمها ضرب السياط فتلتجي
تقول له يا شمر ويحك خلها
وترفع صوتاً أم كلثوم بالبكا
وتندب من عظم الرزية جدها
أيا جدهنا نشكو إليك أمية
أيا جدهنا لو أن رأيت مصابنا
أيا جدهنا هذا الحسين معفراً

يكاد لها صم الصفا يتصدع
إلى أن قضت لم يرق للطهر مدع
وقول أناس ليس في الكفر تطمع
ألم ينظروا يا ويلهم ثم يسامعوا
ورد الذي قد جاء بالوحي يصدع
أناساً ويأتي نغل تميم ويمنع
توالي كفرةً بالإله وتتبع
مصارع يوم الطّف أدهى واشنع
من النذل لا تبلى ولا تنقطع
وعترته بالطف ظلماً تصرع
يهشم صدره وهو للعلم مجمع
وقد كان نور الله في الأرض يلمع
وموضع تقبيل النبي يقطع
وشمر على تصميمه ليس يرجع
ولا عينه تندو ولا القلب يخشع
تكاد السما تنقض والأرض تقلع
ويشجي أملاك السما ويفجع
طيور الفلا والوحش والجن أجمع
ولم يبق جيب لا يشق ويرقع
وشمر لها بالسوط ضرباً يقنع
لعمتها من حيث بالضرب توجع
إذا كان بالتقبيل ترضى وتقنع
وتشكو إلى الله العلي وتضرع
فلو جدهنا ينظر إلينا ويسمع
فقد بالغوا في ظلمنا وتبدعوا
لكنت ترى أمراً له الصخر يصدع
على الترب محزوز الوريدين مقطع

فجثمانه تحوت الخيول ورأسه
أيا جـدنا لم يتركوا من رجالنا
أيا جـدنا لم يتركوا لنسائنا
أيا جـدنا سرنا عرايا حواسرا
أيا جـدنا لو أن تـرانا أذلّة
أيا جـدنا نسترحم القوم لم نجد
أيا جـدنا شمر يـيز قناعنا
أيا جـدنا زين العباد مكبل
إذا ما رأنا حاسرات بلا غطا
فيصرف عنا الوجه من غير بغضة
فما فعلت عاد كفعل أمية
فما قتل السبط الشهيد ورهطه
وما ذاك إلا سامري وعجله
ألا لعن الله الذين تـوازرُوا
أيا سـادتي يا آل بيت محمد
وأنتم ملاذي عند كل كريهة
إذا كنتم درعي ورمحي ومنصلي
بك أتقي هول المهمات في الدنا
فدونكموها من محب ومبغض
ولا طـاقتي إلا المـدائح والهـجـا
ألا ساعة فيها أجرد صارماً
فحينئذ يشفي الفؤاد وحزنه
فكيف ولو بالحر قسنا جميعهم
أيا سـادتي يا آل بيت محمد
ألا فاقبلوا من عبدكم ومحـبكم
فإن كان تقصير بما قد أتيتـه
فلسـت بقـوال ولست بشاعر

عناداً بأطراف الأسنة برقع
كبيراً ولا طفلاً على الثدي يرضع
خماراً ولا ثوباً ولم يبق برقع
كأننا سبايا الروم بل نحن أوضع
أسارى إلى أعـدائنا نتضرع
شفيحاً ولا من ذي الإساءة يدفع
ويضربنا ضرب الإمام ويوجع
عليـل سقيم مدنف متوجع
تكاد الحشا تنفت والروح تنزع
ويرزوا إلى الرأس الحسين فيجزع
ولكنهم آثار قوم تتبع
سوى عصابة يوم السقيفة أجمعوا
أهم أصلوا للظلم والقوم فرعوا
على ظلم آل المصطفى وتجمعوا
بكم مفلح مستعصم متمنع
وأنتم له حصن منيع ومفزع
فلا اختشي بأساً ولا أتروع
وأهوال روعات القيامة أذفع
له كبد حـرى وقلب مفجع
وليس بهذا علة القلب تنفع
وأضرب هام القوم حتى يصرع
مقيم ولو لم يبق للقوم موضع
لـزاد عليهم للرياحي اصـبع
ويا من بهم يعطي الإله ويمنع
قليلاً فإن الحر يرضى ويقنع
فساحة غدري يا مـوالي مهيع
ولكن من فرط الأسى أتولع

الباب الثالث

أيها الإخوان , كيف تخفي زفريات الأحزان ؟ أم كيف تطفي لهبات الأشجان ؟ أتراكم ما تعلمون ما جرى على سادات الزمان في تلك الأماكن والأوطان ؟ قسماً بالبيت العتيق , لو فكّر المؤمن فيما أصابهم من المحن , لغدى روحه أن تخرج من البدن , كيف لا وهم أنوار الله في أرضه وسمائه , وأصفياء الله وأبناء أصفياه ! اجتروا عليهم فقطعوا منهم الأوصال , وجدّلوهم على الزّمال , وجرّعوهم كؤوس الحتوف بأرض الطّفوف , وأخذوا نساءهم سبايا على أفتاب المطايا , عرايا حفايا على أيدي أهل العناد وأشرّ العباد , أمر تكاد السّماوات أن يتفطّرن منه , وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً :

والله ما عاد بأعظم جرأة منهم ولا فعلت ثمود وتبع
وناداهم لما به حفوا معاً زمراً ولم يك من لقاهم يجرع
يا شر خلق الله ما من مسلم منكم له دين يكف ويردع
حرم التّي تموت من حر الظما والوحش في ماء الشريعة يترع
ألكم طلائب عندنا تبغونها ؟ أم ما عرفتم ويلكم ما يصنع

فيا لهف نفسي على الكهول والشبان ! ويا تأسفي على تلك الأجسام والأبدان ! فيا ليتني كنت تراباً لأقدمهم , وخادماً من جملة خدامهم.

روي عن المفضل بن عمر , قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : كيف كانت ولادة فاطمة (عليها السلام) ؟ فقال : ((نعم , إنّ خديجة لما تزوج بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) , هجرتها نساء مكّة , وكنّ لا يدخلنّ إليها ولا يسلمنّ عليها ولا يتركن امرأة تدخل إليها , فاستوحشت خديجة لذلك , فلمّا حملت بفاطمة , كانت فاطمة تحدّثها في بطنها وتصبرها , وكانت تكنم ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) , فدخل يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة , فقال لها : يا خديجة , من تحدّثين ؟ قالت : الجنين في بطني يحدّثني ويؤنّسني . قال : يا خديجة , هذا جبرائيل يبشّرني أنّها ابنتي , وأنّها النّسلة الطّاهرة الميمونة , وأنّ الله سيجعل نسلي منها , وسيجعل من نسلها أئمة , ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه .

فلم تزل خديجة (عليها السلام) على ذلك حتّى حضرت ولادتها , فوجّهت إلى نساء قريش

وبني هاشم : أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء . فأرسلنّ إليها : عصيتينا ولم تقبلي قولنا , وتزوجت مُحَمَّدًا يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له , فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً . فاغتمت خديجة (عَلَيْهَا السَّلَامُ) لذلك , فبينما هي كذلك , إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأثخن من نساء بني هاشم , ففزعت منهنّ لما رأتهن , فقالت إحداهنّ : لا تحزني يا خديجة , إنّنا رسل ربّك ونحن أخواتك ؛ أنا سارة , وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنّة , وهذه مريم بنت عمران , وهذه كلثم أخت موسى بن عمران , بعثنا الله إليك ؛ لنلي منك ما تلي النساء من النساء . فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها , والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها , فوضعت فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ) طاهرة مطهّرة , فلمّا سقطت إلى الأرض , أشرق منها النور حتّى دخل بيوت مكّة , ولم يبق في شرق الأرض ولا في غربها إلّا أشرق فيه ذلك النور , ودخل عشر من الحور العين , كلّ واحدة منهنّ معها طشت من الجنّة وإبريق من الجنّة , وفي الإبريق ماء من ماء الكوثر , فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها , فغسلتها بماء الكوثر , وأخرجت خرقتين بيضاوين , أشدّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر , فلقتها بواحدة وفتّعتها بالثانية , ثمّ استنطقتها فنطقت فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بالشهادتين , فقالت : أشهد أن لا إله إلّا الله , وأنّ أبي مُحَمَّد رسول الله سيّد الأنبياء , وأنّ بعلي سيّد الأوصياء , وولدي سادة الأسباط , ثمّ سلّمت عليهنّ واحدة وسمّيت كلّ واحدة باسمها , وأقبلنّ يضحكن إليها , وتباشرت الحور العين , وبشّرت أهل السّماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة , وحدث في السّماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك , ثمّ قالت النسوة : خذيها يا خديجة , طاهرة مطهّرة زكية ميمونة , بورك فيها وفي نسلها . فتناولتها فرحة مستبشرة , وألّقتها ثديها فدرّ عليها , وكانت فاطمة تنمو في اليوم كما ينمو الصّبي في الشّهر , وفي الشّهر كما ينمو الصّبي في السنّة ((.

وعن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) , قال : ((فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين , وأنها لتقوم في محرابها , فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربّين , وينادونها بما نادت به الملائكة مريم , فيقولون : يا فاطمة , إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين . ثمّ يلتفت إلى عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) , فيقول له : يا عليّ , فاطمة بضعة منّي وهي نور عيني وثمرة فؤادي , يسوءني ما ساءها

ويسرني ما سرها , وإثما أول من يلحقني من أهل بيتي , فأحسن إليها بعدي)) .:

يا نفس إن تلقي صبراً فقد ظلمت بنت النبي رسول الله وإبناها
تلك التي أحمد المختار والدها وجبرائيل أمين الله رباها
الله طهرها من كل فاحشة من كل ريب وزكاهها وصفها

فهذا يا إخوان الدين ما وصل إلينا في ولادة بنت سيد المرسلين.

وأما ولادة الحسين بن عليّ (عليه السلام) , فقد روي فيها عن ابن عباس , قال : لما أراد الله أن يهب لفاطمة الزهراء , وكان في رجب في اثني عشر ليلة خلت منه , فلما وقعت في طلقها , أوحى الله عز وجلّ إلى لعيا (وهي : حوراء من الجنة) وأهل الجنان إذا أرادوا أن ينظروا إلى شيء حسن نظروا إلى لعيا , قال : ولها سبعون ألف وصيفة , وسبعون ألف قصر , وسبعون ألف مقصورة , وسبعون ألف غرفة مكلّلة بأنواع الجواهر والمرجان , وقصر لعيا أعلا من تلك القصور ومن كلّ القصور في الجنة , إذا أشرفت على الجنة , نظرت جميع ما فيها وأضاءت الجنة من ضوء خدّها وجبينها , فأوحى الله إليها : ((أن اهبطي إلى دار الدنيا , إلى بنت حبيبي محمد فأنسي لها)) . فأوحى الله إلى رضوان خازن الجنان : ((أن زخرف الجنة وزيّتها ؛ كرامة لمولود يولد في دار الدنيا)) . وأوحى الله إلى الملائكة : ((أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتكبير والثناء على الله تعالى)) . وأوحى إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل : ((أن اهبطوا إلى الأرض في قنديل من الملائكة)) . قال ابن عباس : والقنديل ألف ألف ملك , فبينما هبطوا من سماء إلى سماء , إذا في السماء الرابعة ملك يُقال له (صلصائيل) , له سبعون ألف جناح قد نشرها من المشرق إلى المغرب , وهو شاخص نحو العرش ؛ لأنّه ذكر في نفسه فقال : ترى الله يعلم ما في قرار هذا البحر , وما يسير في ظلمة الليل وضوء النهار ؟ فعلم الله تعالى في نفسه , فأوحى الله إليه : ((أن أقم مكانك لا تركع ولا تسجد ؛ عقوبة لك لما فكرت)) .

قال : فهبطت لعيا على فاطمة , وقالت لها : مرحباً بك يا بنت محمد كيف حالك ؟ قالت (عليه السلام) لها : ((بخير)) . ولحق فاطمة الحياء من لعيا لم تدري ما تفرش لها , فبينما هي متفكّرة , إذ هبطت حوراء من الجنة ومعها درنوك من درانيك الجنة , فبسطته في منزل فاطمة فجلست عليه لعيا , ثمّ إنّ فاطمة (عليه السلام) ولدت الحسين (عليه السلام) في وقت الفجر , فقبلته لعيا وقطعت سرته ونشفته بمنديل من

مناديل الجنة ، وقبّلت عينيه وتفلت في فيه ، وقالت له : بارك الله فيك من مولود وبارك في والديك . وهنأت الملائكة جبرائيل ، وهنأ جبرائيل مُحمّداً سبعة أيّام بلياليها ، فلمّا كان في اليوم السابع ، قال جبرائيل : يا مُحمّد ، آتنا بابتك هذا حتّى نراه . قال : فدخل النّبي (ﷺ) على فاطمة ، فأخذ الحسين وهو ملفوف بقطعة صوف صفراء ، فأتى به إلى جبرائيل ، فحلّه وقبّله بين عينيه وتفل في فيه ، وقال : بارك الله فيك من مولود ، وبارك في والديك يا صريع كربلاء ! ونظر إلى الحسين وبكى ، وبكى النّبي (ﷺ) وبكت الملائكة ، وقال جبرائيل : اقرأ فاطمة ابنتك السّلام ، وقُل لها : تُسمّيه الحسين ، فقد سمّاه الله جلّ اسمه ، وإمّا سُمّي الحسين ؛ لأنّه لم يَكُن في زمانه أحسن منه وجهاً . فقال رسول الله (ص) : ((يا جبرائيل ، تهنيني وتبكي؟!)) . قال : نعم يا مُحمّد ، آجرك الله في مولودك هذا . فقال (ص) : ((يا حبيبي جبرائيل ومن يقتله ؟)) . قال : شراذمة من أمّتك يرجون شفاعتك لا أنالهم الله ذلك . فقال النّبي (ﷺ) : ((خابت أمة قتلت ابن بنت نبيّها)) . قال جبرائيل : خابت ثمّ خابت من رحمة الله ، وخاضت في عذاب الله . ودخل النّبي (ﷺ) على فاطمة ، فأقرأها من الله السّلام ، وقال لها : ((يا بنيّة ، سمّيه الحسين فقد سمّاه الله الحسين)) . فقالت : ((من مولاي السّلام وإليه يعود السّلام ، والسّلام على جبرائيل)) . وهنأها النّبي وبكى ، فقالت : ((يا أبتاه ! تهنيني وتبكي ؟)) . قال : ((نعم يا بنيّة ! آجرك الله في مولودك هذا)) . فشبهت شهقة وأخذت في البكاء وساعدتها لعيها ووصائفها ، وقالت : ((يا أبتاه ! من يقتل ولدي وقرّة عيني وثمرّة فؤادي ؟)) . قال : ((شراذمة من أمّتي يرجون شفاعتي لا أنالهم الله ذلك)) . قالت فاطمة : ((خابت أمة قتلت ابن بنت نبيّها)) . قالت لعيها : خابت ثمّ خابت من رحمة الله ، وخابت في عذابه . ((يا أبتاه ! اقرئ جبرائيل عني السّلام ، وقُل له في أيّ موضع يُقتل ؟)) . قال : ((في موضع يُقال له كربلاء ، فإذا نادى الحسين لم يجبه أحد منهم ، فعلى القاعد من نصرته لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، ألا أنّه لن يُقتل حتّى يخرج من صلبه تسعة من الأئمة ، ثمّ سمّاهم بأسمائهم إلى آخرهم ، وهو الذي يخرج آخر الرّزمان مع عيسى بن مريم ، فهؤلاء مصابيح الرّحمن وعروة السّلام ، محبّهم يدخل الجنة ومبغضهم يدخل النّار)) .

قال : وعرج جبرائيل وعرج الملائكة وعرجت لعيها ، فبقي الملك صلصائل ، فقال : يا حبيبي ، أقامت القيامة على أهل

الأرض ؟ قال : لا ، ولكن هبطنا إلى الأرض ، فهبطنا مُحمّداً بولده الحسين . قال : حبيبي جبرائيل ، فاهبط إلى الأرض ، فقل له : يا مُحمّد ، اشفع إلى ربّك في الرضا عني ؛ فإنّك صاحب الشفاعة . قال : فقام النبي (ﷺ) ودعا بالحسين (عليه السلام) ، وفرّعه بكلتا يديه إلى السماء ، وقال : ((اللهم ، بحقّ مولودي هذا عليك إلا رضيت على الملك)) . فإذا التّداء من قبل العرش : ((يا مُحمّد ، قد فعلت وقدرك كبير عظيم)) . قال ابن عباس : والذي بعث مُحمّداً بالحقّ نبياً ، إنّ صلصائيل يفخر على الملائكة؛ أنّه عتيق الحسين ، ولعيا تفخر على الحور العين ؛ بأنّها قابلة الحسين .

فيا إخواني ، يحقّ لمن فارقت ساداته الذين بهم سعادته ، ولم يتمكّن من الوصول إليهم ، ولبذل نفسه في الجهاد بين يديهم ، أن تسيل دموعه الهاطلة وتزيد حرّته المواصلة ، ويواصل التّوح بالعويل لا سيّما لو كان بذاك رضا الجليل ، فنوحوا يا إخواني على ساداتكم الكرام ، وتمثّلوا ما أصابهم من الكفرة اللثام ، قتلوا رجالهم وذبحوا أطفالهم ونهبوا أموالهم ، فعلى مثلهم فليبك الباكون ، وعلى مثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عزته الأحران وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة لابن المتوج (رحمه الله تعالى)

ألا نوحوا وضجوا بالبكاء	على السبب الشهيد بكريلاء
ألا نوحوا بسكب الدمع حزناً	عليه وامزجوه بالدماء
ألا نوحوا على من قد بكاه	رسول الله خير الأنبياء
ألا نوحوا على من قد بكاه	عليّ الطاهر خير الأوصياء
ألا نوحوا على من قد بكته	حبيبة أحمد ست النساء
ألا نوحوا على من قد بكاه	لعظم الشجور أملاك السماء
ألا نوحوا على قمير منير	عراه الخسف من بعد الضياء
ألا نوحوا على غصن رطيب	ذوي بعد النظارة والبهاء
ألا نوحوا لخامس آل طه	وياسين وأصحاب العباء
ألا نوحوا على شرف القوافي	ومتخورة المراني والثباء
ألا نوحوا عليه وقد أحاطت	بـه خيل البغاء الأشقياء

إذ أقبل واعظاً فبيهم خطيباً
ألا يا قوم أنشدكم فردوا
وجدي أحمد وأبي عليّ
فقالوا هل نطقت بقول صدق
ولكن قد أمرنا لا نخلي
وإلا بالقواضب والعوالي
فقال أباقتال تخوفوني
فنادوا للقتال معاً ونادي
فكافحهم على غصص إلى أن
وصادفهم بمهجتة إلى أن
فخرّ وبادر الملعمون شمّر
وعلا رأسه في رأس رمح
ومالوا في الخيام فحرقوها
وساقوا الطاهرات مهتكات
ألا يا آل ياسين فؤادي
فأنتم عدتي لي في يوم معادي
وما أرجو لآخرتي سواكم
أنا ابن من متوج توتموني
صلاة الخلق والخالق تترى
ولعنته على قوم أباحوا

وبالغ في النصيحة والنداء
جوابي هل يحل لكم دمائي
وأمي فاطم ست النساء
وقد أخبرت بالحق السواء
سبيك أو تباع بالوفاء
نجرعكم بما غصص الظماء
وهل تخشى الأسود من الظباء
أخيل الله هبي للقاء
أبادوا ناصريه ذوي الوفاء
أناه سبهم أشقى الأشيقياء
وحز وريده بعد ارتقاء
وخلصى الجسم شلوا بالعراء
وعاثوا في الذراري والنساء
على قتب الجمال بلا وطاء
لذكرى مصابكم حلف الضناء
إذا حشر الخلائق للجزاء
وحاشا أن يخيب بكم رجائي
بتاج الفخر طراً والبهاء
علىكم بالصباح وبالمساء
دماءكم بظلم وافتراء

المجلس الثامن

في اليوم الرابع من عشر المحرم

وفيه أبواب

الباب الأول

تفكروا أيها الإخوان في أهل الظلم والعدوان ، كيف حملتهم الأحقاد والغل الكامن في الفؤاد ، على انتهاك حرمة الرسول وذرية الزهراء البتول ، فصرعوه على الرمال ولم يراقبوا الكبير المتعال ، ولا بما قيل وقال ، بل رفعوا رؤوس آل النبي على الرماح ، وتركوا أجسادهم شاحبة تسفى عليها الرمال ، فهم ما بين قتيل يجري منه الصديد وأسير مكبل بالحديد ، وامرأة تحن ومريض يئن ، وسبايا كسي العبيد ، يُقادون بالعنف إلى يزيد ، كأثم أسارى بني الأصفر وليسوا من ذرية النبي المطهر :

قليل لهذا الرزء تكوير شمسها	وإن تفطر السبع الشداد له قطرا
مصاب بكت منه السماء وأهلها	وأشقت به الشم الرعان على المسرى
وخطب جليل قليل حين حلولته	لدمع رسول الله من عينه أجرى
لييك بنو السلام طراً عليهم	كما بكت الآيات والملة الغرا

حملتهم الدنيا الدنية على قتل العترة النبوية . وقد ورد في الخبر عن سادات البشر ، حبها من أعظم الأخطار الموجبة للسخط ودخول النار .

وفي الحديث القدسي : ((لو صَلَّى عبدي صلاة أهل السماوات وأهل الأرضين ، وصام صيام أهل السماوات وأهل الأرضين ، وحج حجج أهل السماوات وأهل الأرضين

وطوى عن أكل الطعام مثل الملائكة المقربين ، ثم أرى في قلبه من حبّ الدنيا ذرة ، أو من سمعتها أو من رئاستها ، أو من محمدتها أو من حليتها ، أو من زينتها أدنى من ذرة ، فإنّه لا يجاورني في دار كرامتي ، ولأنرعنّ من قلبه محبّتي ، ولأظلمنّ قلبه حتّى ينسى ذكري ؛ حتّى لا أذيقه رحمتي يوم القيامة)) .

وفي الخبر عن الصادق (عليه السلام) ، قال : ((إذا كان يوم القيامة ، يمرّ رسول الله بشفير جهنّم ، ومعه عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين (عليهم السلام) ، فيراهم المختار وهو يومئذ في النّار ، فينادي بصوت عال : يا شفيع المذنبين ! أنقذني من النّار . فلم يجبه ، فينادي : يا عليّ ! أغثني من النّار . فلم يجبه ، فينادي : يا حسن يا سيّد شباب أهل الجنّة ! أدركني . فلم يجبه ، فينادي : يا حسين يا سيّد الشهداء ! أنا الذي قتلت أعداءك وأخذت لك بالثأر ، أنقذني من النّار . فيقول النّبي : يا حسين ، إنّ المختار قد احتجّ عليك بأخذ الثأر من أعدائك ، فأنقذه من النّار . قال : فينتفض الحسين (عليه السلام) سريعاً كالبرق الخاطف ، ويخرجه من النّار ، ويغمسه في نهر الحيوان ، ويدخله الجنّة مع الأخيار ببركة النّبي المختار)) .

فسئل الصادق (ع) : يا بن رسول الله ، فلم أدخل المختار النّار وهو من الأخيار والشّيعة الأبرار ، وأفضل الأنصار لأهل بيت النّبي المختار؟! فقال (عليه السلام) : ((إنّ المختار كان يحبّ السلطنة ، وكان يحبّ الدنيا وزينتها وزخرفها ، وأنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة ؛ لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : والذي بعثني بالحقّ نبياً ، لو أنّ جبرائيل أو ميكائيل كان في قلبهما ذرة من حبّ الدنيا ، لأكبّهما الله على وجوههما في نار جهنّم)) .

فنزّها أيّها الإخوان أنفسكم عن الرّاعون إلى الدنيا ، وإياكم وطلب الرّئاسة والعليا ؛ فإنّها دار لا يدوم فيها نعيم ، ولم يبق أحد من شرّها سليم ، وكيف يرضى العاقل بالدنيا دار بعد آل الرّسول وسلالة الطّاهرة البتول؟! هذه والله دار غدرت بمواليها ، فلا خير والله فيها إلّا من اتخذ فيها الرّاد ليوم المعاد ، ولعمري ، لا عمل فيها أفضل من موالاة الآل ، الدّافعة لتلك الأهوال يوم الحشر والمآل :

هم السادة الأطهار آل محمد	هم الدين والدنيا لمن يتعقل
هم الطور والأعراف والنور والضحي	وياسين والأحقاف والمترمل
مهابط وحيي الله في حجراتهم	وتبيان برهان الكتاب المنزل

فما مثلهم في الكون إن عد مفخر
 خلعت منهم أرض العقيق وعطلت
 منازل تنزِيل بها الحزن قد ثوى
 حدا بهم حادي المنايا معجلا
 أصابتهم أيدي المصائب فاغدوا
 فما منهم إلا قتيْل وهالك
 على مثلهم فلييك بالمدى المدى
 أعد نظراً يا صاح إن كنت تعقل
 منازل آيات بها الوحي ينزل
 ومجلس أنس قد خلا منه نزل
 وسارت بهم عنفاً على الابن نزل
 أمائيل في الدنيا لمن يتمثل
 بسهم ومذبح وذاك مكبل
 ويذرف دمعاً كالمسيل مسبل

روي عن عليّ بن عاصم الكوفي الأعمى ، قال : دخلت على سيدي ومولاي الحسن العسكري (عليه السلام) ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام وقال : ((مرحباً بك يا ابن عاصم ، اجلس مكانك ، هنيئاً لك يا ابن عاصم ، أتدري ما تحت قدميك ؟)) . فقلت : يا مولاي ، إني أرى تحت قدمي هذا البساط ، كرم الله وجه صاحبه . فقال لي : ((يا ابن عاصم ، اعلم أنك على بساط جلس عليه كثير من النبيين والمرسلين)) . فقلت : يا سيدي ، ليتني لا أفارقك ما دمت في دار الدنيا . ثم قلت في قلبي : ليتني أرى هذا البساط . فعلم الإمام ما في ضميري ، فقال : ((ادن مني)) . فدنوت منه ، فمسح يده على وجهي ، فصرت بصيراً بإذن الله ، ثم قال لي : ((هذا قدم أبينا آدم ، وهذا أثر هابيل ، وهذا أثر شيث ، وهذا أثر إدريس ، وهذا أثر هود ، وهذا أثر صالح ، وهذا أثر لقمان ، وهذا أثر إبراهيم ، وهذا أثر لوط ، وهذا أثر شعيب ، وهذا أثر موسى ، وهذا أثر داود ، وهذا أثر سليمان ، وهذا أثر الخضر ، وهذا أثر دانيال ، وهذا أثر ذي القرنين الاسكندر ، وهذا أثر عدنان ، وهذا أثر عبد المطلب ، وهذا أثر عبد الله ، وهذا أثر عبد مناف ، وهذا أثر جدّي رسول الله ، وهذا أثر جدّي عليّ بن أبي طالب)) . قال عليّ بن عاصم : فأهويت على الأقدام كلّها وقبّلتها ، وقبّلت يد الإمام العسكري (عليه السلام) ، وقلت له : يا سيدي ، إني عاجز عن نصرتك بيدي ، وليس أملك غير مواليتكم ، والبراءة من أعدائكم واللعن لهم في خلواتي ، فكيف حالي يا سيدي ؟ فقال : ((حدّثني أبي عن جدّي عن رسول الله ، قال : من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ، ولعن في خلواته أعداءنا ، بلغ الله صوته إلى جميع الملائكة ، فكّلما لعن أحدكم أعداءنا ، ساعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم ، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة ، استغفروا له

وأثنوا عليه , وقالوا : اللهم صلّ على روح عبدك , هذا الذي بذل في نصرته أوليائه جهده , ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل. فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : يا ملائكتي , إني قد أجبته دعائكم في عبدي هذا , وسمعت نداءكم , وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار , وجعلته من المُصطفىين الأختيار ((.

وكذلك قال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لأصحابه الذين كانوا معه لما عُصبت الخلافة منه , حيث قال : ((يا أصحابي , الزموا بيوتكم واصبروا على البلاء , ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم وأهواء ألسنتكم , ولا تستعجلوا بما يُعجله الله لكم ؛ فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة من حقّ ربّه , وحقّ نبيّه وآل نبيّه , كان كمن مات شهيداً , أو أجره على الله , واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله , وقامت النية مقام صلّاته وجهاده بسيفه ويده , وإنّ لكلّ شيء أجلاً وانتهاءً)) .
فيا إخواني , لله درّ الشيعة المُخلصين , والأتباع المُتّقين , وأهل الولاية أجمعين , الذين بذلوا قلوبهم في المحبة , واستعملوها في المودّة والمسبّة.

روي في الخبر عن سيّد البشر (صلى الله عليه وآله) , أنّه كان يقول للحسن والحسين : ((أتما زينة عرش الرحمن , أتما اللؤلؤة والمرجان)) . فقيل له : يا رسول الله , وكيف ذلك , وكيف يكونان تزيين عرش الرحمن ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : ((إذا كان يوم القيامة , يزيّن عرش ربّ العالمين بكلّ زينة , ثمّ يؤتى بمنبرين من نور , كلّ منبر طوله مئة ميل , فيوضع أحدهما عن يمين العرش , والآخر عن يسار العرش , ثمّ يؤتى بالحسن والحسين (عليهما السلام) , فيقف الحسن على أحدهما والحسين على الآخر , يزيّن الرّب تبارك وتعالى بهما عرشه كما تزيّن المرأة قرطها)) . ثمّ قال (صلى الله عليه وآله) : ((ويوضع يوم القيامة منابر تحت العرش لشيعتي , ولشيعة أهل بيتي المُخلصين في ولايتنا , فيقول الله عزّ وجلّ : هلمّوا يا عبادي إني لأنشر عليكم كرامتي , فقد أوديتم في دار الدنيا)) .
وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله) : ((أنا الشجرة وفاطمة فرعها وعليّ لقاحها , والحسن والحسين ثمرها , وشيعتنا أهل البيت أوراقها , قد أفلح من تمسك بهذه الشجرة)) .

وفي الخبر أيضاً عنه (صلى الله عليه وآله) , أنّه قال : ((يدخل الجنّة من أمّتي سبعون ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب يصل إليهم)) . ثمّ التفت إلى عليّ (عليه السلام) , فقال : ((شيعتك هم وأنت إمامهم)) .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) , قال : ((إذا بلغت نفس المؤمن الحنجرة , وأهوى ملك الموت بيده إليها , يرى قرّة عين , يُقال له : انظر عن يمينك . فيرى رسول الله

وعلياً وفاطمة والحسن والحسين , فيقولون له : إلبنا إلى الجنة . والله لو بلغت روح عدونا إلى صدره , وأهوى ملك الموت بيده إليها , لا بد أن يقال : انظر عن يسارك . فيرى منكراً ونكيراً يُهدّدانه بالعذاب , نعوذ بالله منه ((. :

مناقبهم بين السورى مستتيرة لها غرر مجلوة وحجول
مناقب جلّت أن يحاط بحصرها نمتها فرور قد زكت وأصول
مناقب وحي الله أثبتتها لهم بما قام منه شاهد ودليل
مناقب من خلق النبي وخلقها ظهرت فما يغتالهن أفول
أمولاي آمالي تؤمل نصركم وقلبي إليكم بالسولاء يميل
وقد طال عمر الصبر في أخذ ناركم كما أن للظلم المقيم رحيل
متى يشتفي حر الغليل ويشتفي فؤاد بالام المصاب عليل
ويجر هذا الكسر في ظل دولة لها النصر جنود والأمان دليل
هنالك يضحى دين آل محمد عزيزاً ويمسي الكفر وهو ذليل
ويطوي بساط الحزن بعد كآبة وتنشر نشرراً للهناء ذبول
فيا آل طه الطاهرين رجوتكم ليوم به فصل الخطاب طويل
أقبلوا إعتاري يوم فقري وفاقتي فظهري بأعباء الذنوب ثقل

فيا إخواني , دعوا التّشاغل عنكم بالأهل والأوطان والأتراب والأخدان , تفكّروا فيما أصاب سادات الزّمان الذين تمّ لكم بهم الإيمان , واستحققتهم بمولاتهم دخول الجنان ورضاء الرّحمن .

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , ومثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

يا عين لا لخلو الربيع والدمن باكي الرزايا سوى الباكي على السكن
وآسى بني الهدى فيما أصيبت به وساعدي البضعة الزّهراء على الحزن
وقابلها بارض الطّف صارخة على القتيل الغريب النازح الوطن

تشكوا إلى الله والأُملاك محذقة
من حولها مريم العذراء وآسية
والنوح من نادبات الجن مرتفع
لهفي على قول مولاتي وقد نظرت
ملقى على الأرض عاري الجسم منعفر
لهفي على زينب حرى مجردة
تقول يا واحدي من لي إذا نزلت
لهفي على فاطم الصغرى مقرحة
تدعو إلى زينب يا عمما سلب العليج
فرمت أستز وجهي عند رؤيته
أين الحماة وأين الناصرون لنا
لهفي على السيد السجاد معتقلاً
إذا شكوا اسمعوه قبح شتمهم
وا حسرتاه لكريم السبب مشتهراً
فيها لها محنة عمت مصيبتها
يهني يزيد برأس طال ما رشف
وتستحث بنات المصطفى ذللاً
قد قابلونا بنو حرب بما صنعوا
بفعلهم كفرنا فينا واعتقدوا
مضوا على سنن الماضين وارتكبوا
كأنني بالبتول الطاهر واقفة
تأتي وقد ضمخت ثوب الحسين دماً
تدعو الا ابن مسمومي ويا أسفي
يا رب من نوزعت ميراث والدها
ومن ترى جرعت في ولدها غصص
ومن ترى كذبت قبلي وقد علموا
وهل لبنت نبي أضرمت شعل

بالعرض تستصرخ المولى أبا حسن
تكرر النوح بالتذكار والحزن
وقلدها موجع بالثكل والمحن
شلو الحسين بلا غسل ولا كفن
الخددين محتضب الأوداج والذقن
مسلوبة تستر الأكتاف بالردن
بي الحوادث يحميني ويكفييني
بالدمع أجفانها مسلوبة الوسن
القناع ليس بيني ويهتكيني
فظلل يشتمني عمداً ويضربني
وا خيبي جار دهري واعتدى زمي
في أسرهم مستذلاً ناحل البدن
وإن وني قنعوه فاضل الرسن
كالبدر يشرق فوق الدل واللدن
ويا لها حسرة في قلب ذي شجن
المختار من ثغره تقبيل مفتتن
على المطايا إلى الأطراف والمدن
ولا شففوا غلغل الأحقاد والضغن
أن لا جزاء على قبح ولا حسن
نحج الضلال ومالوا عن هدى السنن
في الحشر تشكوا إلى الرحمن ذي المنن
من نحره وهي تبدي الحزن في حزن
على قتيلي ويا كربي ويا حزني
مثلي ومن طولبت بالحقد والإحن
كما ابن مرجانة الملعون جرعني
أن الإله من الأرجاس طهرني
كما أطيّف به يبي ليحرقني

دفعني ظالمي عنها ودفعني
 في ولدي وممن زوى إرثي فأفقرني
 والمصطفى واقف والدمع كالمن
 نقيت ممن عصى أمري وخالفني
 الرفيع لئديها كل ذي أذن
 جاءت لتشفع فيمن بالولاء كني
 بكى وساعدها بالدمع والهت
 أخلصت ودي لهم في السر والعلن
 فلم أخش كيد الجاهل اللكني
 أخش اعتراضاً لدى شك ينازعي
 بالقرب منكم ومن بالغت ترحمني
 ربي فيصفح عن جرمي ويرحمني
 والمرضى لجنان الخلد يقسمني
 بكم له سبل الإرشاد والسنن

خرجت أطلب للأطفال بلغتهم
 رب انتصف لي ممن خان عهدك
 وتسغيث أمام العرش ساجدة
 فيبرز الأمر أي قد سمعت وقد
 أعظم بها ومنادي الحشر يسمع بالصوت
 غضوا العيون فخاتون القيامة قد
 من كل محترق من عظم فجعتها
 يا سادتي الهادي التبي ومن
 عرفتمكم بدليل العقل والنظر المهدي
 ظفرت بالكنز في علم اليقين فلم
 فلست آسى على من ظل يبعدي
 وإنني أرتحي أن سوف يلطف بي
 وأن فاطمة الزهراء تشفع لي
 فاز الخليعي كل الفوز واتضحت

الباب الثاني

أيها المؤمنون الأخيار ، لا تبخلوا بالدموع الغزار على عترة النبي المختار ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويجزل لديه ثوابكم ؟
 أليس هم شفعاؤكم يوم المعاد إذا وفقتم بين يدي رب العباد ؟ أليس هم العدة لكم بكل شدة ؟ أليس بهم تحط الأوزار ؟ أليس
 هم الجنان الواقية من النار ؟ فمن بخل منكم عليه بإثارة الأحران والأشجان ، فعلى نفسه بخل ولقدر مواليه وساداته حقر وجهل
 ، أيكي الباكون منكم على الأهل والأولاد والآباء والأجداد ؟ فيا عجباً لمن أساء إليهم وظلمهم وقصر في حقهم وما أكرمهم!
 وما ارتكب منهم ما يوجب السخط العظيم ، والعدل عن النهج القويم والصراط المستقيم ؟! أمر : ﴿ تَكَاذُ السَّمَاوَاتِ يَتَفَطَّرْنَ
 مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (1) :

سنن الرسول ومحكم التنزيل
 وبيان فضلهم على التفصيل

إن كنت في شك فسل عن حالهم
 فهناك أعدل شاهد لذوي النهي

ووصية سبقت لأحمد فيهم جاءت إليه على يدي جبرائيل روي عن أم سلمة : أن الحسن والحسين دخلا على رسول الله (ﷺ) , وكان عنده جبرائيل (عليه السلام) , فجعل يدوران حوله يشبهانه بدحية الكلبي , فجعل جبرائيل يومي بيده نحو السماء كالمُتناول شيئاً , فإذا بيد جبرائيل تفاحة وسفرجلة ورقانة , فناولهما الجميع , فتهللت وجوههما فرحاً وسعياً إلى جدّهما , فقبلتهما وقال لهما : ((اذهبا إلى منزلكما وابدءوا بأبيكما)) . ففعلا كما أمرهما جدّهما , ولم يأكلوا منها شيئاً حتى جاء النبي إليهم , فجلسوا جميعاً وأكلوا حتى شبعوا , ولم يزالوا يأكلون من ذلك السفرجل والتفاح والزمان , وهو يرجع كما كان أولاً حتى قبض النبي (ﷺ) , ولم يلحقه التغيير والتقصان في مدة أيام حياة فاطمة (عليها السلام).

قال الحسين (عليه السلام) : ((فلما توفيت أمي فاطمة , فقدنا الزمان وبقي التفاح والسفرجل أيام حياة أبي , فلما استشهد أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) , فقدنا السفرجل وبقي التفاح عليّ إلى وقت مُنعت فيه شرب الماء , فكنت أشتها إذا عطشت , فيسكن لhib عطشي , فلما دنا أجلي , رأيتها قد تغيرت فأيقنت بالفناء)) .

قال علي بن الحسين : ((سمعت أبي يقول ذلك قبل مقتله بساعة , فلما قضى نحبه , وجد ربح التفاح في مصرعه , فالتمست التفاحة فلم أجد لها أثراً , فبقي ربحها بعد مقتله (عليه السلام) , ولقد زرت قبره فشمنت منه رائحة التفاح تفوح من قبره صلوات الله عليه , فمن أراد ذلك من شيعتنا الصالحين الزائرين قبر الحسين , فيلتمس ذلك في أوقات السحر , فإنه يجد رائحة التفاح عند قبر الحسين إن كان مخلصاً موالياً صادقاً)) .

وعن الصادق (عليه السلام) : ((أن جبرائيل نزل إلى النبي (ﷺ) , فقال : يا محمد , إن الله يقرؤك السلام ويشرك بمولود من ابنتك فاطمة الزهراء (عليها السلام) , وتقتله أمتك من بعدك . فقال : يا جبرائيل , قل لربي , لا حاجة لي في مولد يولد من فاطمة وتقتله أمتي من بعدي . قال : فعرج جبرائيل (عليه السلام) إلى السماء في أسرع من طرفة عين , ثم هبط وقال : يا محمد , إن ربك يقرأ عليك السلام , ويشرك أنه جاعل في ذريته الأمانة والولاية والوصية . فقال النبي (ﷺ) : رضيت بذلك . ثم أرسل النبي إلى ابنته فاطمة (عليها السلام) , يقول : إن الله يشرك بمولود يولد منك وتقتله أمتي من بعدي . فجزعت فاطمة وأرسلت إليه تقول : لا حاجة لي في مولود يولد مني وتقتله أمتك من بعدنا . فأرسل إليها يقول : إن الله

جاعل من ذرّيته الإمامة والولاية والوصيّة . فأرسلت إليه تقول : إني قد رضيت : ﴿ حَمَلْتُهُ أُمَّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا وَحَمَلْتُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ (1) . [فلو أنه قال : اصلح لي ذريتي ، ل] كانت ذرّيته كلّهم أئمة ((. فهذه الآية نزلت في شأن الحسين (ع) .

وروي : أنّ الحسين لم يرضع من ثدي فاطمة شيئاً ، ولا رضع من أنثى لبناً ، ولكّنه كان يؤتى به إلى جدّه رسول الله ، فيضع إبهامه في فيه ، فيمصّ منها لبناً يكفيه ويغذّيه يومين أو ثلاثة أيّام ، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ودمه من دمه وعظمه من عظمه ، ومخّه من مخّه وشعره من شعره ، ولم يولد مولود لسته أشهر ، إلّا عيسى بن مريم والحسين بن فاطمة (عليهما السلام) .

وفي خير آخر : أنّ فاطمة (عليها السلام) لما اغتسلت بعدما ولدت الحسين ، جفّ لبنها ، فطلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرضعة ، فلم يجد له مرضعة ، فكان يأتيه الحسين مع أمّ سلمة فيلقمه إبهامه فيمصّه ، ويجعل الله له من إبهام النبي رزقاً يغدّى به بقدرة الله تعالى .

وفي خير آخر : بل كان رسول الله يُدخل لسانه في فم الحسين ، فيقرّه كما يقرّ الطير فرخه ، فيجعل الله له في ذلك رزقاً بقدرة الله تعالى ، ففعل ذلك به أربعين يوماً وليلة ، فنبت لحمه من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أيقتل ظمناً حُسين بكربلا	وفي كل عضو من أنامله بحر
ووالده الساقى على الحوض في غد	وفاطمة ماء الفرات لها مهر
فوا لهف نفسي للحسين وما جنى	عليه غداة الطف في حربه شمر
سنان سنان خارق منه في الحشا	وصارم شمير في الوريد له شمر
تجر عليه العاصفات ذبولها	ومن نسج أيدي الصافنات له طمر
فيالك مقتولاً بكته السماء دماً	فمغبر وجه الأرض بالدم محمر
مصابكم يا آل طمة مصيبة	ورزه على السلام أحدثه الكفر

حكى عبد الله بن العباس ، قال : جاءني رجل من بني أميّة ، فقال : أريد أن أسألك عن سؤال ؟ فقلت له : سل عمّا تُريد . فقال لي : يا عبد الله ، ما تقول في دم البعوضة ، هل يُنقض الوضوء أم لا ؟ وهل هو طاهر أم نجس ؟ فقلت له : ثكلتك أمك يا عديم الرأي ! تسأل عن دم البعوضة فلم لا سألت عن دم الحسين ابن بنت

(1) سورة الأحقاف / 15 .

رسول الله؟! سفكنتم دمه وقطعتم لحمه وكسرتم عظمه , وقتلتم أولاده وأطفاله وأنصاره , وسبيتم حريمه ومنعتموه من شرب الماء , ألا لعنة الله على الظالمين . ثم التفت عبدالله إلى جلسائه , وقال : انظروا إلى هذا اللعين , كيف يسألني عن دم البعوضة , ولا يخاف أن يسأله الله عن دم الحسين ابن بنت رسول الله؟! ثم قال لأصحابه : والله , إنِّي سمعت بهاتي أذني من رسول الله (ﷺ) يقول مراراً كثيرة : ((الحسن والحسين ريحانتي في الدنيا , وهما منِّي وأنا منهما , أحب الله من أحبهما , وأبغض الله من أبغضهما , وأذى الله من آذاهما , ووصل الله من وصلهما , وقطع الله من قطعهما , فإنهما ابناي وسبطاي وقرتتا عيني , وسيدي شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين)) . فقلت : يا رسول الله , أيّ أهل بيتك أحب إليك؟ فقال : ((الحسن والحسين أحب الناس إلي)) . وكان يقول (ﷺ) : ((يا فاطمة , ادعى لي ابني)) . فيأتيان إليه فيضمّهما إليه , ويشمّهما ويقبلهما ويقول : ((أحب الله من أحب الحسن والحسين ومن أحب ذريتهما , فمن أحبهم لم تمس جسده نار جهنم ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج , إلا أن يكون له ذنب يخرج عن الإيمان)) .

وعن الأوزاعي , عن عبد الله بن شداد , عن أمّ الفضل بنت الحرث , أنّها دخلت على رسول الله فقالت : يا رسول الله , رأيت البارحة حلماً مُنكراً شديداً . قال : ((وما هو يا أمّ الفضل ؟)) . قالت : رأيت كأنّ قطعة من جسدي قُطعت ووضعت في حجري . فقال رسول الله : ((يا أمّ الفضل , ستلد ابنتي فاطمة غلاماً , فتكون تربيتة في حجرك)) . قالت : فولدت فاطمة الحسين وكان كما قال رسول الله , فربيتة في حجري , فدخلت به يوماً على النبي فوضعت في حجره , ثمّ حانت منّي إلتفاتة , فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدموع , فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله , ما لك تبكي؟! فقال : ((أتاني جبرائيل أخي , وأخبرني أنّ أمتي ستقتل ابني هذا , وأتاني بقبضة من تربة حمراء فأرانيها)) .

ومن طرقهم : أنّ عيسى بن مريم (عليه السلام) مرّ بكربلاء , فرأى عدّة من الطّباء هناك مجتمعين , فأقبلت إليه وهي تبكي , وأنّه جلس وجلس الحواريّون , فبكى وأبكى الحواريّين وهم لا يدرون لمّ جلس ولمّ بكى , فقالوا : ياروح الله وكلمته , ما يبكيك؟ قال : أتعلمون أيّ أرض هذه؟ قالوا : لا . قال : هذه أرض يُقتل فيها فرخ لرسول أحمد , وفرخ الخيّرة الطاهرة البتول شبيهة أُمّي , ويُلحد فيها , وهي أطيب من المسك ؛ لأنّها طيبة الفرخ المستشهد , وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء (عليهم السلام) , وهذه الطّباء

تكلّمني وتقول : إنّها ترعى في هذه الأرض ؛ شوقاً إلى تربة الفرح المبارك . وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض . ثمّ ضرب بيده إلى ثغر تلك الطّباء فشمّها , وقال : اللهمّ , ابقها حتّى يشمّها أبوه فتكون له عزاء . فبقيت إلى أيّام أمير المؤمنين (عليه السلام) , فشمّها وبكى وأخبر بقصّتها .

وعن سلمان الفارسي , أنّه قال : كان سيّدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) يحدثنا كثيراً بالأشياء والمعيّبات , التي تحدث على مرور السنين والأوقات , وأنّه يوم الجمعة يخطب على منبره في جامع الكوفة , فقال في خطبته : ((أيّها النّاس , سلوني قبل أن تفقدوني , فوالله , لا تسألوني عن فئة تضلّ مئة وتهدي مئة , إلّا أنبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة)) قال : فقام إليه رجل فاجر فاسق , وقال له : يا عليّ , أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ؟ فقال له (عليه السلام) : ((والله , لقد أخبرني بسؤالك هذا ابن عمّي رسول الله , وتبّأني بما سألت عنه , وإنّ على كلّ طاقة من شعر رأسك ولحيتك شيطاناً يغويك ويستفزك , وإنّ على كلّ شعرة من بدنك شيطاناً يلعنك ويلعن ولدك ونسلك , وإنّ لك ولداً رجساً ملعوناً , يقتل ولدي الحسين بن بنت رسول الله , وأنت وولدك بريتان من الإيمان , ولولا أنّ الذي سألتني عنه يعسر برهانه لأخبرتكم به , ولكن حسبك فيما نبأتك به من لعنتك ورجسك , وولدك الملعون الذي يقتل ولدي ومهجة قلبي الحسين)) . قال : وكان له ولد صغير في ذلك الوقت , فلما نشأ وكبر وكان من أمر الحسين ما كان , نمى الصّبي وتجرّب وتولّى قتل الحسين (عليه السلام) . وقيل : إنّ ذلك الصّبي كان اسمه خوّل بن يزيد الأصبحي , وهو الذي طعن الحسين برمح , فخرج السنّان من ظهره , فسقط الحسين على وجهه يخور في دمه ويشكو إلى ربّه : ﴿ **أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظّالِمِينَ** ﴾⁽¹⁾ . فيا ويلهم ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) , كأثمّ ما سمعوا ما ورد في حقّهم , أم سمعوا وهم غافلون ! : ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾⁽²⁾ . فعلى الأطائب من آل بيت محمّد فليبك الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمه الله تعالى)

أرى الصبر يفنى والهموم تزيـد
وجسمي يبلى والسقام جديـد

(1) سورة هود / 18 .

(2) سورة الشعراء / 227 .

إذا ما تعمدت السلو في خاطري
وذكرني بالحزن والنوح والبكا
يودع أهليعه وداع مفارق
كأني بمولاي الحسين وصحبه
عطاشي على شاطئ الفرات فمالهم
فياليتني يوم الطفوف شهدتهم
لقد صبروا لا ضيع الله صبرهم
وقد خرّ مولاي الحسين مجداً
وأقبل شمر الرجس واحتز رأسه
وساقوا السبايا من بنات محمد
وفاطمة الصغرى تقول لاختها
يا أخت قد ذابت من السير مهجتي
تنادي وقد أبدت من الثكل صبرها
بكي رحمة لي حاسدي ومعاندي
فني جلدي يابن الوصي وليس
فيا غائباً لا يرتجى منه أوبة
ظننت بأن تبقى فأيسني الرجا
تبيد الليالي والدهور ومهجتي
سيعلم أعداء الحسين ورهطه
واقبلت الزهراء فاطم حولها
تنادي إلهي خذ بحق ظالمي
فهذا يزيد قاتل إبنني ورهطه
وساقوا بناي حاسرات أذلة
فتبكي لها الأملاك جمعاً وعندها
فيؤتى به سحياً ويؤتى برهطه
فيأمر مولاي الجليل بقتلهم

أباه فؤادي للهموم عنيـد
غريب بأكناف الطفوف فريد
لهم أبرد الأيام ليس يعود
كأنهم تحت السوطيس أسود
سبيل إلى قرب الميـاه ورود
وكنت كما جادوا هناك أجود
إلى أن قتلوا من حولـه وأبيـدوا
قتيلاً عفـيراً في التراب وحيـد
بقلب مشـؤوم فارقتـه سـعود
يسـوقهم قاسي الفؤاد عتيـد
وقد كضها جهـد هناك جهيـد
سلي سائق الأضعان أين يزيد
بصوت تكاد الأرض منه تميد
فيا سوء حال إذ بكاه حسود
فؤادي على ما لقيت جليـد
مزارك من قرب الـديار بعـيد
ويأسـي المرجى يابن أمي شـديد
وحزني على مولاي ليس بيـيد
إذا ما هم يوم المعاد أعيـدوا
من أملاك رب العالمين جنود
فإنك عدل للخصوم عنيـد
على ظمأ حـتى فنوا وأبيـدوا
كما سيل من نسل العبيد عنيـد
ينادي منادي الحق أين يزيد
وجـوهم بين الخلائق سـود
إذ قتلوا من بعد ذاك أعيـدوا

وشيعتهم والعالمون شهود
 يكون بها للظالمين خلود
 أعيد لهم من بعد ذلك جلود
 ولا استحسنت ما استحسنته ثمود
 وربى على ما قد شهدت شهيد
 ومن حملته في المهامة قود
 ومن جاد حتى لا يكون يهود
 ولم يك وعد فيهم ووعيد
 فيشقى شقى فيهم وسعيد
 وما اخضر يوماً في الأرائك عود
 أعيش وعيشي في الزمان حميد
 وأحسن ما حبرته وأجيد

وتقتلهم أولاد فاطم كلهم
 ويحشهم ربى إلى ناره السقي
 إذا نضجت فيها هناك جلودهم
 فما فعلت عاد كقبح فعالهم
 شهدت بمن حج الملبون بيته
 بأن رسول الله أكرم من مشى
 وعترته أركى وأطهر عترة
 ولولاهم لم يخلق الله خلقه
 وما خلقوا إلا ليمتحن السورى
 عليهم سلام الله ما در شارق
 وإني ابن حماد بمدح أمتي
 أحبر في آل النبي مدائح

الباب الثالث

يا إخواني ، تفكروا في أنوار الله في أرضه وسمائه ، وأصفياء الله وحججه وخلفائه ، كيف تُقَطَّع منهم الأوصال ، ويُجَدَّلون على الرمال ، ويتجرعون الخوف بأراضي الطفوف ؟ ولعمري ، هذا دأب الصالحين وأولياء الله المقربين ، فإن الله يذود أوليائه عن لذات الدنيا ، كما يذود لراعي الشقيق إبله عن مراتع الهلكة . وتأكيد ذلك ما روي : أن موسى (عليه السلام) لما توجه إلى مناجاة ربه ، اعترضه رجل من عباده الصالحين ، فقال له : يا موسى ، أبلغ ربك أنني أحبه وأنا مُطيع له . فلما فرغ موسى من المناجاة ، نودي : ((يا موسى ، ألا تبغني رسالة عبدي ؟)) . فقال : يا إلهي ، أنت العالم بما قال عبدك . فقال ذو الجلال : ((يا موسى ، أنا أيضاً أحبه)) . فزاد ذلك الرجل في يقين موسى إله عبد صالح ، فلما رجع موسى من مناجاة ربه ، جعل يتفقد ذلك الرجل في مكانه ، فإذا هو بالأسد قد افترسه ، فتعجب موسى (عليه السلام) وحزن عليه ، وقال : يا إلهي ، رجل صالح تحبه ويحبك ، تسلط عليه كلباً من كلابك يفترسه ؟! فأتاه النداء : ((نعم يا موسى ، وهكذا أفعل بأحبابي وأوليائي ، ابتليهم في دار الهوان ، وأسكنهم عندي في غرفات الجنان)) .
 وروي أيضاً : أن رجلاً جاء إلى رسول الله ، فوقف بين

يديه ، فقال : يا رسول الله ، إني أحب الله عزّ وجلّ ، فقال : ((استعد للبلاء)) . فقال : يا رسول الله ، وإني أحبّك . فقال له : ((استعد للفقير)) . فقال : وإني أحبّ عليّ بن أبي طالب . فقال : ((استعد لكثرة الأعداء)) .

ولمّا كان الإمام الحسين حبيب الملك الدّيان ، وولي الواحد المنّان ، وحقّة الله على العباد ، لا جرم ابتلاه الله بأهل العناد والفساد ، وهل أصابته تلك السّهام والمحن العظام ، إلّا من القوس الذي وتر على أبيه وأمه وأخيه ؟ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ (1) . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (2) . فتعسّأ لمن أردى تلك العصاة الكرام ! وسحقاً لمن نكس أعلام أولئك الأعلام ! أما خافوا من أهوال يوم القيامة ؟! أما راقبوا جدّهم صاحب الغمامة ؟! أما راجعوا عقولهم فعملوا في المحشر كيف يكون ؟! وبماذا يتعلّلون إذا بكت الزّهراء على ما حلّ بولدها الذي هو قطعة من كبدها ؟ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (3) .

روي : أنّ النّبي خرج من المدينة غازياً وأخذ معه عليّاً ، وبقي الحسن والحسين (عليهما السلام) عند أمّهما لأئمّهما صغيران ، فخرج الحسين (عليه السلام) ذات يوم من دار أمّه يمشي في شوارع المدينة ، وكان عمره يومئذ ثلاث سنين ، فوقع بين نخيل وبساتين حول المدينة ، فجعل يسير في جوانبها ويتفرّج في مضاربها ، فمرّ عليه يهودي يُقال له صالح بن رقعة اليهودي ، فأخذه إلى بيته ، وأخفاه عن أمّه حتّى بلغ النّهار إلى وقت العصر ، والحسين لم يتبيّن له أثر ، ففاد قلب فاطمة بهمّ والحزن على ولدها الحسين (عليه السلام) ، فصارت تخرج من دارها إلى باب مسجد النّبي (صلى الله عليه وآله) سبعين مرّة ، فلم تر أحداً تبعثه في طلب الحسين (عليه السلام) ، ثمّ أقبلت إلى ولدها الحسن (عليه السلام) ، وقالت له : ((يا مَهْجَة قلبي وقرّة عيني ، فم فاطلب أخاك الحسين ، فإنّ قلبي يحترق من فراقه)) . فقام الحسن وخرج من المدينة ، وأتى إلى دور حولها نخل كثير ، وجعل يُنادي : ((يا حسين بن عليّ ! يا قرّة عين النّبي ! أين أنت يا أخي ؟)) . قال : فبينما الحسن يُنادي ، إذ بدا له غزالة في تلك السّاعة ، فألهم الله الحسن أن يسأل الغزالة ، فقال : ((يا ظبيّة ، هل رأيت أخي حسيناً ؟)) . فأنطق الله الغزالة ببركات رسول الله ، وقالت : يا حسن ، يا نور عين المُصطفى وسرور قلب المُرتضى ، ويا مَهْجَة فؤاد الزّهراء ، اعلم أنّ أخاك أخذه صالح اليهودي وأخفاه في بيته . فسار الحسن حتّى

(1) سورة إبراهيم / 42.

(2) سورة الشعراء / 227.

(3) سورة يونس / 30.

أتى دار اليهودي ، فناداه فخرج صالح ، فقال له الحسن : ((إني الحسين من دارك وسلّمه إليّ ، وإلا أقول لأُمّي تدعو عليك في أوقات السحر ، وتساءل ربّها حتّى لا يبقى على وجه الأرض يهودي ، ثمّ أقول لأبي يضرب بحسامه لجمعكم حتّى يلحقكم بدار البوار ، وأقول لجدي يسأل الله سبحانه أن لا يدع يهودياً إلاّ وقد فارق روحه)) . فتحيّر صالح اليهودي من كلام الحسن ، وقال له : يا صبي من أمك ؟ فقال : ((أُمّي الزهراء بنت محمّد المصطفى ، قلادة الصّفوة ودرّة صدف العصمة ، وعزّة جمال العالم والحكمة ، وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر ، وملعة من أنوار المحامد والمآثر ، خمرة طينة وجودها من تفّاحة من تفّاح الجنّة ، وكتب الله في صحيفتها عتق عصاة الأُمّة ، وهي أمّ السّادة النّجباء وسيّدة النّساء ، البتول العذراء فاطمة الزّهراء (عليها السلام))) . فقال اليهودي : أمّا أمك فعرفتّها ، فمن أبوك ؟ فقال الحسن (عليه السلام) : ((إنّ أبي أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب ، الضّارب بالسّيوفين ، والطّاعن بالرّمحين ، والمُصلّي مع النّبي في القبليتين ، والمفدي نفسه لسيّد الثّقليين ، أبو الحسن والحسين)) . فقال صالح : يا صبي ، قد عرفت أباك ، فمن جدك ؟ فقال : ((جدي [دزة] من صف [صدف]⁽¹⁾ الجليل ، وثمره من شجرة إبراهيم الخليل ، الكوكب الدرّي ، والنّور المضيء من مصباح التّبجيل المعلقة في عرش الجليل ، سيّد الكونين ورسول الثّقليين ، ونظام الدّارين وفخر العالمين ، ومقتدى الحرمين ، وإمام المشرقين والمغربين ، وجدّ السّبطين أنا الحسن وأخي الحسين)) .

قال : فلمّا فرغ الحسن من تعداد مناقبه ، انجلى صده الكفر عن قلب صالح ، وهملت عيناه بالدموع ، وجعل ينظر كالمتحيّر ، متعجباً من حسن منطقهِ وصغر سنّه وجودة فهمه ، ثمّ قال : يا ثمره فؤاد المصطفى ، ويا نور عين المُرتضى ، ويا سرور صدر الزّهراء ، يا حسن ، أخبرني من قبل أن أسلم إليك أخاك عن أحكام دين الإسلام ، حتّى أذعن لك وأنقاد إلى الإسلام . ثمّ إنّ الحسن عرض عليه أحكام الإسلام ، وعرفه الحلال والحرام ، فأسلم صالح وأحسن الإسلام على يد الإمام ، وسلّمه أخاه الحسين ، ثمّ نثر على رأسيهما طبقاً من الذهب والفضّة ، وتصدّق به على الفقراء والمساكين ببركة الحسن والحسين (عليهما السلام) ، ثمّ إنّ الحسن أخذ بيد أخيه الحسين وأتيا إلى أمّهما ، فلمّا رأتهما اطمأنّ قلبها وزاد سرورها بولديها .

قال : فلمّا كان اليوم الثّاني ، أقبل

(1) ما في المعقوفتين هي من إضافات (موقع معهد الإمامين الحسنين) .

صالح ومعه سبعون رجلاً من رهطه وأقاربه ، وقد دخلوا جميعهم في الإسلام على يد الإمام ابن الإمام أخى الإمام (عليهم أفضل الصلوة والسلام) ، ثم تقدّم صالح إلى الباب - باب الزهراء - رافعاً صوته بالثناء للسادة الأئمة ، وجعل يمرّح وجهه وشيئته على عتبة دار فاطمة ، وهو يقول : يا بنت مُحَمَّد المُصطفى ، عملت سوءاً بابنك وأذيت ولدك ، وأنا على فعلي نادم ، فاصفحي عن ذنبي . فأرسلت إليه فاطمة تقول : ((يا صالح ، أمّا أنا فقد غفرت عنك من حقّي ونصيبي ، وصفححت عمّا سوءتني به ، لكنّهما ابناي وابنا عليّ المرتضى ، فاعتذر إليّ مّا أذيت ابنه)) . ثمّ إنّ صالحاً انتظر عليّاً حتّى أتى من سفره ، وعرض عليه حاله واعترف عنده بما جرى له ، وبكى بين يديه واعتذر مّا أساء إليه ، فقال له : ((يا صالح ، أمّا أنا فقد رضيت عنك وصفححت عن ذنبك ، لكن هؤلاء ابناي وربحانتا رسول الله (ﷺ) ، فامض إليه واعتذر مّا أسأت بولده)) . قال : فأتى صالح إلى رسول الله (ﷺ) باكياً حزيناً ، وقال : يا سيّد المرسلين ، أنت قد أرسلت رحمة للعالمين ، وإيّ قد أسأت وأخطأت ، وإيّ قد سرقت ولدك الحسين ، وأدخلته داري وأخفيتّه عن أخيه وأمه ، وقد سوءتّهما في ذلك ، وأنا الآن قد فارقت الكفر ودخلت في دين الإسلام . فقال له النبي (ﷺ) : ((أمّا أنا فقد رضيت عنك وصفححت عن جرمك ، لكن يجب عليك أن تعتذر إلى الله ، وتستغفره مّا أسأت به قرّة عين الرسول ومهجة فؤاد البتول ، حتّى يعفو الله عنك سبحانه)) . قال : فلم يزل صالح يستغفر ربّه ويتوسّل إليه ، ويتضرّع بين يديه في أسحار الليل وأوقات الصلوات ، حتّى نزل جبرائيل إلى النبي بأحسن التّبجيل ، وهو يقول : ((يا مُحَمَّد ، قد صفح الله عن جرم صالح حيث دخل في دين الإسلام على يد الإمام ابن الإمام عليهم أفضل الصلوات والسلام)) .:

فقل لحساده موتوا بغيضكم	فإنه بعطاء الله ممنوح
وحرفوا ما استطعتم من إمامته	فشأنه بلسان الحق ممدوح
بيوتكم بفنون اللهو مفعمة	وبيته فيه تقديس وتسبيح
فإنكم جسد ميت بكثرتم	وفضله بين أبدان الورى روح

عن أبي ذر الغفاري ، قال : كان سيدي عليّ بن أبي طالب يحدّثنا في بعض الأوقات بالمغيبات ، فبينما نحن جلوس معه في جامع الكوفة ، إذ دخل إليه رجل

وسلم عليه ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إني مررت بوادي الثرى ، فرأيت خالد بن عرفطة مقتولاً مطروحاً في البر . فقال له عليّ (عليه السلام) : ((كذبت ، أنّ خالداً لم يمت حتى يقود جيش الضلال ابن زياد ، ويكون حامل لوائه حبيب بن جمار لعنه الله تعالى)) . فقام حبيب بن جمار من بينهم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أراك تقول هكذا وإني لك شيعه ، وأنا موال لك ، وإني لك محبٌ؟! فقال له : ((من أنت ؟)) . فقال : أنا حبيب بن جمار . فقال له : ((إياك إياك أن تحملها يا شقي ! ولكن لا بد أن تحملها وتدخل بها من هذا الباب)) . وأومى بيده إلى باب الفيل بمسجد الكوفة ، ((وتقاتل ولدي الحسين بعد وفاتي)) . فلما كان من أمر الحسين ما كان وحان من حينه ما حان ، بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلى حرب الحسين (عليه السلام) ، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته بأربعة آلاف فارس ، وحبيب بن جمار حامل رايته ، فسار بها حتى دخل مسجد الكوفة من باب الفيل كما أخبر أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ومن أخباره بالمغيبات : أنه (عليه السلام) التفت إلى البراء بن عازب ، وقال له : ((يابن عازب ، يُقتل ولدي الحسين وأنت حي حاضر ولم تنصره ، وتزعم أنك محب لنا)) . فلما قُتل الحسين ، كان البراء بن عازب يُظهر الحسرة والتدم ، ويقول : حدثني سيدي عليّ بن أبي طالب أنه يُقتل ولده الحسين ولم أنصره . وظلَّ يُكثر الحسرة والتدم مدة عمره .

فانظروا يا إخواني إلى ما خصَّ الله به هذا الشخص الرباني من الفضائل العظيمة والعطايا الجسيمة . فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التادبون ، ومثلهم تذرف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابع عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الدرهمي (رحمه الله تعالى)

نحول جسمي لا ينفك عني	وقد صار البكا شغلي وفني
وقلبي فيه نيران ووجد	وهمي صار ممزوجاً بحزني
يطيب لي البكا في كل وقت	وأسعف في الرزايا من سعفي
كفاني موت خير الخلق طراً	بأن النفس في السلوان أشني
أخذتم نحلتي ظلماً وإرثي	وحلتم دون ما ربي رزقي
وسب البضعة الزهراء لماً	أتت زفراً وقالت ما نصفي

أما في هل أتى وفيت نذري
سلوا عم وطاة إن شككتم
فقال الرجس ما نرضى بهذا
فماتت وهي في حرق وكرب
وقتل الطهر في المحراب لما
بأنا طائعون بكل أمر
فجعل بالمسير يظن خيراً
إلى أن صار في نقع المنايا
فمانعه الجواد السير عنها
فما اسم الأرض يا قوم انبؤني
فقالوا ذي منازل كبريايا
ألا حطوا الرحال فلا مسير
وفيهما يقتل العباس ظمماً
وفيهما تقتل أولادي وصحبي
وفي هذي الفلاة نزار حقاً
وأقتل ظامياً والماء طام
إذا شرب المحب الماء بعدي
وما لي مهرب عن أمر ربي
فلما كان وقت الظهر باننت
فقال أتتكم أرجاس حرب
فما للقوم قصدكم سبيلاً
فضجوا بالبكاء حزناً عليه
فلا والله لا نرضى بذلك
ولكن نبذل الأرواح مننا
ونفحم عند نيران الأعادي
فيا لله كم قطعوا رؤوساً

فيا ويل للمعون عصبي
سلوا ياسين ما ربي رزقني
ولا ذا القبول في ذا اليوم يغني
تواصل حر زفرتها بغين
أتته كتب ملعون ولكني
وأنت محكم في كل فن
يحسب البيد سرعاً لا يويني
وحادي العيس مسرور يغني
فقال لصحبتة يا من حضرني
ففي أكنافها قد طاش ذهني
فقال الكرب فيها قد شملني
ففي هذه الفلاة يكون دفي
ويقتل كل صديق نصري
وتسبي نسوتي بالرغم مني
وقد جاز السعادة من نصري
ويشربه هنيئاً من منعي
فطاب له التنغص إذ ذكرني
فقد لاحت دلائل ما وعدني
لهم خيل لأشقى الخلق تدني
بأعلام تخالف ما وردني
وكل بالمنايا قد قصدي
وقالوا بعدكم لا عيش يهني
ولا نستقبل الأعداء يني
ونرضى خير مسؤول ومغني
ونوصل فيهم ضرباً بطعن
وكم قد ألحقوا قرناً بقرن

عليهم جاريات الريح تبني
كليث ثار في إبل وضمان
دنياً بإنكسار الطرف يرني
أما أحد على أهلي يرني
وجدي أحمد يا من جهلني
وما تعديك المعروف بغني
وبراه وعلاه بلدن
غسلاً بالدماء من غير دفن
حيارى يا أباه منيع ركني
بلا وطأ وقيد قد جرحني
علوج أمية واستصخرختني
تقول إليك يا أبتاه خذني
لأن مصيبة عظمتي دهنتني
لماتت غصنة لما رأتهني
وإلا عند مصراعكم صرعني
فوا حزنه مما قد دهمني
بأعنف حادي يحدي بيدين
فقال لساقى الصهباء زدني
ليقرع منه سناً بعد سن
بعد الخلق أنسى وجني
وقرمانا فافهم ما أكني
تربت بين أتراب وخذن
وتوجهنا مديحك بحسن
بها يرجو جواركم بعدن
وأمي من محبتكم سقتني

إلى أن جادلوا بالترب جمعاً
وظل الظهر يفترس الأعادي
إلى أن خسر مطعوناً طريحاً
ينادي بعد عز وامتناع
أليس البضعة الزهراء أمي
فقال الشمر أقصر يا حسين
وحز الرأس كرهماً من قفاه
وخلال الجسم منعفراً طريحاً
تلوذ به الأرامل واليتامى
يعز عليك يا أبتاه مالي
أبي من لليتيمة إن سببتها
وفاطمة الصغيرة في بكاهها
وأسكن روعتي مما جرى لي
فلو بنت النبي ترى مكاني
وليت الموت قدمني بأخذ
أبي أصبحت منفرداً غريباً
أبي ساروا بنا فوق المطايا
فلمنا أن أتين إلى يزيد
وقرب رأس مولانا إليه
فلعنة ذي الجلال على يزيد
وتغشني أدلاً وأباً فلان
إليكم يا بني طهه عروساً
زهت إذ ألبست حلال المعاني
منظمتها مديح درمكي
فمن فضل الإله أبي محب

فلا أسفني على شيء منعني
وأعلمهم وأفضلهم بلسن
وأخوفهم لمن يغني ويفني
تضاعف ما شئت ورقا تغني

إذا ما نلت من ربي ولاكم
لأنكم أجل الخلق أصالاً
وأعبدتهم وأهداهم وأتقى
صلاة الله دائماً عليكم

ومن خذلهم فلا تشفى بشافية قلوبهم ولهم فوق الجحيم شفا
ضاعت حقوقهم حتى طرقتهم قد ضل عنها عقول سيرهم عنفا

روي عن الإمام العسكري (ع) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَنْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ (الآية) (1). قال : ((قال لي أبي عن آباءه عن رسول الله (ص) : لما نزلت هذه الآية في ذم اليهود الذين نقضوا عهد الله ، وحادوا عن أمر الله ، وكذبوا رسول الله ، وقتلوا أنبياء الله ، فقال النبي (ﷺ) : يا أصحابي ، أفلا أنبئكم بما يضاھيكم من يهود أمي ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك . فقال : قوم من بني أمية يزعمون أنهم من أمي ، ويظنون أنهم من أهل ملي ، يقتلون أفضل ذريتي وأطائب أرومي وذرية ابنتي ، ويبدلون شريعتي ويتركون سنتي ، ويقتلون ولدي الحسن والحسين كما قتل أسلاف هؤلاء اليهود زكريا ويحي (عليهما السلام) ، ألا وأن الله يلعنهم كما لعنهم من قبل ، ويبعث الله على بقايا ذراريهم يوم القيامة إماماً هادياً مهدياً من ولد الحسين ، فيقتلهم عن آخرهم ويأخذ بثأر جدّه الحسين ، ولهم يوم القيامة أشدّ العذاب وبئس المصير ، ألا لعن الله قتلة الحسين ومحبيهم وناصرهم والشاكين في لعنهم من غير تقية ، ألا وصلى الله على الباكين على الحسين والمقيمين عزاءه ، ألا وصلى الله على من بكى على الحسين رحمة وشفقة ورقة له ، ألا وصلى الله على اللاعنين لأعدائهم والممتلين عليهم غيظاً وحنقاً ، ألا وإنّ الرّاضين بقتل الحسين هم شركاء قتلته ، ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمتقدمين والمتأخرين براءة من دين الله ، وعليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، ألا وأنّ الله يأمر ملائكته المقربين أن يتلقّوا دموع الباكين على مصاب الحسين (عليه السلام) ، فيجمعون دموعهم وينقلونها إلى خزنة الجنان ، فيمزجونها بماء الحيوان فيزيد في عذبا وطيبها وطعمها ألف ضعفها ، وإنّ الملائكة المقربين ليتلقّون دموع الفرحين الصّاحكين لقتل الحسين ومصاب الحسين ، فيلقونها في الهاوية ، فيمزجونها بحميم جهنّم وصديدها وغساقها وغسيلها ، فتزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها ، يشدّد الله على المنقولين إليها من أعداء آل

(1) سورة البقرة / 84 - 85.

محمد في عذابهم يوم القيامة)) . قال : ((فقام ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) , فقال : بأبي وأمي يا رسول الله ! أخبرني متى قيام الساعة ؟ فقال رسول الله : ماذا أعددت لها ؟ فقال ثوبان : ما أعددت لها كثير عمل إلا أنني أحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله . فقال رسول الله : وإلى ماذا بلغ حبك لرسول الله وأهل بيته ؟ قال : والذي بعثك بالحق نبياً , إن في قلبي محبتكم ما لو أنني قُطعت بالسيف ونُشِرت بالمناشير , وفُرضت بالمقارض وأُحرقت بالنيران , وطُحنت برحى الحجارة , كان أحب إليّ وأسهل عليّ من أن أجد لك في قلبي منك غشاً أو دغلاً أو بُغضاً , ولا لأحد من أهل بيتك ومن عترتك , فهم أحب الخلق إليّ من بعدك , وإن أبغض الناس إليّ من لا يحبك ولا يحب أهل بيتك وعترتك . يا رسول الله , فهذا ما عندي من حبك وحب من يحبك , وبغض من يبغضك أو يبغض أحداً من أهل بيتك , فإن قُبِل مني , فقد سعدت , وإن ترد مني عملاً غيره , فما أعلم أنّ لي عملاً غير هذا أعتد عليه وأعتد به يوم القيامة مع من أحب .

فقال (ص) : ...واعلم يا ثوبان , لو أنّ عليك من الذنوب ملاً ما بين الثرى إلى عنان السماء , لانحسرت وزالت عنك بهذه الموالاة , أسرع من انحسار الظل عن الصخرة الملساء المستوية إذا طلعت عليها الشمس , ومن انحسار الشمس إذا غابت عنها , ولعمري , لا عمل فيها أفضل من موالات الآل ؛ لدفع تلك الأهوال والأمور العضال)) . :

يا آل طية أنتم القصود والمنى	وفي يدكم يوم اللقا النفع والضرر
رجوتكم ذخري وفخري وعدتي	وما خاب من أنتم له الفخر والذخر
إذا كل من عاداكموا بجهنم	وشيعتكم والمؤمنون بكم سـروا
وادخلتموهم للجنان فهم بما	وجوهم بيض ملابسهم خضر
عليكم سلام الله ما ناح صادق	على عذبات الدوح وابتسم الزهر

روي : أنّ الرّشيد لما أراد أن يقتل الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) , أعرض قتله على سائر جنده وفرسانه , فلم يقتله أحد منهم , فأرسل إلى عمّاله في بلاد الأفرنج يقول لهم : التمسوا إليّ قوماً لا يعرفون الله ولا يعرفون رسول الله , فيأتيّ أريد أن أستعين بهم على مُهمّ . قال : فأرسلوا إليه قوماً لا يعرفون من شرائط الإسلام كلمة واحدة , ولا يعرفون من اللغة العربية كلمة واحدة أبداً , وكانوا خمسين رجلاً , فلما

دخلوا إليه , أكرمهم وأعزهم وأنزلهم في دار الكرامة , وحمل لهم الهدايا والتحف والخلع السنّية , ثمّ استدعاهم وسألهم : مَنْ رَبِّكُمْ , وَمَنْ نَبِيِّكُمْ ؟ فقالوا : لا نعرف لنا ربّاً ولا نبياً أبداً . فقال لهم : هذا مرادي وهذا قصدي . فقال لوزيره : قُلْ لهم , إِنَّ الملك له عدو في هذا البيت جالس - يعني موسى بن جعفر (عليه السلام) - , فادخلوا إليه واقتلوه ولكم الجائزة العظيمة . فقالوا : سمعاً وطاعة , وهذا أمر هيّن علينا , فإن أردتم قطعناه قطعاً وأكلنا لحمه . قال : فقاموا جميعاً بأسلحتهم كأثمّ السباع الضارية ودخلوا على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) , والرّشيد ينظر إليهم من طاقة حجرته ويصر ما يفعلون , قال : فلما رأوه , رموا أسلحتهم وارتعدت فرائضهم وخزوا سجداً ليكون رحمة له , قال : فجعل الإمام (عليه السلام) يمرّ يده الشريفة على رؤوسهم وهم يبكون , ومع ذلك يخاطبهم بلحنهم ولغتهم , قال : فلما رأى الرّشيد ذلك منهم , خشى من الفضيحة وصاح بالوزير : اخرجهم عنه . فخرجوا وهم يمشون القهقري إجلالاً للإمام (عليه السلام) , ثمّ إنهم ركبوا خيولهم وأخذوا الهدايا والتحف التي وصلتهم منه , ومضوا لشأنهم من غير إذن الرّشيد .

فانظروا يا إخواني إلى هذه العداوة العظيمة والشقاوة المعضلة الجسيمة : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (1) :

قوم عابوا بنيانهم من هاشم	فرع أشم وسؤدد ما ينقل
قوم بهم نصر الإله رسوله	وعليهم نزل الكتاب المنزل
وبهديهم رضي الإله لخلقهم	وبجدهم نصر النبي المرسل

روي : أنّ رجلاً من الخوارج قال لمحمد بن الحنفية : لم غر بك أبوك في الحروب ولم يغر الحسن والحسين ؟ فقال له : ويا ويلك ! أما علمت أنّهما عينا وأنا يمينا , فهو يدفع بيمينه عن عينيه .

وعن ابن عباس , قال : لما كنا في حرب صقّين , إذ دعا عليّ ابنه محمد بن الحنفية , وقال له : ((يا بني , شد على عسكر معاوية)) . ففعل ما أمره أبوه وحمل على يمينة عسكر معاوية فكشفهم , ثمّ رجع إلى أبيه وقد جرح , فقال له : يا أبا العطش العطش ! فسقاه جرعة من الماء , ثمّ صبّ الباقي بين درعه وجلده , فو الله لقد رايت علق الدّم يخرج من الدرع , ثمّ أمهله ساعة , ثمّ قال له : ((يا بُني , شد على الميسرة)) . فحمل على ميسرة عسكر معاوية فكشفهم , ثمّ رجع وبه جراحات وهو يقول : الماء الماء يا أبتاه ! فسقاه جرعة من الماء وصبّ باقي الماء

(1) سورة الصّف / 8.

بين درعه وجلده ، ثمّ قال له : ((يا بُني ، شد على القلب)) . فحمل عليهم فكشفهم وقتل منهم فُرساناً ، ثمّ رجع إلى أبيه وهو يبكي وقد أثقلته الجروح ، فقام إليه أبوه وقبّل ما بين عينيه ، وقال له : ((فداك أبوك ! فقد سررتني والله يا بني بجهادك هذا بين يدي ، فما يبكيك ، أفرح أم جزع ؟)) . فقال : يا أبتى كيف لا أبكي وقد عرّضتني للموت ثلاث مرّات فسلمني الله ، وها أنا مجرح كما ترى ؟ وكلّما رجعت إليك لتمهلني عن الحرب ساعة ، فما تمهلني وهذان أخواي الحسن والحسين ما تأمرهما بشيء من الحرب . فقام إليه أمير المؤمنين وقبّل وجهه ، وقال له : ((يا بُني ، أنت ابني وهذان ابنا رسول الله ، أفلا أصونهما من القتل ؟)) . فقال : بلى يا أبتاه ، جعلني الله فداك وفداهما من كلّ سوء ! :

فليت شعري هل توازي مصيبة مصيبتكم يا آل بيت محمد
 رزيتم رزايا لا يطيق بحملها سماء ولا أرض ولا كل جامد

روي : أنّ الحسن الرّضي لما دنت وفاته ونفذت أيامه وجرى السّم في بدنه وأعضائه ، وتغيّر لون وجهه ومال بدنه إلى الرّزقة والخضرة ، قال له أخوه الحسين (عليه السلام) : ((ما لي أرى لون وجهك مائلاً إلى الخضرة ؟)) . فبكى الحسن (عليه السلام) ، وقال له : ((يا أخي ، لقد صحّ حديث جدّي فيّ وفيك)) . ثمّ مدّ يده إلى أخيه الحسين واعتنقه طويلاً وبكيا كثيراً ، فقال الحسين (عليه السلام) : ((يا أخي ، ما حدّثك جدّك وماذا سمعت منه ؟)) . فقال : ((أخبرني جدّي رسول الله ، أنّه قال : لما مررت ليلة المعراج بروضات الجنان ومنازل أهل الإيمان ، فرأيت قصرين عاليتين متجاورين على صفة واحدة ، لكن أحدهما من الرّزجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر ، فاستحسنتهما وشاقتني حسنهما ، فقلت : يا أخي جبرائيل ، لمن هذين القصرين ؟ فقال : أحدهما لولدك الحسن والآخر لولدك الحسين . فقلت : يا جبرائيل ، فلم لا يكونا على لون واحد ؟ فسكت ولم يردّ عليّ جواباً ، فقلت : يا أخي ، لم لا تتكلّم ؟ فقال : حياء منك يا محمّد . فقلت له : تالله عليك إلا ما أخبرتني ؟ فقال : أمّا خضرة قصر الحسن ، فإنّه يُسمّى ويخضر لونه عند موته، وأمّا حمرة قصر الحسين ، فإنّه يُقتل ويُذبح ويُخضب وجهه وشيبتته وبدنه من دمائه . فعند ذلك بكيا وضجّ النَّاس بالبكاء والنّحيب على فقد حبيبي الحبيب)) .

وحكي عن السّدي ، قال : ضافني

رجل في ليلة كنت أحبّ الجليس ، فرحبت به وقربته وأكرمته وجلسنا نتسامر ، وإذا به ينطلق بالكلام كالسّيل إذا قصد الحضيض ، فطرت له فانتهى في سمره طفّ كربلاء ، وكان قريب العهد من قتل الحسين (عليه السلام) ، فتأوهت الصّعداء وتفرّفت كمداءً ، فقال : ما بالك ؟ قلت : ذكرت مصاباً يهون عنده كلّ مصاب . قال : أما كنت حاضراً يوم الطّفّ ؟ قلت : لا ، والحمد لله . قال : أراك تحمد على أيّ شيء ؟ قلت : على الخلاص من دم الحسين ؛ لأنّ جدّه (صلى الله عليه وآله) قال : ((من طولب بدم ولدي الحسين يوم القيامة ، لخفيف الميزان)) . قال : قال هكذا جدّه ؟ قلت : نعم ، وقال (صلى الله عليه وآله) : ((ولدي الحسين يُقتل ظلماً وعدواناً ، ألا ومن قتله يدخل في تابوت من نار ، ويُعدّب نصف عذاب أهل النّار ، وقد غلت يدها ورجلاه ، وله رائحة يتعوّذ أهل النّار منها ، هو ومن شايع وباع أو رضي بذلك : ﴿ كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَا هُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (1) . لا يفتر عنهم ساعة ، ويسقون من حميم جهنّم ، فالويل لهم من عذاب جهنم !)) . قال : لا تُصدّق هذا الكلام يا أخي . فقلت : كيف هذا وقد قال (صلى الله عليه وآله) : ((لا كذبت ولا كُذبت)) ؟ قال : ترى قالوا : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((قاتل ولدي الحسين لا يطول عمره)) ها أنا وحقك قد تجاوزت التسعين مع أنك لا تعرفني . قلت : لا والله . قال : أنا الأخنس بن زيد . قلت : وما صنعت يوم الطّفّ ؟ قال : أنا الذي أمّرت على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطء جسم الحسين بسنابك الخيل ، وهشمت أضرعه ، وجررت نطفاً من تحت عليّ بن الحسين وهو عليل حتّى كببته على وجهه ، وخرمت أذني صفيّة بنت الحسين لقرطين كانا في إذنيها . قال السّدي : فبكى قلبي هجوعاً وعيناى دموعاً ، وخرجت أعالج على إهلاكه ، وإذا بالسّراج قد ضعفت فقامت أظهرها ، فقال : اجلس ، وهو يحكي لي مُتعبجاً من نفسه وسلامته ، ومدّ إصبعه ليظهرها فاشتعلت به ، ففركها في التّراب فلم تنطفئ ، فصاح بي : أدركني يا أخي ! فكبيت الشّربة عليها وأنا غير محبّ لذلك ، فلمّا شمّت النّار رائحة الماء ، إزدادت قوّة ، وصاح بي : ما هذه النّار وما يطفئها ؟ قلت : إلّق نفسك في النّهر . فرمى بنفسه ، فكلّما ركس جسمه في الماء ، اشتعلت في جميع بدنه كالخشب البالية في الرّيح البارح ، هذا وأنا أنظره فو الله الذي لا إله إلا هو ، لم تطف حتّى صار فحماً وسار على وجه الماء ، ألا لعنة الله على الظالمين

(1) سورة التّساء / 56.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الفاضل مُحَمَّد بن نقيح (رحمه الله تعالى)

عجباً لقلب فيكم لا يفجع
لله در مزاركم بمصائبكم
ما هل عاشورا إلا وهاج لي
لم أنس مولاي الحسين بمكة
تباً لقوم خالفوه وخالفوا
كتبوا إليه من العراق وأجمعوا
وتفاعدوا عن نصره وتعاهدوا
فأراد لما أن تبين غدرهم
بعثوا إليه الحر عند قدومه
ساروا فوافوا في العشية كربلا
قال انزلوا فهنأ مناخ ركابنا
وأتى ابن سعد مقبلاً في عصبة
وتأهبوا للحرب بعد تظاهر
فاستمهل السبب الطغاة لعله
فأقام ليلته يناجي ربه
ويقول إن القوم لا بغيا لهم
فأقام بين يديه كل موفق
وأتى الحسين يناشد القوم الذي
وغدا ابن سعد راشقاً بسهامه
وأنت سهام القوم بعد كأنها
ذادوه عن ماء الفرات بجحفل
فتيقن السبب اللقاء لربه

ولأنفس في رزئكم لا تجزع
لم تنصعد ونواظر لا تدمع
حزن فصرت كبومة استبشع
عن بيعة الباغي غداً يتمنع
أمر الرسول وللوصية ضيعوا
أن ينصروه فمذأتى لم يزمعوا
في خذله وعلى الأذية أجمعوا
جزموا إلى حرم المدينة يرجع
فبقى يساير تارة ويجعجع
أرض الطفوف من البراري سلقع
وهنا محط رحلتنا والمصرع
نحو الأطائب والعساكر تتبع
والعلج في إضرامها يتشجع
يبدو إلى الله العلي ويضرع
طوراً ويسجد في الظلام ويركع
غيري وإني عارف من يرجع
وغدا يقهر كل من يتطمع
لم يبق فيهم من ينيب ويخشع
قوم الإمام وفي الأذية يسرع
مطر تدفعه الرياح الزرع
فيه الصوارم والسلاح يققع
فأتى الخيام بدرعه يتلفع

يوصي سكينه بالسكينة بعده
وبقى رجال السبط يقتل واحداً
حتى بقي فرداً وحيداً ظامياً
حملوا عليه بالطعان فصدهم
مذاخنوه بالجراح وأضعفوا
وشكى النساء إلى الحسين من الظما
فمضى به نحو الطغاة كأنه
ودعاه ماء ييل غليله
وأناه سهم مارق من مارق
قطع الوريد من الوليد وأقبلت
أخذ الدماء بكفه فرمى به
ومضى يجدل كل صل صائل
حتى دنى أجل الكتات ولم يكن
أردوه عن ظهر الجواد كأنه
لهفي له يبغي هنالك شربة
لهفي لمصرعه الشريف على الثرى
لهفي لجشته الشريفة في الثرى
لهفي له إذ يستغيث فلم يغيث
ذبحوه ظمناً وكوثر جده
حملوا الكريم على القناة مضمخاً
قطع اللعين سنان منه وريده
تبت يده لقيده أساء بفعله
وأتى الجواد إلى الخيام منهمما
وأنت سكينه وهي تندب حاسراً
وا سيدها عذمت بعدك صحتي
فالدين أضحى بعد فقدك تاكلاً

بالصبر عند مصابه ويودع
منهم وآخر بعده يتوقع
لا مانع عنه ولا من يدفع
بالسيف وهو اللوذعي الأشجع
منه الجوارح وهو لا يتروع
وأتينه بالطفل مضى يرضع
بدر بدا من برجه يتطلع
ويقول هل قلب يرق ويخشع
بغروره وبكفوره يتمتع
منه الدماء واحمر منه البرقع
نحو السماء والعين منه تدمع
ويقد هاماً منهم ويصدع
من بغداد ما حتم المقدر ينفع
جبل الخشية ربه متصدع
فيجأ بالشمم الشنيع ويمنع
بين اللئام وعز ذلك المصرع
مطروحة يسفى عليها الزوبع
أفلم يكن عند النداء من يسمع
بالماء في يوم القيامة مترع
والنور من أعضائه يتشعشع
هل كان يدري أي عضو يقطع
وليه جهنم في القيامة تسفع
بصهيله والسرج منه بلقع
بأبي الشجاع الأريحي الأروع
فإلى الإله المشتكى والمفزع
والدهر أمسى وهو بعدك أجعد

أين الحمأة وأين جدّي المُصطفى
اليوم مات مُحمّد واستوسرت
كم حرمة ظهرت محاسن وجهها
فالتطيات الطاهرات حواسر
والسيد السجاد في أيدي العدا
هذا وما سكنت به اضغاثهم
سلبوه من أثوابه ودروعه
رضوا جناجن صدره بخيولهم
ويزيد ينكث ثغره بقضيبه
فليأتين غداً بقبح صنيعه
تالله لا عداد ولا فرعونهما
كفعمال هذا النكس ابن أمية
أين الصحابة أين حزب مُحمّد
خص الكرام بكل خطب فادح
صبروا على البلوى بكل كرهة
طوبى لأرض حبل في أكنافها
قد قدست أرض الطفوف وبوركنت
لك تربة فيها الشفاء وقبة
هم سادة الدنيا ويوم معادنا
ولسوف يدرك ثأرهم مهديهم
إن لم أكن أدركت نصرة جدّه
يا ابن الإمام العسكري ومن له
يا سيدي ظهر الفساد وأظلمت
وجرت علينا في الزمان ملاحم
لم يبق إلا عالم متصنع
جعل العلوم على الفساد ذريعة

بل أين حيدرة البطين الأنزع
أولاده من بعده وتضعضوا
وكريمة قد مال عنها البرقع
وتقاط عنهن الثياب وتنزع
مضني على حمل الشدائد يرفع
وبما جرى في حقه لم يقنع
ولنزع خاتمته تبين الإصبع
بغياً وعن أحقادهم لا يقلع
متمثلاً بالشعر لا يتنعنع
من الندامة في القيامة يقرع
كلا ولا فعلت ثمود وتبع
ومقامه في يسه يتسكع
لا منكسر منهم ولا متوجع
فيه العقول مع القلوب ترورع
والسر فيهم لا محالة يودع
جسد الحسين وطاب ذاك الموضع
لما اغتدى لك في ثراها مضجع
فيها الدعاء إلى المهيمن يرفع
في الحشر منهم شافع ومشفع
وأنا ليوم ظهره أتوقع
فبنصره فيمما بقبي اتطمع
صيد الملوك إذا تمثل تخضع
سبل الرشاد فهل لنورك مطمع
لم ندر في تدبيرها ما نصنع
أو جاهل متنسك أو مبدع
أكلوا بها الدنيا ولم يتورعوا

ييغون في الأرض العلو وقصدهم
كل يريد رئاسة بوقاحة
يتنافسون على المناصب والعلو
والله يصلح شأنهم ويصدهم
وبقي رجال أخلصوا في ودهم
أما طريد أو شريد ضائع
فالله يجبر كسرهم بظهوره
ويعين منا الصالحين بعصمة
وبه نؤمل أن ينجي كل من
ونعوذ من خطب يهول وفتنة
يا عترة الهادي النبي ومن هم
واليبتكم وبرئت من أعدائكم
ونظمت في علياكم من مقولي
علماً بأن مديحكم لي نافع
وأنا بكم متنسك وبجربكم
لم أهو ديناً أصله من غيركم
وإلى نقيح نسبتي ومحمد
لم استعن في نظمها بسواكم
بل هذه بكر أتت من فكري
وقبولها يا سادتي مهر لها
صلّى الإله عليكم ما أحييت
أبغي الشفاعة في معادي يوم لا
بكم أو مل نجح سعبي دائماً

قبل العوام إليهم كي يخدموا
وإذا رأى أهل النهى لا يتبع
والله يخفض ما يشاء ويرفع
عن غيرهم وعن المعاصي يرجع
خصوا ببلوى للجبال تصدع
بين البرية أو فقير مدقع
يا من بهم جل المكاره تدفع
من كل فعل موثق يستبشع
يغني الهدي ولسبله تتبع
فيها المعارف والحقوق تضيع
عزي وكنزي والرجا والمفزع
وأنا بغير ولاكم لا أقنع
دراً لها وشي القرير يرضع
ومديح قوم غيركم لا ينفع
تمسك وبجركم مستشفع
حسبي إفتخاري أنني أتشيع
إسمي فكم لي منكر ومضيع
كلا ولسنت لمن تقدم اتبع
وقريحتي للبكر دوماً تقزع
إن صح فزت بنعمة لا تقطع
فكر وأوقضت العيون الهجع
مال هناك ولا بنون ينفع
وإلى الإله بجربكم أتدع

الباب الثاني

أيها المؤمنون الناصحون , اقطعوا رقاد العيون وواصلوا سهاد الجفون ،

وامسكوا أنفسكم عن اللذات وابدلوا الدموع الجاريات ، فقد أعزّ دينه وأحرزه من أحمل دمه وأبرزه ، فإنّ إظهار الدموع البادية ، دليل على ما بطن من الأحزان الخافية ، أما علمتم أنّ هذه الدموع الهتان نفثة مصدور ، وردّ شرائع الأحزان ، وعجز عن الصدور . وإنيّ كلّما تزايدت عليّ الأفكار ، يتوقّد في قلبي لهيب النّار ، فلا أجد ملجأً التّجئ إليه ولا معولاً أصبر إليه ، سوى ماء الشّؤون المتحدارة من مقرحات الجفون :

إن الحزين إذا ما الحزن خالطه كان البكاء له ملجأً من الفكر
لا تعذلوني عذولي إنني رجل لَمّا تزايد حزني قل مصطبري

وكيف لا تحزن على سادات العباد وأنوار الله في البلاد ، فليتني شاهدتهم يوم الطّفوف وفديتهم بروحي من الحتوف ، ولكن ليس إلّا ما أراد الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

روي : أنّ بعض الصّالحين من المؤمنين ، رأى في منامه فاطمة الزّهراء في أرض كربلاء ، بعد قتل الحسين مع جملة من نساء أهل الجنّة وهم يندبون الحسين (عليه السلام) ، وفاطمة تقول : ((يا أبي يا رسول الله ! أما تنظر إلى أمّتك ما فعلوا بولدي الحسين ؟ قتلوه ظلماً وعدواناً ، قتلوه ومن شرب الماء منعه ، وللمنايا والغصص جرّعه ، وبالسيوف قطعوه ، وعلى وجهه قلبوه ، ومن القفا ذبحوه ، فيا بئس ما فعلوه ! يا ابتاه ! أترى فُعل بولد أحد من الأنبياء كما فُعل بولدي ؟! فوا حرّ قلبه ! كأنّ ربّنا ما خلقنا إلّا للبلاء والابتلاء ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون . يا ابتاه ! قتلوا بعلي أمير المؤمنين ، وأدير الخطب على بيتي وأضرمت النّار فيه ، وفُتح باب داري عليّ كُرْهاً ، وقُتل ولدي المُحسن سقطاً ، كأنيّ لم أكن بضعة منك يا رسول الله ! ولا أنا الذي قُلت فيّ : فاطمة بضعة منّي يُرْبيني ما يُرْبِها ، ويُزْريني ما يُزْرِها . يا أبتى ! أتعلم ما صُنِع بي ؟ كسر اللعين ضلعي حتّى متّ بأسفي ، مقروحة عليك وعلى المُحسن وعلى ولديّ الحسن والحسين ، إنّنا لله وإنّا إليه راجعون)) .

ثمّ قالت (عليها السلام) : ((يا أبة يا رسول الله ! وأعظم من هذا ، أنّهم منعوني من البكاء عليك في المدينة ، وقالوا : آذيتنا بكثرة بكائك . حتّى عدت إذا ذكرتك واشتقت إلى التّدب عليك ، صرت

أخرج إلى وراء قبور الشهداء ، فأقضي شأني من البكاء حتى ألقى الله بك في المدة القليلة)) .

فعند ذلك رفع رسول الله (ص) رداءه ، وقال : ((واكرباه لكربك يا فاطمة الزهراء ! وا ابتاه واثرة فؤاده ! واهزته واهزته وا
عليه واهسنه واهسينه ! واهعباسه واهطالباه ! فقتل ولدي الحسين بالغازيات ولم تحضره ليوث الغزوات ولا علي كاشف
الكربات . فكم من دم مسفوك وستر عن حرمة الإسلام مهتوك ؟ وكم من شيبه بالدماء مخضوبة ، وكريمة من النساء مسلوقة ،
وابنتي فاطمة الزهراء بين الأعداء مروعة ، وعترتي بالأشجان ملووعة ، وقد قتلوا صغيرهم وكبيرهم ، وذبحوا رضيعهم وفطيمهم ،
واستباحوا نساءهم وحریمهم ؟ فيا سحقا لأولئك الأشقياء ! ويا بعدا لأولاد الأعداء ! كيف أنظر إليهم يوم القيامة وسيوفهم
تقطر من دماء أهل بيتي ؟! أم كيف ترونهم إذا نودي بهم في يوم القيامة : يا أهل هذا الموقف ، غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة
بنت المختار . فتأتي وثياهما بدم الحسين مصبوغه ، ومعها قميص آخر ملطخ بالسم ، فتنادي : يا أمة محمد ! أين مسمومي
وأين مذبوحتي ؟ وما فعلتم بشبابي وشيوعي ؟ وما فعلتم ببني وأطفالي ؟ وما فعلتم بأهل بيتي وعيالي ؟ تصرخ صرخة عالية ،
وتقول : يا عدل يا حكيم ! احكم بيني وبين قاتل ولدي . فيقال لها : يا فاطمة الزهراء ، ادخلي الجنة . فتقول : لا أدخل الجنة
حتى أعلم ما صنع بولدي الحسين من بعدي . فيقال لها : انظري أهل القيامة . فتتنظر يمينا وشمالا فترى الحسين (عليه السلام) وهو
واقف بلا رأس ، فتصرخ صرخة عالية وتصرخ الملائكة معها ، وتقول : واهولاده ! واهثرة فؤاده ! واهز قلباه ! على تلك
الأجسام العارية والجسوم المرملة ، واهلفاه على تلك الأعضاء المتقطعة ! تهب عليها الصبا والدبور ، وتفنهم العقبان والنسور
، قال : فلم يبقى في ذلك الموقف أحد إلا وبكى لبكائها ، قال : فعند ذلك يمثل الله الحسين في أحسن صورة ، فيخاصم
ظالميه ، ثم يأمر الله تعالى نارا اسمها ههب ، قد أوقدوا عليها ألف عام حتى اسودت وأظلمت ، فتلتقطهم عن آخرهم ، ألا لعنة
الله على القوم الظالمين)) .

فيا إخواني ، كيف تظفي لهبات الأشجان ، أم كيف تحفي زفرات الأحزان وكریم الحسين (عليه السلام) يعلي على السنان ، وأيدي
ذريته تغل بالحديد إلى الأذقان ؟ رزء والله بكت له السماء دما ، وتفتطرت له الصم الصلاد عظما :

إن رزء الحُسين أضـرم ناراً لا يثـأ في القلوب ذات الوقـود
إن رزء الحُسين نجـل عليّ هدّ ركنأ ما كان بالمهدود
يا لها نكبـة أباحت جسمي السقم وأجـرت مدامعأ بالخدود
قتلوه مع علمهم أنه خير البرايا ممن سـيّد ومسـود
اسـخطوا الله في رضـى ابـن زياد وأعطـوه قضـاء حـق يزيـد

روي : أنّ الحسين لما رأى وحدته وفقد عترته وأنصاره ، تقدّم على فرسه نحو القوم حتّى واجههم ، وقال : ((أيّها الناس ، أنسبوني وانظروا من أنا ، ثمّ راجعوا أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا هل يحلّ لكم سفك دمي وانتهاك حرّمي ؟ ألسنت أنا ابن نبيّكم محمّد ؟ أما كان موصياً فيكم لي ولأخي ؟ أما أنا سيّد شباب أهل الجنّة ؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي وانتهاك حرّمي ؟)) . فقالوا : ما نعرف شيئاً ممّا تقول . فقال : ((إنّ فيكم من لو سألتموه عنيّ لأخبركم إنّه سمع ذلك من جدّي رسول الله فيّ وفي أخي الحسن ، سلوا زيد بن ثابت والبراء بن عازب وأنس بن مالك ، فإنّهم يخبرونكم أنّهم سمعوا من جدّي رسول الله فيّ وفي أخي ، فإن كنتم تشكّون إنّي لست ابن بنت نبيّكم ، فوالله ما تعمدت الكذب وقد عرفت أنّ الله تعالى يمقت على الكذب أهله ويعذب من استعمله ، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري ، ثمّ أنا ابن إمامكم خاصّة دون غيري ، خبروني هلّي تطلبوني بقتل قتلته منكم ، أو بقصاص من جراحة ، أو بمال استملكته منكم ، أم على سنّة غيرتها ، أم على شريعة فرض بذاتها ؟)) . قال : فسكتوا ولم يقبلوا هذا القول منه .

وإنّه (عليه السلام) كان عالماً بما يؤول أمره إليه ، عارفاً بما هو قادم عليه ، عرف ذلك من أبيه وجدّه (عليه السلام) ، واطّلع على حقيقة ما خصّه الله به من بين الأنام ، وإتّما كان ذلك القول وتكراره عليهم ؛ لإقامة الحجّة عليهم ، وتنبهها لمن يقول لا أعلم واشتبه عليّ الأمر فلم أهتد لوجه الصّواب ، ففي هذه الاحتمالات بإنذاره .

فتبّاً لأرائهم الفاسدة وعقولهم الجامدة ، ولقد أعماهم القضاء إذ عليهم نزل ، وحتم عليهم العذاب ربّ لم يزل ، فما منهم إلّا من حاد عن الصّواب وعدل ، فما أنصف ولا عدل بل مالت نفوسهم إلى حبّ الدنيا الدنيّة فخيّبهم الأمل ، ألا تتفكّرون فيما صدر من كبيرهم المدعو بأمرهم يزيد (لعنه الله) ، مما تمثّل به بين جلسائه ، حيث يقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا وقعة الخروج من وقع الأسفل
 لأهلوا واسهلوا فرحوا ثم قالوا يا يزيد لا تشل
 لعبت هاشم في الملك فلا خير جاء ولا وحي نزل
 فعلى هذا كانت عقيدتنا وعلى ذلك كان دينه وطريقته.

فلهذا ارتكبوا مركباً وعرأ وفعلوا نكراً ، قالوا قولاً هجرأ واستحلوا مذاقاً مرأ ، وبلغوا الغاية في العصيان ووصلوا النّهاية في رضا الشيطان ، وكم ذكّره الحُسين (عليه السلام) عذاب الله فما ذكروا ، وزجرهم على تقمّ نار الجحيم ، فما انزجروا ، وأصروا واستكبروا استكباراً على خطيئاتهم اغرقوا ، فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ، ثم قال (عليه السلام) : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ (1) ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (2). فاستجاب الله دعاءه (عليه السلام) ، ووقع الفناء ببني أمية اللئام ، ودارت عليهم دوائر الإنتقام ، فقتلوا في كلّ أرض بكلّ لدن وحسام ، وانتقلوا إلى نار الجحيم والإضرام ، فصارت ألوفهم آحاداً وجمعهم أفراداً ، ولبسوا العار آباءً وأجداداً وأولاداً.

فوا حسرتاه لما حلّ بآل الرّسول في تلك المنازل والتلول ! أتحمل ذرّية حبيب الملك الوهاب حسراً على الأقتاب ، ونسوة آل حرب يُضرب عليهنّ الحجاب ويرفلنّ في الفاخر من الثياب ؟! : ﴿ نَكَاذُ السَّمَاوَاتِ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (3) :

لقد منعوا الحُسين الماء ظلماً وذاك الممساء ورد للكـلاب
 ولو لا زينب قتلوا علياً صغيراً قتل بـسق أو ذباب
 بنات محمّد في الشمس عطشى وآل يزيد في ظل القبـاب
 لآل يزيد ممن أدم خيام وأصحاب الكساء بلا ثياب

حُكي : أنّ فاطمة الصّغرى قالت : كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر أبي وأصحابه مجرّدين كالأضاحي على الرّمال ، والخيول على أجسادهم تجول ، وأنا أفكّر ما يصدر علينا بعد أبي من بني أمية ، أيقتلوننا أو يأسروننا ، وإذا برجل على ظهر جواده يسوق النّساء بكعب رُمح ، وهن يلذن بعضهنّ في بعض ، وقد أخذ ما عليهنّ من أخمرة وأسورة ، وهن يصحن : وا جدّاه وا أبتاه وا عليّاه ! وا قلّة ناصراه وا حُسيناه !

(1) سورة نوح / 26.

(2) سورة نوح / 27.

(3) سورة مريم / 90.

أما من مُجِير يَجِيرنا ؟ أما من ذائد يذود عَنَّا ؟ قالت : فطار فؤادي وارتعدت فرائصي ، وجعلت أجيل طرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أمّ كلثوم ؛ خشية منه أن يأتيني ، فبينما أنا على هذه الحالة ، وإذا به قد قصدني ، فقلت : ما لي إلّا إلى البرّ . ففررت منهزمة وأنا أظنّ إليّ اسلم منه ، وإذا به قد تبعني فذهلت خشية منه ، وإذا بكعب الرّمح بين كتفي فسقطت لوجهي ، فخرم أذني وأخذ قرطي وأخذ مقنعتي من رأسي ، وترك الدّماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشّمس ، وولّى راجعاً إلى الخيم وأنا مغشى عليّ ، وإذا بعمتي عندي تبكي وهي تقول : قومي نمضي ، ما أعلم ما صدر على البنات وأخيك العليل . فقمت وقلت : يا عمّته ! هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النّظارة ؟ فقالت : يا بنتاه ! وعمّتك مثلك . وإذا برأسها مكشوف ومتنها قد اسودّ من الصّرب ، فما رجعنا إلى الخيمة إلّا وهي قد نُهبت وما فيها ، وأخي عليّ بن الحسين مكبوب على وجهه ، لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والسّقام ، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا :

وإني ليشـجيني ادكـاري عصـابة	بأكنـاف أرض الغاضـريات قتـل
ومـن بيـنهم سـبط النّبي محمّد	طـريح ومـن فـوق الصـعيد مجـدل
وقـد طـحنت مـنه جنـاجن صـدره	ورض ومـنه الرّأس في الرّمح بـجمل
ورحـل بـني الهادي التّبي مـوزع	تقاسـمه قـوم أضـاعوا وبـدلوا
رجـالهم صـرعى بـكل تنوفـة	ونسـوتهم في السـبي حـسرى وثـكل
وأطفـالهم غرثـى يمضـهم الطـوى	وليس لهم بـر هنالك يكفـل

فيا حرقني تزايدني ويا عيوني تساعدي ؛ فإنّه رزء عظيم ومصاب جسيم ، ولمثل هؤلاء الكرام فلييك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، وتذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

لست ممـن بيـكي رسـولاً محمّولاً	ودياراً أعفـى السـبلا وطلـولاً
لا ولم تلـهـني مـلاعـب أتـرابي	ولم أبـكي مـربعاً مـأهولاً

ما شجاني النوى فاستوقف الحادي
بل شجاني ناعي الحسين فأجريت
كيف لا أنذب الغريب الوحيد
كيف لا أساعد البتول على الحزن
يوم ذاقته مر المذاق وكان
والنبي الهادي به قرح يحنو
فأتاه الأميين جبريل ينعاه
فأتت فاطم إليه وقالت
سيدي ما الذي دهاك ولم
قال إني أأبي لقلبك أن يصبح
إن هذا الحسين يضحى بأرض
بعد أن يطلب النصير فلا
والعزيزات من بناتك يشهن
فدعت عند قوله وا غرياه
من ترى يلحد الغريب ومن ذا
من ترى يعمل العزاء ومن يبكي
فبكي المصطفى فأوحى إليه الله
سوف أنشئ قوماً كراماً يقيمون
وأجازيهم على الود للقرى
فتولت تثني على الشيعة الغر
فإذا كان قلبها من كلام قبل
كيف لو أبصرته ملقى على التراب
والسبايا من حوله يتصارخن
واليتامى كل تحفي من الخوف
وبدور السما صرعى على الأرض
وقدود الغصون من بعد ذلك

ولا أحبس الركاب قلباً
دموعاً لمّا شجاني همولا
المستظام المشرد المقتولا
وقد بات قلبها مبتولا
السيبط في حجره محمولا
عليه ويكثر التقبيل
بسه فاغتنى يطيل العويلا
قد تبينت منك أمراً مهما
تعرض ما دمت بي رحيماً وصولا
يومياً للنائبات همولا
الطف من بعدنا طريحا قتيلا
ينظر إلا محاربا وخذولا
حزوناً بين السورى وسهولا
وواعظهم ذاك خطباً جليلا
يتولى التكفين والتغسلا
عليه ومن يراعي الرسولا
قل للبتول قولاً جميلاً
عزاء الحسين جيلاً فجيلاً
وأعطىهم العطاء الجزيلا
وتدعو دعاءها المقبولا
لاقى أسى وداخلاً
تجمل العدى عليه الخيولا
وقد نالت الجيوب النديولا
وتدمي باللطم خدّاً أسيلاً
تلاقى عند التمام أفولا
اللين فوق الثرى تعاني الذبولا

والإمام السجاد في الأسر موثقاً
إذ رأت زينب تمزج خديها
وتنادي وا فجعتي وا شقائي
ليتني كنت ففته لك من كرب
يا أخي ما ترى سكينه خوف
يا أخي هل لفاطم من كفيل
يا أخي ما ترى علياً بذل
لو رأت صفوة النساء كرمات
متعبات يعثرن في بهرج السير
أو رأت رأسه على الرمح مشهوراً
لرأت ما يسؤها من جوى الثكل
وروى الحميري وهو صدوق
مع لفيف من الملائكة قد زارت
ثم قالت ووابل الدمع لا يطفني
لم تقلبه يوم أردى كفف
يا بني أحمد ذكركم فرعاً
وشرعتم محجة الرشيد للناس
شهد الله جاهداً في يميني
ما أراققت أرجاس حرب دم
واسلطوا إلا بمن جحد النص
وبيوم التناد فهو المنادي
فإليكم جواهر من ولي
لازم ما أمرتموه من التقوى
تعسس القائلون أن الخليعي
حاش لله ليس يدعي لبياً

بنفسه أفدي الأسير العلياً
عليه وتسغيث الجليلة
يا لها حسرة وحزنناً طويلاً
المنايا وكان ذاك قلباً
السيبي تومي إليك طرفاً كلياً
حيث قد أعوز الزمان الكفياً
وبرغم يضحى العزيز ذليلاً
حسين على المسير عجولاً
وحادي السرى يجسد الرحيل
إلى أزدل السورى محمولاً
وأسمى لها العراء نزيلاً
قال عاينت في المنام البتولاً
ضريح الحسين عبرى ثكولاً
لهيلاً ولا ييبل غليلاً
غير كفي نجيحه جبريلاً
عطرات الحنا وطبتم أصولاً
ولولاكم لضلوا السبيلاً
وكفى الله شهاهداً ووكيلاً
السبط وأغرت به الطغاة النغولاً
وفي حكمه غداً مستقيلاً
ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً
عارف يتبع المقال الدليلاً
مقيم على الولاء لمن يحولاً
بغى بالهداة يوماً بديلاً
من ياسوي بالفاضل المفضولاً

الباب الثالث

قابلوا رحمكم الله نعمة الموالاة بالشكر والحمد ، وابدلوا في ذلك أوسع الطاقة والجهد ، وأحسنوا إلى الذريعة النبوية ، وأطيعوا الله فيما أمركم بحقهم من الوصية ، وتمسكوا بحبلهم المتين ، واجعلوهم جنناً واقية من العذاب المهين ، ولا شيء لعمري ، أدعى إلى حصول الثواب العظيم وإزالة العقاب الأليم ، وأقرب إليهم صلوات الله عليهم من إظهار شعائر الأحران وإجراء الدمع الهتان ، على ما أصابهم في ذلك الزمان ، فكم لهم رأس على سنان وبدن بلا رأس بين الأبدان ؟ فيا لها من رزية ما أجل خطبها بين الأنام ، ومن مصيبة ما أعظمها في الإسلام.

روي عن بعض الثقات : أنّ يزيد (لعنه الله تعالى) دعا برأس الحسين (عليه السلام) وكان بيده قضيب خيزران ، فجعل ينكت ثناياه ويفرق بين شفتيه وجلساؤه ينظرون إليه ، فقال زيد بن أرقم (رض) : يا يزيد ، ارفع قضيبك عن شفتي حبيب الله ، فو الله ، لقد رأيت رسول الله يقبلهما مراراً كثيرة ، ويقول له ولأخيه الحسن : ((اللهم إنّ هذين وديعتي عند المسلمين)) . وأنت يا يزيد مثل هذا تفعل بودائع رسول الله ؟! . ثمّ إنّ يزيد جعل يبكي وينوح ، وفي هذا المعنى قال الشاعر :

كان النبي يحب يلثم ثغره	قعد اللعين يمدق أكرم ملثم
وغدا يعفر خده فوق الثرى	ظلماً وضرج عارضيه بالدم
قتل الحسين فيما سماء تظري	حزناً ويا دار السرور تدمي
يا أعين السحب اقتدي بي في البكا	يا ورق من نوحى عليه تعلمي

عن ابن عباس (رض) ، قال : عطش المسلمون في مدينة الرسول في بعض السنين عطشاً شديداً ، حتّى أنّهم عادوا لا يجدون الماء في المدينة ، فجاءت فاطمة الزهراء بولديها الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقالت : ((يا أبتى ، إنّ ابني الحسن والحسين صغيران لا يتحملان العطش)) . فدعا النبي (صلى الله عليه وآله) بالحسن فأعطاه لسانه حتّى روي ، ثمّ دعا بالحسين فأعطاه أيضاً لسانه فمصّه حتّى روي ، فلمّا روي ، وضعهما على ركبتيه وجعل يقبل هذا مرّة وهذا أخرى ، ثمّ يلثم هذا لثمة وهذا لثمة ، ثمّ يضع لسانه الشريف في أفواههما وهو معهما في غبطة

ونعمة ، فبينما هم كذلك ، إذ هبط الأمين جبرائيل بالتّحية من الرّب الجليل إلى النّبي (ﷺ) ، فقال : يا مُحَمَّد ، ربّك يقرّوك السّلام ويقول : ((إنّ هذا ولدك الحسن يموت مسموماً مظلوماً ، وهذا ولدك الحسين يموت عطشاناً مذبوحاً)) . فقال : ((يا أخي جبرائيل ، مَنْ يفعل ذلك بما ؟)) . قال : قوم من بني أميّة يزعمون أنّهم من أمّتك ، يقتلون أبناء صفوتك ويشردون ذريّتك . فقال : ((يا جبرائيل ، هل تفلح أمة تفعل هذا بذريّتي ؟)) . قال : لا والله ، بل يليلهم الله في الدّنيا بمن يقتل أولادهم ويسفك دماءهم ويستحيي نساءهم ، ولهم في الآخرة عذاب أليم ، طعامهم الرّقوم وشرابهم الصّديد ، ولهم في درك الجحيم عذاب مكيد ، ويُقال لجهنّم هل امتلأت ؟ فتقول هل من مزيد ؟ ثمّ قال جبرائيل (عليه السلام) : يا مُحَمَّد ، إنّ الله عزّ وجلّ حمد نفسه عند هلاك الظّالمين ، حيث قال : ﴿ فَطُغِعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (1) . قال : فجعل النّبي (ﷺ) تارة ينظر إلى الحسن وتارة ينظر إلى الحسين وعيناه تهللان من الدّموع ، ويقول : ((لعن الله قاتلكما ، ولعن الله من غصبكما حقّكما من الأولين والآخرين)) .

فيا لها من مرتبة ما نالها إلاّ الفائزون ، ويا لها من درجة لم يحظ بها إلاّ الفائزون ، فيا طول حزني عليهم واشتياقي إليهم :
لو فهم الورق حنيتني نحوهم ناحت معي وقطعت أطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي صبا معي لكنه ما ذاقها

روي عن الإمام الصّادق (عليه السلام) ، أنّه قال : ((كان الحسين (عليه السلام) يوماً في حجر جدّه رسول الله (ﷺ) ، وهو يلاعبه ويلطفه ويقبّله ويضاحكه ، فقالت له عائشة : ما أشدّ حبّك لهذا الصّبي ، وما أشغفك به وما أشدّ اعجابك به ؟ فقال لها : ويلك ! وكيف لا أحبّه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني ومهجة قلبي ، ولكن اعلمي يا عائشة ، إنّ قوماً من أشرار أمّتي تقتله من بعدي ، ويكون قاتله مُخلّداً في النّار ، وعليه غضب من الله تعالى ، ومَنْ زاره بعد وفاته ، كتب الله له الثّواب حجّة من حجّتي . فقالت عائشة : يا رسول الله ، حجّة من حججك يكتبها الله لزائر الحسين ؟ قال : نعم وحجّتين . قالت عائشة : وحجّتين من حججك ؟! قال : نعم بل ثلاث حجج)) .

قال : ((ولم تزل عائشة تزيد بالقول وهو (ﷺ) يُضاعف لها الحجج ، حتّى بلغ سبعين حجّة من حجج رسول الله ، ثمّ قال (ﷺ) : يا

(1) سورة الأنعام / 45.

عائشة , مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ , قَذَفَ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَحُبَّ زِيَارَتِهِ . وَمَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عَارِفًا بِحَقِّهِ , كَتَبَهُ اللهُ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ)) .

وعن سليمان الأعمش , أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ نَازِلًا بِالْكَوْفَةِ وَكَانَ لِي جَارٌ , وَكُنْتُ آتِي إِلَيْهِ وَأَجْلِسُ عِنْدَهُ , فَأَتَيْتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَيْهِ , فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا , مَا تَقُولُ فِي زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؟ قَالَ لِي : هِيَ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ذِي ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ . قَالَ سُلَيْمَانُ : فَقَمْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَا مَمْتَلِئٌ عَلَيْهِ غَيْظًا , فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِذَا كَانَ وَقْتُ السَّحْرِ , آتِيهِ وَأَحْدِثْهُ شَيْئًا مِنْ فِضَائِلِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) , فَإِنْ أَصْرَّ عَلَيَّ الْعِنَادَ قَتَلْتَهُ . قَالَ سُلَيْمَانُ : فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحْرِ , أَتَيْتُهُ وَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ وَدَعَوْتُهُ بِاسْمِهِ , فَإِذَا بَزَوِجَتُهُ تَقُولُ : إِنَّهُ قَصَدَ إِلَى زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ . قَالَ سُلَيْمَانُ : فَسَرْتُ فِي أَثَرِهِ إِلَى زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) , فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَى الْقَبْرِ , فَإِذَا أَنَا بِالشَّيْخِ سَاجِدٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَهُوَ يَدْعُو وَيَبْكِي فِي سَجُودِهِ وَيَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ , ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ فَرَأَيْتُ قَرِيبًا مِنْهُ , فَقُلْتُ : يَا شَيْخَ , بِالْأَمْسِ كُنْتُ تَقُولُ , زِيَارَةُ الْحُسَيْنِ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ بِالنَّارِ , وَالْيَوْمَ أَتَيْتُ تَزْوَرَهُ ؟! فَقَالَ : يَا سُلَيْمَانُ لَا تَلْمَنِي , فَإِنِّي مَا كُنْتُ أَثْبِتُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ إِمَامَةً حَتَّى كَانَتْ لَيْلَتِي تَلِكُ , فَرَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَرَوَّعْتَنِي . فَقُلْتُ لَهُ : مَا رَأَيْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا جَلِيلَ الْقَدْرِ , لَا بِالطَّوِيلِ الشَّاهِقِ وَلَا بِالْقَصِيرِ اللَّاصِقِ , لَا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَهُ مِنْ عَظَمِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَبَهَائِهِ وَكَمَالِهِ , وَهُوَ مَعَ أَقْوَامٍ يَحْقُونَ بِهِ حَفِيفًا وَيَزْفُونَهُ زَفِيفًا , وَبَيْنَ يَدَيْهِ فَارِسٌ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ , وَلِلتَّاجِ أَرْبَعَةٌ أَرْكَانٌ وَفِي كُلِّ رَكْنٍ جَوْهَرَةٌ تَضِيءُ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ , فَقُلْتُ لِبَعْضِ خِدَامِهِ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى . قُلْتُ : وَمَنْ هَذَا الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : عَلِيُّ الْمُرْتَضَى , وَصِي رَسُولِ اللَّهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ نَظْرِي , فَإِذَا أَنَا بِنَاقَةٍ مِنْ نُورٍ وَعَلَيْهَا هُوْدُجٌ مِنْ نُورٍ وَفِيهِ امْرَأَتَانِ , وَالنَّاقَةُ تَطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ , فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ النَّاقَةُ ؟ فَقَالَ : لِلْحَدِيحَةِ الْكُبْرَى وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ . فَقُلْتُ : وَمَنْ هَذَا الْعُلَامُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ . فَقُلْتُ : وَإِلَى أَيْنَ يَرِيدُونَ بِأَجْمَعِهِمْ ؟ فَقَالَ : لِزِيَارَةِ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا شَهِيدِ كَرِبْلَاءَ , الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى . ثُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ نَحْوَ الْهُودُجِ الَّذِي فِيهِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ , وَإِذَا أَنَا بِرِقَاعٍ مَكْتُوبَةٍ تَتَسَاقَطُ مِنَ السَّمَاءِ , فَسَأَلْتُ : مَا هَذِهِ الرِّقَاعُ ؟ فَقَالَ : فِيهَا أَمَانٌ مِنَ النَّارِ لِرِوَاةِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ .

فطلبت منه رقعة , فقال لي : إنك تقول زيارته بدعة , فإنك لا تنلها حتى تزور الحسين وتعتقد فضله وشرفه . فانتبهت من نومي فزعتاً مرعوباً , وقصدت من وقتي وساعتي إلى زيارة سيدي الحسين (عليه السلام) , وأنا تائب إلى الله تعالى , فو الله يا سليمان , لا أفارق قبر الحسين (عليه السلام) حتى تُفارق روعي جسدي .

وعن داود بن كثير , عن أبي عبد الله (عليه السلام) , قال : ((إن فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) تحضر زوار قبر الحسين فتستغفر لهم)) : .

فيما نكبة هدت قوى دين أحمد	وعظم مصاب في القلوب له سعر
أيرتفع الرأس الكريم على القنا	ويهدى إلى الرجس قد اغتاله الكفر
ويمنع شرب الماء عمداً وكفه	به من عطايا جود أنعامه بحر
ويقتل ضمناً كئيباً وجده	نبي له الاقبال والعز والنصر
حييب أجمل المرسلين مقامه	رسول به ترجى الشفاعة والبشر
ووالده الهادي الوصي خليفة	النبي أبو الأطهار والصنو والصر
إمام له السر العظيم وشأنه	القديم وفي أوصافه نزل الذكر
له الشرف العالي له النور والبهاء	له الرتبة له المجد والفخر
إذا ما انتضى يوم الكريهة عزمه	فمن ذا ترى زيدا ومن ذا ترى عمرو

حُكي عن رجل كوفي حداد قال : لما خرج العسكر من الكوفة لحرب الحسين بن علي (عليه السلام) , جمعت حديداً عندي وأخذت التي وسرت معهم , فلما وصلوا وطنبوا خيمهم , بنيت خيمة وصرت أعمل أوتاداً للخيم , وسككاً ومرابط للخيل , وأسنة للرمح , وما أعوج من سنان أو خنجراً أو سيف كنت بكل ذلك بصيراً , فصار رزقي كثيراً وشاع ذكري بينهم حتى أتى الحسين مع عسكره , فارتحلنا إلى كربلاء وخيمنا على شاطئ العلقمي , وقام القتال فيما بينهم وحمو الماء عليه وقتلوه وأنصاره وبنيه , وكان مدة إقامتنا وارتحالنا تسعة عشر يوماً , فرجعت غنياً إلى منزلي والسبايا معنا , فعرضت على عبيد الله فأمر أن يشهروهم إلى يزيد إلى الشام , فلبثت في منزلي أياماً قلائل , وإذا أنا ذات ليلة راقدة على فراشي , فرأيت طيفاً :

كأن القيامة قامت والناس يموجون على الأرض كالجراد إذ فقدت دليها , وكلهم دال على صدره من شدة الظم , وأنا اعتقد أنّ فيهم أعظم مني

عطشاً ؛ لأنه كلَّ سمعي وبصري من شدته ، هذا غير حرارة الشمس تغلي منها دماغي ، والأرض تغلي كأثما القير إذ أشعل تحته نار ، فخلت أن رجلي قد تقلعت قدماها ، فوالله العظيم ، لو أُنِّي خَيْرت بين عطشي وتقطيع لحمي حتى يسيل دمي لأشربه ، لرأيت شربه خيراً من عطشي ، فبينما أنا في العذاب الأليم والبلاء العميم ، إذ أنا برجل قد عمّ الموقف نوره وابتهج الكون بسروره راكب على فرس ، وهو ذو شبيبة قد حقت به ألوف من كلِّ ؛ نبيّ ووصيّ وصديق وشهيد وصالح ، فمرّ كأنه ربح أو سيران فلك ، فمرّت ساعة وإذا أنا بفارس على جواد أغر ، له وجه كتمام القمر ، تحت ركابه ألوف إن أمر ائتمروا وإن زجر انزجروا ، فاقشعرت الأجسام من لفتاته وارتعدت الفرائص من خطواته ، فتأسفت عن الأول ما سألت عنه خيفة من هذا ، وإذا به قد قام في ركابه وأشار إلى أصحابه وسمعت قوله : خذوه . وإذا بأحدهم قابض بعضدي كلّبة حديد خارجة من النار ، فمضى بي إليه ، فخلت كنتفي اليمنى قد إنقلعت ، فسألته الخفة فزادني ثقلاً ، فقلت له : سألتك بمن أمرك عليّ ، من تكون ؟ قال : ملك من ملائكة الجبار . فقلت : ومن هذا ؟ قال : عليّ الكرار . فقلت : والذي قبله ؟ قال : محمد المختار . فقلت : والذين حوله ؟ قال : النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والمؤمنون . فقلت : أنا ما فعلت حتى أمرك عليّ ؟ قال : إليه يرجع الأمر وحالك حال هؤلاء . فحققت النظر وإذا بعمر بن سعد أمير العسكر وقوم لم أعرفهم ، وإذا بعنقه سلسلة من حديد والنار خارجة من عينيه وأذنيه ، فأيقنت بالهلاك ، وباقي القوم منهم مغلل ومنهم مقيد ومنهم مقهور بعضده مثلي ، فبينما نحن نسير ، وإذا برسول الله الذي وصفه الملك ، جالس على كرسي عال يزهو أظنه من اللؤلؤ ، ورجلين ذي شبيبتين بهيتين عن يمينه ، فسألت الملك عن الرجلين ، فقال : آدم ونوح . وإذا برسول الله يقول : ((ما صنعت يا عليّ ؟)) . قال : ((ما تركت أحداً من قاتلي الحسين إلا وأيت به)) . فحمدت الله تعالى بأبيّ لم أكن منهم وردّ إليّ عقلي ، وإذا برسول الله يقول : ((قدّموهم)) . فقدّموهم إليه وجعل يسألهم ويكي ويكي كلّ من في الموقف لبكائه ؛ لأنه يقول للرجل : ((ما صنعت بطفّ كربلاء بولدي الحسين ؟)) . فيجيب : يا رسول الله ، أنا حميت الماء عليه . وهذا يقول : أنا قتلته . وهذا يقول : أنا سلّبتة . وهذا يقول : أنا وطأت صدره بفرسي . ومنهم يقول :

أنا ضربت ولده العليل .فصاح رسول الله (ﷺ) وقال : ((وا ولداه ! وا قلّة ناصراه ! وا حُسِيناه ! وا عليّاه ! هكذا صدر عليكم بعدي أهل بيتي ؟ انظر يا أبي يا آدم ! انظر يا أخي يا نوح ! كيف أخلفوني في ذرّيتي)) .فبكوا حتّى ارتجّ المحشر , فأمر بهم زبانية جهنّم يجرّونهم أوّلاً فأوّلأ إلى النّار , وإذا بهم قد أتوا برجل , فسأله (ص) , قال : ما صنعت شيئاً .قال : ((أما أنت نجّار ؟)) .قال : صدقت يا سيّدي , لكنّي ما عملت شيئاً إلّا عموداً لخيمة الحصين بن نمير ؛ لأنّه انكسر من ريح عاصف فوصلته .فبكى (ﷺ) وقال : ((كثّرت السّواد على ولدي , خذوه للنار)) .وصاحوا : لا حكم إلّا لله ولرسوله ووصيه .قال الحداد : فأيقنت بالهلاك .فأمر بي فقدّموني , فاستخبرني فأخبرته , فأمر بي إلى النّار , فلمّا سحّبوني , إلّا وانتبهت وحكيت لكلّ من لقيته .وقد يبس لسانه ومات نصفه وتبرأ كلّ من يحبّه ومات فقيراً لا رحمه الله تعالى ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1).

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , ولتلهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمه الله تعالى)

زر ضريحاً (بجورقـان) ونائـي	الحُسـين بن فاطمة الزهراء
لغريب بكربلا يا صريع	طال كربي لذكركه وبلائـي
ووحيد بين الأعادي غريب	جرعته العدى كؤوس الـرداء
فإذا زرتـه فقل يا قتيلا	حزنه قاتلي بسيف شجائي
يا غريباً لأجلـه صرت أبكي	أسفاً بعده على الغـرباء
يا خضيب المشيب خضبت خدي	بدموع ممزوجة بدماء
ليتنى بالطفوف كنت فداء	لك يا سيّدي وقل فدائي
بأبي جـسمك الـذي وطأتـه	الخيل من بعد لين الوطاء
بأبي رأسك المسير في الـرمح	كبد يـلوح في الظلماء
بأبي أختك الـتي هتكت بعـدك	من بعد سرها والخبـاء
تستر الوجهـه وهي تعثر في	فاضل أذيها لفرط الحياء
ثم تدعوك يا أخي كم أناديك	تشـجـو فلا تجيب نـدائي

(1) سورة الشعراء / 227.

فإننا شماتة الأعداء
فأبي الدهر أن يحق رجائي
كان مماتي أحق من بقائي
ناح حزنًا طير السماء
وقليل له كثير البكاء
أيضاً وكل من في السماء
فيه مولاي سيد الأوصياء
بثكل فرجة الأحشاء
ولهاها بكرة وعشاء
الطف إلا امرؤ قليل الحياء
صباح من عمره ومساء

يا أخي لو رأيتنا لرأت عيناك
كنت أرجوك للشدائد كهفياً
ليتني مت قبل هذا فقد
لأنوحن ما حييت على من
وكذا الأرض والسماء بكته
وبكى جبرائيل في الملاء العلوي
وبه عزي النبي وعزي
وغدت فاطم البتولة تبكيه
لعن الله عصبة قتلته
ليس تمنى الحياة بعد قتيل
وسبيكي له ابن حماد في كل

المجلس العاشر

في اليوم الخامس من عشر المُحَرَّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

لو علم النَّاس فضل هذا المقام لأجلوه عن الوطاء بالأقدام , ولجعلوا هذا الرِّغام شفاءً وافياً من الأسقام , وكيف لا , وفيه تُقام ما تمّ الآل وما جرى عليهم من الأسر والقتال من الكفرة الفجرة الأندال.

فيا إخواني , أكثروا من التلّهف والأسف على أهل الفضائل والشرف , وكيف الصّبر لِمَن يمثل مولاه الحُسين (عليه السلام) واقفاً يُنادي في ميدان القتال : ((ألا هل من نصير ينصر الآل ؟ ألا هل من معين يعين عترة المختار ويدبّ عن الذرّيّة الأطهار ؟ أين من حقنا عليه ؟ أين من الوصية فينا من الرّسول (صلى الله عليه وآله) حيث يقول : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِيهِ الْقُرْبَى ﴾ (1)).

فالعجب كلّ العجب من غفلة أهل الزّمان عن إقامة العزاء وإثارة الأحزان , على الشّهيد العطشان المدفون بلا غسل ولا أكفان , كيف لا تبكي لِمَن بكته الزّهراء ؟ وكيف لا تنوح على المنبوذين بالعراء ؟ لعلنا نفوز بثواب المصاب , ونحوز بدخول الجنّة يوم المرجع والمآب :

يحق لي أن أدم ما عشت في حزن أذري الدّموع على الخدين والذفن
يا آل أحمد ماذا كان فعلكم كأن خيركم في الناس لم يكن
رجالكم قتلوا من غير ذي سبب وأهلكم هتكوا جهرًا على البدن

روي : أنّ عمر بن العاص قال لمعاوية بن أبي سفيان : يا معاوية , لم لا تأمر

(1) سورة الشّورى / 23.

الحسن بن عليّ أن يصعد المنبر فيخطب يوم الجمعة ؛ فلعلّه يحصل له خجل وحصر ، فيكون ذلك نقصاً لقدره عند الناس . قال : فلما غصّ المسجد بالناس ، أمر معاوية الحسن أن يصعد المنبر ، قال : فقام الحسن (عليه السلام) وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : ((أيّها النّاس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فسأبّين له نفسي ، أنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، أنا ابن أوّل القوم إسلاماً وأوّلهم إيماناً ، أنا ابن عليّ المرتضى وابن فاطمة الزّهراء بنت المصطفى ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن السّراج المنير ، أنا ابن من بُعث رحمة للعالمين وسوط عذاب على الكافرين .أيّها النّاس ، لو طلبتم ابناً لبيبيكم ، لم تجدوا غيري وغير أخي الحسين)) . قال : فناده معاوية ، وقال : يا حسن ، حدّثنا بنعت الرّطب كيف يكون ؟ أراد بذلك أن ينجّله ويقطع عليه كلامه ، فقال الحسن : ((نعم يا معاوية ، إنّ الرّطب أوّلاً تلقحه الشّمال وتخرجه الجنوب ، وتنفحه الشّمس ويصبغه القمر ، وتنفحه الرّيح والحرّ ينضجه ، والليل يبرّده والبرودة تحليه وتطيّبه)) . ثمّ استمر في كلامه ، وقال : ((أيّها النّاس ، أنا ابن المروة والصّفا ، أنا ابن النّبي المصطفى ، أنا ابن من على الجبال الرّواسي علا ، أنا ابن من كسى محاسن وجهه الحيا ، أنا ابن فاطمة الزّهراء ، أنا ابن سيّدة النّساء ، أنا ابن عديمت العيوب ، أنا ابن نجيّات الجيوب ، أنا ابن أركى الورى وأعظمهم أمراً وكفاني بهذا فخراً)) . قال : ثمّ إنّ معاوية أمر المؤدّن أن يؤدّن ليقطع كلامه ، فلما قال المؤدّن : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، قال الحسن : ((يا معاوية ، محمّد أبي أم أبوك ؟ فإن قلت إنّّه ليس بأبي فقد كفرت ، وإن قلت نعم فقد أقررت بحقّي ، وأنت تعصبنا ما هو لنا ولا ترد إلينا حقّنا)) . فقال معاوية : يا حسن ، أنا خير منك . فقال الحسن : ((وكيف ذلك يا ابن هند ، يا ابن آكلة الأكباد ؟!)) . فقال معاوية : لأنّ النّاس أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك . فقال الحسن (عليه السلام) : ((هيهات هيهات ، إنّ هذا شرّ علوت به يا ابن هند ، ألم تعلم أنّ المُجمعين عليك رجالان ؛ مطيع ومكره ، فالطّائع لك عاص لله ، والمكره معذور عند الله ، وحاشا لله أن أقول أنا خير منك ؛ لأنّك لا خير فيك ، وإنّ الله برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل يا معاوية)) . قال : فقام يزيد بن معاوية ، وقال : يا حسن ، إيّ من صرت أبغضك . فقال الحسن : ((يا يزيد ، اعلم أنّ إبليس شارك

أباك في نكاحه حين علقت فيك أمك , فاختلط الماءان , فولدت على ذلك وصرت من تلك التطفنتين ؛ فلأجل ذلك تبغضني وتحملت أنت وأبوك عداوتي , وكذلك الشيطان , شارك جدك حرباً عند نكاحه , فولد جدك صخر , فلذلك جدك يبغض جدّي رسول الله (ﷺ) لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ (1) واعلم يا يزيد , لا يبغضنا إلا من خبت أصله وكان من إبليس نسله)) . فقال معاوية : يا عمرو بن العاص , هذه مشورتك لنا . فقال عمرو : والله , ما ظننت أنّ مثله هذا على صغر سنّه يقدر يتكلم فوق المنبر بكلمة واحدة , ولكنّه لا شك من معدن الفصاحة ومن بيت الكرم والسّماحة . قال معاوية : وأنا أيضاً أفتخر وأقول : أنا ابن بطحاء مكّة وأغزرها جوداً وأكرمها جدوداً , أنا ابن من ساد على فريش ناشئاً وكهلاً . فقال الحسن : ((يا معاوية , أعليّ تفتخر وأنا ابن مأوى التّقى , وأنا ابن من جاء بالهدى , وأنا ابن من ساد على أهل الدّين بالفضل السّابق والحسب الفائق , وأنا ابن من طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ؟! فهل لك أب كأبي تباهيني به ؟! أو لك قدم كقدمي تساميني به ؟ هل تقول نعم يا معاوية أو تقول لا ؟)) . فقال : بل أقول لا , وهي لك تصديق . فتعجب الحاضرون من كلام الحسن (عليه السلام) وأجوبته وحسن براعته .

فانظروا يا إخوتي إلى هذا النور الجسماني والشخص الرباني , كيف تفوح آثار النبوة منه والإمامة ، ومن غيره آثار المكر والخدع واللتامة , ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور :

والله لو لا نكث عهد المصطفى يوم الغدير وظلم حيدر فاسمعوا
ما استضهدت آل النبي أمية كلاً ولا لخلافة يوماً دعوا

روي : أنّ رسول الله (ﷺ) كان يوماً مع جماعة من أصحابه ماراً في بعض الطّرق , وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطّريق , فجلس النبيّ عند صبي منهم وجعل يُقبّل ما بين عينيه ويلاطفه , ثمّ أقعده في حجره وهو مع ذلك يكثر تقبيله , فقال له بعض الأصحاب : يا رسول الله , ما نعرف هذا الصّبي الذي قد شرفته بتقبيلك وجلوسك عنده وأجلسته في حجرك ؟ ولا نعلم ابن من هو ؟ فقال النبيّ : ((يا أصحابي لا تلوموني , فإنّي رأيت هذا الصّبي يوماً يلعب مع الحسين , ورأيتّه يرفع التّراب من تحت أقدامه ويمسح به وجهه وعينيه مع صغر سنّه , فأنا من ذلك

(1) سورة الإسراء / 64 .

اليوم بقيت أحب هذا الصبي ، حيث إنه يحب ولدي الحسين ، فأجبت له حب الحسين ، وفي يوم القيامة أكون شافعاً له ولأبيه ولأمه كرامة له ، ولقد أخبرني جبرائيل أنه يكون هذا الصبي من أهل الخير والصلاح ، ويكون من أنصار الحسين في وقعة كربلاء ، فلأجل هذا أحبته وأكرمه كرامة للحسين (عليه السلام) .:

على مثلهم فليكن بالمدي المدى
ويذرف دمعاً منه كالسيل مسبل
فما منهم إلا قتيلاً وهالك
بسم ومذبح وذاك مكبل
أصابتهم أيدي المصائب فاغدوا
أماثيل في الدنيا لمن يتمثل

روي عن الحسين (عليه السلام) ، أنه قال : ((أتيت يوماً جدّي رسول الله ، فرأيت أبي بن كعب جالساً عنده ، فقال لي جدّي : مرحباً بك يا زين السماوات والأرض . فقال أبي : يا رسول الله ، وهل أحد سواك يكون زين السماوات والأرض ؟ فقال النبي : يا أبي بن كعب ، والذي بعثني بالحق نبياً ، إنّ الحسين بن عليّ في السماوات أعظم مما هو في الأرض ، واسمه مكتوب عن يمين العرش ، إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)) .

قال : ثم إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ بيد الحسين (عليه السلام) وقال : ((أيها الناس ، هذا الحسين بن عليّ ، ألا فاعرفوه وفضلوه كما فضله الله عزّ وجلّ ، فو الله ، لجدّه على الله أكرم من جدّ يوسف بن يعقوب ، هذا الحسين ؛ جدّه في الجنة وأمه في الجنة ، وأبوه في الجنة وأخوه في الجنة ، وعمّه في الجنة وعمته في الجنة ، وخاله في الجنة وخالته في الجنة ، ومحبوهم في الجنة ومحبو محبيهم في الجنة)) .

وروي في بعض الأخبار : أنّ الحسين (عليه السلام) مرّ على عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال عبد الله : من أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء ؟ فلينظر إلى هذا المختار ، وإني ما كلمته قط منذ وقعة صفين . فقال له الحسين : ((يا عبد الله ، إذا كنت تعلم إني أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء ، فلم تقاتلني وتقاتل أبي وأخي يوم صفين ؟ فو الله ، إنّ أبي خير منّي عند الله ورسوله)) . قال : فاستعذر إليه عبد الله وقال : يا حسين ، إنّ جدك رسول الله أمر الناس بإطاعة الآباء ، وإني قد أطعت أبي في حرب صفين . فقال الحسين (عليه السلام) : ((أما سمعت قول الله

تعالى في كتابه المبين: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (1)؟ فكيف خالفت الله تعالى وأطعت أباك وحاربت أبي وقد قال رسول الله: إنما الطاعة للآباء بالمعروف لا بالمنكر، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟!)). فسكت عبد الله بن عمرو ولم يرد جواباً؛ لعلمه أنه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

وعن الطبري عن طاووس اليماني: أنّ الحسين بن عليّ كان إذا جلس في المكان المظلم، يهتدي إليه الناس ببياض جبينه ونحره، وإنّ رسول الله (ﷺ) كثيراً ما يقبل الحسين (عليه السلام) بنحره وجبهته، وإنّ جبرائيل (عليه السلام) نزل يوماً إلى الأرض، فوجد الزهراء نائمة والحسين في مهده يبكي على جاري عادة الأطفال مع أمهاتهم، فجلس جبرائيل عند الحسين، وجعل يناغيه ويسكته عن البكاء ويسليه، ولم يزل كذلك حتى استيقظت فاطمة (عليها السلام) من منامها، فسمعت إنساناً يناغي الحسين، فالتفتت إليه ولم تر أحداً، فأعلمها أبوها رسول الله أنّ جبرائيل كان يناغي الحسين.

وعن أنس بن مالك، قال: رأيت الحسين (عليه السلام) مع جنازة لبعض أصحابه، فصلينا عليها معه، فلما فرغنا من الصلاة، رأيت أبا هريرة ينفذ التراب عن أقدام الحسين ويمسح بها وجهه، فقال له الحسين (عليه السلام): ((لم تفعل هذا يا أبا هريرة؟)). فقال: دعني يا بن رسول الله، فو الله لو تعلم الناس مثل ما أعلمه من فضلك، لحملوك على أحداقهم فضلاً عن أعناقهم، يا بن رسول الله، في هاتي أذني سمعت من جدك رسول الله (ﷺ) يقول على منبره: ((إنّ هذا ولدي الحسين سيّد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين، وإنّه سيموت مذبحاً ظمأناً مظلوماً لعن الله من قتله)).

فيا إخواني، كيف لا نبكي لأحبّ أهل الأرض والسّماء؟ وكيف لا نحزن على قتيل الظّماء والماء حوله؟ قد بادروه بالسّيوف والرّماح وصادموه في ميدان الكفاح، وقالوا له لا سعة ولا فصاح، فيا ويحهم! ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون، وإياهم فليندب النّادبون، ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم:

(1) سورة العنكبوت / 8.

القصيدة للخليعي (رحمه الله تعالى)

سل جيرة القاطنين ما فعلوا
وقف معي وقفه الحزين عسى
ولا تلمني على البكاء فالدموع
بانوا فلي مقلنة مقرحة
جسمي لشوك القتاد مفترس
قد كان قلبي والدار جامعة
مروعاً خائفاً فكيف به
فوا ضاللي تبكي لوحشتهم
وأسال النطق من صدى طلل
فما لقلبي والنائبات وكم
يا نفس صبراً فكل نائبة
ويا جفوني سحي عليه فلي
لم أنسه ينشد الطغاة وقد
الا ارجعوا عن قتالنا وذروا
أنا ابن خنير الأنام قاطبة
بذا امرتم أن تقطعوا رحمهم
لهفي له يشتكى الأوام وللبيض
لهفي لذلك الجبين منعفراً
لهفي لنسوانه وقد كشفت
مسلوبة قد تقنعت فاضل الردن
هذي تنادي أخي وتلك أبي
وزينب مسـتـجيرة ولهـا
تصيح من حسرة ومن أسف
أين عليّ بن الحسين ألا
تبكي وتستصرخ البتول وللشعـت

وهل أقاموا بالحـي أم رحلوا
أنشد ربعاً ضلت به السبل
ري تطفـي به الغـلـل
ومهـجـة بالـزفير تشـتـعل
وناظـري بالسـهاد مـكتـحل
والعـيش غـض والشـمـل مشـتمـل
غدا التـنـائي والركـب مرثـل
عين وبـين الضـلوع قد نزلوا
بال وأني يجيـئني الطـلل
يرمي بسـهم النـوى وينتـبل
سوى مصـاب الحـسين تحتمـل
عن كل رزء برزئـه شـغل
حفت به السـمـهـرية الـذبل
سـفـك دمـاء النـبي واعتـزلوا
وخـير خـلق يـحـفي وينتـعل
المختار من بعـده ولا تصـلوا
المواضـي من نـحره بلـل
كالشـمس أنى بـدا لهـا الخـجل
عن صـدرهن السـجـوف والكلـل
وعـبرى قد شـفـفها الشـكل
والدمع فـوق الخـدود منهمـل
على أخيها نـدب ومرثـل
والقلب منهـا مـروع وجـل
ايـن المحـامي والفـارس البـطل
اليتـامي من حولهـا زجـل

يا أمّ قومي وسارعي فمفـداك
قومي فقد نالنا لفقـد أخي
حتى إذا ثـوروا لـرحلتهم
وعلق الرأس يستنير به الأفق
ظلت تنادي وا ذلنا يا رسول الله
ما حفظوا ما أمرت من ود ذي
وفاطم تستغيث عمتها
يا عمتي ما لهؤلاء وللحریم
وما لذا السائق العنيف من
لهفي لزين العباد يرفل في القيد
يجول نحو الحریم محتسباً
حتى إذا أقبلت ركائبهم
صاح غراب فقال قل ما تشأ
قتلت أسماء فخاراً وأزكاهم
قابلت يوماً بيوم بدر وعاجلت
وظلل بالعود قارعاً ثغر
فما ترى عذر آل حرب إذ جاءوا
وإن جني المصطفى النبي لهم
وما يقولون في الجواب وقتلاهم
يا سادتي يا بني النبي ومن
ما راعني فقد من ألفت به
ولا شـجاني إلا مصـابكم
ما أنا والله عن محبتكم
والله لي شـاهد ولسـت إذا
والعادل المسـتدل لا يـدخل
ما للخليعي عبـد أنعمكم

طـريح في الـتراب منجـدل
خطب مهـول وحادـث جـلل
وحدث بالركب سائق عجل
وسارت تطوي الفـلا الإبل
وصـيبتهم ومـا قبلوا
القـري ولا عن ضـلالهم عدلوا
صارخة دمـع عينها خـضل
لا يعطفون إن سـألوا
الأدلاج لا ضـجرة ولا ملـل
كئيباً تذييه العـلل
يـدعو إلى ربه وبيته لـل
على يـزيد يقودها السـفل
أو لا تقـل فالسـرور مـكتمل
تجـاراً وحـق الأمل
انتصاري لمعشر خـذلوا
مولانا سـروراً لامـه الهـبل
وقـد أيقنوا لمن قـتلوا
بأي شـيء تعارض الرـسل
بنـوه ومـا له فعلوا
علـيهم في المعـاد أتـكل
ولم يهـجني التشـيب والغـزل
فما بـدمعي علـيكم تحـل
ولعن أهـل العنـاد منتـقل
اتقيت قومـاً أرضى إذا جهـلوا
الشـك عليه قـول ولا عمـل
الا ولاكم إذا انقضى الأجل

يكفيه عند الأعراف علمكم يوماً بسيماه يعرف الرجل
 ما عنكم لابن حرة عوض وليس منكم لعارف بدل
 وأين عنكم بالولاء لكم تمحى الخطايا ويغفر الزلل

الباب الثاني

يا إخواني , لو فكر المُحب الوهّان فيما جرى على سادات الزّمان , وما أصابهم من البلاء والمحن , لقال لروحه أن تخرج من البدن , تُقَطِّع منهم الأوصال ويجدلون على الرّمال , ويتجرّعون الحتوف بأرض الطّفوف , على أيدي أهل الفساد وأشرّ العباد . فكم وكم من نفس معصومة أزهقوها , وكم من دماء محرّمة أراقوها , وكم من رؤوس شريفة فوق الأستنة رفعوها , وأخذوها بالأستنة الحداد كما يُفعل بأهل الإلحاد , هذا مع علمهم بأنهم الذرّيّة النّبويّة والعترة الهاشميّة . فيا لها من مُصيبه ما أعظمها في الإسلام وأعظم رزيتها بين سائر الأنام , فإنّا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله :

الشعر للشافعي مُحمّد بن إدريس

تأوب همي والفؤاد كئيب وأرق نومي فالرقاد غريب
 ومما نعى جسمي وشيب لمتي تصاريف ايام لهن خطوب
 فرى كبدي من حزن آل مُحمّد ومن زفارات ما لهن طيب
 فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفوس وقلوب
 قتل بلا جرم كأن قميصه صبيغ بماء الأرجوان خضيب
 فللسيف أعوال وللرمح رنة وللخيل من بعد الصهيل نجيب
 تزلزلت الدنيا لآل مُحمّد فكادت لهم صم الجبال تذب
 وغابت نجوم واقشعرت كواكب وهتك أستار وشق جيب
 يصلي على المهدي من آل هاشم ويغزي بنوه إن ذا لعجيب
 لئن كان ذنبي حُبّ آل مُحمّد فذلك ذنب لست عنه أتوب

روي عن الصادق (عليه السلام) , أنّه قال : ((لما حضرت الحسن بن عليّ الوفاة , أوصى إلى أخيه الحسين , فقال له : يا أخي

, إذا أنا مت فاحملني على سريري وادفني في

البقيع ، وستعلم يا ابن أمّ ، إنّ القوم إذا علموا أنّكم تريدون دفني عند جدّي ، يجدّون في منعكم ، فبالله عليك ، لا تحرق في أمري محجمة دم)) . قال : ((فلما غسّله وكفّنه وحمله على سريره وتوجه به إلى قبر جدّه ؛ ليجدد به عهداً عند جدّه ، أتى مروان بن الحكم ومعه جمع من بني أميّة ، وقالوا : يُدفن عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع جدّه؟! لا يكون ذلك أبداً. ثمّ أقبلت عائشة راكبة على بغل ، وهي تقول : أتريدون أن تدفنوا بيّتي من لا أحبّ؟! فقال لها ابن عبّاس : ارجعي إلى منزلك واستعملي الحياء ، فنحن ندفنه في البقيع كما أوصى (عليه السلام) ، وإمّا جئنا لنجدد به العهد عند جدّه . فقالت : إني لا أنصرف حتّى تخرجوا به إلى البقيع . فقال لها ابن عبّاس : وا سوأتاه لك يا عائشة ! يوماً تجمّلت ويوماً تبعلت وإن عشت تقيلت ((. وفي هذا المعنى قال بعض محبيهم فيهم :

يعظمون له أعواد منبره	وتحوت أرجلهم أولاده وضوعوا
بأي وجهه يتبعونكم	وفخركم أنكم صحب له تبع
وكيف ضاقت عن الأهلين تربته	ولالأجانب عن جنبيه متسع
وكيف صيرتم الإجماع حججكم	والقوم ما اتفقوا فيه ولا اجتمعوا
أمر عليّ بعيده من مشورته	مسكوه فيه والعباس يمتنع
وتدعيه قريش بالقرابة	لا رفعوا فيه ولا وضوعوا
فأي خلف كخلف كان بينكم	لو لا تلفق أخبار وتصنع
هذي وصايا رسول الله مهلمة	غدرأ وشمل رسول الله منصدع

فيا حرّ قلبي لما جرى لآل أهل الجود والمجد والافضال من الكفرة الفجرة الأندال ، حسدوهم على معاليهم حيث عجزوا عن إدراك الفضل الذي أودعه الله فيهم ، فحملتهم تلك الأحقاد على الكفر والإرتداد ، وإثّما لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

روي : أنّ الحسين (عليه السلام) كان جالساً بمسجد جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وذلك بعد وفاة أخيه الحسن (عليه السلام) ، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد ، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى ، فجاء أعرابي على ناقه حمراء ، فعلقها بباب المسجد ودخل ، فوقف على عتبة بن أبي سفيان وسلّم عليه ، فردّ (عليه السلام) ، فقال له الأعرابي : اعلم ، إني قتلت ابن عمّ لي عمدا وطولبنا بالديّة ، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فرفع رأسه إلى غلامه ، وقال : ادفع إليه

مائة درهم .فقام الأعرابي مغضباً وانتهره وقال : ما أريد إلا الدّية تماماً .ثم تركه وأتى عبد الله بن الزّبير , وقال له : إني قتلت ابن عمّ لي وقد طولبت بالدّية , فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فقال لغلامه : ادفع إليه مائتي درهم .فقام الأعرابي مغضباً وقال : ما أريد إلا الدّية تماماً .ثم تركه وأتى إلى الحسين فسلم عليه , وقال له : يا ابن رسول الله , إني قتلت ابن عمّ لي وقد طولبت بالدّية , فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فقال له : ((يا أعرابي , نحن قوم لا نعطي المعروف إلا قدر المعرفة)) .فقال له : سل ما تريد يا ابن رسول الله .فقال له الحسين (عليه السلام) : ((ما النّجاة من الهلكة ؟)) .قال : التّوكل على الله عزّ وجلّ .فقال له : ((ما أروع الهمة ؟)) .قال : الثّقة بالله .فقال له : ((وما يتحصن به العبد ؟)) .قال : محبّتكم أهل البيت .فقال : ((ما أزين ما يتزين به الرّجل ؟)) .قال : علم وعمل يزيّنه حلم .فقال له : ((فإن أخطأ ذلك كلّهُ ؟)) .قال : فعقل يزيّنه تقاء .فقال له : ((فإن أخطأ ذلك كلّهُ ؟)) .قال : سخاء يزيّنه حسن خلق .فقاله له : ((فإن أخطأ ذلك ؟)) .قال شجاعة يزيّنها ترك عجب .قال : ((فإن أخطأ ذلك ؟)) .قال : والله يا ابن رسول الله , إن أخطأ هذه الخصال , فالموت له خير من الحياة .فأمر الحسين له بعشرة آلاف درهم , وقال له : ((هذه لقضاء دينك , وعشرة آلاف درهم أخرى , تلّم بها شعنتك وتحسن بها حالك وتنفق بها على عيالك)) .فأنشأ الأعرابي يقول :

طربت وما هاج لي مغبق	ولا بي مقام ولا معشوق
ولكن طربت لآل الرسول	فلذلي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون	نجوم السمائم بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات	وأنت الجواد فلا تلحق
أبوك الذي ساد بالمكرمات	فقصر عن سبقه السبق
بكم ففتح الله باب الرشاد	وباب العثار بكم تغلق

فيا إخواني , كيف لا يحقّ لمن فارقت ساداته الذين بهم سعادته , أن يجري عليهم الدّموع الهاطلة , ويزيد في الحرق المتواصلة , ويكثر النّوح والعيويل على هذا الرّزء الجليل ؟! سارعوا بالإساءة إليهم بعدما اختبروهم , وعجّلوا بالدّموع فيهم بعدما عرفوهم , كأثم أنكروهم , فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين .

روى الشّيخ الصّدوق , عن الهيثم بن عدي بن أرطاة : قال معاوية

لعمرو بن العاص : يا أبا عبد الله أين أدهى ؟ فقال عمرو : أنا للبدية وأنت للرواية . فقال له معاوية : قد قضيت لي على نفسك , فأنا أدهى منك للبدية أيضاً . فقال له عمرو : أين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف على الرّماح ؟ فقال : بها غلبتني , أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه ؟ فقال : والله , وإن الكذب لقبيح , فسل عمّا بدا لك فيّ أصدقك . فقال له : أغششتني مذ نصحتني ؟ قال : لا . قال : بلى والله قد غششتني , أمّا إيّ لا أقول في كلّ المواطن ولكن في موطن واحد . قال : وأيّ موطن هذا ؟ قال : يوم دعاني عليّ بن أبي طالب للمبارزة إلى الحرب فاستشرتك , فقلت لك : ما ترى يا عمرو ؟ فقلت : كفو كريم . فأشرت عليّ بمبارزته وأنت تعلم من هو , فعلمت أنّك غششتني . فقال عمرو : يا معاوية , دعاك للمبارزة رجل عظيم الشّأن جليل القدر , فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين ؛ إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الفرسان وقاهر الشّجعان , وتزداد شرفاً إلى شرفك في طول الزّمان , وتخلو بملكك وتقهر عدوك , وإمّا أن تعجل إلى مرافقة الشّهداء في دار الجنان , وحسن أولئك رفيقاً . فقال معاوية : هذه الكلمة أشرّ من الأولى , والله , إيّ أعلم إيّ لو قتلته دخلت النّار وإن قتلتني دخلت النّار . فقال له عمرو : يا معاوية , إذا كنت تعلم هذا , فما الذي حملك على قتاله ؟! فقال : ويلك ! إنّ الملك عقيم , ولن يسمعها منّي أحد بعدك , فلا تخبر النّاس بما سمعت منّي .

فانظروا يا إخواني إلى صنيع الكفرة الفجرة مع العترة الكرام البررة , أتروهم ماذا يقولون حين يعرضون على الله ؟ وبكى الرّسول لمصاب عترته في ذلك الزّمان , وبكى لبكائه ؛ آدم ونوح , وعيسى وموسى , وإبراهيم خليل الرّحمن : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (1) :

رأس ابن بنت محمد ووصيه	للمسلمين على قنّاة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسّمع	لا جناح منهم ولا متوجّع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى	وأمنت عيناً لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظر العيون عما ية	وأصم رزق كلّ أذن تسمع
ما روضة إلاّ تمنّت أنّها	لك مضجع ولخط قبرك موضع

حُكي : أنّ امرأة ذات فحش كانت معهودة بالمدينة , ولها جار وكان مواظباً

(1) سورة يونس / 30.

على مأتم الحسين (عليه السلام) ، وكان عنده ذات يوم رجال ينشدون ويكفون على الحسين (عليه السلام) ، وأمر لهم باصطناع طعام ، فدخلت المرأة الفاحشة تريد ناراً ، وإذا بالنار قد انطفأت من غفلتهم عنها ، فعالجتها تلك الفاحشة بالنفخ ساعة طويلة ، حتى اتسخت يداها وذرفت عيناها ، فلما اتقدت ، أخذت منها ومضت لقضاء مآربها ، فلما صار الظهر وكان الوقت صيفاً ، فوقدت وكان لها عادة بالقيولة ساعة ، وإذا هي ترى طيفاً : كأنّ القيامة قامت ، وإذا بزبانية جهنم يسحبونها بسلاسل من نار وهم يقولون : يا زانية ، غضب الله عليك وأمرنا لنلقيك في قعر جهنم . وهي تستغيث وتستجير فلا تجار ، قالت : والله ، لقد صرت على شفير جهنم ، وإذا برجل أقبل يصيح بهم : ((خلّوها)) . قالوا : يا بن رسول الله وما سببه ؟ قال : ((نعم ، دخلت على قوم يعملون عزائي ، وقد أوقدت لهم ناراً يعملون بها طعاماً)) . فقالوا : كرامة لك يا بن الشّافع والسّاقى . قالت ، فقلت : من أنت الذي منّ الله عليّ بك ؟ قال : ((أنا الحسين بن عليّ)) . فانتبهت وأنا مذهولة ، ومضيت إلى المجلس قبل أن يتفرّقون ، فحكيت لهم فتعجبوا ، وقام البكاء والعيول ، وتبت على أيديهم من فعل القبيح . فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ولمثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابع عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليعي (رحمه الله تعالى)

هـجـرت مقلتي لذيذ كراهاً	لمصاب الشـهيد من آل طهـه
واسـتعدت في شهر عاشور أجفاني	لطلول البكاء على مولاها
وقيل لمصرع السـربط مجراها	ولو أن دمعها من دماها
لقتيل ساءت رزيتـه الأملاك	واسـتعبرت عليه سماها
لقتيل أضحت له البضعة الزهرا	ثكل والوجد حشو حشاها
كاتبتـه العصابة الغدر والتبديل	تشكوا أميـّة وأذاهـا
وتوالست عهدـها والمواثيق	وآلت أن تحلل عراها
وأتاهـا للحكم بالعدل فارتدت	وجـدت بالغـدر لمّا أتاهـا

بأبي ركبة المجد تجوب البيد
بأبي الفتية الميامين تسري
بأبي حين حل في كربلا يسأل
قائلاً : ههنا تراق دماها
ههنا تهتك الكرائم منا
لهف قلبي له وقد خطب القوم
ثم قال : ارجعوا سلمتم أكباد
فأجابوا لا سلم الله نفساً في
حاش لله بل نموت كراماً
فجزاهم خيراً ومرّ ينادي
أخت يا زينب احفظي القول عني
إن نعياني إليك ناع فبالصبر
لا تشقي جيباً ولا تلطمي خدّاً
ومضى مسرعاً يقيم قناة الـدين
مستعداً للحرب حتى إذا كسر
فرمته أيدي الطغاة بسهم
ومضى المهر ناعياً فاستغاثت
وأنت وهو في السباق تناديه
حر قلبي لها تضحج وتدعو
أم يا أم عجلي وانظري فاطم
أم قد خمرت سكينه منها
أين جدي أين البتول ألا أين
لهف قلبي لأم كلثوم خوف
يا أخي كيف حال من سلب
ثم تشكو إلى النبي وقد كان
جد هل أمة هداة نبي

وخدا وهادهما ورباهما
حولته والردى أمام سراها
عنها مستشققاً لثراها
وتنال الطغاة فينا منها
وتذل الأبطال من آل طه
وكان البليغ من خطبائها
الأعداء مرضى وقتلى وشفاها
غد من قلاك يوم لقاهما
ونروي من السيوف ظماها
أخته زينباً بكسر خباها
زادك الله يقظة وانتباهها
ينال المصاب أجراً وجاهها
ولا تندي بحلم سفاها
من بعد ميلها والتواها
خطبها وقل ظباها
البعي عن قوس غدرها وجفاها
زينب وغدت تطيل بكاهها
بشجو ولا يجيب نـداها
من جوى الثكل أمها وأباهها
في السبي تستجير عـداها
الرأس بالردن بعد سلب رداها
علي ، وا ذلها واسـباها
السبي تبكي وتستغيث أخاها
الناصر منها وخاف فيه رجاها
لدى الطف سامعاً شكواها
اشترت بعد العمى بهداها

حين غاب العصي على مولاها
المال نهباً والآل من قتلها
وينوه الأذنون من أسراها
فيننا ومن بنا أغراها
ورأس الحُسين فوق قناها
ثنايا ذاق النَّبي لماها
فلا بل ذو الجلال ثراها
على معشر أبو سقياها
لله عند بعثه أشقها
وعصت من بلطفه سواها
فجور انفوس من تقواها
أفلح من بالولاء قد زكاهها
كل باغ وخاب من دساها
في الحشا جمرة تشب لظاهها
قليل لو صح منك رضاها
مدحاً يهتدي بها رواها
وتجلبو عن القلوب صداها
كلما أنشدت بطيب شذاها
ذنوباً يخاف من عقباها

فأقام النَّبي فيها فشقت
وسبت بعده الذراري واضحي
وسرت تقطع البلاد سروراً
لا رعى الله أمة نقضت عهدك
كيف صبر أمرئ يود ذوي القربى
ويزيد اللعين يقرع بالعود
قتلته عصاة الكفر عطشاناً
ليست لناقة التي دمدم الله
كحسين وسوف ينتقم الله
قبحت أنفوس أطاعت هواها
ألممت رشده وعلمها الله
وعداها نهج السبيل وقد
مؤمناً عارفاً وجوه البر أمن
يابن بنت النَّبي يومك أذكى
ليت إني لك الفدا يابن مولاي
كم لمملوكك الخليعي فيكم
فتجلى بها عقول ذوي اللب
ومراث قد اكمن الطيب فيها
راجياً منكم الأمان إذا عد

الباب الثالث

أيها المؤمنون ، لو علمتم أي أجر تؤجرون وأي ثواب تحرزون ، لتمنيتم دام هذا الحال إلى يوم يُبعثون ، فأنشدكم يا إخواني ،
أندرون لمن تعزّون ؟ ولأي شيء أنتم مجتمعون ؟ والله بعين ديان الدين أنتم ، والله في عزية محمد خاتم النبيين ، وعلي أمير
المؤمنين ، وفاطمة الزهراء سيدة نسوة العالمين ، وجميع الأئمة المعصومين ، وعيونهم ناظرة إليكم ، وهم الشهداء عليّ وعليكم ،
وتصديق ذلك ما

روي عن الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) ، حيث قال : ((أيها الناس ، اعلّموا وتيقّنوا ، أنّ لنا مع كلّ وليّ لنا أعيناً ناظرة لا تشبه أعين الناس ، وفيها نور من نور الله وحكمة من حكم الله تعالى ، ليس للشيطان فيها نصيب ، وكلّ بعيد قريب ، وإنّ لنا مع وليّ لنا أعيناً ناظرة ، وألسناً ناطقة وقلوباً وافية ، وليس يخفى علينا شيء من أعمالكم وأقوالكم وأفعالكم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾⁽¹⁾ . ولو لم يكن كذلك ما كان لنا على الناس فضل)) .

ومما يدلّ على ذلك أيضاً ، ما روي عن أبي سدير الصيرفي ، قال : كنت نائماً ليلة الجمعة ، فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منامي وبين يديه طبقاً مغطى ، فدنوت منه وسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، فكشف لي عن الطبق ، وإذا فيه رطب جني ، فقلت : يا رسول الله ، ناولني من هذا الطبق رطبة ؟ فناولني رطبة فأكلتها ، ثمّ طلبت منه أخرى ، فناولني أخرى فأكلتها ، ولم يزل يناولني رطبة بعد رطبة حتّى أكلت ثمان رطبات ، ثمّ طلبت منه أخرى ، فقال : ((حسبك)) . فانتبهت وأنا مسرور بنومي ، فلما أصبحت على الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) لأقصّ عليه رؤيائي ، وإذا بين يديه طبق مغطى كأنه الطبق الذي رأيته قدّام النبيّ في منامي وهو مغطى ، فلما استقرّ بي المجلس عنده ، التفت إليّ وكشف عن الطبق ، وإذا فيه رطب ، فقلت : يا مولاي ، ناولني رطبة . فناولنيها فأكلتها ، ثمّ سألته أخرى فأعطانيها حتّى ناولني ثمان رطبات فأكلتها ، ثمّ سألته أخرى فقال لي : ((حسبك يا أحمد ، فلو زادك جدّي لزدتك)) . فقلت : يا سبحان الله من أخبرك برؤيائي يا سيّدي ؟ فقال (عليه السلام) : ((والله ، لا يخفى علينا شيء من أفعالكم وأعمالكم ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾)) .

ومن ذلك أيضاً ما رواه الثّقاة عن أبي محمد الكوفي ، عن دعبل بن محمد الخزاعي (رضي الله عنه) ، قال : لما انصرفت عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بقصيدي التائية ، نزلت في الرّي ، وإنيّ في ليلة من الليالي وأنا أصيغ قصيدة وقد ذهب من الليل شطره ، فإذا طارق يطرق الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أخ لك . فبدرت إلى الباب ففتحته ، فدخل شخص اقشعر منه بدني وذهلت منه نفسي ، فجلس ناحية ، وقال لي : لا ترع أنا أخوك من الجنّ ، ولدت في الليلة التي ولدت فيها ونشأت معك ، وأنيّ جئت أحدثك بما يسرّك ويقوّي نفسك وبصيرتك . قال : فرجعت نفسي وسكن قلبي ،

(1) سورة التوبة / 105 .

فقال : يا دعبل , إنِّي كنت من أشدّ خلق الله بُعضاً وعداوة لعلي بن أبي طالب , فخرجت في نفر من الجن المردة العتاة , فمررنا بنفر يريدون زيارة قبر الحسين (عليه السلام) قد جنّهم الليل , فهممنا بهم , وإذا ملائكة تزجرنا من السّماء وملائكة من الأرض تزجر عنهم هوامها , فكأنِّي كنت نائماً فانتبهت أو غافلاً فتيقظت , وعلمت أنّ ذلك لعناية بهم من الله تعالى لمكان من قصدوا له وتشرفوا بزيارته , فأحدثت توبة وجددت نية , زرت مع القوم ووقفت بوقوفهم ودعوت بدعائهم , وحججت بحجّهم تلك السنة , وزرت قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ومررت برجل حوله جماعة , فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا ابن رسول الله الصادق . قال : فدنوت منه وسلّمت عليه , فقال لي : ((مرحباً بك يا أهل العراق , اتذكر ليلتك ببطن كربلاء وما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائنا ؟ إنّ الله قد قبل توبتك وغفر خطيئتك)) . فقلت : الحمد لله الذي منّ عليّ بكم , ونور قلبي بنور هدايتكم , وجعلني من المعتصمين بجبل ولايتكم , فحدّثني يا ابن رسول الله بحديث أنصرف به إلى أهلي وقومي . فقال : ((نعم , حدّثني أبي محمّد بن عليّ , عن أبيه عليّ بن الحسين , عن أبيه الحسين , عن أبيه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , قال : قال لي رسول الله : يا عليّ , الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى أدخلها أنا , وعلى الأوصياء حتّى تدخلها أنت , وعلى الأمم حتّى تدخلها أمّتي حتّى يقروا بولايتك ويدينوا بإمامتك . يا عليّ , والذي بعثني بالحقّ , لا يدخل الجنّة أحد إلّا من أخذ منك بنسب أو سبب)) . ثمّ قال :

هم القوم آثار النبوة فيهم	تلوح وأنوار الإمامة تلمع
مهابط وحيي الله خزان علمه	وعندهم سر المهيمن مودع
إذا جلسوا للحكم فالكمل أبكم	فإن نطقوا فالدهر ، أذن ومسمع
وإن ذكروا فالكون نند ومندل	له أرج من طيبهم يتضوع
وإن بارزوا فالدهر يخفق قلبه	لسطوتهم والأسد بالغاب تجزع
وإن ذكر المعروف والجود في الورى	فبحر ندهم زاخر يتدفع
أبوهم سماء المجد والأم شمس	نجوم لها برج الجلالة مطلع
فيا نسباً كالشمس أبيض مشرق	ويا شرفاً من هامة المجد أرفع

فمن مثلهم إن عد في الناس مفخر
 ميامين قوامون عز نظيرهم
 فلا فضل إلا حين يذكر فضالهم
 ولا عمل ينجي غداً غير حبه
 ولو أن عبداً جاء في الله عبداً
 فيا عترة المختار يا راية الهدى
 خذوا بيدي يا آل بيت محمد
 أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمع
 هداة ولاة للرسالة منبوع
 ولا علم إلا علمهم حين يرفع
 إذا قام يوم البعث للخلق مجمع
 بغير ولا (آل العبا) ليس ينفع
 إليكم غداً في موقفي أطلع
 فمن غيركم يوم القيامة بشفع

روي في بعض الأخبار عن حذيفة اليماني , قال : مرّ ابن عباس على قوم من بني أمية , فسمعهم يسبون عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) - وكان ابن عباس مكفوف البصر كبير السن - فقال لقائده : ما يقولون هؤلاء الأندال ؟ فقال : إنهم يسبون علياً . فقال له : يا غلام قرّني إليهم . فلما صار بالقرب منهم , قال : أيكم الساب الله عزّ وجلّ ؟ فقالوا : معاذ الله ! فمن يسبّ الله فقد كفر وخذل في سقر . فقال : أيكم الساب رسول الله ؟ فقالوا : معاذ الله أن تُسب رسول الله ! فمن سبه فقد افتري إثماً كبيراً . فقال : أيكم الساب عليّ بن أبي طالب ؟ فنكسوا رؤوسهم حياء منه , وقالوا : قد كان ذلك ممّا . فقال لهم : يا أشرّ الأمم ! ويا أهل جهنّم ! وحقّ ربّ الكعبة , إيّ سمعت رسول الله يقول : ((من سبّ عليّاً فقد سبني , ومن سبني فقد سبّ الله , ومن سبّ الله تعالى , أكبه الله على منخريه في نار جهنّم مُخلداً فيها)) . فأبشروا بالعذاب الأليم في أسفل درك الجحيم . فلم يردّوا له جواباً , فتركهم وانصرف لشأنه , فقال : يا غلام , كيف رأيت وجوههم حين أوردت الحديث ؟ فقال : اسمع يا مولاي ممّي الشعر :

نظروا إليك بأعين مـزورة
 فقال له : يا غلام , زدني برك الله فيك ! فقال :
 نظر التيوس إلى شـفار الجـازر
 خزر الحواجب ناكسوا أذقـانهم
 فقال : زدني فداك أبوك يا غلام ! فقال :
 والميتون فضيحة للغـابر
 أحبـاؤهم خـزى على أمـواتهم

فقال : زدني بارك الله فيك ! فقال :

يوم القيامة يسكنون جهنما بئس المصير لكل عبد فاجر

فقال له : زدني بارك الله فيك ! فقال :

وكذا النبي خصيمهم مع حيدر نعم الخصيم غداً وخير الناصر

فقال له : بارك الله فيك يا غلام ! وأنت حرّ لوجه الله تعالى.

فانظروا يا إخواني إلى أهل الضلال , كيف يبالغون في سبّ الآل وسبّ عليّ محمّد أولاد الحلال , ولا يخشون من الله ذي

الجلال , ولا يحذرون من المرجع والمآل , والله درّ من قال بعض من الرجال :

إذا ما التبر حاك على محك تبين غشاه من غير شك

وفينا الدر والذهب المصطفى وحيدر بيننا شبه المحك

روي عن ابن عباس , أنّه قال : والله , لقد رايت جابر الأنصاري (رض) وهو يمشي في سكك المدينة , ويقف عند بيوت

المهاجرين والأنصار وهو يقول : معاشر الناس , أدّبوا أولادكم على حبّ عليّ بن أبي طالب , فمّن أبي فانظروا في شأن أمّه.

وفي خبر آخر , عن الصادق (عليه السلام) , قال : ((من وجد برد حبنا أهل البيت في قلبه , فليكثر الدعاء لأئمّه حيث أمّا لم

تخن أباه فيه)) . والله درّ صاحب الكشكول :

إليك جميع الكائنات تشير بأنيك هاد منذر وبشير

وإنك من نور الإله مكنون على كل نور من جلالك نور

وروحك روح القدس فيها منزل وقلبك في قلب الوجود ضمير

وشخصك قطب الكائنات فسر بها على سره في العالمين تدور

نزلت من الله العظيم بمنزل يسير إليه الطرف وهو حسير

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (1). قال الثعلبي ورواه ابن عباس , أمّا نزلت في

عليّ لما خرج النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة خائفاً من المشركين إلى الغار , خلفه لقضاء ديونه ورد ودائعه , فبات عليّ على

(1) سورة البقرة / 207.

فراشه وأحاط المشركون بالدار ، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل : ((إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر ، فأيتكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟)) . فاختار كل منهما الحياة ، فأوحى الله تعالى إليهما : ((ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين محمد ، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة؟! اهبطا إلى الأرض ، فاحفظاه من عدوه)) . فنزلا ، فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ، فقال : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ! هذا في تفسير هذه الآية ، وأما آية المبالغة ، فأجمع المفسرون منهم على أن أبناءنا إشارة إلى الحسن والحسين ، ونساءنا إشارة إلى فاطمة ، وأنفسنا إشارة إلى عليّ فجعله الله نفس محمد ، المراد المساواة ومساوي الأكمل ، الأولى بالتصرف أكمل وأولى بالتصرف . فهذه الآية أدل دليل على علو مرتبته (عاشقاً) ؛ لأنه تعالى حكم بمساواته لنفس الرسول ، وأنه تعالى عينه في استعانة النبي به في الدعاء ، وأيّ فضيلة أعظم من أن يأمر الله نبيه بأن يستعين به على الدعاء إليه والتوسل به ، مع ما ورد فيه ما يزيد على هذا ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ (1) . روى الجمهور عن ابن مسعود ، قال رسول الله : ((انتهت الدعوى إليّ وإلى عليّ ، لم يسجد أحدنا لصنم قط ، فاتخذني نبياً واتخذ عليّاً وصياً)) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (2) . نقل الجمهور عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله (ص) : ((أنا المنذر وعليّ الهادي ، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون)) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ ﴾ (3) . روى الجمهور عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، أنه قال : ((عن ولاية عليّ بن أبي طالب)) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْرَفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (4) . روى الجمهور عن أبي سعيد الخدري ، قال : يبغضهم عليّاً (عاشقاً) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (5) . روى الجمهور عن ابن عباس ، قال : سابق هذه الأمة عليّ بن أبي طالب .

وروي من طرفهم في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ (6) . قال : إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة أسري به ، جمع الله بينه وبين الأنبياء ، ثم قال : ((سلهم يا محمد على ماذا بعثتم ؟)) . فقالوا : بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله ، وعلى الإقرار بنبوتك ، والولاية لعلي بن أبي طالب .

ومن طرفهم أيضاً في قوله تعالى :

(1) سورة البقرة / 124 .

(2) سورة الرعد / 7 .

(3) سورة الصفات / 24 .

(4) سورة محمد / 30 .

(5) سورة الواقعة / 10 - 11 .

(6) سورة الزخرف / 45 .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾⁽¹⁾. روى الجمهور عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ، قال رسول الله لعلي : ((هم أنت وشيعتك يا علي ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي أعداؤك غضابا مقمحين)) .

وعن الحسن البصري⁽²⁾ في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ... ﴾⁽³⁾. فقال : المشكاة فاطمة ، والمصباح الحسن والحسين ، و ﴿ الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ قال : كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين . ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ قال : الشجرة المباركة إبراهيم . ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهودية ولا نصرانية . ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِئُ ﴾ قال : يكاد العلم أن ينطق منها . ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ قال : فيها إمام بعد إمام . ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : يهدي الله لولايتنا من يشاء ، فهنيئاً للمحبين والشيعية الموالين أولئك الذين أنعم الله عليهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ولنذكر في آخر هذا الجزء طرفاً من أنساب ما يجري على الحسين (عليه السلام) ، وذريته وأصحابه ومواليه ؛ ليعلم الناظر أنه لا يفعل بهم ذلك - كما جاء في الخبر عن سيد البشر - إلا من خبث مولده ، وكان مطعوناً عليه في أصله ونسبه .

أمّا يزيد (عليه اللعنة) فإنه كان جباراً عنيداً خبيث الولادة : ﴿ وَالَّذِي خَبِثَ لَيُخْرِجُ إِلَّا نَكِداً ﴾⁽⁴⁾ . وقد مرّ قول الحسين (عليه السلام) فيه وفي أبيه ، أنّهما شركاء الشيطان .

وأمّا عبيد الله بن زياد ، أمّه مرجانة وأبوه زياد دعيّ لأبي سفيان ، وكان يُسمّى بين الناس زياد بن أبيه ؛ لأنه لا يُعرف له أب ، وكانت أمّه سوداء ننتة الزائحة يُقال لها سميّة ، وكانت عاهرة ذات علم تُعرف به ، وقد وطأها أبو سفيان وهو سكران ، فعلمت منه بزياد على فراش بعلها ، فدعاها أبو سفيان سرّاً ، فلمّا آل الأمر إلى معاوية ، قرّبه إليه وأدناه ورفع منزلته ، وعلاه واستخلفه في بلاد الأهواز ، وأمره على ثلاثمئة ألف فارس وأمره بحرب الحسن (عليه السلام) ، ولم يزل يحاربه زماناً طويلاً حتّى دسّ إليه سمّاً فقتله ، فمات مسموماً رحمة الله عليه .

ولمّا آل الأمر إلى يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى ، جعل عبيد الله بن زياد أميراً على الكوفة وأمره بقتل الحسين (عليه السلام) ، فجّهز العساكر والجنود وحالوا بينه وبين ماء الفرات حتّى أتهم قتلوه عطشاناً مظلوماً ، وذبحوا أطفاله وسبوا عياله ، ففعل ابن زياد لعنه الله أضعاف ما فعل يزيد عليه اللعنة ﴿ وَالَّذِي خَبِثَ لَا ﴾

(1) سورة البينة / 7 .

(2) هكذا ورد التفسير في الأصل ، والصحيح أنّ التفسير ورد عن أبي الحسن (ع) ، كما في أغلب المصادر . (موقع معهد الإمامين الحسنين)

(3) سورة التور / 35 .

(4) سورة الأعراف / 58 .

يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴿١﴾.

وأما هند بنت عتبة ، عتبة عليه اللعنة قتله حمزة عم رسول الله ، وكان عتبة أميراً في زمن الجاهلية ، وهو الذي حارب النبي في وقعة أحد حرباً عظيماً ، حتى إنه أنكسر عسكر النبي (ﷺ) وشاع الخبر إلى المدينة بقتل النبي ، ورفع الصراخ بالمدينة أنه قُتل النبي ، فانخسعت القلوب وبكت العيون ، وحزن الأقرباء وبكت السماء وفرح الأعداء ، وكانت هند - جدّة يزيد - واقفة تضرب بالدّف من شدّة فرحتها بقتل النبي (ﷺ) : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (2).

وكان عتبة لعنه الله تعالى ، وهو الذي رمى النبي بحجر ؛ فكسر رباعيته ، وشقّ شفّتيه ، وشج رأسه الشريف ، فوثب حمزة عم النبي فقتل عتبة ، فجاءت هند بنت عتبة لوحشي بهبة على أن يقتل لها رسول الله ، أو أن يقتل عليّاً أو حمزة ، فقال لها وحشي : أما رسول الله فلا سبيل لي عليه ؛ لأنّ أصحابه حاقّين من حوله ، وأما عليّ بن أبي طالب ، فإنّه إذا حارب ، فهو أحذر من الذّئب وأروغ من الثّعلب ، ولا طاقة لي به ، وأما حمزة ، فإنّي أقدر عليه ؛ لأنّه إذا حارب وهاج في الحرب ، لم يعد يبصر ما بين يديه وما خلفه . قال : فلمّا هاج حمزة في الحرب ، كمن وحشي وضربه على أمّ رأسه فقتله ، فخرّ صريعاً إلى الأرض ، فجاءت هند بنت عتبة عليهما اللعنة ، ووقفت على جسد حمزة ، وجذعت أذنيه وأنفه ، وشقت بطنه ، وقطعت أصابعه ونظمتها بخيط وجعلتها قلادة في عنقها ، ثمّ أخرجت كبد حمزة وأخذت منه قطعة بأسنانها ومضغتها ؛ حنقاً منها عليه ، وأرادت بلعها فلم تقدر على بلعها فقذفتها ؛ لأنّ الله تعالى صان كبد حمزة أن يحل في معدة تُحرق بالنّار . فهل سمعتم أو رأيتم امرأة أكلت كبد إنسان غير هند لعنها الله تعالى ؟! : ﴿ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ .

وأما عمر بن سعد ، فهو الذي ولاه ابن زياد حرب الحسين (عليه السلام) ، وأمره على سبعين ألف فارس ، وأمره بقتل الحسين وأصحابه وأطفاله وأهل بيته وسبي نسائه ، ففعل ما أمره .

فجرى كلّ واحد من هؤلاء الملاحين على عرقه الخبيث : ﴿ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ . ولقد اختبروا قتلة الحسين (عليه السلام) ، فوجدوهم كلّهم أولاد زنا لصحة قول النبي فيهم .

فيا إخواني ، انظروا إلى هؤلاء الكفرة الفجرة ، كيف بالغوا في ظلم الآل ونهب الأموال ، وذبح الأطفال وقتل الرجال وأيّ رجال ، أولئك عليهم لعنة الله

(1) سورة الأعراف / 58.

(2) سورة التّوبة / 32.

تعالى والملائكة والناس أجمعين ، فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ولمثلهم تذرّف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ داود البحراني

هلموا نبك أصحاح العباء ونرثي سبط خير الأنبياء
هلموا نبك مقتولاً بكتته ملائكة الإله من السماء
هلموا نبك مقتولاً عليه بكى وحش المهامة في الفلاء
ألا فابكوا قتيلاً قد بكتته البتولة فاطم ست النساء
ألا فابكوا لثاوي الطف حزناً ألا فابكوا لمذبوح القفباء
ألا فابكوا لمن أضحت عليه تنوح الجن حزناً بالبكاء
ألا فابكوا المعفر ذبيح على الرضباء شلو بالثراء
ألا فابكوا قتيلاً مستباحاً ألا فابكوا المرمـل بالدماء
بنفسي جسم منطرح جريح على حر الصعيد بلا وطاء
بنفسي من تجول الخيل ركضاً عليه وهو مسلوب الرداء
بنفسي هاشميات سبانيا يقدن وهن في ذل السبباء
بنفسي نسوة جاءت إليه وهن مولولات بالشجاء
أخي ودع يتامى قد أهينوا وقد أضحووا بأسر الأديباء
أخي هل بعد بعدك لي محام لقد أخذ الزمان بكم حماء
أخي أصبحت رهن الطف شلوا عليك الدهر مشقوق الرداء
أخي أضحي كرمك فوق رمح يشال كبد تم في السباء
يعز علي أبيننا أن يرانا بأرض الطف نسبي كالإمباء
يعز علي البتول بأن ترانا ونحن نضج حولك بالبكاء
وزين العابدن تراه يكبو يقيد وهو في ضر البلاء
أخي هذي سكينة من حناها تجرر بامتحان وابـتلاء
وتسلب قرطها ظمماً وتدعو أبي وا ذل حالي يا بلائي
أبي هذي أميئة ذات صون ونحن نساق جهراً بالفلاء

ونبرز من خبانا للساء
ونضرب بالسياط بلا خطاء
فقدتك يا سنادي يا رجائي
وضعفي وانتهاكي في السوراء
حلولك في الثراء بلا وطاء
وضضن الصدر ظمماً بافتراء
ويسعدني الحمام على بكائي
وعوني في الشدائد والرخاء
ويغريني على كثر البكاء
نحولي لا يزول ولا عزائي
قريح الجفن مشغول بقاء
به أرجو من الباري جزائي
بمحو الذنب يا أهل العباء
ومن يكي بجزن لا وراء
على الهادين من أهل الهداء

تصان أمية ولها خدور
كأنا من بنات الزنج نسي
أيا حصني أيا ذخري وفخري
ألا وأبذل وجهي بعد صون
أخي يابن الرسول أذاب جسمي
تدوس الخيل منك قفاك حتى
ألا يا سيدي أمسيت أبكي
ألا يا آل أحمد يا حماتي
مصائبكموا يوقد نار قلبي
وهمد قواي رزؤكموا وأضحى
لقد أمسيت بعدكم حزناً
إليكم من عبيدكم نظاماً
بها يرجو الفتى داود فوزاً
وسامعها ومنشدها بشجو
وصلى الله والأملاك طراً

ذكر أهل التأريخ , أنّ سبط بن الجوزي كان يعظ على الكرسي بجامع دمشق , فطلب منه أهل المجلس أن يذكر شيئاً في
مصراع الحسين بن عليّ (عليه السلام) , فعند ذلك أنشد يقول :

والصوور في نشر الخلائق ينفخ
وقميصها بدم الحسين ملطخ

ويل لمن شفاعؤه خصمائه
لا بدأ، تورد القيامة فاطم

ثمّ إنّه وضع المنديل على رأسه واستعبر طويلاً ونزل عن الكرسي وبذلك ختم.
قال بعضهم :

وللقلب لم تبرح على الصعب لاويا
فليس لها من جرحك الدهر آسيا

الاعج يوم الطوف لا زلت واريا
كم انصدعت أمعاء مهجة أنفس

وضلعي على جمر الغضا منه حانيا
وأصبح فيك الكون بالحزن داجيا
فقوض للعليا قباباً رواسيا
وجفن العلا ما أنفك بالدمع جاريا
نرى لكلّ فيها للجريمة جاثيا
فأصبح فيها حجّة الله ثاويا
تركت جفون المكرمات دواميا
فغودر فيه العدل أجدر ضاحيا
فكورن من ضوء النهاء الدراريا
قوى العرش حتى قد برحن الثوانيا
وساءت بآل الأكرمين التقاضيا
وثجت لها بجرّاً من الدم ساجيا
صبين على كلّ الأنام الدواهيا
وأصبح من ثكل لرزئك واهيا
على سغب طاوي الحشاشة ظاميا
يجلي عن الدين الحنيف الغواشيا

وما زال زند الغيظ للوجد مضرماً
بك انطمست آثار دين محمد
وهدم المجد الأثيل قوامه
وفاضت عيون المكرمات كآية
وقامت لحشر الأنبياء قيامه
بها صور صعق الخلق حرك للفنا
ألا أيها اليوم المشؤوم على الورى
ضربت بسيف الجور كيوان عزها
سرت منكفي جنح الظلام قوائم
وسعرن نيران الحروب فزعزعت
قضت فيك جوراً آل حرب ذحولها
وشقت على آل النبي ستورها
لقد أثكل الدنيا لواعجك التي
وقد لها طود الهداية قلبه
غداة قضى سبط النبي محمد
حمى حوزة المجد المؤثل وانثنى

قد تمّ الجزء الأول من كتاب (المُنتخب)

وسيتلوه (الجزء الثاني) إن شاء الله تعالى

المُنتخب

في جمع المراثي والخطب

المشتهر به (الفخري)

تأليف

الإمام الكبير والمُصنّف الشهير الشّيخ

فخر الدّين الطّريحي النّجفي المتوفى سنة / 1085.

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس الأول

في الليلة السادسة من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

اعلموا أيها الإخوان ، إنّه لا خير والله في دمع يُصان عن سادات الزّمان وأولياء الملك الدّيان ، فوا حرّ قلباه على تلك الأجساد المطرّحات بغير وطاء ولا وساد ! وا أسفاه على تلك الجسوم المرقّلات بغير فراش ولا مهاد ! جسوم والله طال ما أتعبوها في عبادة الرّحمن وقراءة القرآن ، فوا عجباه ! كيف شمخت عليهم أنوف الظّالمين حتّى فعلوا ما أغضبوا ربّ العالمين ، وأبكوا به عين الرّسول ، وأحرقوا به فؤاد البتول؟! فليت فاطمة الزّهراء تنظر إلى الفاطميات وهن بين الأعداء مروّعات ، وما بين نادبة تأنّ وثاكلة تحنّ . فيا خيبة من عرف حال الآل وسارع إليهم بالمحاربة والقتال ، ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور :

لقد أورثتنا قتلّة الطّف قرحة وحزناً على طول الزمان مطول

فلا حزنه يسلي ولا الوجد نازح ولا مدمي يرقمي ونوحى يكمل

روي : أنّ هند أمّ معاوية جاءت إلى دار الرّسول (ﷺ) عند وقت الصّبح ، فدخلت وجلست إلى جنب عائشة وقالت لها

: يا بنت أبي بكر ، رأيت رؤيا عجيبة وأريد أن أقصّها عليك لتقصّيها على رسول الله - وذلك قبل إسلام ولدها معاوية - ،

فقال لها عائشة : خبريني بما حتى أخبر بها رسول الله (ﷺ) . فقالت : إنني رأيت في نومي شمساً مشرقة على الدنيا كلها , فولد من تلك الشمس قمر , فأشرق نوره على الدنيا كلها , ثم ولد ذلك القمر نجمان زهران قد أزهرا من نورهما المشرق والمغرب , فبينما أنا كذلك , إذ بدت سحابة سوداء مظلمة كأثما الليل المظلم , فولد من تلك السحابة السوداء حية رقطاء , فدبت الحية إلى النجمين فابتلعتهما , فجعلوا الناس يبكون ويتأسفون على ذينك النجمين .

قال : فجاءت عائشة إلى النبي (ص) وقصت الرؤيا عليه , فلما سمع النبي (ﷺ) كلامها , تغير لونه واستعبر وبكى , فقال : ((يا عائشة , أما الشمس المشرقة فأنا , وأما القمر فهي فاطمة ابنتي , وأما النجمان فهما الحسن والحسين (عليهما السلام) , وأما السحابة السوداء فهي معاوية , وأما الحية الرقطاء فهي يزيد بن معاوية)) .

وكان الأمر كما قال (ﷺ) , فإنه لما توفي الرسول (ﷺ) , نهض معاوية إلى حرب علي (عليه السلام) , ولازم حربه ثمانين شهراً حتى هلك من الفريقين خلق كثير , ثم إن معاوية استمر مع قومه على سب علي ثمانين شهراً , ثم لم يكفه حتى توصل إلى سم الحسن (عليه السلام) .

ولما هلك معاوية , تولى الأمر ولده يزيد لعنه الله تعالى , فنهض إلى حرب الحسين (عليه السلام) وبالغ في قتاله وقتل رجاله , وذبح أطفاله وسبي عياله ونهب أمواله , ألا لعنة الله على القوم الظالمين :

أدهن رأسي أم تطيب مجالسي	وخدك مغفور وأنت سليل
أشرب ماء المزن أم غير مائه	ويدخل في الأحشاء منك لبيب
بكائي طويل والدموع غزيرة	وأنت بعيد والمزار قريب
أروح بغم , ثم أغدو بمثلته	كثيباً ودمع المقتلين سكوب
فللعين مئي عبرة بعد عبرة	وللقلب مئي عبرة ونحيب

روي : أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع كثرة علمه وحلمه , كان كثير البكاء لتلك البلوى وعظيم البت والشكوى , وإنه بكى على مصاب أبيه أربعين سنة , وهو مع ذلك صائم نهاره قائم ليله , وكان إذا حضر الطعام لإفطاره , يبكي بكاءً شديداً , فيقال له : كُـلْ يا مولاي . فيقول : ((كيف آكل وقد قُـتِل ابن رسول الله جائعاً عطشاناً مظلوماً؟!)) . ولم يزل يكرّر هذا القول , وهو مع ذلك يبكي حتى يبيل طعامه بدموعه

ويعزج بشرابه , ولم يزل كذلك مدّة حياته حتّى لحق برّبّه.

وحدّث مولى له , أنّه (عليه السلام) برز يوماً إلى الصّحراء , قال : فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة , فوفقت من ورائه وأنا أسمع شهيقة وبكائه زماناً طويلاً , فأحصيت عليه حتّى قال ألف مرّة : ((لا إله إلاّ الله تعبداً ورقاً , لا إله إلاّ الله إيماناً وصدقاً)) . ثمّ رفع رأسه من سجوده , وإذا لحيته ووجهه قد غمرا بالدموع والتراب , فقلت له : يا سيّدي , ما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلّ ؟ فقال لي : ((يا هذا , ألا تعلم أنّ يعقوب بن إسحاق كان نبياً ابن نبيّ , وكان له اثني عشر ابناً , فعيب الله عنه ولداً واحداً منهم , فشاب رأسه من الحزن وذهب بصره من البكاء , هذا وابنه حيّ في دار الدّنيا , وأنا قد رأيت إخوتي وأبي وسبعة عشر صالحاً من أهل بيتي , مقتولين مطرّحين حولي صرعى في الفلا مجدلّين , قد غيرت الشّمس محاسنهم وأتلفت الأرض جسومهم والرّمال تسفى عليهم !)) .

فاعلموا⁽¹⁾ يا إخواني صوائب الفكر , وأطيلوا النّظر في حال هذا الإمام وما فعل به القوم اللّثام , فإنّه مصاب تحير فيه الأفكار , وتذهل في معانيه القلوب والأبصار , ولكن المرجع إلى الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله :

بنفسي مجروح الجوارح آيساً	من النصر خلوا ظهره من ظهيرها
بنفسي محزوز الوريد معفراً	على ظمأ من فوق حر صخورها
يتوق إلى ماء الفرات ودونه	حدود شفاف أحادقت بشفيرها
قضى ظامياً والماء يلمع ظامياً	وغودر مقتولاً روين غديرها
هلال دجى أمسى بحد غروبها	غروباً على قيعانها ووعورها
فيالك مقتولاً علت مهجة العلا	به ظلمة من بعد ضوء سفورها
فيالك عيناً لا تحف عيونها	وناراً يذيب القلب حر زفيرها
على مثل هذا الحزن يستحسن البكا	وتقلع منا أنفوس من سرورها
أقتل خير الخلق أمأً ووالداً	وأكرم خلق الله وابن نذيرها
ويمنع من ماء الفرات وتغتذي	وحوش الفلا ريانة من نيرها
يدير على رأس السنان برأسه	سنان ألا شملت يمين مديرها
ويؤتى بزین العابدين مكابلاً	أسيراً ألا روعي الفدا لاسيرها
يقاد ذليلاً في القيود ممثلاً	لأكفر خلق الله وابن كفورها

(1) هكذا ورد , ولكن الظاهر أنّ الصّحيح هو : فاعلموا . (معهد الإمامين الحسينين).

ويعشي يزيد رافلاً في حربه
 ودار بني صخر ابن حرب أنيسة
 ودار عليّ والبتول وأحمد
 معالمها تبكي على علمائها
 متى يظهر المهدي من آل هاشم
 هنالك تلعو هممة طال همها
 ويمسي حسينا عارياً في حرورها
 بنشد أغانيها وسكب خمورها
 وشيرها مولى السورى وشبيرها
 وزائرهما يبكي لفقده مزورها
 على سيرة لم يبق إلا يسيرها
 لإدراك نأر سالف من مثيرها

روي عن ابن محبوب رضي الله عنه ، قال : خرجت من الكوفة قاصداً زيارة الحسين (عليه السلام) في زمان ولاية آل مروان لعنهم الله تعالى ، وكانوا قد أقاموا أناساً من بني أمية على جميع الطرق ؛ يقتلون من يظفروا به من زوار الحسين (عليه السلام) ، فأخفيت نفسي إلى الليل ، ثم دخلت الحائر الشريف في الليل ، فلما أردت الدخول للزيارة ، إذ خرج إليّ رجل وقال لي : يا هذا ، ارجع من حيث جئت فقد قبل الله زيارتك عافاك الله ؛ فإنك لا تقدر على الزيارة في هذه الساعة . فرجعت إلى مكاني ، فسرت حتى مضى أكثر من نصف الليل ثم أقبلت للزيارة ، فخرج إليّ ذلك الرجل وقال لي : يا هذا ، ألم أقل لك إنك لا تقدر على زيارة الحسين (عليه السلام) في هذه الليلة ؟ فقلت له : ولم تمنعني من ذلك وأنا قد أقبلت من الكوفة على خوف ووجل من بني أمية أن يقتلوني ؟ فقال : يا ابن محبوب ، اعلم أن إبراهيم خليل الرحمن وموسى كلیم الله ، وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله ، قد استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الليلة أن يزوروا الحسين (عليه السلام) ، فأذن لهم بزيارته ، فهم عنده من أول الليل إلى آخره في جمع من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين ، لا يحصي عددهم إلا الله تعالى ، فهم يسبحون الله ويقدمونه لا يفترون إلى الصباح ، فإذا أصبحت فأقبل إلى زيارته إن شاء الله تعالى . فقلت له : وأنت من تكون عافاك الله ؟ فقال : أنا من الملائكة الموكلين بقبر الحسين (عليه السلام) . فطار قلبي ورجعت إلى مكاني أحمد ربّي وأشكره حيث لم يردني لقبح عملي ، وصبرت إلى أن أصبحت فأتيت لزيارة مولاي الحسين (عليه السلام) ولم يردني أحد ، وبقيت نهارى كلّه في زيارته إلى أن هجم الليل ، وانصرفت على خوف من بني أمية فنجاني الله منهم .

فانظروا يا ذوي الأسماع والأبصار ، وتفكروا في هؤلاء الكفرة الفجار ، ما كفاهم قتل

العترة الأطهار ، وذرية النبي المختار حتى دعته أنفسهم اللعينة إلى أن يمنعوا الزوار : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (1) :

فيا ذلة الإسلام من بعد عزه ويا لــــك رزه في الأنام خطــــير
فيا عــــبرتي ســــحي ويا حــــرقتي ازددي ويا نفــــس ذوي فالمصــــاب كــــبير

روى مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل ، عن موسى بن القاسم الحضرمي ، قال : ورد أبو عبد الله الصّادق من المدينة إلى الكوفة في أوّل ولاية أبي جعفر العباسي ، فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ((يا موسى ، اذهب إلى الطّريق الأعظم فقف هُنَيْئَةً ، فَإِنَّهُ سِيَأْتِيكَ رَجُلٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْقَادِسِيَّةِ ، فَإِذَا دَنَا مِنْكَ ، فَقُلْ لَهُ : هُنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدْعُوكَ ، فَإِنَّهُ يَسِرُّ بِذَلِكَ وَسِيَجِيءُ مَعَكَ)) . قال موسى : فمضيت ووقفت على الطّريق وكان الحرّ شديداً ، فمددت بصري في الفلاة ، فنظرت شيئاً مُقْبِلاًً مِنْ بَعِيدٍ ، فَنَأَمَلْتَهُ وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ عَلَى بَعِيرٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي ، قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ هُنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدْعُوكَ وَقَدْ وَصَفَ لِي بِجَمِيعِ صِفَاتِكَ . فزاد إعجابه وسرّ بذلك وقال : اذهب بنا إليه . قال : فجاء الرّجل حتى أناخ بعيره على باب خيمة الصّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، ودخل إليه وسلّم عليه وقبّل يديه ورجليه ، فقال الصّادق : ((من أين أقبلت ؟)) . فقال : من أقصى بلاد اليمن . فقال له : ((أنت من وضع كذا وكذا ؟)) . قال : نعم . قال : ((فيما جئت ؟)) . قال : جئت لزيارة الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . فقال له الصّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ((جئت من غير حجّة ليس إلّا للزيارة ؟)) . قال : نعم ، إلّا أن أصلي عند قبره ركعتين وأزوره وأسلّم عليه وأرجع إلى أهلي . فقال له الصّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ((وما ترون من زيارته ؟)) . قال : إنّنا نرى من زيارته ؛ البركة والشّفاء والعافية في أنفسنا وأهالينا وأولادنا ، ومعائشنا وأموالنا وقضاء حوائجنا . فقال له الصّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ((أفلا تحبّ أن أزيدك من فضل زيارته يا أخا اليمن ؟)) . فقال : أي والله ، زدني يا بن رسول الله . فقال : ((اعلم أنّ زيارة الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تعدل حجّة مبرورة مقبولة زاكية مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))) . فتعجّب الرّجل من ذلك ، فقال الصّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ((لا تعجب يا أخا اليمن ، بل تعدل حجّتين متقبّلتين زاكيتين مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))) . فتعجّب الرّجل من ذلك ، قال : فلم يزل الصّادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يزيده من فضل زيارته حتى قال له : ((تعدل ثلاثين حجّة مبرورة مقبولة زاكية مع رسول الله

(1) سورة الصّف / 8.

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فقال الرَّجُل : إذا كان هذا فضل زيارة الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فو الله ، لا أفارقه حتى أموت . قال : ولم يزل الرَّجُل لا تئداً بقبر الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حتى أتاه الموت .

فتفكروا يا إخواني في هذا الشخص الرباني ، كيف تجرأ عليه أهل الضلال وبارزوه بالحرب والقتال ، وسارعوا إليه بالسيف والرماح وصادموه في ميدان الكفاح ، فقالوا لا براح ولا سعة ولا فساح ، كأثمهم قد نسوا المعاد إلى رب العباد . فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النادبون ، وملتلهم تذرف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم فيهم وقال :

القصيدة للشيخ الكامل الدرهمي

وبوجه حنينه وبكائه	خل الحزين بهمه وبلائه
فالبين أوري النار في أحشائه	لا تعذل المحزون تجرح قلبه
لا يستطيع الصبر في إخفائه	إن الشقاء على الحزين مسلط
قد ملت العواد من إبتائه	يكفيك عن عدل الحزين سقامه
وتفرقوا لم يظفروا بشفائه	وتجمعت كل الأطببا حوله
عجزوا وما قدروا على استشفائه	وتعاهدوا كتباً لهم مخزونة
يخفي لعل العذل في إخفائه	فهو المحن لما تضمن صدره
ويذيعه سرراً إلى أمنائه	يخفي من الأعداء ما في نفسه
عما يحسن ليعلموا بأذائه	فاستخبروه ذوا البصائر والتقوى
وبجملة النعماء من آلائه	قالوا له يا صاح بالله أنبتنا
تحفي لعل البر في إبدائه	ما الذي تشكوه من ألم وما
لا ينكر المقدر من إمضائه	قالوا اسمعوا الله أكرم عادل
هد البلاء لصخره وشفائه	لو نال رضوي بعض ما قد نلته
إلا الحسين مغسلاً بدمائه	والله ما أجرى الدما من قلتي
أم للجواد أنسوح أم لنسائه	أبكي له أم لليتامى حوله
عافوا الحياة وطيبها لفدائه	أم أسكب الدمع المصون لفتية
أعجاز نخل جثم بفنائيه	فكأنه طود هوى وكأثمهم

يا عين سححي للغريب واسكبي
وابكبي لزئيب إذ رأته مجدلاً
عريان مبتول الجبين مجرحاً
لهفي له والشمر يقطع رأسه
والمهر يندببه ويلثم نحره
قتل الحسين وهتك نسوانه
فلأبكينك يابن بنت محمد
وزيدي حزنأ ويسهر مقلتي
اسفاده عن ابن عباس التقي
قال : اجتمعنا والنبي جليسا
قد طيبت كل البقاع بطييه
في غبطة بالقرب منه فبينما
فإذا بسبطيه الكرام وكف ذا
وهما يجيران النذول غوافلا
فأهما الهادي النبي بنعمة
فتظاهرت زفراته وتحادرت
حزنأ وقال بجرقة وكأبوة
يعزز عليّ ومن توالى ملتي
ما يلقى من الإهانة والأذى
فدعاها فتساقطا في حجره
فترشف الحسن الزكي وضمه
وأتى إلى نحر الحسين وشمه
فبكى الحسين وسرها في نفسه
نحو البتول فساء ما قد ساءه
فأتت تقبله وتمسح دمه
وتقول والعبرات تسبق نطقها

وتعودي سهر الدجى لعائمه
فوق الصعيد مغفراً بدمائه
واحسرتاه لذلته وعرائمه
وخيلهم تجري على أعضائه
ويقول عاري السرج في بيده
وغدا يباح المحتمي بحمائه
حتى يذوب القلب عن أفضائه
خير روى الصدوق من رؤائه
أكرم به وبزهده وتقائه
وشعاعه يعلو على جلسائه
وتلامعت حيطانها بضياؤه
بعض يهني بعضنا بولائه
في كف ذا يسراه في يمنائه
كل يصول بجده وآبائه
فتنفس السعداء من سعدائه
عبراته سحاً لعظم بلائه
ودموعه كالسيل في إجرائه
من كل بر ماحض بولائه
بعدي وقلبي واله بشجائه
فرحاً به ولذاة بلقائه
مترشف الشفتين لشم لمائه
والدمع يسقيه بساكب مائه
وغدا يهرول مسرعاً بخطائه
فاستعبرت وتحسرت لبكائه
ودموعها كالغيث في إهمائه
يا من حياتي اردفت ببقائه

ماذا الذي يبكيك يا من حبه
قال الحسين كان جدّي ملني
جننا أنا وأخي إليّه نـزوره
وأتى إلى نحري وأعرض عن فمي
وأنا أظن بأن ما فيّ من
فتخمرت ست النساء ويممت
في الذيل عائرة ومعها إبنها
يكون قال لهم فما هذا البكا
قالت حبيبي كيف تكسر خاطري
قال النبي لها بقلب موجع
قالت بحقك يا أبتاه أبنه لي
فبكى وأطرق ساعة مسترجعاً
فتعاهدتّه فقـال ربي عالم
أما ترشف شبر في فيه قد
وترشف في نحر الحسين فإنّه
فجعلت ألسنم ذا موضع سمّه
فتجسرت ست النساء بحرقه
فأتت تقبله وتلثم نحره
حزناً وتلطّم خدها وتقول ذا
يا قرة العينين يا ثمرة الحشا
إن كان في زمي أقممت عزائه
ونشرت شعري فوق كتفي شاملاً
قال النبي إذا مضينا كلنا
بئس الزمان ومن تولى أمره
قالت بأي الأرض يقطع رأسه
قال النبي يكون ذا بحرم

في القلب مشتمل على إقصائه
ما كنت قبل معوداً لجفائه
فدعا الزكي وشمه في فائه
إعراض من أبدي عظيم جفائه
شيء يخاف الجدم من لقيائه
نحو النبي شجوة لشجائه
فأهما المختار من خلصائه
يا صفوة الرحمن من خلصائه
لم لا تقبل شبراً كأخائه
سر أخاف عليك من ابدائه
وبحق من أنشئت في نعمائه
والدمع يسقيه بساكب مائه
والكلل في تدييره وقضائه
ظلماً يذوق السم من أعدائه
بالسيف ينحرننا زخا بظمائه
وأشتم ذا في نحره لأذائه
أسفأً عليه ولوعه لعزائه
والجيب قد مزقته عن أقصائه
لهفي عليه وخيبي لربائه
هل في زماني أم زمان آبائه
وصبغت ثوبي من نجيع دمائه
وندبتّه يا أب في يتمائه
دار المنون عليه قطب رحائه
فالغوث كل الغوث من ولائه
وبأي شهر كان كون فنائه
في يوم عاشوراء شنيع نعائه

ويكون مصرعه المهول بكربلا
قالت غريباً قال أعظم غربة
فبكت وقالت واثماتة حاسدي
من ذا يغسله ويحمل نعشه
من يكفل الأيتام بعد وفاته
فبكي الحسين وقال رزئي فادح
فاتى الأمين إلى الأمين يقول قد
أن قل لسيدة النساء بأنني
النناهظين إلى منازل كربلا
الساكين دموعهم لمصابه
يتوالدون فينسولون أطائباً
ويقوم قائم آل محمد قد
قال الحسين فما يكون جزاءهم
قال النبي أنا أكون شفيعهم
قال الوصي أنا الذي أسقيهم
قالت حبيبة أحمد فوحق من
فلأوقفن وشعر رأسي ناشر
حتى يشفعني إلهي فيهم
قال الحسين وحق من خلق الورى
لا أدخل الجنات حتى يدخلوا
يا أيها الزوار مشهد كربلا
فلكل عبد حجة مبرورة
ولكم بما أنفقتم من درهم
في جنة الفردوس ألف مدينة
ولمن بكاه تفجعاً لمصابه
في الحشر قصر لا يقاس علوه

ومصارع الأنصار في صحرائه
قالت وحيداً قال من نصرائه
واصفوة الجبار من خصلائه
من ذا يوارى جسمه بثرائه
من ذا يقيم مأتماً لعزائه
فتصارخوا أهل العبا لبكائه
أوحى إليه العرش في أنحائه
أنشي كراماً شبيعة لعزائه
الخايطين غبارها لهوائه
المظهرين الحزن عن أقصائه
حتى يصير الحق في ولائه
ويطير طير النصر فوق لوائه
عند الإله غداة يوم جزاءه
وأجيب كلاً منهم بندائه
يوماً يفتر المرء من ابنائه
ريبت منذ أنشئت في نعمائه
والجيب ممزوق إلى أقصائه
وعد كلاً منهم برضائه
طراً وسقف أرضه بسمائه
والله يهدي من يشأ بهدائه
كل يقصر منكم لخطائه
في كل ما يخطوه من مسعائه
في جنة حرصاً على إبتائه
في قصرها الإعلاء من إعلائه
وتأسفاً بالحزن عن أقصائه
در ومرجان بحسن جزائه

وجميع أملاك السما يستغفروا
يا رب مد الدرهمي بسوؤه
صلّى الإله على النبي محمد
الطيبين الطاهرين من الخنا
لكم ومن ظل لكم بسماه
عجلاً وبلغه جميل رجائه
وعلى الكرام الغر من أبنائه
سفن النجاة لمن حضى بولائه

الباب الثاني

أيها المؤمنون الأخيار والأتقياء الكرام الأبرار ، تفكروا فيمن تعدى على العترة الأطهار وذرية النبي المختار ، كيف أذاقوهم الحتوف بأرض الطّفوف ، فكّم من جسد مرمل بالدماء ، وكّم من كبد محترق من الظّماء والماء من حوله قد طمي ، وكّم من رأس شريف على السنّان ، وكّم من كريم يسام الخسف والهوان ، وكّم من معولة حاسرة ، وكّم نابذة بشعرها ناشرة ، وكّم من ربة خدر بارزة كاهلال مبذولة الوجه أسيرة على أفتاب الجمال ، وكّم من قلب يحنّ ، وكّم من جسم يأنّ ، وكّم من طفل مذبوح ، وكّم من دم لرسول الله مسفوح ! فيا حرّ قلبي لما جرى للآل من الكفرة الفجرة الأنذال ، حسدوهم على معاليهم حيث عجزوا عن الوصول إلى ما أودعه الله فيهم ، فحملتهم تلك الأحقاد على المعصية والعناد والزّيغ عن طريق الرّشاد والسّداد:

يغيضهم كغيضهم بنقصهم وليس لأهل الفضل ضد سوى الجهل

فما لي لا أندب تلك الأوطان وأسكب دموعي على سادات الزّمان ، الممدوحين في محكم القرآن على لسان النبي الكريم الصّادق العليم ؟

روي عن رسول الله (ﷺ) أنّه خرج في سفر له ، فلمّا كان في بعض الطّريق ، إذ وقف جواده ، فقال : ((إنّ الله وإنّا إليه راجعون)) . ثمّ دمعت عيناه وبكى بكاء شديداً ، فسئل عن ذلك ، فقال : ((هذا جبرائيل يخبرني عن هذه الأرض يُقال لها كربلاء ، يُقتل فيها ولدي الحسين (عليه السلام) ، وأني أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه ، وكأني أنظر إلى السّبايا على أفتاب المطايا ، وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله ، فو الله ، ما ينظر أحد إلى رأس الحسين (عليه السلام) ويفرح إلّا خالف الله بين قلبه ولسانه وعدّبه عذاباً أليماً)) .

ثمّ رجع النبي (ﷺ) من سفره ؛ مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً ، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين وخطب ووعظ النّاس ، فلمّا فرغ

من خطبته ، وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين (عليه السلام) ، وقال : ((اللهم ، إنَّ مُحَمَّدًا عبدك ورسولك ، وهذان أطائب عترتي وأرومتي وأفضل ذريتي ومن أخلفهما في أمتي ، وقد أخبرني جبرائيل أنّ ولدي هذا مقتول بالسّم والآخر شهيد مضرّج بالدم . اللهم ، فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء . اللهم ، ولا تبارك في قاتله وخاذله واصله حرّ نارك ، واحشره في أسفل درك الجحيم)) .

قال : فضجّ النَّاس بالبكاء والعيول ، فقال لهم النَّبي (ص) : ((أيّها النَّاس ، أتبكونه ولا تنصرونه؟! اللهم ، فكُن أنت له ولياً وناصرًا)) . ثمّ قال : ((يا قوم ، إنّي مُخَلَّف فيكم الثَّقَلين ، كتاب الله ، وعترتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرة فؤادي ومهجتي ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ألا وإنيّ لا أسألكم في ذلك ، إلّا ما أمرني ربّي أن أسألكم عن المودة في القُربى ، واحذروا أن تلقوني غدًا على الحوض وقد أذيتم عترتي وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم ، ألا إنّه سترد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأُمَّة ، الأولى : راية سوداء مُظلمة قد فرغت منها الملائكة ، فتقف عليّ ، فأقول لهم : من أنتم ؟ فينسون ذكري ويقولون نحن أهل التّوحيد من العرب . فأقول لهم : أنا أحمد نبيّ العرب والعجم . فيقولون : نحن من أمتك . فأقول : كيف خالفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربّي ؟ فيقولون : أمّا الكتاب فضيّعناه ، وأمّا عترتك فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض . فلما أسمع ذلك منهم ، أعرض عنهم وجهي ، فيصدرون عُطاشاً مسودّة وجوههم .

ثمّ ترد عليّ راية أخرى أشدّ سواداً من الأولى ، فأقول لهم : كيف أخلّفتموني من بعدي الثَّقَلين ؛ كتاب الله وعترتي ؟ فيقولون : أمّا الأكبر فخالفناه ، وأمّا الأصغر فخذلناه ومزقناه كلّ ممزق . فأقول : إليكم عنيّ . فيصدرون عُطاشاً مسودّة وجوههم . ثمّ ترد عليّ راية يلمع وجوههم نوراً ، فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل كلمة التّوحيد والتّقوى من أُمَّة مُحَمَّد المُصطفى ، ونحن بقية أهل الحقّ ، حملنا كتاب الله ربّنا وحلّلنا حلاله وحرّمنا حرامه ، وأجينا ذريّة نبيّنا (صلى الله عليه وآله) ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا . فأقول لهم : أبشروا فأنا نبيّكم مُحَمَّد ، ولقد كنتم في الدُّنيا كما قلتم ، ثمّ أسقيهم من حوضي ، فيصدرون مرويين مستبشرين ، ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبد الآبدين)) .

وعن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، أنّه كان يقول وهو في أسر بني أميّة : ((أيّها النَّاس ، إنّ كلّ صمت ليس

فيه فكر فهو غيبي ، وكلّ كلام ليس فيه ذكر فهو هباء ، ألا وإنّ الله تعالى أكرم أقواماً بأبائهم ، فحفظ الأبناء بالأبَاء لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (1) فأكرمهما ، ونحن والله عترة الرسول (ﷺ) فأكرمونا لأجل رسول الله ؛ لأنّ جدّي رسول الله (ﷺ) كان يقول فوق منبره : احفظوني في عترتي وأهل بيتي ، فمن حفظني حفظه الله ، ومن آذاني فعليه لعنة الله . ونحن والله أهل بيت أذهب الله عنّا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ونحن والله أهل بيت اختار الله لنا الآخرة ، وزوي عنّا الدنيا ولداتها ولم يمتنعنا بلداتها ((.

فيا إخواني من أهل العقول ، كيف ترضون بالدنيا داراً بعد آل الرسول ؟ أم كيف تتخذون فيها لأنفسكم قراراً بعد أولاد البتول ؟ مع ما فيها من الهموم والغموم والابتلاء والالتواء ، وقد ورد ذمّها في الخبر عن سيّد البشر ، روى سلمان الفارسي قال : كنت يوماً عند رسول الله (ﷺ) فبدأ يذمّ الدنيا ، فقال : ((يا سلمان ، قال الله تعالى ما خلقت خلقاً أبغض عليّ من الدنيا)) . ثمّ قال : ((لو كانت الدنيا وما فيها تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء أبداً)) . ثمّ قال لي : ((يا سلمان ألا أريك الدنيا وما فيها ؟)) . قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بيدي وأتى إلى مزبلة من مزابل المدينة ، وإذا فيها ؛ خرق كثيرة وخزف وعظام وعذرات وقذرات كثيرة ، فقال لي : ((يا سلمان ، هذه الدنيا وما فيها وعلى هذا يحرص الناس ، وهذه العذرات ألوان أطعمتهم التي اكتسبوها من الحلال والحرام ، ثمّ قذفوها من بطونهم ، وهذه الخرق البالية كانت زينتهم ولباسهم فأصبحت الرياح تصفّقها يميناً وشمالاً ، وهذه العظام عظام دوابهم وأنعامهم وأغنامهم التي كانوا يتشاجرون عليها ، وهذه الخزف كانت أوانيهم التي كانوا يأكلون ويشربون فيها ، فهذه الدنيا وهذا مُنتهاها ، فمن ركن إليها ندم ، ومن تجنّب عنها غنم وسلم)) :

هون الدنيا وما فيها عليك	واجعل الهم لما بين يديك
إن هذا الدهر يديك إلى	ملك الموت ويديته إليك
فاجعل العدة ما عشت له	إنه يأتيك إحدى ليلتيك

فيا إخواني ، لا يفتنكم إقبال الدنيا على أعداء الرسول بعدما علمتم حالها إلى هذا يؤول ، وعليكم بتقوى الله ولا قوّة إلاّ بالله ، وتفكّروا فيما ابتلى الله به هذا القبيل ، ليس على سبيل الهوان بل على سبيل التفضيل ، فلو بكيتم عليهم بدل

(1) سورة الكهف / 82.

الدموع دماً , وجعلتم العمر كله مائماً , لكان أقلّ القليل لهذا الخطب الجليل :

ومن العجائب بعد قتل المجتبي تسي كما تسي بنات الأصفر
نسل النبي المصطفى وحرمة تسي كما تسي بنات الأصفر
ويشـهرون ويلبسـون مدارعاً ومقانعاً من بعد سلب المعجر
ويسـيرون على المطايا كالأمـا بين الماء وبكل واد مقفر

روي : أنّ الحسين (عليه السلام) لما رأى اشتداد الأمر عليه وكثرة العساكر عاكفة عليه كلّ منهم يُريد قتله , أرسل إلى عمر بن سعد يستعطفه ويقول : ((أريد أن ألقاك فأخلو معك ساعة)) . فخرج عمر بن سعد من الخيمة وجلس مع الحسين (عليه السلام) ناحية عن الناس فتناجيا طويلاً , فقال له الحسين (عليه السلام) : ((ويحك يا بن سعد ! أما تتقي الله الذي إليه معادك , أراك تُقاتلني وتُريد قتلي وأنا ابن من قد علمت , ذر هؤلاء القوم واتركهم وكن معي ؛ فإنه أقرب لك إلى الله تعالى)) . فقال له : يا حسين , إنّي أخاف أن تُهدم داري بالكوفة وتُنهب أموالي . قال له الحسين (عليه السلام) : ((أنا أبني لك خيراً من دارك)) . فقال : أخشى أن تؤخذ ضياعي بالسّواد . فقال له الحسين (عليه السلام) : ((أنا أعطيك من مالي البغية)) . - وهي : عين عظيمة بالحجاز . وكان معاوية أعطاه في ثمنها ألف ألف دينار من الذهب فلم يبعه إيّاها - فلم يقبل عمر بن سعد شيئاً من ذلك , فانصرف عنه الحسين (عليه السلام) وهو غضبان عليه وهو يقول : ((ذبحك الله يا بن سعد على فراشك عاجلاً , ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك , فو الله , إنّي لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلّا قليلاً)) . فقال عمر بن سعد - مستهزئاً - : يا حسين , إنّ في الشّعير عوضاً عن البرّ . ثمّ رجع إلى عسكره , فجاء برير بن خضير الهمداني الزّاهد العابد , وقال : يا بن رسول الله , أتأذن لي أن أدخل إلى خيمة هذا الفاسق عمر بن سعد فأعظه ؛ فلعلّه يرجع عن غيّه . فقال الحسين (عليه السلام) : ((افعل ما أحببت)) . فاقبل برير حتّى دخل على عمر بن سعد , فجلس معه ولم يُسلم عليه , فغضب ابن سعد وقال له : يا أخاهمذان , ما الذي منعك من السّلام عليّ , ألسنت مُسلماً أعرف الله ورسوله؟! فقال له برير : لو كنت مُسلماً تعرف الله ورسوله , ما خرجت إلى عترة نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) تريد قتلهم وسبيهم , وبعد , فهذا ماء الفرات يلوح بصفائه يتلألأ تشربه الكلاب والخنازير , وهذا الحسين (عليه السلام) ابن فاطمة الزّهراء ونسائه

وعياله وأطفاله يموتون عطشاً ، قد حلت بينهم وبين ماء الفُرات أن يشربوا منه ، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله؟! قال : فأطرق ابن سعد رأسه إلى الأرض ساعة ، ثم قال : والله يا بربر ، إنني لأعلم علماً يقيناً أنّ كل من قاتلهم وغصب حقهم مُخَلد في النار لا محالة ، ولكن يا بربر ، أتشير عليّ أن أترك ولاية الرّي فتصير لغيري ، والله ما أجد نفسي تجيبي إلى ذلك أبداً.

قال : فرجع بربر إلى الحسين (عليه السلام) وقال له : إنّ عمر بن سعد قد رضي بقتلك بولاية الرّي . فقال الحسين (عليه السلام) : ((لا يأكل من برّها إلا قليلاً ويذبح على فراشه)) .

وكان الأمر كما قال الحسين (عليه السلام) ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ مقلب ينقلبون ، وعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ومثلهم تذرّف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الدرّمكي

جواهر الفكر تزري لؤلؤ الصدف	وكل ذي دنف يرزي به دنف
هـلا حـيـت يواسـيـني ويسـعدني	على مصابي لأهل المجد والشرف
لأن حـزني لهم لا ينقضي أبداً	لومات جسمي به أودعته خلف
يا لائمـي في مصابي كف لومك قد	أتعبت نفسك يا مغرور في عنف
فالغيث والسبعة الأبحار قد خلقوا	من دمع عيني سجع الطير من شغف
والوحش من وحشتي والموت من سقمي	والريح من زفرتي والموت من أسف
يحق لي سكـب دمـع العين إذ نظرت	هلال عاشور موفيا وغير وفي
أمثل السبـط في أرض الطفوف وقد	دارت عليه رحى الأعداء بالتلف
من بعدما قتلت أصحابه ومضوا	معطشين وحر الصيف لم يصف
يا ليتني ذقت طعم الموت دونهم	لما أخصهم الرحمن من زلف
لهفي لسبـط رسول الله بعـدهم	يجود بالنفس بين البيض والحجف
يخوض بحر المنايا وهو محتطف	الأبطال بالسيف يردي كل محتطف
فـعـنـدها أحرقوا من حوله زمراً	وصار كالصارم المصقول في الغلف
كل يهـز القنـا ويطعنه	ما بين متفق فيه ومختلف
حتي رموه بسهم في مقاتله	فخر من سرجه هاو على الأنف

يا فجعة فجعت آل الرسول ومن
كأنهم كسبوا إثمًا فحاق بهم
وزادني ما روت أهل البصائر عن
إذا قال كنت مقيمًا بالشام إذا
والجو مستحكك الأفاق منطبق
فقال ما هذه الأعلام قيل أما
فحين عاينت رأس السبط يتبعه
لطمت وجهي وبان الصبر من جلدي
يعزز على المصطفى المختار حالكم
وأقبلوا بالسبايا والرؤوس إلى
ومد طرفاً إلى سي الكرام رأى
فقال من هذه الحسنى التي ملكت
قالوا سكينه بنت الخارجي من
فقال كيف رأيت السي قالت صه
اسمع مني ما رأيت عيناى إذ نظرت
فالنطق أعوزها والدمع عاجلها
قالت نعم بينما صليت إذ هجعت
وأسبل الدمع من عينيه غرقني
فالرأس والقلب والأحشاء عندكم
ما حال ابني من عظيم السقام لعلي
وكل حزن حواه الخلق مقترف
فمن تباكى وأبكى أو بكى لكم
فقلت يا أبتا حال يشيب له
وراح عني وخلي النار في كبدي
قصر شرائفه الياقوت ملتمع
وفي ذراه وصيف قلت اخبرني

والاهم صار منها في شفا جرف
أو خالفوا ما أوحاه الله في الصحف
زيد بن أرقم في قول بلا خلف
بالناس في رجف يعلو على رجف
والبدر محترق والشمس في كسف
ترى الرؤوس على الخطية الألف
رؤوس أنصاره والسي في طرف
وقلت يا ابن رسول الله وأسف
يا سادتي وعلى المدفون بالنجف
نحوه اللعين يزيد الكافر الجنف
بنت الحسين تغطي الوجه بالكتف
وجهاً كبدر على كما الألف
جميع ملكك منه يا أمير عفى
أليس قلبك منا يا لعين شفي
في ليلتي هذه قال اللعين صفي
فقال قصي لنا الرؤيا ولا تخفي
عيبي إذ بأبي قد جء مرتشف
وقال ها حالكم من بعد منصرف
والجسم سلو بأكناف الطفوف نفي
الجسم عنه من السقم الشديد شفي
وحزن قلبي عليكم غير مقترف
أولى ضمنت له في الخلد بالزلف
رأس الرضيع ويرمي الطفل بالجرف
وعاينت مقلتي أيضاً كأني في
بالنور يرصف يزري كل مرتصف
يا ذا الوصيف لمن ذا القصر ذو الشرف

فقال هذا لمولانا الحسين معاً
فسرت أسعى وأصغي ما يقول به
وجوههم تتلأأ كالبدور وفي
بيكي وكفاه طوراً فوق لمتيه
إذا بكى بكت الأشياخ وانتحبوا
فقلت بالله يا هذا الوصيف فمن
فقال ذا آدم أب العباد وذا
ذلك موسى بن عمران الكلبي وذا
وذا الذي بلطى الأحزان محترق
بيكي لما نالكم حزناً فقلت ألا
يا جد لو عاينت عيناك ما صنعت
ولو رأيت أبي في الترب منجدلاً
ولو ترانا نخوفه الإله على
ولو ترانا على الأجمال في عنف
مكشفات النواصي لا نصير لنا
ولو ترى ضربنا بالسوط إن عثرت
فعتها صار جدّي ذاهلاً صعقاً
هذا يكون جزائي إذ نصحت لهم
فبينما هو يدينني ويلثمني
عليهم حلال الأحزان قد برزوا
أثوابها بسواد الحزن قد صبغت
قد عطرت بتراب الأرض مفرقتها
فقلت بالله يا هذا الوصيف فمن
فقال هاتيك حوا يا سكينه والأخرى
ومريم بنت عمران وسارة الأخرى
وهذا الكبد الحري التي جمعت

سيرى اخبرك ما في القصر من طرف
إذ نخبة أشياخ بلا لحف
أوساطهم تاكل ذو مدمع ذرف
وتارة يمسك الاحشا من الضعف
لما به من أذى الأحزان والنحف
هذي المشايخ مع ذا الشيخ ذو الدنف
نوح وذاك خليل الله خير وفي
عيسى المسيح بلا شك ولا خلف
محمد المصطفى عيسى بصفي
يا جد أخبرك نور للإله طففي
بنا أمية بعد العز والشرف
والشمر يذبحه قهراً بلا رثف
قتل الحسين فلا يخشى ولم يخف
بلا وطاء ولا ستر ولا عطف
كأننا سلف من أسقط السلف
بنا المطي وما نلقى من العنف
وقال وا حر قلبي واشقاً خلف
لا قدس الله أهل الظلم والسرف
إذا بجمس نساء داخل الغرف
وبين تلك النساء ذو مدمع ذرف
تنوح والشعر منشور على الكتف
والجيب ممتزق والقلب فيّ وجف
هذي النساء ابن لي والضمير نفي
خديجة في التقوى فلا تصف
آسية ذو الفضل والعطف
كل المصائب لا تهدئ ولم تقف

تنسوح طهوراً وتبكي تارة وإذا
بنيت الرسول أمين الله فاطمة
فمذ تحققتها قلت السلام على من
قالت سكينه قلت الحزن سكينه
قالت وما حالكم بعد القتل ومن
فقلت لا تسألني عن حالنا وسلي
زواره الوحش والأملك تندبه
قالت أحرقني قلبي يا سكينه من
فقلت شمر فقالت آه وا والدي
لم لا فديتنه طهوراً بأنفسكم
فقلت لو قبل الأعداء له بدلاً
قالت ألا وا حبيبي أضني جسدي
رييته وهجرت الغمض فيه ولا
من كان غامضه من كان غاسله
ومن تقدم في وقت الصلاة ومن
لأبكينك طول العمر يا ولدي
من كان دافنك تحت التراب هل رفقت
دفنت جسماً بلا رأس ولا كفن
ومن ترى كفلاً أيتام النبي ومن
يا آل طهه ويا سفن النجاة ويا
هواكم في قلوب المؤمنين له
أنا العبد الضعيف الدرهمي ومن
لا تسلموني إذا ما قمت من جدتي
وأنقذوني من النيران يا عددي
يوم يقول إلهي للجحيم هل إمتلأت
تقول هل من مزيد يا إله ولو

هاج المصاب تعض الكف بالأسف
تبكي أباك قتيل الكافر الجلف
نور مقلتها تحت الظلام خفي
في حرقه ما وراه قاط من حرف
أحني عليكم بكف الجود واللطف
عن الذبيح الذي بأرض الطفوف نفي
وجسمه بسواقي السافيات سفي
حز الوريدين لن يخشى ولم يخف
راح العزيز وخلصي الحزن مؤتلف
أنتم أحق وأولى منه بالتلف
كنا فداء له كلا على خلف
لا قدس الله أهل البغي والسرف
أدري بأن زماني فيه ليس يفي
من كان دارجه في القطن واللف
سعى إلى قبره النائي عن النجف
وأقطع الدهر بالتذكار والأسف
كفاه بالجسد المحطوم بالجف
ولا حنوط ولا غسل بمعترف
بأمره قام مثل الوالد العطف
خير البرية من باد ومعتكف
وقع لأمكم من أظهر النطف
بمدحك يا بني خير الوري كلف
والعين ذو مدمع والقلب في وجف
يوم التغابن والزلال والمخف
يا نار من أعداً انتصف
لاحب حيدر كان الكل في كنف

لكن أمري إلى زوج البتول فمن
هو القسم وقسام النعم فلا
صلى الإله على الهادي وعترته
ما لاح نجم وما سارت بمهجته
يشاء قال خذي أو شاء قال عفي
يجوز في حكمه كلا ولم يحف
أهل الحمية والإحسان والأنف
أو صاح طير على الأغصان والعطف

الباب الثالث

أيها المؤمنون المتقون ، اسكبوا ماء العيون من مقرحات الجفون ، وتساعدوا على الندب والعيول ، ونوحوا لفقد من اهتز له
عرش الجليل ، واسكبوا العبرات على الغريب القليل ، فليتنى كنت أذود عنهم خطوب الحمام ، وأدفع عنهم تلك الكروب العظام
ومواقع تلك الآلام ؛ حتى أقضي حق جدّهم المرسل وأحول بينهم وبين القدر المنزل.

فنجح أيها المحب لآل الرسول على مصاب أبناء الرسول ، وابك عليهم بالدموع السّجام ؛ لأنهم الرؤساء الأعلام ، لعلك
تواسيهم في المصاب ، بإظهار الجزع والإكتئاب والحنين والإلتحاب ، فوا عجباه كيف يرافق بهم رسول الخلائق ويقع بهم أهل
الكفر والنفاق؟! ما هو إلا شيء تكاد السماوات أن تتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدأً :

كيف صبر المحب وهو يرى
الأحباب بعد عزة وجلال
وحبيب الحبيب بين قتيل
وجريح وموثق بالحبال
ووجوه لا تنظر الشمس إلا
حذراً أن يفوت وقت الزوال
مسفرات من بعد ستر حجاب
مبديات من سجع بعد حجال

حكى عن سلمان الفارسي قال : خطب فينا رسول الله (ﷺ) يوم الجمعة خطبة بليغة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ((
أيها الناس ، إني راحل عن قريب ومنطلق للمغيب ، وإني أوصيكم في عترتي خيراً ، فلا تخالفوهم ولا تخاصموهم ولا تناذوهم ،
وإياكم والبذع ، فإن كل بدعة ضلالة والضلالة أهلها النار . معاشر الناس ، من افتقد منكم الشمس فليتمسك بالقمر ، ومن
افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين ، وإن افتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والحمد
لله رب العالمين)) . ثم نزل عن منبره وسار إلى

منزله .قال سلمان : فتبعته حتى دخل حجرته وأنا معه , فقلت : يا رسول الله , سمعتك تقول : ((إذا فقدتم الشمس فتمسكوا بالقمر , وإذا فقدتم القمر فتمسكوا بالفرقدين , وإذا فقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة)) .فما الشمس وما القمر وما الفرقدان , وما النجوم الزاهرة ؟ فقال النبي : ((أنا الشمس وعلي القمر , فإذا فقدتموني فتمسكوا به , وأما الفرقدان فهما الحسن والحسين , فإذا افتقدتم القمر فتمسكوا بهما , وأما النجوم الزواهر , فهم الأئمة التسعة من نسل الحسين تاسعهم قائمهم)) .ثم قال (ﷺ) : ((إنهم هم الأولياء والأوصياء والخلفاء من بعدي , أئمة أبرار وأوصياء أطهار , وهم بعدد أسباط يعقوب (عليه السلام) وعدد حوارى عيسى وعدد نُبَاء بني إسرائيل)) .فقلت : سمهم لي يا رسول الله , فقال : ((أولهم وسيدهم علي بن أبي طالب وسبطاه بعده , وبعدهما علي بن الحسين زين العابدين , وبعده محمد الباقر للعلم , وبعده الصادق جعفر , وبعده الكاظم موسى سمي النبي بن عمران , والذي يُقتل مسموماً بأرض العُربة على دينه وإيمانه وإنه علي بن موسى الرضا , وابنه محمد الجواد , والصادقان علي والحسن , ثم الحجة القائم بالأمر المنتظر .فإنهم ؛ عترتي ولحمي ودمي ونحبي وعظمي وعروقي , علمهم علمي وحكمهم حكمي , فمن آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي يوم القيامة)) :

ورزء على الإسلام منه خمـول	فـلله أمر فـادح شـمل الـورى
عـظيم على أهل السـماء ثـقيل	وخطـب جـليل جـل في الأرض وقـعه
وأبنـاء حـرب في الـديار نـزول	بنـو الـوحي في أرض الـطفوف حـواسـر
على النـزل مأسـور اللثام عـليل	ويـسـري بـزين العـابـدين مـقيـداً
يـزيـد في الـطف الحـسـين قـتـيل	ويـصـبح في نـخت الخـلافـة جـالساً
إمـام لـخـير الأنبيـاء سـليل	ويـقتـل ظـلماً ظـامياً سـبطاً أحمـد
وقـرة عـين للنـبي رسـول	حـيب الـنـبي المـجتـبى خـامـس العـبا
وقـلبـي إلـيكم بالـولاء يـميل	أمـولاي أمـالي تـؤمـل نصـركم
أمـا آن للظـلم المـقيم رحـيل	وقـد طـال عـمر الصـبر في أخـذ ثـاركـم
فـؤادي بـالأم المـصـاب عـليل	مـتى يـنطـوي حـر الغـليل ويـشـتـفي
لها النـصر جنـد والأمان دـليل	ويـجـير هـذا الكـسر في ظـل دولـة
بـه الظـلم حـتماً والعـناد يـزول	ويـنشـر للمـهدي عـدل وينطـوي

هناك يضحى دين آل محمد
عزيراً ويمسي الكفر وهو ذليل
فيا آل طه الطاهرين رجوتكم
ليوم به فصل الخطاب طويل
عليكم سلام كل ما ذكر اسمكم
وذاك مدى الأيام ليس يزول

روي عن أم أيمن (رضي الله عنها) ، قالت : مضيت ذات يوم إلى منزل ستي ومولاتي فاطمة الزهراء (عليها السلام) ؛ لأزورها في منزلها ، وكان يوماً حاراً من أيام الصيف ، فأثيت إلى باب دارها ، وإذا أنا بالباب مغلق ، فنظرت من سقوف الباب ، وإذا بفاطمة الزهراء (عليها السلام) نائمة عند الرّحى ، ورأيت الرّحى تطحن البرّ وهي تدور من غير يد تديرها ، والمهد أيضاً إلى جانبها والحسين (عليه السلام) نائم فيه ، والمهد يهتزّ ولم أر من يهزّه ، ورأيت كفاً يُسبّح لله تعالى قريباً من كفّ فاطمة الزهراء . قالت أم أيمن : فتعجّبت من ذلك ، فتركتها ومضيت إلى سيدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلت له : يا رسول الله ، إنّي رأيت عجباً ما رأيت مثله أبداً ، فقال لي : ((ما رأيت يا أم أيمن ؟)) . فقلت : إنّي قصدت منزل ستي فاطمة الزهراء ، فلقيت الباب مغلقاً وإذا بالرّحى تطحن البرّ وهي تدور من غير يد تديرها ، ورأيت مهد الحسين (عليه السلام) يهتزّ من غير يد تهزّه ، ورأيت كفاً يُسبّح لله تعالى قريباً من كفّ فاطمة ولم أر شخصه ، فتعجّبت من ذلك يا سيدي . فقال : ((يا أم أيمن ، اعلمي أنّ فاطمة الزهراء صائمة وهي متعبة جائعة والزمان قيّض ، فألقى الله عليها التعاس فنامت ، فسبحان من لا ينام ، ووكل الله ملكاً يطحن عنها قوت عيالها ، وأرسل الله ملكاً آخر يهزّ مهد ولدها الحسين ؛ لئلا يزعجها من نومها ، ووكل الله ملكاً آخر يُسبّح لله عزّ وجلّ قريباً من كفّ فاطمة ، يكون ثواب تسبيحه لها ؛ لأنّ فاطمة لم تغتر عن ذكر الله عزّ وجلّ ، فإذا نامت جعل الله ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة)) . فقلت : يا رسول الله ، أخبرني من يكون الطّحان ومن الذي يهزّ مهد الحسين ويناغيه ومن يُسبّح ؟ فتبسّم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضاحكاً وقال : ((أمّا الطّحان فجبرائيل ، وأمّا الذي يهزّ مهد الحسين فهو ميكائيل ، وأمّا الملك المُسبّح فهو إسرافيل)) :

أتسبل دمع العين بالعبرات
وتبكي لآثار لآل محمد
وبت تقاسي شدة الزفـرات
فقد ضاق منك الصدر بالحسرات
ألا فابكهم حقاً وبل عليهم
عيوناً لريب الدهر منسكبات

ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم
سقى الله أجداثاً على أرض كربلاء
وصلّى على روح الحسين حبيبه
قتيلاً بلا جرم فجعلنا بفقده
أنا الظامي العطشان في أرض غربة
وقد رفعوا رأس الحسين على القنا
فقل لابن سعد عذب الله روحه
سأفنت طول الدهر ما هبت الصبا
على معشر ضلوا جميعاً وضيعوا
وداهية من أعظم النكبات
مرايبع أمطار من المزنات
قتيلاً لدى النهرين بالفلوات
فريداً ينادي أين أين حماقي
قتيل ومظلوم بغير ترات
وساقوا نساء وهلى حسرات
ستلقى عذاب التار باللعنات
وأقنت بالإيصال والغدوات
مقال رسول الله بالشبهات

روي : أنّ المتوكل من خلفاء بني العباس كان تحت ملكه (بسرّ من رأى) ، فاستدعى الإمام عليّ الهادي إلى مجلسه ، وأعرض عليه جميع عساكره وحجّابه ونوابه وأرباب دولته ؛ ليرهبه بهم ، وأمر كلّ فارس من جنده أن يملأ مخلّاة فرسه تراباً ويطرّحه في مكان واحد ، فصار كالجبل العظيم وسمّاه (تلّ المخالي) ، وهو حتّى الآن موجود بسرّ من رأى . قال : ثمّ إنّ المتوكل أخذ بيد الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) وصعد معه إلى الجبل ، وقال له : ما أصدعتك معي إلى هنا إلّا لترى خيولي وعسكري وقومي وجندي . وكان قد ألبس عسكره الدروع الجلّية واعتلوا بالرّماح الخطّية وتقلّدوا بالسّيوف الهندية ، وأمرهم أن يعرضوا على الإمام الهادي بأحسن زينة وأتمّ عدّة وأعظم هيبة ، وهو مع ذلك جالس مع الإمام (عليه السلام) ، فقال له الإمام (عليه السلام) : ((يا خليفة الزّمان ، أتحبّ أن أعرض عليك عسكري كما عرضت عليّ عسكري ؟)) . فقال المتوكل : ومن أين لك عسكري مثل عسكري ؟ فإن كان لك عسكري فأرينه ؟ فقال له : ((انظر يمينا)) . فنظر ، فرأى الملائكة بعدد الرّمّل والنّمل وهم محيطون بالدّنيا بصور مختلفة ، وبأيديهم حراب من نار لا يحصي عددهم إلّا الله تعالى ، فغشي الخليفة ؛ من شدّة رعب دخله منهم ، فلمّا أفاق من غشيته ، قال له الإمام : ((يا خليفة الزّمان ، إنّنا نحن لا نشاكركم على زينة الدّنيا وزخارفها ، وإنّا نحن مشغولون عنكم بأمر الآخرة)) .

وكذلك الحسين (عليه السلام) لما أحاط به الكفرة اللّغام بنو

أميَّة ، أنته أفواج كثيرة من الملائكة وفي أيديهم أعمدة من نار وحراب من نار ، وهم راكبون على نجب من نجب الجنة ، وقالوا له : يا حسين ، أنت حجة الله على الخلق بعد جدك وأبيك ، وإن الله عز وجل قد أمدَّ جدك وأباك بنا في سائر الحروب ، وإن الله تعالى قد أمدك بنا ؛ لننصرك على عدوك ، فمرنا بأمرك نقتل عدوك . فقال : ((أما قرأتم قوله تعالى : ﴿لَبَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ (1) ؟ وإن الله تعالى كتب عليّ القتل ، فإذا قتلتهم أعدائي فيما يبتلي الله هذا الخلق المتعوس ؟ ومن ذا يكون ساكناً بحفرتي في أرض كربلاء وقد اختارها الله يوم دحو الأرض ، وقد جعلها معقلاً لشيعتي وزوّاري ، وتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة ؟ ولكن تحضرون عندي يوم العاشر من شهر عاشوراء ، ففي آخره أقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من أهل بيتي ، ويؤسار برأسي إلى يزيد لعنه الله تعالى)) . فقالت له الملائكة : يا بن رسول الله ، لو لا أنّ أمرك طاعة وإنه لا يجوز لنا مخالفتك ، لقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك بسوء أبداً ، حتى لا يبقى على وجه الأرض منهم أحداً . فقال لهم : ((جزيتم خيراً ، ولكن نحن والله أفدر منكم عليهم ، والله على كلّ شيء قدير)) .

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ولملتهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمته الله)

أأمـر بالصـبر أسـرفت في أمـري	أيؤمر مثـلي لا أبـالـك بالصـبر
أني يوم عاشوراء ألام على البكا	ولو أن عيني دمعها من دمي يجر
إذا لم أقم في يوم عاشوراء مأتماً	ولم أندب الأطهار فيه فما عذر
أنسى حسيناً حين أصبح مفرداً	غريباً بأرض الطف في مهمه قفر
وشمر عليه لعنة الله راكب	على صدره أكرم بذلك من صدر
يقطع أوداج الحسين بسيفه	على حنق منه يهـبر بالنحر
برزن نساء السبط يمشين حسراً	على عجل حتى تعلقن بالشمر
وقلن له يا شمر فرقت بيننا	والبستنا ثوب الأسى أبد الدهر
أنقتل أولاد النبي محمد	وترجو بأن تحضى الشفاعة في الحشر

(1) سورة آل عمران / 154 .

وقد فرّ ينعاه إلى الأهل مهـره
هـتكن حجاب الخدر عنهن جهرة
وبادرن حتى إذ رأين مكانه
فلمـا رأين الرأس في رأس ذابل
سقطن على حر الوجوه بدهشة
وقد قبضت أحشائها بيمينها
تضم عليها تارة نحو صدرها
وتدعو حسيناً يا ابن أم تـركتني
أخي لو ترانا في السبايا ولو تر
سأبكيك دهرأً يا بن بنت محمد
متى ينجز الوعد الذي قد وعدته
حقيق على الرحمن إنجاز وعده
قيام إمام لا محالة قائم
لعل ابن حماد يجرد سيفه
فإن قصرت كفـاي عن قتلهم غداً
أيا شـيعة الأطهار صبراً على الأذى
عليكم سلام الله يا آل أحمد

سليلاً فلما أن نظرن إلى المهر
يعز عليهن الخروج من الخدر
وشـيئته مخضوبة من النحر
كبدر الدجى إذ لاح في رابع العشر
وأيقن بالتهتك والسبي والكسر
وقد قبضت إحدى يديها على العشر
وفاطمة الصغرى مدامعها تجر
وفي كبدي ثكل أحر من الجمر
بناتك حـولي بالمدللة والأسر
وأسعد من يبكيك ما مد في عمر
وتأتي به الأجناد في غابر الدهر
وتبلغه حتى نرى راية النصر
يقيم عماد الدين بالبيض والسمر
ويقتص من أعدائه باقي الدهر
سأقتلهم باللعن في محكم الشعر
فإن منال النجح عاقبة الصبر
سلام محب دائم مدة العمر

المجلس الثاني

في اليوم السادس من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

لو صفت أفكار المتفكرين لأشرقت عليها أنوار اليقين ، ولو طلب طريق الحق بالتحقيق لأدرك الطالب سؤاله وخرج عن المضيق ، ولكن كثرة الشوائب يصدر عنها الرأي العازب ، كيف وقد شهد بفضلهم التوراة والإنجيل ومدحهم العظيم الجليل في مُحكم التنزيل .

يا إخواني ، أي شرف أعظم من شرف من يخدم بالملائكة المقربين إلى رب العالمين ، أخلاقهم طاهرة ومعجزاتهم ظاهرة ودولتهم مستمرة دائمة إلى الرشد ، إمام الصادقين البررة قاتل الجاحدين الكفرة ، نور الله في العالمين مدمر التاكثين والقاسطين والمارقين ، أصل الفخار غرة شمس النهار ، شجرة أصلها النبي المختار وفرعها بنوه المعصومون الأطهار ، في مدحه نزل القرآن وفي التمسك به يكمل الإيمان :

كـم بـين مـن شـك في عـقيدتـه و بـين مـن قـيـل أنـه الله

روي عن كعب بن محمد القرطي ، قال : افتخر طلحة بن عبد الدار والعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب (ع) ، فقال طلحة : معي مفتاح الكعبة ولو شئت أبت بها . وقال العباس : أنا صاحب السقاية القائم عليها ولو شئت أبت في المسجد . فقال علي (عليه السلام) : ((ما أدري ما تقولان ؟! لقد صليت إلى القبلة ستة

أشهر قبل الناس , وأنا صاحب الجهاد الأكبر)) .فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَيَسُّوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَأَيُّهُدِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (1) :

يقولون لي قل في عليّ مدائحاً
وما صنعت عنه الشعر عن ضعف هاجر
ولكن عن الأشعار والله صنت من
فلو أن ماء الأبحر السبعة التي
وأشجار خلق الله أقلام كاتب
وكان جميع الجن والإنس كتباً
وخطوا جميعاً منقوب بعد منقوب
فإن أنا لم أفعل يقولوا معاند
ولا إنني عن مذهب الحق حائد
عليه بني قرآننا والمساجد
خلقن مداداً والسموات كاغد
إذا الخط أفناهن عادت عوائد
إذا كل منهم واحد قام واحد
لما خط من تلك المناقب واحد

فوا عجباً ممن أنكر الوصية بالأمر إليه وخالف في التص بالخلافة عليه , مع اعترافهم بعصبة الرسول التي دلّ عليهم المعقول والمنقول ! ووا عجباً كيف ينكرون نصّه عليه يوم غدیر خم في حجّة الوداع وقد ملأ بذلك الأسماع ! أما قال له عمر : بخ بخ لك أصبحت مولى كل مؤمن ! كأنهم زعموا أنّ ذلك كان في التّوم فغفلوا عن ذلك اليوم , كلا ولكنّهم رجعوا على الأعقاب كما وعدهم به في الكتاب الله العزيز الوهاب , يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (2) .تركوا أخا الرسول وعكفوا على الأوّل كقوم موسى حيث تركوا أخاه وعكفوا على العجل , تصديقاً لكلام الرسول حيث يقول : ((تحذو أمّتي حذو بني إسرائيل التعل بالتعل والقدة بالقدة)) .

ومن طريقهم ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك , قال : قلت لسلمان : سلّ النبيّ (ص) عن وصيّيه .وقال سلمان : من وصيّك ؟ فقال (ص) : ((يا سلمان , من كان وصي موسى (عليه السلام) ؟)) .فقال : يوشع بن نون .قال , فقال (ص) : ((وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز وعدي عليّ بن أبي طالب)) .فقد هبّت الهبول شانيء آل الرسول : إذا كان كل الناس سبعين فرقة ونيفاً كما قد جاء في واضح النقل

(1) سورة التوبة / 19 .

(2) سورة آل عمران / 144 .

ولم يك منهم ناجياً غير فرقة
 أم الفرقة الناجين آل مُحَمَّد
 رضيت علياً لي إماماً وسيداً
 فابشروا أيها الإخوان بمولات مولاكم الذي هو سبب هديكم وبه تحصلون الفوز في آخرتكم , واعلموا أنه لا بد لكم من معاينته في سياق الموت وكرته كما أشار إليه في قوله سلام الله عليه يقول :

يا حار همدان من يممت يرني
 يعرّفني شخصه وأعرفه
 وأنت يا حار إن نممت ترني
 أسقيك من بارد على ظمأ
 أقول للنار حين تعرض للحشر
 ذريّة لا تقربيه إن لسه
 من مؤمن أو منافق قبلا
 بعينه واسمه وما فعلا
 فلا تخف عثرة ولا زلا
 تخالسه في الحلاوة العسلا
 ذريه لا تقربني الرجلا
 حبالاً بجبل الوصي متصلا

روي من طريقهم عن أبي مریم عن عليّ (عليه السلام) , قال : ((انطلقت أنا والنبي (صلى الله عليه وآله) حتى انتهينا إلى الكعبة , فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اجلس . فصعد على منكي وذهبت أنفض به فرأى مني ضعفاً , فجلس لي نبي الله (صلى الله عليه وآله) , وقال : اصعد على منكي . فصعدت على منكيه , قال (ع) : فنهض فيّ , فخيّل لي أنّي لو شئت لملت أفق السماء , حتى سقطت على البيت وعليه تمثال صفراً ونحاس , فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى استمسكت منه , فقال لي رسول الله : نستيق⁽¹⁾ أقذف به . فقذفت به فتكسّر كالقوارير , ثمّ نزلت وانطلقت أنا ورسول الله نستيق⁽²⁾ , حتى توارينا بالبيوت؛ خشية أن يلقانا أحد من الناس)).

وروي من طرقهم أيضاً عن ابن عباس , قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((لو أنّ الرّياض أفلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب , ما أحصوا فضائل عليّ (عليه السلام))) :

وإذا الـدر زان حسن نحور
 وتزين طيب الطيب طيباً
 كان للدر حسن بحرك زينا
 عند ذكرارك أيمن مثلك أيننا
 فضائله لا تُحصى ومناقبه لا تُستقصى , ولو لم يكن إلّا مبارزته لعمر بن ودّ

(1) لم أجد هذه الكلمة في المصادر الأخرى , ولعلها من اشتباهات النسخ . المقوم .

(2) هذا ما ورد في الكتاب , ولكن الوارد في مسند احمد : 84/1 , ينابيع المودة لذوي القربى 233/3 , وغيرهم : نستيق... (معهد الإمامين الحسينين).

الذي قال فيها النَّبِيُّ (ﷺ) : ((برز الإسلام كله إلى الشَّركِ كله)) . فلما قتله قال : ((ضربة عليّ لعمرى , توازي عمل أمّتي إلى يوم القيامة)) . ولقد أحصيت برزاته (عائلاً) بين يدي النَّبِيِّ (ﷺ) فكانت ألفاً وسبعين . فإذا كان جزء واحد من نيف وسبعين من قوّته العمليّة , بمقدار عمل جميع أهل الإسلام إلى يوم القيامة , فما ظنك بباقي أعماله صلوات الله عليه في سائر أحواله .

فتبّاً لقوم غرّتهم الدُّنيا فاخثاروها على الأخرى وهو الآفة الكبرى , كان منتهاهم إلى الدّل والهوان وفي الآخرة عذاب النيران .
روي : أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية بن أبي سفيان : يا معاوية , ما أشدَّ حُبِّكَ للمال ؟ فقال : ولم لا أحبّه وأنا استعبد به مثلك وأبتاع به دينك ومروّتك ؟ فلعمري , ما رجوا بل خسروا وما جبروا بل كسروا وسيندمون ويعلمون أيّ منقلب ينقلبون .
روي : أنّ معاوية بن أبي سفيان لما مرض الموت , رقي المنبر وخطب النَّاس - وكانت آخر خطبة خطبها للنَّاس في جامع بني أميّة - وأتته قال : أيّها النَّاس , إنّ من زرع قد استحصد , وإني ولينكم ولم يتولكم أحد من بعدي إلا من هو شرّ منّي كما كان من قبلي هو خير منّي , يا ليتني رجلاً من فُريش ولم أتول من أمور النَّاس شيئاً . ثمّ قال : ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ﴾ (1) . فوالله , لو علمت هكذا عمري قصيراً ما فعلت . ثمّ بكى وقال : وا بُعد سفراه ! وا قلّة زاداه ! ثمّ نزل عن المنبر ودخل داره وثقل حاله وازدادت علته , فعادوه إخوانه وجلسوا حوله وقالوا له : يا معاوية , أوصي إلينا بما تريد . فقال : يا إخواني , أحدركم مصرعي هذا , فإنّه لا بدّ لكم منه . ثمّ قال : اجلسوني وسندوني . فأجلسوه وسندوه , فقال : إلهي , أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت . ثمّ قال : الآن تذكر ربّك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط , فلم لا كان هذا وغصن الشَّباب نظر ريان ؟! فقيل له : يا معاوية , كأنك تحبّ الحياة ؟ فقال : لا , ولكن القدوم على الله شديد . قال : ودخل عليه قوم آخرون , فقالوا له : كيف أصبحت يا معاوية ؟ فقال : أصبحت من الدُّنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاق . ثمّ انصرف النَّاس عنه , قالت زوجته : فسمعتة يقول عند موته : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (2) . ثمّ سكت فجعلت لا أسمع له كلاماً أبداً , فقلت لوصيف كان عنده : انظر أنائم هو أم يقظان ؟ فنظر إليه فوجده قد مات .

وأما مروان بن الحكم

(1) سورة الحاقة / 27-28 .

(2) سورة القصص / 83 .

لَمَّا مَرَضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، مَرَّ عَلَى غَسَّالٍ يَغْسِلُ ثِيَابًا بِجَانِبِ نَهْرٍ فِي دِمَشْقٍ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَلْوِي ثَوْبًا بِيَدِهِ ثُمَّ يَضْرِبُ بِهِ فِي الْمَسَلَّةِ ، فَقَالَ مِرْوَانَ : لَيْتَنِي كُنْتُ غَسَّالًا آكَلُ مِنْ كَسْبِ يَدَيَّ يَوْمًا بِيَوْمٍ وَلَمْ أَكُنْ وَالِيًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ! قَالَ : فَبَلَغَ كَلَامَهُ إِلَى أَبِي حَازِمِ الْغَسَّالِ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَلُوكَ إِذَا حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ يَتَمَنُّونَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْغَسْلِ . قَالَ : فَدَخَلُوا عَلَيْهِ إِخْوَانَهُ يَعُودُونَهُ فِي مَرَضِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرٌ ؟ قَالَ : تَجِدُونِي كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ (1) . ثُمَّ بَكَى فَقِيلَ لَهُ : وَمَا يَبْكِيكَ يَا أَمِيرٌ ؟ فَقَالَ : مَا أَبْكِي جِزْعًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ : ((يَكُونُ بَلَاغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كِرَادَ رَاكِبٍ)) . ثُمَّ قَالَ : وَابْعُدْ سَفَرًا ! وَاقَلَّةَ زَادَاهُ ! ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا ذُنْتُ مِنْهُ الْوَفَاةُ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى خِزَانَتِهِ وَصِنَادِيقِ مَالِهِ ، قَالَ : مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا ؟ وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَعِيشُ أَبَدًا . فَبَكَتْ امْرَأَتُهُ ، فَقَالَ لَهَا : إِنْ كُنْتُ بَاكِيَةً فَابْكِي عَلَى نَفْسِكَ ؟ ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَأَمَّا الْمَأْمُونُ لَمَّا ذُنْتُ مِنْهُ الْوَفَاةُ وَأَيْسَ مِنَ الْحَيَاةِ ، فَرَشَّ رَمَادًا وَاضْطَجَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا مَنْ لَا يَزُولُ مَلِكُهُ ، ارْحَمْ مَنْ قَدْ زَالَ مَلِكُهُ . فَقِيلَ لَهُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ . فَقَالَ : لَيْسَ إِلَّا هَذَا ، لَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ . ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَمَّا الْحِجَاجُ بْنُ عُبَيْدَةَ التَّقْفِي ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، فَإِنَّ الْخَلْقَ مَجْتَمِعُونَ عَلَى أَنَّكَ لَا تَغْفِرُ لِي . ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَأَمَّا الشُّمَّرُ اللَّعِينُ ، فَإِنَّهُ كَانَ عَاقِبَتَهُ أَنْ قَتَلَهُ الْمُخْتَارُ أَشْرَّ قَتَلَةٍ ، وَأَحْرَقَ دَارَهُ بِمَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ :

سَتَعْلَمُ أُمَّةٌ قَتَلَتْ حَسِينًا	بَأْنَ عَزَابَ قَاتِلِيهِ وَيِيْلُ
إِذَا عَرَضُوا عَلَى الرَّحْمَنِ صَفَاً	وَجَاءَتْ ثُمَّ فَاطِمَةُ الْبَتُولُ
وَفِي يَدَيْهَا قَمِيصُ السَّبْطِ تَشْكُو	ظِلَامَتَهَا فَيَنْصُرُهَا الْجَلِيلُ
وَيَهْوِي الظَّالِمِينَ بِهَا جَمِيعًا	إِلَى قَعْرِ الْجَحِيمِ لَهُمْ عَوِيلُ

فَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ فَلْيَبِكِ الْبَاكُونَ ، وَإِيَّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ التَّادِبُونَ ، وَمِثْلَهُمْ تَذْرِفُ الدَّمْعُ مِنَ الْعْيُونِ ، أَوْ لَا تَكُونُونَ كِبْعُضَ مَا دَحِيهِمْ حَيْثُ عَرْتَهُ

(1) سورة الأنعام / 94.

القصيدة للشيخ صالح بن عبد الوهاب

على الحسين غريب الدار والوطن
 الرمضاء مختضب الأوداج والذقن
 خيول أهل الخنا والحقد والإحن
 إلى يزيد اللعين الفاجر الكني
 اللثام يشهون في الأمصار والمدن
 في أسره مستذلاً ناحل البدن
 سكينه حاسراً والدمع كالمن
 واذلتي واذلتي واذلتي ووا حزني
 جهراً وينظرني الطاغى ويرمقني
 الحسين نوح كئيب القلب ذي شجن
 من ذا يجود على يتمي فيرحمني
 تشكو إليه بقلب موجه حزن
 فقد انكم يا كفيلاً اليوم ضيعني
 ترى مقامي أيا حصني ومتركن
 مساعدي في ملماتي يساعدي
 إني أراك ومنك الرأس في لندن
 هتكى وسبي ولا بعدي عن الوطن
 وليتني قبل هذا اليوم لم أكن
 أو هي فؤادي وابلاي وانخليني
 أرى نصيراً على الأعداء ينصروني
 أرى نصيراً على الأعداء ينصروني
 هتكى بين أهل الظغن والأحن
 ولا أراك خضيب الشيب والذقن
 بدمع هامل كالعارض الهتن

نوحوا يا شبيعة المولى أبا الحسن
 وابكوا عليه طريحاً بالطفوف على
 وابكوا على صدره بالطف ترضضه
 وابكوا على رأسه بالرمح مشتهراً
 وابكوا بنات رسول الله بين بني
 وابكوا على السيد السجاد معتقلاً
 وا حرق قلباه وا حزني لا بنته
 تقول واضيتي بعد الحسين أبي
 أبعد صوني وخدري والحجاب أرى
 والطهر فاطمة الصغرى تنوح على
 وتسبغ أباها يا أباه ترى
 وزينب أخته للخد لا طمة
 أيا أخي يا ضيا عيني ويا أملي
 يا واحدي يا بن أمي يا حسين أما
 أمسيت بين الأعادي لا كفيلاً ولا
 يا كافي يا أخي ما كان في خلدي
 كلا ولا خلتي يا حصني وملتجئي
 يا ليت عيني قبل الآن قد عميت
 أيا بن أمي قد أورتني كمداً
 أيا كفيلي لقد عز الكفيل فمن
 أيا نصيري لقد عز النصير فلا
 واذلتي يا أخي من بعد عزك لي
 يا ليتني قبل هذا اليوم في حدث
 وأم كلثوم تدعو وهي باكية

تجددت لي أحزان على حزن
وفقدكم لثياب الحزن ألبسني
ومن يساعديني في حادث الزمن
أصبحت أسجى كسبي الروم في المدين
حصني الحصين ويا سؤلي ويا سكاني
إلي والفاجر الملعون يسلبني
بين الأعادي بهذا اليوم تنظري
أرى كفيلاً بهذا اليوم يكفلي
بنت النبي ودمع العين كالمزني
على الحسين مقيم الفرض والسنن
كالبدر يشرق فوق الذبل اللدن
يساق نحو يزيد الفاجر الكني
حتى ترى حجّة الرحمن ذا المنن
خليفة الله فينا صاحب الزمن
كل رجس خوون غير مؤتمن
الناشر العدل في الأطراف والمدن
بالإفك منهم وبالأحقاد والظغن
متى تكابد أهل البغي والفتن
تشرذ الناس عن أهل وعن وطن
محيي فرائض دين الله والسنن
بثأر جدك يا سؤلي ومرتكني
يا من ولاهم غداً في القبر يؤسني
ما دمت حياً إلى أن ينقضني زمي
إلا تجدد لي حزن على حزن
والدمع منسكب كالعارض الهتن
لا للتنائي عن الأهلين والوطن

أخي أخي يابن أمي يا حسين لقد
أخي أخي بعد جدّي والوصي أبي
أخي أخي بعدكم من ذا ألوذ به
أخي أخي بعد صوني يا حسين لقد
فأه يا ضيعتي من بعد فقدك يا
يا ليت عين رسول الله ناظرة
يا ليت عين أمير المؤمنين أتى
حسري مجردة وا ويلتاه فلا
وتستغيث إلى الزهراء فاطمة
يا أم قومي من الأجدات نادبة
يا أم قومي وانظري رأس الحسين أخي
يا أم قومي انظري السجاد معتقلاً
فيها حسرة لا تنقضي أبداً
سمي خير الورى المختار من مضر
الأخذ الثائر من أهل العناد ومفني
الناصر للدين والمحيي معالمه
يزيل ما أسس الأرجاس من بدع
يا حجّة الله يابن العسكري إلى
عجل وخلص محبيك الضعاف فقد
وما لهم ناصر مولاي غيرك يا
فخذ بنصرهم واشفي الغليل وخذ
أيا بني الوحي والتنزيل يا أملي
حزني عليكم جديداً دائماً أبداً
وما تذكرت يوم الطف رزكم
وأصبح القلب مئّي وهو مكتئب
لكم لكم يا بني المختار ذا أسفي

من الكئيب العبير القلب ذو الشجن
هم أنيسي إذا أدرجت في كفني
إذا أتيت وذنبي قد تكابديني
من الخطيئات في سر وفي علن
به إلهي من النيران ينقذني
حامسة أو شدى ورق على غضن

فهماكموهما ولاة الأمر مرثية
يا عدتي واعتمادي والرجا ومن
إني بحبكم أرجو النجاة غداً
وعاينت مقلتي ما قدمته يدي
لأن حـبكم زاد لآخـرتي
صلّى عليكم إله العرش ما سجعت

الباب الثاني

يا إخواني في الدين ، لو أحاط الناس بفضل أولاد أمير المؤمنين ، لذهلت عقولهم وغدوا والهين ، كيف وقد جمعت فيهم فضائل الأنبياء المتقدمين خصوصاً على أبيهم عليّ أمير المؤمنين (ع) ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : ((يا عليّ ، لو لا خوفي أن تقول الناس فيك كما قالت النصارى في عيسى بن مريم ، لقلت فيك مقالاً لا تمر بأحد إلا وأخذ التراب من تحت قدميك)) . ولهذا أطلق عليهم لفظ الأشباح ؛ لأنّ الشبح هو الذي ترى صورته ولا تعلم حقيقته . أو لا ترون يا أهل البصائر إلى رجل أخفى أعداءه فضائله ؛ بغضاً له ، وستر أوليائه مناقبه ؛ خوفاً على أنفسهم ، ثمّ ظهر بين هذين الاخفائين مناقب ملأت الخافقين ، ولقد أجاد ابن سرايا حيث ذكر له جمع بعض المزاي ، حيث قال :

فلهـذا عـزت لك الأنداد
ناسك فاتك فقير جواد
وبأس يـذوب منه الجماد
ولا حـاز مـثلهم العباد
بأقـوالهم فرانـوا وزادوا
وطـه (هـ) وآل ياسـين وصـاد
فأقـرت بفضـلك الحساد
كـذب من قبل قوم لوط وعاد
العـم والصـهر والأخ المسـتجاد

جمعت في صفاتك الأضداد
زاهد حاكم حلِيم شجاع
خلق يشبهه النسيم من اللطف
شيم ما جمعن في بشر قط
فلهـذا تعمقت فيك أقوام
وغلت في صفات فضلك (يس)
ظهرت منك للورى معجزات
إن يكذب بها عداك فقد
أنت سر النبي والصنو وابن

لو رأى مثلك النبي لآخاه
ففيكم بأهل النبي ولم
كنت نفساً له وعرسك وإبنك
جل معنك أن يحمل به البشر
إنما الله عنكم أذهب الرجس
ذاك مدح الإله فيكم فإن
وإلا ففائز الانتقاد
يلق لكم خامساً سواه يزداد
لديه النساء والأولاد
ويخصني صفاته النقاد
فردت بغيبها الأضداد
فهت بمدح فذاك قول يعاد

روي من طريقهم عن أحمد بن سعيد التقي ، قال : كُنَّا يوماً وقوفاً على باب أبي نعيم الفضل بن دكين ، ونحن جماعة فينا أحمد بن حنبل وغيره من نقلة الحديث ؛ نتوقع خروجه لنسمع منه ، فاطلع علينا من خوخة على باب داره ، فقال : إن لي وعكة وعلة صداع ، فاعذروا وانصرفوا مأجورين . فقام إليه رجل فقال : مسألة . فقال : هاتها وأوجز . فقال : ما تقول في رجل شهد أن لا إله إلا الله ، وأقر أن محمداً رسول الله ، وأقام الصلاة وأتى الزكاة ، وصام شهر رمضان وحج البيت مع الأركان ، وجاهد عند دعاء الحاجة إلى الجهاد ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، واجتهد بعد ذلك في أفعال الخير ، ثم مات وهو لا يعرف ... أبي قحافة ، هل مات مؤمناً ولا بأس فيما جهل . قال : فإن فعل مثل ذلك وهو لا يعرف الثاني . فأجاب مثل الجواب الأول ، قال : فإن فعل مثل ما تقدم ومات ولم يعرف علي بن أبي طالب . قال : لا يسعه ذلك ، لأن الصلاة لا تفتقر إلى ذكر غير علي كما تفتقر إلى ذكره ، وقد كان من محمد بمكان لا غيره .

ومن طريقهم أيضاً عن سعد بن أبي وقاص ، قال : أمر معاوية سعداً بالسب ، فأبي ، فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : ثلاث قالهن رسول الله (ﷺ) فلن أسبه ، ولن تكن لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم ، سمعته يقول لعلي - وقد خلفه في بعض مغازيه - فقال له علي (ع) : ((خلفتني مع النساء والصبيان ؟)) . فقال له رسول الله (ص) : ((أما ترضى أن تكون متي بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ؟)) . وسمعته يقول (ص) يوم خيبر : ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله)) . قال : فتناولنا إليها ، فقال : ((ادعوا إلي علي)) . فأتاه وبه رمد ، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت ﴿ قُلْ نَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ... ﴾ (1) ، دعا رسول الله (ص) فاطمة وعلياً والحسن والحسين ، فقال (ص) : ((اللهم هؤلاء أهلي)) .

(1) سورة آل عمران / 61.

حديث الكساء

روي عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال : سَمِعْتُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عليها السلام) بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) أَنَّهَا قَالَتْ : ((دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ : أَلَسَلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ . فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ . قَالَ : إِنَّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفًا . فَقُلْتُ لَهُ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَتَاهُ مِنَ الضَّعْفِ . فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِنِّي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَعَطَّيْتَنِي بِهِ . فَأَتَيْتُهُ بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَعَطَّيْتُهُ بِهِ وَصِرْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلَأُ لَا كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ .

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بَوْلِدِي الْحَسَنِ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ : أَلَسَلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَاهُ . فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي . فَقَالَ : يَا أُمَاهُ ، إِنَّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ . فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ : أَلَسَلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَأَذُنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟ فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ . فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ .

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بَوْلِدِي الْحُسَيْنِ (عليه السلام) أَقْبَلَ وَقَالَ : أَلَسَلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَاهُ . فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي . فَقَالَ : يَا أُمَاهُ ، إِنَّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِنَّ جَدَّكَ وَأَخَاكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ . فَدَنَا الْحُسَيْنُ (عليه السلام) نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ : أَلَسَلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا مَنْ أَخْتَارَهُ اللَّهُ ، أَتَأَذُنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟ فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا شَافِعَ أُمَّتِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ . فَدَخَلَ مَعَهُمَا تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ : أَلَسَلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ . فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ ، إِنَّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ أَخِي وَإِبْنِ عَمِّي رَسُولِ اللَّهِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ هَا هُوَ مَعَ وَلَدَيْكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ . فَأَقْبَلَ عَلِيُّ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ : أَلَسَلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَأَذُنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟ قَالَ لَهُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَحْيِي وَيَا وَصِيَّي وَخَلِيفَتِي وَصَاحِبَ لُؤَائِي ، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ .

فَدَخَلَ عَلَيَّ تَحْتَ الْكِسَاءِ .

ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقُلْتُ : أَلَسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبْنَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟ قَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بَنِي وَيَا بَضْعَتِي ، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ . فَدَخَلْتُ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَلَمَّا اكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ ، أَخَذَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ بِطَرَفِي الْكِسَاءِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ الِئْمَنَى إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : اَللَّهُمَّ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَخَاصَّتِي ، لِحْمَتِهِمْ لِحْمِي وَدَمُهُمْ دَمِي ، يُؤَلِّمُنِي مَا يُؤَلِّمُهُمْ وَيُجْزِنُنِي مَا يُجْزِنُهُمْ ، أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ ، إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ ، فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَغُفْرَانَكَ وَرِضْوَانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ ، وَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً .

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي ، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً ، وَلَا قَمَراً مُنِيراً وَلَا شَمْساً مُضِيئةً ، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ وَلَا بَحْراً يَجْرِي وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي ، إِلَّا فِي حَبَّةِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ . فَقَالَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ : يَا رَبِّ ، وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ ، هُمْ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوها . فَقَالَ جِبْرَائِيلُ : يَا رَبِّ ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ لِأَكُونَ مَعَهُمْ سَادِساً ؟ فَقَالَ اللَّهُ : نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ .

فَهَبِطَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ وَقَالَ : أَلَسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يُقْرَأُ السَّلَامَ ، وَيُحْضَكُ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ وَيَقُولُ لَكَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً ، وَلَا قَمَراً مُنِيراً وَلَا شَمْساً مُضِيئةً ، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ وَلَا بَحْراً يَجْرِي وَلَا فَلَكَاً تَسْرِي ، إِلَّا لِأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ ، وَقَدْ أَذِنَ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُمْ ، فَهَلْ تَأْذُنُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَمِينَ وَحِي اللَّهِ ، إِنَّهُ نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ . فَدَخَلَ جِبْرَائِيلُ مَعَنَا تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَقَالَ لِأَبِي : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (1) .

فَقَالَ : عَلِيُّ لِأَبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي مَا لِحُلُوسِنَا هَذَا تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : وَالَّذِي بَعَّنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً وَاصْطَفَانِي بِالرِّسَالَةِ نَجِيّاً ، مَا ذُكِرَ حَبْرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ ،

(1) سورة الأحزاب / 33 .

وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَ مُجَبِّبِنَا ، إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَاسْتَعْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقُوا . فَقَالَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَفَازَ شِيعَتُنَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : يَا عَلِيُّ ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرِّسَالَةِ نَجِيًّا ، مَا ذُكِرَ حَبْرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحْفَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَ مُجَبِّبِنَا وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ ، إِلَّا وَفَرَّجَ اللَّهُ هَمَّهُ وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ وَلَا طَالِبُ حَاجَةٍ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ . فَقَالَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَسُعِدْنَا ، وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا فَازُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ)) .

ولله درّ بعض من قال من الرجال في مدح عليّ (عليه السلام) حين طاف حول قبره (عليه السلام) :

هو الشمس ام نور الضريح يلوح	هو المسك أم طيب الوصي يفوح
وبحر ندى أم روضة حوت الهدى	وآدم أم سمر المهيمن نوح
وداود هذا أم سليمان بعده	وهارون ام موسى العصى ومسيح
وأحمد هذا المصطفى أم وصيه	على نمناه هاشم وذبيح
حبيب حبيب الله بل سر سره	وعين الورى بل للخلائق روح
له النص من يوم الغدير ومدحه	من الله في الذكر المبين صريح
إمام إذا المرء جاد يحبه	فميزانه يوم المعاد رجح
له شيعة مثل النجوم زواهر	إذا جادلت تلقى العدو طرح
عليك سلام الله يا راية الهدى	سلام سليم يغتدي ويروح

روي عن سلمان الفارسي ، قال : أهدني إلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قطف من العنب في غير أوانه ، فقال لي : ((يا سلمان ، آتيني بولدي الحسن والحسين ؛ ليأكلا معي من هذا العنب)) . قال سلمان الفارسي : فذهبت أطرق عليهما منزل أمهما فلم أرها ، فأتيت منزل أختهما أم كلثوم فلم أرها ، فجننت فخبرت النبي بذلك ، فاضطرب ووثب قائماً وهو يقول : ((وا ولداه ! وا قرّة عيناه ! من يرشدني عليهما فله على الله الجنة)) . فنزل جبرائيل من السماء وقال : يا مُحَمَّد ، علام هذا الانزعاج ؟ فقال : ((على ولدي الحسن والحسين ؛ فإني خائف عليهما من كيد اليهود)) . فقال جبرائيل : يا

مُحَمَّد ، بل خف عليهما من كيد المُنافقين ؛ فإنَّ كيدهم أشدَّ من كيد اليهود ، واعلم يا مُحَمَّد ، إنَّ ابنيك الحسن والحسين نائمان في حديقة أبي الدَّحْداح . فسار من وقته وساعته إلى الحديقة وأنا معه حتَّى دخلنا الحديقة ، وإذا هُما نائمان وقد اعتنق أحدهما الآخر ، وثعبان في فيه طاقة ريحان يروح بها وجهيهما ، فلمَّا رأى الثَّعبان النَّبي (ﷺ) ، ألق ما كان في فيه ، وقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، لست أنا ثعباناً ولكِنِّي ملك من ملائكة الله المكرويين ، غفلت عن ذكر ربِّي طرفة عين ، فغضب عليَّ ربِّي ومسخني ثعبان كما ترى ، وطردي من السَّماء إلى الأرض ، ولي منذ سنين كثيرة أقصد كرمياً على الله فأسأله أن يشفع لي عند ربِّي ؛ عسى أن يرحمني ويعيدني ملكاً كما كنت أولاً إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير . قال فجثني النَّبي (ﷺ) يقبلهما حتَّى استيقظا ، فجلسا على ركبتي النَّبي (ﷺ) ، فقال لهما النَّبي (ص) : ((انظرا يا ولدي ، هذا ملك من ملائكة الله المكرويين ، قد غفل عن ذكر ربِّه طرفة عين ، فجعله الله هكذا ، وأنا مستشفع إلى الله تعالى بكما فاشفعا له)) . فوثب الحسن والحسين (عليهما السلام) فاصبغا الوضوء وصلِّيا ركعتين ، وقالا : ((اللَّهُمَّ ، بحقِّ جدِّنا الجليل الحبيب مُحَمَّد المُصطفى ، وبأبينا عليِّ المُرتضى ، وبأُمَّنا فاطمة الزَّهراء ، إلَّا ما رددته إلى حالته الأولى)) . قال : فما استتم دعاؤهما ، وإذا بجبرائيل قد نزل من السَّماء في رهط من الملائكة ، وبشرَّ ذلك برضى الله عليه وبردِّه إلى سيرته الأولى ، ثمَّ ارتفعوا به إلى السَّماء وهم يُسبِّحون الله تعالى ، ثمَّ رجع جبرائيل (عليه السلام) إلى النَّبي (ﷺ) وهو مُبتسم وقال : يا رسول الله ، إنَّ ذلك الملك يفتخر على ملائكة السَّبع السَّموات ، ويقول لهم : مَنْ مثلي وأنا في شفاعة السيِّدين السَّبطين .

فعلى الأطائب من أهل بيت الرِّسول فليك الباكون ، وإيَّاهم فليندب النَّادبون ، ولثلثهم فلتندرف الدَّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ عبد الله بن داؤد الدَّرْمَكِي

أسهر طرفي وانحل البدنا	واجتاح صاح صبري وزادني حزننا
وحول القلب من مساكنه	وصير النايبات لي سكننا
ذكر غريب الطفوف يوم سرى	بالأهل والمال يعنف البدنا
إلى الذي كاتبه واجتهدوا	أن يقتلوه ويخربوا الوطننا

بأنه قد أجابهم ودنا
واتخذوا دون رهم وثننا
لم خنتهم عهدنا وموثقنا
من بعض أنصارنا وشيعتنا
ولا بعثنا بأن تقاربنا
تريد يا بن البتول تحدعنا
كف عليّ وفي حنين بنا
وقدّ بالمشرفي ساداتنا
أوقعك الدهر في مخالبتنا
فأله حرب لمن يجاربتنا
وأصبر العالين قلت أنا
الخنزير والكلب يمرغ البدنا
سقطت في الحرب ما ونيست أنا
فأنا نولي إذا لقلتنا
وكل ضد لضده كمننا
فما ترى العين للنهار سنا
السبط وحيد وماله قرنا
بين ذبيح وطائح طعنا
وما غنوا عن الحسين غنا
فرقنا الدهر بعد الفتنا
ودمع عينيه يحرق الوردنا
يا أهل بيتي أرى الفراق دنا
منكسر القلب باكيّاً حزنا
في يد من يا حسين تتركنا
بمثل هذا الكلام تزعجنا
وانتهكت بالطفوف حرمتنا

فحين لما أتى محبرهم
تألبوا للقتال واجتهدوا
فقال مولاي لا أبا لكم
أما كتبتم إلى أنكم
قالوا له كف ما لنا كتب
لكن زورت ما أتيت به
نسيت في يوم بدر ما صنعت
أباد أبطالنا بصارمه
فاصبر لأخذ الحقوق منك فقد
فقال لي صبراً على جلاذكم
إن قيل من أشرف الوري نسباً
أنظر إلى ماء الفرات كيف به
ولم أذق منه شربة وإذا
إن كان أغررتكم بكترتكم
وصطفت القوم للقتال معاً
وامتد جناح القيام بينهما
ما كان إلا هنيئة فإذا
ينظر أصحابه على ظمنا
قد صبغ الترب من دمائهم
فقال وا حسرتاه لفقركم
وأم نحو الخيام مبتدراً
يقول ودعتكم إلهكم
فلتأح للظاهرين منقصة
فأقبلت زينب تقول له
أراك يا بن البتول منكسر
فقال أنصارنا غدو زمراً

تقاربوا كل من يدنسنا
 وشققكم للجيبوب يوكسنا
 والله قد عذنا وشرفنا
 فالصبر في النائبات شيمتنا
 صبري على حزننا وغربتنا
 يكفل أيتامنا ويؤنسنا
 أو يتقني الله عن هضمنا
 وقال سيري إلى مضارنا
 وهي تناديه وشقاوتنا
 وأكثرنا من مقالنا وحزننا
 وقال للنائبات مقدمنا
 أبيع للمعضلات جانبنا
 أهون من ذلنا وشهرتنا
 في يد من خاننا وخادعنا
 لعلهم يعرفون موضعنا
 أحرق حرق الأوام مهجتنا
 يقول هل ناصر فينصرنا
 هل فيكم راحم فيرحمنا
 ما تحذروا الله في تعطشنا
 لا تعترينا ولا تماطننا
 وأوجع الضرب من صوارمنا
 كل يناديه صرت في يدنا
 وخبطوا من دمائه الذقنا
 ورجله فوق منكبيه ثني
 يا شمر يا شمر خل سيدنا
 قتلته فالمصائب يقتلنا

أوصيك خيراً إذا قتلت فلا
 فنشركم للشعور نكرهه
 نحن بنو المصطفى وعترته
 فاستعلى الصبر دائماً أبداً
 قالت عزيز علي يا أملي
 من ذا يفك الأسير بعدك أو
 ويشترينا ببدل مهجته
 فضمها رحمة وقبلها
 فمذ رأته النساء يلتمها
 مالوا إلى جزم شعورهم
 فانتحب السبب رحمة لهم
 لا تحرقوني بدمعكم فلقم
 والله ضرب السيوف في جسدي
 أخاف بعد الخدور تنهتكموا
 قالوا له يا حسين راجعهم
 ويوصلونا بشربة فلقم
 قال عسى الله وانثنى عجالاً
 هل فيكم محسن نلوذ به
 نموت يا قوم بيئكم عطشاً
 قالوا له يا حسين مت ظمأ
 نسقيك طعن الرماح في عجل
 ودارت القوم حوليه حلقاً
 وانتهبوا بالنبال جثته
 وجاءه الشمر مسرعاً عجالاً
 فاقبلت زينب تقول له
 يا شمر نفديه النفوس فإن

يا شمر درّ الحسام عن دمه
فقال خلوا لكم جناكم
وميز الرأس ثمّ شال به
وخلّف الجسم عارياً شحياً
فلو ترى فاطماً تقبله
قائلة يا أخي مصابك قد
عزّ عليّ جدنا ووالدنا
إذ كل شخص تراه يسلبنا
وإن يروك الغداة منجدلاً
يا عمتهاه قريبوا جهازهم
قالت فما حيلتي وخيلهم
لكن تنادي عليه وابتدرت
غريب مقتول ماله أحد
من يكسب الأجر من يلحده
فلم يجبهها من الوري أحد
أودعتك الله يا حسين متى
وزينب في النساء قائلنة
لم يكفهم ذلنا وغربتنا
يسيرونا على المطي بلا
يا ويلهم ما أشد كفرهم
يا حادي العيس لا رحمتكم
كم نطلب الرفق ما نحصله
واذلنا بعدهم وغربتهم
يا آل بيت النبي رزءكم
قد حول الكل من مسرتنا
لا رحم الله من معى لكم

وفي جناحان عداً تجاورنا
لا أبتغي دون قتله ثمنا
قباض منه بكفه الأذنا
من حركات الحياة قد سكتنا
أصابعه من دمائه الوردنا
أسهر أجفاننا وألحننا
وأمننا أن ترى وعمتنا
وبعد سلب الثياب يضرنا
معفراً في التراب مرتهنا
ما تنظري في جوار سيدنا
تجري على صدره وتدفعنا
تقول يا قوم من يكمننا
من ذا على دفنه يساعدنا
ومن يعي الخنوط والكفنا
فقال الغوث من مصيبتنا
يا سيدي باللقا تواعدنا
أين مراد المنافقين بنا
فالشتم والضرب فوق عاتقنا
ستر وفي كسبهم براقعنا
ما يرحمونا لوجه خالقنا
في السير يا بن الزنيم تعنفنا
والرأس فوق القناة يقدمنا
واطبول تشتمتنا ومحننا
أنحل أبـداننا وأزعجننا
وقبل أن المشيب شـيبتنا
في الظلم قدماً ومن عليه بنا

ويل ابن سلما وويل صاحبه
 فلعننة الله لا تزال على
 ومن توالاهما ومال إلى
 يا صفوة الله لا نظير لكم
 عبدكم الـدمكي باعكم
 في قـولهم لا يخاف من مسكت
 يا آل طه وهـل (أتى) (وسب)
 صلّى عليكم إلهكم أبدا
 قد فتننا العالمين وافتننا
 روحيهما عد من قصي ودنا
 قوليهما وإيهما ركننا
 يا من بهم سميت مناً بمنى
 مهجته إذ نقدتم الثمننا
 كفاه في حشـره ولايتنا
 ومن إلى قصدهم توجهنا
 ما صاح طير وما علا غصنا

الباب الثالث

أو لا ينتبه من الضلال من رغب عن الآل وتحمل الذنوب الثقال ، أم على القلوب الأفتال ؟ ولكن اعلموا رحمكم الله وهداكم الطريق القويم والصراط المستقيم ، إنّ أهل البيت ومن تابعهم من الأنام ، لم يزالوا مضطهدين في الدنيا إلى يوم القيامة والرزايا تعمهم ؛ ليعظم لهم الثواب ويوفون بأجورهم يوم الحساب ، وليس سبي الذرية وقتل العترة النبوية بأول منكر نهض أهل الشنآن إليه وحملهم الشيطان عليه ، بل تقدمته أحوال كانت له كالأساس وترتب عليها هذا الرزء ، فكان أعظم منها على الناس .

روي : أنه لما جاءت فاطمة إلى أبي بكر وكلمته في أمر فدك والعوالي ، قال لها : يا بنت رسول الله ، ما أورثكي أبوك لا درهماً ولا ديناراً ، وأتته قال : الأنبياء لا يورثون . فقالت له : ((يا أبا بكر ، إنّ فدكاً والعوالي قد وهبهما لي أبي رسول الله ﷺ)) . فقال لها : من يشهد لك بذلك ؟ فجاء عليّ فشهد لها بذلك ، ثم جاءت أمّ أيمن فقالت : يا أبا بكر ، إنّ السماء تشهد إني من أهل الجنة ، وإني ما أقول إلا حقاً ، وإني أشهد أنّ رسول الله أعطى فدكاً والعوالي لابنته فاطمة . فقال أبو بكر : يا بنت رسول الله ، صدق عليّ وصدقت ، ولكن رسول الله يدفع إليكم من فدك والعوالي قوتكم ، ويُقسّم الباقي على المؤمنين من أصحابه ، وينفق الباقي في سبيل الله ، وأنت فما تصنعين بها ؟ فقالت : ((وأنا أصنع بها ما كان يصنع بها أبي)) . فارتج الأمر بينهم وغضب أبو بكر من قولها وخرجت فاطمة ،

[ولم⁽¹⁾] تزل فدك والعوالي في أيديهم إلى أن ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان , فاقطع مروان بن الحكم ثلثها واقتطع يزيد بن معاوية ثلثها , ولم يزالوا يتداولونها إلى أن انحصرت كلها في يد مروان بن الحكم في أيام خلافته , فوهبها مروان لولده عبد العزيز ولابنه عمر , فلما تولى الأمر عمر بن عبد العزيز , كانت فدك أول ظلامة ردها على أهل بيت رسول الله (ﷺ) , ورفع السب عن علي (عليه السلام) , ثم إن عمر بن عبد العزيز دعا بعلي بن الحسين (عليه السلام) , فدفع فدك إليه وصارت فدك بيد أولاد فاطمة الزهراء (عليها السلام) مدة خلافة عمر بن عبد العزيز , فلما توفي وصار الأمر إلى بني أمية , جعلوا يتداولونها إلى أن نُقلت الخلافة عنهم , فلما آل الأمر إلى السفاح , ردها إلى أهل البيت , ثم غضبها منهم موسى بن المهدي وأخوه هارون الرشيد , ولم تزل في أيدي بني العباس إلى أن آل الأمر إلى المأمون , فردّها إلى نسل فاطمة (عليها السلام).

قال صاحب الحديث : فلما جلس المأمون [على⁽²⁾] تحت المُلْك , ناول رقعة وقعت في يد المأمون قصّة فدك , فنظر إليها طويلاً وبكى وقال لبعض غلمانه : ادع لي أولاد فاطمة .فقدّم إليه شيخ كبير علوي من نسل فاطمة (عليها السلام) , فجعل العلوي يُناظر المأمون ويُباحتنه فيها , والمأمون يحتجّ عليه والعلوي يحتجّ المأمون إلى أن حصحص الحقّ , فأمر المأمون له بها وأمر القاضي أن يسجلها , فلما كتب السّجل وقرأ عليه الواقعة استحسّنه.

ولم تزل فدك في أيدي أولاد فاطمة (عليها السلام) إلى أيام سلطنة المُتوكّل من بني العباس , وقد تبقى من نخل فدك أحد عشر نخلة من غرس رسول الله (ﷺ) , وكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها ويحفظونه عندهم في مدينة الرّسول , فإذا قدم الحاج إلى المدينة , أهدوا إليهم ثمراً من غرس رسول الله , فيتبركون به ويأخذونه إلى بلادهم وأهاليهم , ثمّ يوصلون أولاد فاطمة نفقة من الدّراهم والدنانير , فيصير إليهم من ذلك مال جزيل فيتعيشون به طول سنتهم ؛ وذلك كلّه من بركات رسول الله (ﷺ) , ولم تزل بركات رسول الله إلى آخر الدّهر.

فانظروا يا أهل العقول والإفهام إلى فعل هؤلاء الكفرة اللثام , كيف تناولت أيديهم على غصب ميراث ابنة رسول الملك العلام وابنة خيرة الله في الأنام , واستمرّ ظلمهم لفاطمة إلى الذرّة والعترة النبوية , فشرّدهم في أطراف البلاد , وقتلوا منهم الآباء والأجداد والأبناء والأولاد , وسبوا حرّيمهم على الأقتاب والمذلّة والاكتئاب ,

(1) من إضافات المقوم .(معهد الإمامين الحسنين).

(2) من إضافات المقوم .(معهد الإمامين الحسنين).

ولم يخشوا من أهوال يوم الحساب ، فلعنة الله تغشاهم أجمعين إلى يوم الجزاء والدين.

روي عن عبد الله بن عامر ، قال : لما أتى نعي الحسين (عليه السلام) إلى المدينة ، خرجت أم أسماء بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نساءها ، حتى انتهت إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلاذت به وشهقت عنده ، ثم التفتت إلى المهاجرين والأنصار وهي تقول :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم
خذتم عترتي أو كنتم غيباً
أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما
ما كان عبد غداة الطف إذ حضروا
قال : فما رأينا باكياً ولا باكية أكثر ما رأينا ذلك اليوم.

وفي الخبر عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما كان يوم أحد ، شجَّ النبي (صلى الله عليه وآله) في وجهه وكُسرت رُباعيته ، فقام (صلى الله عليه وآله) رافعاً يديه يقول : ((إنَّ الله تعالى اشتدَّ غضباً على اليهود إذ قالوا العزيز ابن الله ، واشتدَّ غضبه على النَّصارى إذ قالوا المسيح ابن الله ، وإنَّ الله قد اشتدَّ غضبه على مَنْ أراق دمي وآذاني في عترتي))).

ألا لعنة الله على القوم الظالمين ، ألا وإنَّ الجنة مُحَرَّمة عليهم أجمعين كما جاء بذلك الخبر عن سيّد البشر ، حيث قال : ((حرمت الجنة على مَنْ ظلم أهل بيتي وقتلهم والمعترض عليهم والسَّاب لهم ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم)) . إلا وعلى محبي أهل البيت رحمة الله وبركاته ، ولهم في الحياة الدنيا والآخرة ، كما وردت به الأخبار عن المكرمين الأبرار ، فعن رسول الله (ص) : ((حُبنا أهل البيت يُكفِّر الذنوب ويُضاعف الحسنات ، وإنَّ الله تعالى ليتحمَّل عن محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد ، إلا ما كان منهم فيهم على إصرار وظلم للمؤمنين ، فيقول للسيئات كوني حسنة))).

وعن جعفر بن مُحَمَّد (عليه السلام) ، قال : ((نفس المهموم لظلمنا تسبيح ، وهمه لنا عبادة ، وكتمان سرّه جهاد في سبيل الله)) . ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) : ((يجب أن يُكتب هذا الحديث بماء الذهب)) . وعنه (عليه السلام) ، أنه قال : ((رحم الله شيعتنا ، أنّهم أودوا فينا ولم نود [نؤذ] (1) فيهم ، شيعتنا منّا قد خلّقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا ، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعه ،

(1) من إضافات المقوم . (معهد الإمامين الحسنين).

يصيبهم مصابنا ويكيهم ما أصابنا , ويحزنهم حزننا ويسرهم سرورنا , ونحن أيضاً نتألم لتألمهم ونطلع على أحوالهم , فهم معنا لا يفارقونا ولا نفارقهم ؛ لأنّ مرجع العبد إلى سيّده ومعوله على مولاه , فهم يهجرون من عادانا , ويجهرون بمدح من والانا , ويباعدون من آذانا .اللهمّ , أحيي شيعتنا في دولتنا وابقهم في ملكنا .اللهمّ ملكتنا .اللهمّ , إنّ شيعتنا منّا ومضافين إلينا , فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا أو تباكى , استحي الله أن يُعذّبه بالنار)) :

ملائكة الرحمن والجن معهم	فيالك مقتولاً أصيب بقتله
تقاس الرزايا كلها فهو أعظم	ويا لك من رزء عظيم إذا به
له الأرض والأطيار بالجو حوم	ويا لك من يوم مهول تزلزلت
على شعبة المختار صأب وعلقم	ويا لك من حزن كان مذاقه

روي عن عبد الله بن العباس , قال : كُنّا مع رسول الله (ﷺ) وإذا بفاطمة الزهراء قد أقبلت تبكي , فقال لها رسول الله (ﷺ) : ((ما يبكيك يا فاطمة ؟)) .فقلت : ((يا أبة , إنّ الحسن والحسين قد غابا عنيّ هذا اليوم , وقد طلبتهما في بيوتك فلم أجدهما ولا أدري أين هما , وإنّ عليّاً راح إلى الدالية منذ خمسة أيام ؛ يسقي بستاناً له)) .إذ أبو بكر قائم بين يدي النبي (ﷺ) , فقال (ص) له : ((يا أبا بكر , اطلب لي قرّة عيني)) .ثمّ قال : ((يا عمر ويا سلمان ويا أباذر ويا فلان ويا فلان , قوموا فاطلبوا قرّة عيني)) .قال : فأحصينا على رسول الله (ﷺ) أنّه وجد سبعين رجلاً في طلبهما , فغابوا ساعة ورجعوا ولم يصبوهما , فاغتم النبي (ﷺ) غمّاً شديداً , فوقف عند باب المسجد وقال : ((اللهمّ , بحق إبراهيم خليلك , وبحقّ آدم صفيك , إن كان قرّتا عيني وثمرتا فؤادي أخذاً برّاً أو بحرّاً , فاحفظهما وسلّمهما من كلّ سوء يا أرحم الراحمين)) .فإذا بجبرائيل (عليه السلام) قد هبط من السماء , وقال : يا رسول الله , لا تحزن ولا تغتم فإنّ الحسن والحسين فاضلان في الدنيا والآخرة , وقد وكلّ الله بهما ملكاً يحفظهما إن ناما أو قعدا أو قاما , وهما في حضيرة بني النّجار .ففرح النبيّ بذلك وسار وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمسلمون من حوله , حتّى دخلوا حضيرة بني النّجار , وذلك الموكلّ بهما قد جعل أحد جناحيه تحتها والآخر فوقهما , وعلى كلّ واحد منهما دراعة من صوف , والمداد على شفّتيهما , وإذا الحسن مُعانق

الحُسين وهما نائمان , فجثي النَّبي على ركبتيه ولم يزل يقبلهما حتى استيقظا , فحمل النَّبي الحُسين (عاشقاً) وحمل جبرائيل الحسن, وخرج النَّبي من الحُضيرة وهو يقول : ((معاشر النَّاس , اعلموا أنّ مَنْ أبغضهما فهو في النَّار , ومَنْ أحبَّهما فهو في الجنَّة , ومن كرمهما على الله تعالى سَمَّاهما في التَّوراة شَبْرًا وشَبِيرًا)) .

فيا إخواني , هذا والله الشَّرَف الرَّفيع والفضل المنيع , والمجد الفاخر والنَّور الزَّاهر , والعنصر الطَّيب الطَّاهر . فعلى الأطائب من أهل بيت الرِّسول فليبك الباكون , وإيَّاهم فليندب النَّادبون , ولملتهم تذرف الدَّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيد للشيخ ابن حماد (رحمه الله تعالى)

إبك ما عشت بالدموع الغزاري	لذراري مُحَمَّد المختار
شردوا في البلاد شرقاً وغرباً	وخلت منهم عراض الـديار
وغزتهم بالجنود أرجاس حقد	بغليل من الصدر الحرار
وكأني بهم عطاشا يسقون	كؤوس الردا بحمد الشفار
وكأني أرى الحُسين وقد نكس	عن سرجه تريب العذار
وهوى شمير اللعين عليه	ففرى رأسه بماضي الجمار
ثم علاه في السنان سنان	يتلألاً كضوء شمس النهار
وكأني بالطاهرات وقد	أبرزن للسبي من سجوف الديار
وأني بزينة إذ رأته	وهو ملقى على الجنادل عار
سقطت دهشة ونادت بصوت	يترك الصخر ذكره ذا انطار
يا أخي لا حييت بعدك بل لا	نعمت مقلتي بطيب القرار
أبرزت للسبب منا وجوه	طال ما صيبتها عن الأبصار
يا أخي لو ترى سكينه قد	ألبسها اليتم حلة الإنكسار
لو تراها تخمر الرأس بالكم	حياءاً من بعد سلب الخمار
تستر الوجه باليمين وقد	تمسك حزناً أحشائها باليسار
كلما حث حادي العيس بالسير	وحادت في حداثها باشتهار
هتفت عمتاه مالي أرى	السائق مستعجلاً بحث القطار

عمته اه ليتيه يرفق بالسير
وعز يز عليّ أبي لو أبي يراني
لعن الله ظالمكم من الناس
لو درى زائر الحسين بما
فلهم عفوه ورضوانه عنهم
وتناديهم الملائكة قد أعطيتهم
بشروهم بأنهم أوليائي
وخطاهم محسوبة حسنات
وعليهم أخلاف ما انفقوه
فإذا زرتيه فزده بأخبار
وإدع من يسمع الدعاء من
ويورد الجواب إذ هو حي
ثم طف حول قبره والتثم
فيه تفاحه النبي وعلي
وهو خير الورى أباً ثم أمماً
جده المصطفى وولده الهادي
سبط الحمى بلحمهم ودمي
فعليتهم صلي المهيمن ما غرد
وأنا الشاعر ابن حماد الناظم

فأعطيته دملجي وسواري
أتلافاه خيفة وأداري
معاً بالعشي والإبكار
أوجبته ذو الجلال للزوار
وخطط الذنوب والأوزار
الأمن من عذاب النار
في مميّ وذممي وجواري
هبة من إلهنا الجبار
ضعف من درهم ومن دينار
ونسك وخشية ووقار
الزائر في جهرة وفي الاسرار
لم يمت عند ربه الغفار
تربة قبر معظم المقدار
وابن بر وخامس الأبرار
وأبو السادة الهداة الخيار
عليّ من مثله في الفخار
فهو محل الشعار ثم الدثار
طير علي ذري الأحجار
ففيهم قلائد الأشعار

الجلس الثالث

من الجزء الثاني في الليلة السابعة من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها الإخوان , كيف تخفي زفرات الأحزان , أم كيف تطفي هُفات الأشجان وقد جرى ما جرى لسادات الزّمان؟! تُفطّع منهم الأوصال , ويجدلّون على الرّمال , ويجرعون كؤوس الحتوف بأرض الطّفوف , وتُجرّ نساءهم سبايا على أقتاب المطايا. فوا عجباه من تلك القلوب القاسية والنّفوس الملعونة العاصية , أما اختبروهم أنّهم ودائع الرّحمن؟! أما سمعوا مدحهم في مُحكم القرآن؟! :

فيا ويل من تجرّأ على أمرائه وساداته الذين هم أصل دينه وهُداته ! فبالله عليكم أيّها الإخوان , أطيلوا البكاء عليهم , وعجّوا بالابتهاال في قبول الطّاعات عند ذي الجلال إليهم , وأسيلوا الدّموع الهتان واكثروا النّوح والأحزان , وكيف لا تشبّ نار أشجاني من ضلوعي كلّما قرحت أجفاني سواكب دموعي؟! :

وحقك لا ترى بي من ملال ولا يثني عناني عنك ثاني

كفاني أن دمعي فيك جار وحسي أنني بهواك عاني

روي عن الصّادق أنّه قال : ((لما خرج أمير المؤمنين إلى حرب صفّين , فلم يزل سائراً حتّى إذا كان قريباً من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين , تقدّم يسير أمام النّاس حتّى إذا صار بمصارع الشّهداء رضوان الله عليهم , قال : أيّها النّاس , اعلموا أنّه قُبض في هذه الأرض مئتا نبيّ ومئتا سبط من أولاد الأنبياء كلّهم شّهداء ,

وأتباعهم معهم استشهدوا معهم .ثمَّ إنَّه (عليه السلام) طاف على بغلته في تلك البقعة , ومع ذلك خارج رجليه من الرِّكاب وهو يقول: هُنا والله مناخ ركاب ومصارع شهداء , لا يسبقهم بالفضل مَنْ كان قبلهم ولا يلحقهم مَنْ كان بعدهم .ثمَّ نزل (عليه السلام) وجعل يبكي وهو يقول : آه , وا حزنه ! ما لي وما لآل بني سُفيان , وما لي وما لآل حرب حزب الشَّيطان , صبراً صبراً يا أبا عبد الله , لقد لقي أبوك منهم مثل ما تلقى منهم .ثمَّ إنَّه توضئ وصلَّى ثمَّ ذكر كلامه الأوَّل , ثمَّ نعس فحفق خفقة واتبته وهو يقول : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .فقال له ابن عبَّاس : رأيت رؤيا خيرا إن شاء الله تعالى ؟ فقال (ع) له : يابن عبَّاس , رأيت كأني برجال قد نزلوا من السَّماء وهم مقلدين بسيوفهم ومعهم غلام أبيض , وقد خطَّوا حول هذه الأرض خطَّة , ثمَّ رأيت كأني هذا النَّخل قد ضربت بأغصانها الأرض , وصارت تضطرب بدم عبيط , وكأني بالحُسين ولدي ونجلي وقومي ومضغتي , يستغيث فلا يُعاث ويستجير فلا يُجار , والرَّجال الذين نزلوا من السَّماء يقولون له : صبراً صبراً يابن رسول الله يا أبا عبد الله , فإنَّكم تُقتلون على يدي أشرَّ النَّاس , وهذه الجنَّة مشتاقَّة إليكم .ثمَّ إنَّهم أقبلوا يعزونني بولدي الحُسين , ويقولون لي : صبراً صبراً يا أبا الحسن ! أحسن أحسن الله لك العزاء بولدك الحُسين , فقد أقرَّ الله به عينيك يوم القيامة , يوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين . ((

فيا لك من أمر فظيع على الورى
ومن عثرة ما أن يقال ولا تعفا
فله ما أعمى رجال عن الهدى
ولله ما أفسى قلوباً وما أجفى
ولا عجباً أن يفسدوا دين أحمد
وإن يلحدوا فيه وقد أسلموا عنفا

روي عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري , قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : ((يا مسمع , أنت من أهل العراق , أما تأتي قبر الحُسين ؟)) .قُلت : لا , إنَّما أنا رجل مشهور عند أهل البصرة , وعندنا مَنْ يتبع هذا الخليفة , وأعداؤنا كثير من أهل القبائل من النَّصَّاب وغيرهم , ولست آمنهم أن يدفعوا عليَّ عند ولد سُليمان فيمثلوني .قال (ع) : ((أفما تذكر ما صنَّع به ؟)) .قُلت : بلى والله .قال : ((فتجزع ؟)) .قُلت : أي والله , واستعبر حتَّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ , فامتنع من الطَّعام والشَّراب حتَّى يستبين ذلك في وجهي .قال : ((رحم الله دمعتك , أما أنك من

الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا ، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا آمنّا ، أما أنّك ستري عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك ، وما يلقونك به من البشارة أفضل ، وملك الموت أرقّ عليك وأشدّ رحمة لك من الأمّ الشّفيقة على ولدها)) . قال : ثمّ استعبر واستعبرت معه ، فقال : ((الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالوصية ، وخصّنا أهل البيت بالرحمة . يا مسمع ، إنّ الأرض والسّماء لبيكيان منذ قُتل أمير المؤمنين رحمة لنا ، وما بكى لنا من الملائكة أكثر ، وما رقت دموع الملائكة منذ قُتلنا ، وما بكى أحد رحمة لنا ولمّ لقينا إلاّ رحمة الله قبل أن تخرج الدّمعة من عينيه ، فإذا سألت دموعه على خدّه ، فلو أنّ قطرة من دموعه سقطت في جهنّم لأطفأت حرّها حتى لا يوجد لها حرّ ، وإنّ الموجه قلبه [لنا] (1) ليفرح [يوم] (2) يرانا عند موته فرحة ، ولا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض ، وإنّ الكوثر ليفرح بمحبّتنا إذا ورد عليه حتى ليذيقه من ضروب الطّعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه ، يا مسمع ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ولم يسق بعدها أبداً ، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزّنجبيل ، أحلى من العسل وألين من الزّيد ، وأصفى من الدّمع وأزكى من العنبر ، يخرج من تسنيم ويمرّ بأنهار الجنان ، يجري على رياض الدّر والياقوت ، وفيه القدحان أكثر من عدد نجوم السّماء ، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام ، قدحاته من الذهب والفضّة وألوان الجواهر ، يفوح في وجه الشّارب منه كلّ فائحة ، حتى يقول الشّارب منه ليتني تركت ههنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحوّلاً ، أما أنّك يا كردين ، ممّن تروي منه ، وما من عين بكت لنا إلاّ أنعمت بالنّظر إلى الكوثر وسقيت منه ، وإنّ الشّارب منه ليُعطي من اللّذة والطّعم والشّهوة له أكثر ممّا يُعطاه من دونه في حبّنا ، وإنّ على الكوثر أمير المؤمنين وفي يده عصا عوسج ؛ يحطّم بها أعداءنا ، فيقول الرّجل منهم : إنّني أشهد الشّهادتين . فيقول له : انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك . فيقول : تبرّأ منّي إمامي الذي تذكره . فيقول له : ارجع إلى ورائك فقلّ للذي كُنت تتولاه وتقدّمه على الخلق أن يشفع لك ، فإنّ خير الخلق حقيق أن لا ير إذا شفع . فيقول : إنّني أهلك عطشاً . فيقول له : زادك الله ظمأً وزادك الله عطشاً)) . قُلت : جُعلت فداك ! وكيف يقدر على الدّنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره ؟ .

(1) و(2) من إضافات المقوم . (معهد الإمامين الحسنين).

قال : ((ودع عن أشياء قبيحة , وكف عن شتمنا إذا ذكرنا , وترك أشياء اجترأ عليها غيره , وليس ذلك لحبنا ولهوى منه لنا , ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه , ولما قد شغل به نفسه عن ذكر الناس , وأما في قلبه فمنافق ودينه التّصب واتباعه أهل التّصب , قد تولّى الماضين وقدمهما على كلّ أحد)) :

وإني ليشـجيني إـدكـاري عـصـابة	بأكنـاف أرض الغاضـريات قـتـيل
ومـن بيـنهم سـبط النـبي مـحمّد	ومـهـجـتـه فـوق الصـعيد مـجـدل
وقـد طـحـنت مـنـه جـناجـن صـدره	تقاسـمـه قـوم أضـاعوا وبـدل
ورحـل بـني الهادي النـبي المـوزع	تقاسـمـه قـوم أضـاعوا وبـدل
رجـالهم صـرعى بـكل تنوفـة	ونسـوتهم في السـبي حـسرى وثـكل
وأطفـالهم غـرثى يـمضهم الطـوى	ولـيس لهم بـر هـنالـك يـكفـل

فيا إخواني , حسدوهم على الكمال وجلّ وعلا مجدهم أن ينال , أمّا أمير المؤمنين , فإيّهم أغروا به المرادى اللعين وأبرزوا له قطام فهاوها , فأبت أن تبلغ نفسه أمانيتها إلّا بشيء من الحطام وقتل عليّ (عليه السلام) , فتعهّد بمهرها وطاوعها على أمرها , وفيه تقول من تعجّب من إقدامه وعلو مرامه :

ثلاثـة آلاف وضـرب وقينـة	وضـرب عليّ بالحسـام المصـمم
فـلا مـهر أغلـى مـن عليّ وإن غـلا	ولـا فـتـك إلّا دـون فـتـك ابـن مـلجـم

فلمّا كان وقت الغداة , ضربه بالسيف وهو يوقظ للصلاة , فدعاه إلى جنته فمات من ضربته.

وأما الإمام الحسن (عليه السلام) , فدسّوا إليه السّم فمات كما فعلوا بجده مـحمّد (صلى الله عليه وآله).

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((أنّ الحسن قال لأهل بيته : إيّ أموت بالسّم كما مات به جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) . قالوا : ومَن يفعل ذلك ؟ قال : امرأتى جعدة بنت الأشعث بن قيس , فإنّ معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك . فقالوا : اخرجها من منزلك وباعدها من نفسك . قال : كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً ؟ ولو أخرجتها , ما قتلني غيرها وكان لها عذري عند الناس . فما ذهبت الأيام والليالي حتّى بعث إليها معاوية مالاً جسيماً , وجعل يُمنّيها بأن يعطيها مئة ألف درهم وأيضاً يزوّجها من

يزيد , وحمل إليها شربة من السم لتسقيها الحسن , فانصرف (عليه السلام) إلى منزله وهو صائم وكان يوم شديد الحر , فأخرجت له وقت الإفطار شربة من لبن قد أَلقت فيها ذلك السم , فشربها فقال : يا عدوة الله ! قتلتيني قتلك الله , والله لا تصيبين مني خلقاً ولقد غرتك وسخر منك , والله يخزيه ويخزيك . فمكث (عليه السلام) يوماً ومضى إلى رضوان الله , فغدر معاوية بها ولم يف لها)).
وأما الحسين (عليه السلام) , فقد غرّوه بالمكاتيب وزخرفوا له الأكاذيب , وقالوا : اقدم على السعة والترحيب والمنزل الخصب , ونحن لك أجناد وأرقاء وعباد . فلما أناخ بساحتهم , سارعوا إليه بالسيف والرماح وصادموه في ميدان الكفاح , وقالوا : لا براح ولا سعة ولا فساح . فجاهدتهم بمن معه من أوليائه وبني أبيه وأحبابه , فأتوا على آخرهم وأذاقوهم الحتوف ؛ رشقاً بالنبال وطعنأ بالرماح وضرباً بالسيف . فيا ويحهم ما أجرأهم على سفك دم رسول الله ! ويا ويلهم ما أسرعهم إلى تقريح كبد البتول ! وكأثمهم قد نسوا المعاد إلى ربّ العباد .

فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب الندابون , ولمتلهم تذرف الدموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة لابن السمين (عليه الرحمة)

من لقلب عن الهوى في اشتغال	وللب من الجوى في اشتغال
ولجسم من الضنا في سقام	ولبال من العنا في وبال
ولطرف من الأسى في سهاد	ولدمع من البكا في انهمال
ولوجد من الابل في مقام	ولصبر من الابل في ارتحال
أي عذر لمن يبيت خلياً	من جوى نار قلبه غير صال
خلل يا خلل ذا الملام فقلبي	قد تخلى عن القلوب الخوالي
لا يبالي بقول حُبّ محب	في ملائم ولائم قال قالي
ما شجاه هجر الحبيب ولا فقد	قارين ولا تغير حال
بل شجاه مصاب آل رسول الله	خير الورى وأشرف آل
ما أهل الشهر المحرم إلا	هلّ طرني بمدمع هطال
وتمثلت ما جرى لموال	يتعالى مصابهم عن مقال

كيف صبر المحب وهو يرى
وحبيب الحبيب بين قتيل
ووجوهه لا تنظر الشمس إلا
مسفرت من بعد ستر حجاب
لست أنسى الحسين روعي فداه
قائلاً للعدو ألين قول
قد عرفتم أبي وجددي وأمي
لم جعلتم عزاء أحمد فينا
ولماذا نهجتم منهج القتل
أتروني حرمت غير حرام
فاهدوا منهج الرشاد وحيدوا
واعلموا إنني الولي فيا حزن
وإلينا حكم المعاد جميعاً
فماذا تجادلون يوم لا ينفع
مذ تنأى قوم الإمام تنأوا
وأبادوا الأبرار من حزبه الأخيار
بهدوا جمعهم بيض قصار
لست أنساه بعد قتل أحبائه
قاصداً منهج الخيام إلى الفسطاط
أجلوا الصبر آل بيت رسول الله
أخت طفلي الصغير أوصيك فيه
ناوليني به كي أزد منه
فاتته به وكان محيائه
فرآه والجسم يذوي ذبولاً
عندها قال والجوى في اتقاد
أين من يرحم الصغير ويظفي

الأحباب من بعد عزة وجلال
وجريح وموثق بالحبال
حذراً أن يفوت وقت الزوال
مبديات من بعد سجع حجال
وقليل يفدى بنفسي ومالي
ليبان وحجة في المقال
وعرفتكم أخي وعمي وخالي
بعد حسن الفعال قبح الفعال
ولم آت موجباً للقتال
أم تروني حللت غير حلال
عن طريق الردى وسبل الضلال
المعادي وقرحة المتوالي
ومآل الحسب يوم المآل
عند الجمدال واهي الجمدال
في إزاء وضيقوا في المجدال
فتكناً بالمرهفات الصقال
ونصال زرق وسمير طوال
وقتل الفرسان والأبطال
هوناً موصياً للعيال
فالأجر فيه للإجمال
دون كل العيال والأطفال
ناظري بالوداع قبل ارتحال
منيراً يفوق نور الهلال
وهو ظامي وحاله غير حالي
ليس يظفي ودمعه في انهمال
حر صدر ببرد ماء زلال

من كؤوس المنون ماء وبال
جاء في نحره العزيز المثل
قائلاً في سبيل رب الجلال
وهو لا يختشي لوقع النبال
الأجل المُرْتَضَى من الآجال
من ثراه وقده في نفال
بشجو وسرجه منه خالي
بضروب التعويل والإعوال
قتيلاً ملقى بتل الـتلال
وهو عاري السر بال والسر وال
منها وأيقنوا في السوال
وسفت بالرماد ریح الشمال
بقلب بجمر البين صالي
ومأل الرجال والآمال
وميل السؤال قبل السؤال
وعليه ملابس من رمال
في تمه أوان الكمال
وثقل القيود والأغلال
في الفيافي على ظهور الجمال
عن أعين النساء والرجال
غارة في خيامنا والرجال
وحديث بأسهم في نكال
في جميع الأمور والأحوال
وعلى الأجر قد جعلت اتكالي
وأهل الإنعام والإفضال
في وداد وسؤدد في كمال

طلب الماء منهم فسقوه
ورماه رام بسهم مشؤوم
فملاً من دمائه راحتيه
وأنته النبال من كل وجه
عندما حان حينه وأتاه
خر ملقى عن مهرة في هبوط
وغدا مهرة إلى الأهل ينعاه
فابتدرن النساء يندبن ندباً
لهف قلبي وقد مررن بمثواه
رض منه صدر وخر كريم
فتصارخن صرخة رجّت الأعداء
وبكت أعين السماء دمء
لهف قلبي لأم كلثوم تنعاه
وتناديه يا أخى يا مأل
يا أخى يا مؤملي يا منيلي
بأبي جـمك السليب لباساً
بأبي رأسك المعلبي يفوق البذر
يا أخى لو رأيت إبنك في الأسر
يا أخى لو رأيتنا كيف نسري
سلبوا لباسنا حيث لا نستر
بعدهما أضرموا الضرام وشنوا
ورمونا عن قوس حقد قديم
حيث وصيتنا بصبر جميل
فعلى الصبر قد جعلت اعتمادي
يا ذوي الحجر والطواسين والرعد
لكم يا بني على علاء

ومحـل في رفعة ومعـال
وبهـاء في بهجة وضـياء
ومغـان رضـعن در المعـاني
فلهـذا إن قيل فيكم نظـام
ولهـذا قد زان نظمـاً بمـدح
أنتم الحـرز والذريعة والـذخر
يـوم لا ظل في القيامة إلا ظلـكم
فعلـيكم من الإله صـلاة
في فعـال وعـزة في جـلال
في تـلال ورونـق في جمـال
ومعـان رضـغن در المعـالي
قيل هـذا جـواهر أم لـيالي
في علاـكم فـتى السـمين المـوالي
غـداً يـوم حشـره والمـآل
فاسـكنوه تحـت الظـلال
جمـة بالغـدو والآصـال

الباب الثاني

نوحوا أيها المحبّون لآل الرّسول على مصاب أبناء الرّهراء البتول ، وابتكوا عليهم بالدموع السّجام ؛ لأنّهم الهداة الأعلام وأئمة أهل الإسلام ، فلا خير والله في البكاء على الأطلال الخالية ، ولا خير والله في الحزن على الرّمم البالية ، ولا فضيلة والله في البكاء على الآباء والأجداد والأبناء والأولاد ، ما لم يكن على مصاب العترة النّبوية والذريّة العلوية .

كما ورد في الخبر عن سيّد البشر ، أنّه قال : ((مَنْ دُكِرنا عنده فبكى لمصابنا وحزن لما نابنا من نوب الدّهر ، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر)) . وفي الخبر أيضاً عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، أنّه قال : ((ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة ، أو دمعت عيناه فينا دمعة ، إلا بوّأه الله في الجنّة حقباً)) . وعنهم (عليهم السلام) ، أنّهم قالوا : ((مَنْ بكى وأبكى ولو واحداً ، ضمّنا له على الله الجنّة ، ومَنْ لم يتأتّ له البكاء فتباكى ، فله الجنّة)) .

فهذه يا إخواني النّعمة العظمى والفضيلة الكبرى ، وفقنا الله وإياكم للأجر العظيم والثّواب الجسيم ، والخلود في جنان النّعيم مع محمّد وأخيه وعترته وذريته :

حتى متى وإلى متى تتصـر
اليوم فلتذهب النفوس كآبـة
وجدي يزيد وحسرتي ما تنقضي
فلمثل هذا اليوم دمـعك يـذخر
وعلى الخـدود من المهاجر تقـطر
وجواً يـجل ومدمع يتحـدر

ظفرت علوج أمية بإماننا
قتل الحسين فيما سماء تظفري
ومن العجائب أن مولانا اشتكى
أخذ الحسين بكفه طفلاً له
خرجت سكينه والحسين مرملة
فعدت تعفر وجهها بدمائه
وغدت تناجي جدها وتقول قد
يا آل أحمد ما رأينا نكبة
صلّى الإله عليكم ما غردت
فيا ويلهم باعوا الآخرة بالأولى واستبدلوا بالأرذل الأدنى !

ظفراً تكاد له الصخور تفجر
فلمثل مصرعه المرائر تظفر
ظماً وفي كلتا يديه أبحر
عطشان من فرط الظمأ يتضور
دامي الترائب والجبين مغفر
وتقول واكرباه مثلك ينحر
حكمت بنا قوم عتوا وتجرؤوا
إلا ونكبتمكم أجمل وأكبر
ورق الحمام ولان غصن مثمر

قيل : لما جمع ابن زياد لعنه الله تعالى قومه لحرب الحسين (عليه السلام) , كانوا سبعين ألف فارس , فقال ابن زياد : أيها الناس , من منكم يتولى قتل الحسين وله ولاية أي بلد شاء ؟ فلم يجبه أحد منهم , فاستدعى بعمر بن سعد لعنه الله , وقال له : أريد أن تتولى حرب الحسين بنفسك . فقال له : أعفني من ذلك . فقال ابن زياد : قد أعفيتك يا عمر , فاردد علينا عهدنا الذي كتبناه إليك بولاية الربي . فقال عمر : أمهلني الليلة . فقال له : قد أمهلتك . فانصرف عمر بن سعد إلى منزله , وجعل يستشير قومه وإخوانه ومن يثق به من إخوانه , فلم يشر عليه أحد بذلك , وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يُقال له كامل , وكان صديقاً لأبيه من قبله , فقال له : يا عمر , ما لي أراك بهيئة وحركة فما الذي أنت عازم عليه ؟ - وكان كامل كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل - فقال له ابن سعد لعنه الله : إني قد وليت أمر هذا الجيش في حرب الحسين , وإنا قتلته عندي وأهل بيته كأكلة آكل أو كشرية ماء , وإذا قتلته خرجت إلى ملك الربي . فقال له كامل : أف لك يا عمر بن سعد ! تريد تقتل الحسين ابن بنت رسول الله ؟! أف لك ولدينك يا عمر ! أسفهمت الحقّ وضللت الهدى ؟ أما تعلم إلى حرب من تخرج ولمن تُقاتل ؟! إنّا لله وإنّا إليه راجعون , والله , لو أعطيت الدنيا وما فيها على قتل رجل واحد من أمة محمد لما فعلت , فكيف تُريد قتل الحسين ابن بنت رسول الله ؟! وما الذي تقول غداً لرسول الله إذا وردت عليه وقد

قتلت ولده وقرّة عينه وثمره فؤاده , ابن سيّدة نساء العالمين وابن سيّد الوصيين , وهو سيّد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين , وإنّه في زماننا بمنزلة جدّه في زمانه , وطاعته فرض علينا كطاعته , وإنّه باب الجنّة والنّار , فاختر لنفسك ما أنت مختار , وإنيّ أشهد بالله , إن حاربتّه أو قتلتّه أو أعنت عليه أو على قتله , لا تلبث في الدّنيا بعده إلّا قليلاً . فقال له عمر بن سعد : فبالموت تخوّفني ؟! وإنيّ إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس وأتولّى مُلك الرّي .

فقال له كامل : إنيّ أحدثك بمحدث صحيح أرجو لك فيه النّجاة إن وقّعت لقبوله , اعلم إنيّ سافرت مع أبيك سعد إلى الشّام , فانقطعت بي مطيّتي عن أصحابي وتمت وعطشت , فلاح لي دير راهب , فملت إليه ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدّير ؛ لأشرب ماء , فأشرف عليّ راهب من ذلك الدّير , وقال : ما تُريد ؟ فقلت له : إنيّ عطشان . فقال لي : أنت من أمة هذا النّبي الذي يقتل بعضهم بعضاً على حُبّ الدّنيا مكالبة , ويتنافسون فيها على حطامها ؟ فقلت له : أنا من الأمة المرحومة أمة مُحمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . فقال : إنكم أشرّ أمة , فالويل لكم يوم القيامة وقد عدوتم إلى عترة نبيّكم تسبّون نساءه وتنهبون أمواله ! فقلت له : يا راهب , نحن نفعل ذلك ؟ قال : نعم , وإنكم إذا فعلتم ذلك , عجّت ؛ السّماوات والأرضون , والبحار والجبال , والبراري والقفار , والوحوش والأطيّار , باللعنة على قاتله , ثمّ لا يلبث قاتله في الدّنيا إلّا قليلاً , ثمّ يظهر رجل يطلب بثأره فلا يدع أحداً أشرك في دمه إلّا قتله وعجّل الله بروحه إلى النّار .

ثمّ قال الرّاهب : إنيّ لا أرى لك قرابة من قاتل هذا ابن الطّيب , والله , إنيّ لو أدركت أيّامه لوقيته في نفسي من حرّ السيّوف . فقلت : يا راهب , إنيّ أعيد نفسي أن أكون ممّن يُقاتل ابن بنت رسول الله . فقال : إن لم تكن أنت فرجل قريب منك , وإنّ قاتله عليه نصف عذاب أهل النّار , وإنّ عذابه أشدّ عذاباً من عذاب فرعون وهامان . ثمّ ردّ الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى وأبى أن يسقيني الماء .

قال كامل : فركبت فرسي ولحقت أصحابي , فقال لي أبوك سعد : ما أبطأك عنّا يا كامل ؟ فحدّثته بما سمعته من الرّاهب , فقال لي : صدقت . ثمّ إنّ سعداً أخبرني أنّه نزل بدير هذا الرّاهب مرّة من قبل , فأخبره أنّه هو الرّجل ابن بنت رسول الله , فخاف أبوك سعد من ذلك وخشي أن تكون أنت قاتله , فأبعدك عنه وأقصاك , فاحذر

يا عمر أن تخرج عليه يكون عليك نصف عذاب أهل النار. قال : فبلغ الخبر إلى ابن زياد , فاستدعى بكامل وقطع لسانه , فعاش يوم أو بعض يوم ومات رحمه الله تعالى.

وروي : أن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لقي عمر بن سعد يوماً , فقال له : ((كيف تكون إذا قمت مقاماً تتخيّر فيه بين الجنة والنار فتختار لنفسك النار ؟)) . فقال له : معاذ الله , أياكون ذلك ؟ فقال له (عليه السلام) : ((سيكون ذلك بلا شك)) . قال الراوي : ثم إن عمر بن سعد نزل على شاطئ الفرات , فحالوا بين الحسين وبين الماء حتى كظهم العطش , فأخذ الحسين (عليه السلام) فأسأ وجاء إلى وراء الخيمة - خيمة النساء - فحفر قليلاً فنبع الماء , فشرب وأسقى حرمه وأطفاله وجميع أصحابه , وملاً القرب وأسقى الخيل , ثم غار الماء فعلم الحسين أنه آخر ماء يشربه :

با عوا بدار الفناء دار البقاء وشروا	نار اللظى بنعيم غير منتقل
يا حسرة في فؤادي لا انقضاء لها	يزول أحدو رضوي وهي لم تنزل
بنات أحمد في الأسفار سافرة	وجوهها وبنو سفیان في الكلل
يحملن من بعد ذاك العز و حزني	أسرى حواسر فوق الأنيق الذلل
والرأس يحمله الباغي سنان على	سنان لذن أصم الكف معتدل
مصيبة بكت السبع الشداد لها	دماً ورزء عظيم غير محتمل

نُقل أن عليّ بن الحسين (عليه السلام) كان عمره يوم قُتل أبوه عشر سنين أو أحد عشر سنة , فدخل جامع بني أمية في يوم الجمعة , واستأذن الخطيب أن يأذن له بالصعود على المنبر ؛ ليتكلم بكلام يرضي الله ورسوله , فأذن له , فصعد المنبر وقال : ((أيها الناس , من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي , أنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , وأنا ابن المذبوح بشاطئ الفرات عطشاناً , أنا ابن المقتول ظلماً بلا ذحل ولا تراث , أنا ابن من ؛ انتهك حرمة وقطع كريمة , وذبح فظيمة وسُلب قميصه , ونهب من ماله وسي عياله , أنا ابن من قُتل في الله صبراً وكفاني بهذا فخراً.

أيها القوم ! هل تعلمون أنكم كتبتُم إلى أبي ودعوتُموه , وأرسلتم إليه وخذعتموه , وأعطيتُموه من أنفسكم العهد والميثاق وختتموه , وقتلتم له نحن أنصارك فقاتلموه . فتباً لما قدّمتم لأنفسكم ! وسوءاً لكم فيما فعلتم ! بأيّ عين تنظرون

رسول الله , وبأيّ لسان تخاطبون به حبيب الله , إذ يقول لكم قتلتم عترتي وأهل بيتي , وانتهكتم حرمتي فلستم من أمّتي (!؟). قال : فارتفعت أصوات النَّاس بالبكاء والتَّحْيِيب من كلِّ ناحية , وقال بعضهم لبعض : أهلكتم والله أنفسكم وما تعلمون. فقال لهم زين العابدين : ((يا قوم , رحم الله أمراءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله ورسوله وأهل بيت رسوله , فإنّ لنا في رسول الله أسوة حسنة)) . قالوا بأجمعهم : قُل يا بن رسول الله , فإنّا لقولك سامعون ولأمرك طائعون ولذمك حافظون , غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك , فأمرنا بأمرك يرحمك الله ونحن حرب لِمَن حاربك وسلم لِمَن سالمك , ونبراً مِمَّن ظلمكم وغضب حقّكم , ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

فقال عليّ بن الحسين (عليه السلام) : ((هيهات هيهات أيّها الغدرة المكرة , حيل بينكم وبين ما تشتهون , أتريدون أن تأتوا إليّ ما أتيتم إلى أبي وأخي وبني عمّي , ووجدهم بلهاتي ومرارة مصابهم بين حناجري وغصصهم في فراش صدري , وقولي هذا لكم؛ لئلا تكونوا لنا ولا علينا , ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم)) :

رموا باسمهم بغبي عن قسي رداً	من كف كفر رماها الله بالشلل
فغودروا في عراض الطف قاطبة	صرعى بجد حسام الغدر والدجل
سقوا بكأس القنا خمر الفنا فعدى	الحمّام تشدوا بييت صار كالمثل
لله كم قمر حاقى الحاق به	وخادر دون باب الخدر منجدل
نجوم سعد بأرض الطف آفلة	وأسد غيل دهاها حادث الغيل
وأصبح السبب فرداً لا نصير له	يلقى الحمّام بقلب غير منذهل
يشكو الظمأ ونمير الماء مبتذل	يعل منه وحوش السهل والجبل
صاد يصد عن الورد المباح ومن	وريده مورد الخطيئة الذبل
لهفي له عافر ملقى لا كفن	سوى السواني بلا لحد ولا غسل
مترب الخد دامى النحر منعفر	الجبين بحر قضا ظام إلى الوشل
ذا فادح هد أركان الهدى ودها	غرار صرام دين الله بالقلل

فانظروا يا إخواني إلى هؤلاء الظلمة الكفرة الطّغاة الحسدة , كيف انتهكوا حرمة الرّسول وفتكوا في ذرّيّة البتول بغير ذنب أذنبوه ولا جرم اجترموه , اللهم , فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً , ولا تغفر لهم

أبدأ , وعذبهم العذاب الأليم في أسفل درك من الجحيم .وعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون , وإيأهم فليندب
النّادبون , ولمثلهم تذرّف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ,
فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مغماس

فصلت صروف الحادثان مفاصلي	وأصاب سهم النائبات مقاتلي
قطع الزمان عري قواي وكلما	قطع الزمان فماله من واصل
لا غرو من جد الزمان هزله	عز النصير على الزمان الهازل
خلط الزمان بغيمة بغمومه	عذراً وشاب زلاله بزلاله
بعداً لوصلك يا زمان فإنما	حلواك من صأب وسهم قاتل
أين الذي كانوا ونحن بقرهم	في طيبات مشارب وماكل
دارت رحاك علىهم فتمزقوا	فالقومتحت صفائح وجنادل
أفنيتهم وتركنتنا من بعدهم	بين الصديق أو العدو الخاذل
صرفت إرادتهم إليك فكلهم	يتكالبون على النعيم الزائل
طلبوا حلاوات المعاش بجهلهم	ونسوا مرارات الحمام النازل
فاحذر زمانك يا أخي فإنها	فعل الحزامة من صنيع العاقل
لا يخذعك ما ترى من صفوة	إن الخديعة مصرع للجاهل
أم كيف تعشق دهر سوء همه	بغض المحب له وضرم الواصل
مغري بحفظ البارعين من الورى	بالنائبات ورفع ركن الحامل
أخنى على آل النبي محمد	فأصيب شملهم بين شامل
كانوا غيماً للورى وسعادة	وغيوث خصب في الزمان الماحل
كانوا سحائب رحمة فتفشعت	بفجائع في كربلاء وشلاشل
كانوا بدوراً يستضاء بنورها	وكواكباً للحق غير أوافل
فالجد مهضموم الجنان لحزهم	والدين في كرب وشغل شاغل
لهفي لمولاي الحسين وقد غدا	بالطف بين مجالد ومجادل
لهفي له فرد أحاط برحلته	من رامح للظالمين ونابل

لَهْفِي لَهُ عِنْدَ الشَّرِيعَةِ يَشْتَكِي
لَهْفِي لِأَنْصَارِ لَهُ قَدْ غَوَدُوا
لَهْفِي لَهُ يَرْزُو مَصَارِعَ أَهْلِهِ
لَهْفِي لَهُ يَأْتِي الْحَرِيمَ مَوْدِعاً
لَهْفِي لَهُ يَحْمِي الْحَرِيمَ بِسَيْفِهِ
لَهْفِي لَهُ وَالْقَوْمَ تَنْهَبُ جِسْمَهُ
لَهْفِي لَهُ فَوْقَ الصَّعِيدِ مَجْدِلاً
لَهْفِي وَقَدْ ذَبَحَ الْحُسَيْنَ بِسَيْفِهِ
لَهْفِي وَقَدْ قَطَعَ الزَّيْمَ كَرِيمَهُ
لَهْفِي وَخَلِيلَهُمْ تَرْضَى نَعَالَهُمَا
لَهْفِي لِفَسْطَاطِ الْحُسَيْنِ وَقَدْ غَدَا
لَهْفِي لِرَأْسِ ابْنِ النَّبِيِّ هَدِيَّةً
لَهْفِي لِرَزِينِ الْعَابِدِينَ مَكْتَفِياً
لَهْفِي عَلَى حَرَمِ الْحُسَيْنِ يَسْقِنُ فِي
لَهْفِي لَهُنَّ وَقَدْ بَرَزْنَ حَوَاسِراً
لَهْفِي لَهُنَّ وَقَدْ سَلَدْنَ مَعَاجِراً
فَدَعَتْ بِعَمَّتِهَا الزَّكِيَّةَ فِطَامَ
يَا عَمَّتَاهُ ابْنِ الْحُسَيْنِ وَمَا بَنَا
قَالَتْ بَصُرْتُ لَهُ عَلَى عَفْرِ الثَّرَى
مَتَخَضِضاً بِدُمَائِهِ مَتَعَفِيراً
قَالَتْ أَلَا يَا عَمَّتَاهُ وَاحْسِرْتَا
يَا عَمَّتَا كَانِ الْحُسَيْنِ يَحُوطُنَا
يَا عَمَّتَا كَانِ الْحُسَيْنِ وَسِيلَةَ
يَا عَمَّتَا مَاذَا نَقُومُ لِمَنْ وَمَنْ
يَا عَمَّتَا لَيْسَ الصَّدِيقُ بِنَائِرِ
يَا عَمَّتَا وَاشْقُوتَا مَنْ بَعْدَهُ

عَطِشاً وَلَيْسَ إِلَى الْوُرُودِ بَوَاصِلُ
فِي كَرِبَلَاءَ بِذَوَابِلِ وَمَنَاضِلُ
كَمَلَا وَإِنْ صَارُوا لَدَيْهِ أَفَاضِلُ
تَوَدِيْعُ مَنْ لَا لِلْحَيَاةِ بِأَمَلُ
مَنْ فَارَسَ يَسْطُو هُنَاكَ وَرَاجِلُ
عَنْ نَاقِطٍ بِالذَّبَابِلَاتِ وَشَاكِلُ
قَدْ خَرَّ يَهْوِي عَنْ سِرَاةِ الْفَاضِلُ
وَالشَّيْبُ مَحْضُوبٌ بِقَنَانِ سَائِلُ
كَفَرّاً وَقَدْ عَالَاهُ فَوْقَ الذَّبَابِلُ
لَأَبْرَ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلُ
نَهْباً وَفِيهِ بَنُو النَّبِيِّ الْفَاضِلُ
لَا بِنِ الدَّعِي عَلَى سَنَانِ الْغَامِلُ
يَكْبُو لَهُ يَقْتَادُ بَيْنَ عَقَائِلُ
ذَلِ السَّبَابِ وَمَا لَهَا مِنْ كَافِلُ
مَنْ بَعْدَ قِصَمِ أَسَاوِرِ وَخَلَاحِلُ
شَعَثاً وَقَدْ رَكِبْنَ فَوْقَ رَوَاحِلُ
بَنَاتِ النَّبِيِّ دَعَا حَزِينَ ثَاكِلُ
بَيْنَ الْعِدَاةِ كَأَنَّهَا مِنْ كَابِلُ
وَمَتْرَبُ مَا مِنْهُ رَجَاءُ الْأَمَلُ
فِي الْقِنَاعِ بَيْنَ جَوَامِعِ وَعَوَاسِلُ
لِشَقَاءِ أَيْتَامِ لَهُ وَأَرَامِلُ
وَبِهِ نَصُولُ عَلَى الزَّمَانِ الصَّائِلُ
تَرْجِي وَقَدْ قَطَعَ الزَّمَانُ وَسَائِلِي
يَعْتَادُنَا بَعَوَارِفِ وَفَوَاضِلُ
أَبْداً وَلَيْسَ عَدُونَا بِمَجَامِلُ
ضَغْناً فَلَيْسَ لَكُنَا مِنْ حَامِلُ

فبكت وقالت زينب لا تصدعي
يا بنت مولاي الحسين ترفقي
فابوك فارقني ففارقته العززا
حجب الحمام حمامه عن ناظري
أسفاً على نور الإله وقد هوى
أخبي إن ذهل الحزين مصابه
أخبي ما مدمعي عليك بجامد
فبكت ملائكة السماء لبكائها
هذي الرزية للنبي وآله
لم تفعل الأمم الأوائل مثلها
فعلام يا شيعتي تذخر مدمعاً
فاحبس دموعك عن تذكر دمنة
واسمع بهما في رزء آل محمد
إني إذا هزل المحرم هاج لي
يفني الزمان ولا أرى لمصاحبهم
فلعل تعذبي بهم ألقى به
يا أهل بيت محمد يا سادة
أنتم أئمتنا الهداة وأنتم
أنتم رعات المسلمين فمن يزغ
أنتم بنو المختار غير مدافع
وإليكم مئي قصيدة شاعر
منظومة جاءت تزف إليكم
قول ابن داغر والمحجب مغامس
فتقبلوها وعجلوا بكرامتي
صلى الإله عليكم وسقاكم

قلبي فحزن أيبك غير مزائل
بحشاشة مسجورة ببلا بل
لكن حزني في أيبك مواصلي
وخياله طول الزمان مقابل
أسفاً على الليث الهمام الباسل
يوماً فليس القلب عنك بذاهل
كلا ولا حزني عليك بزائلي
وبكى النبي لها بدمع هائل
جلت فما رزء لها بمائل
هيهات ما أحد لذاك بفاعل
تبكي به لمعالم ومنازل
درست معالمها بشعبي نائل
فعساك تحضى بالنعيم الآجل
حزن يذيب حشاشتي من داخل
إلا أخاً حرق وجسم ناحل
غفران ذنب هدد منه كاهل
حازوا السورى بمكارم وفواضل
في الدين أهل فضائل وفواضل
عنكم فليس له الإله بقابل
لكم ولا أحد لكم بمشاكل
لهج بمدحك إليكم مائل
بكمالها من لج بحر الكامل
والقول برهان لعقل القائل
فالنفس مولعة بحب العاجل
صوب الغمام بمستهل الوابل

الباب الثالث

أيها المؤمنون ، أتدرون أيّ مزية تحصلون وفي أيّ مرتبة تحلون ؟ أنتم والله المحبورون الفائزون المجاهدون الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أليس في الكتاب المُبين بعد إثبات الولاية لأُمير المؤمنين وأولاده الغرّ الميامين : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ ﴾ (1) ؟ وهذا الخطاب نصّ صريح في هذا الباب ، واعلموا أنّ هذه الآية سرّاً عجبياً لا يتفطن له إلا الأريب ، فلو تصوّر المُحبّ لآل الرسول ما لاقوه من الخطب المهول وأخلص في ولائه ، لاختار لمواساتهم في الموت على بقاءه ، أئجندل الحسين وبنو أبيه على الرمال ويعلى كريمة الشّريف على القنا كاهلال ، وتُسي ذراريه محمولين حسراً على الجمال ، يُطاف بهم في البلاد مقننين في الأصفاد ، هذا والدّموع جامدة والعيون راقدة ؟! لا والله ، لا يحسن هذا من أهل الإيمان ولا ممن يدّعي أنّه من حزب الرّحمان ، بل والله ، قُل لهذا المصاب خروج الأرواح من شدّة الاكتئاب:

جار العدو عليهم حتى غدوا	أيدي سببا في سوء حال منكر
ما بين مضروب بأبيض صارم	أو بين مطعون بلسان أسمر
أو بين مسحوب ليدبح بالعرى	أو بين مشهور وآخر موسر
أو بين من يكبو لثقل قيوده	أو بين مغلول اليدين معفر
كم من أذى متهم قد مسهم	من ظالم باغ عليهم ومفتر

روي عن رسول الله (ﷺ) ، أنّه قال لعليّ بن أبي طالب : ((يا عليّ ، إنّ الله زوجك ابنتي فاطمة الزهراء وجعل صداقها الأرض ، فمن مشى عليها وكان مُبغضاً لها ، كان مشيه على الأرض حراماً ولها في يوم القيامة شأن عظيم)) .
وعن الصادق (عليه السلام) ، أنّه قال : ((إذا كان يوم القيامة ، جاءت فاطمة في لمة من نساء أهل الجنة ، فيقال لها : يا فاطمة ادخلي الجنة . فتقول : والله لا أدخل حتى أنظر ما صنع بولدي الحسين من بعدي في دار الدنيا . فيقال لها : انظري في قلب القيامة . فتنظر يميناً وشمالاً فتري الحسين (عليه السلام) وهو واقف ليس عليه رأس ، فتصرخ صرخة عالية من حرقة قلبها ، فتصرخ الملائكة لصرختها ، وتقول : وا ولداه ! وا مهجة قلباه ! وا حسيناها !

(1) سورة المائدة / 56.

قال : فلم يبق في ذلك الموقف ملك ولا نبي ولا وصي إلا وبكى لأجلها وحزن لحزنها . قال : فعند ذلك يشتد غضب الله على أعداء الرسول , فيأمر الله تعالى ناراً اسمها هبهب - قد أوقدوا عليها ألف عام حتى اسودت واطلمت لا يدخلها روح - فيقال لها : يا هبهب , التقطي قتلة الحسين (عليه السلام) ومن أعان على قتله . فتلتقطهم جميعاً واحداً بعد واحد , فإذا صاروا في حوصلتها , صهلت بهم ووهلوا بها وشهقت بهم وشهقوا بها واشتد عليهم العذاب الأليم , فيقولون : ربنا لم أوجب علينا حرق النار قبل عبدة الأصنام ؟ فيأتيهم الجواب : يا أشقياء , إن من علم ليس كمن لا يعلم)) . فذوقوا عذاب الهون بما كنتم تعملون :

لمصابهم تنزل الأطلواد ولقمتلهم تتفتت الأكبـاد
كل الرزايا بعد وقت حلولها تنسى ورزءهم الجليل يعاد

روي عن سهل بن سعيد الشهرزوري , قال : خرجت من شهرزوري أريد بيت المقدس , فصار خروجي أيام قتل الحسين (عليه السلام) , فدخلت الشام فرأيت ؛ الأبواب مفتحة والدكاكين مغلقة , والخيل مسرجة , والأعلام منشورة والزرايات مشهورة , والناس أفواجاً امتلأت منهم السكك والأسواق , وهم في أحسن زينة يفرحون ويضحكون , فقلت لبعضهم : أظن حدث لكم عيد لا نعرفه ؟ قالوا : لا . قلت : فما بال الناس كافة فرحين مسرورين ؟ فقالوا : أغريب أنت أم لا عهد لك بالبلد ؟ قلت : نعم , فماذا ؟ قالوا : فُتح لأمير المفسدين فتح عظيم . قلت : وما هذا الفتح ؟ قالوا : خرج عليه في أرض العراق خارجي فقتله والمنة لله وله الحمد . قلت : ومن هذا الخارجي ؟ قالوا : الحسين بن علي بن أبي طالب . قلت : الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ؟ قالوا : نعم . قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون , وإن هذا الفرح والزينة لقتل ابن بنت نبيكم , وما كفاكم قتله حتى سميتموه خارجياً ؟! فقالوا : يا هذا , أمسك عن هذا الكلام واحفظ نفسك ؛ فإنه ما من أحد يذكر الحسين بخير إلا ضربت عنقه . فسكت عنهم باكياً حزيناً , فرأيت باباً عظيماً قد دخلت فيه الأعلام والطبول , فقالوا : الرأس يدخل من هذا الباب . فوقفت هناك , وكلما تقدموا بالرأس , كان أشد لفرحهم وارتفعت أصواتهم , وإذا برأس الحسين والنور يسطع من فيه كنور رسول الله (صلى الله عليه وآله) , فلطمت على وجهي وقطعت أطماري

وعلا بكائي ونحيبي ، وقُلت : وا حزناه للأبدان السلبية النَّازحة عن الأوطان المدفونة بلا أكفان ! وا حزناه على الخدّ التّريب والشّيب الخضيب ! يا رسول الله ! ليت عينيك ترى رأس الحسين في دمشق يُطاف به في الأسواق ، وبناتك مشهورات على النّياق مشقّقات الدّيول والأرياق ، ينظر إليهم شرار الفسّاق ، أين عليّ بن أبي طالب يراكم على هذا الحال ! ثمّ بكيت وبكى لبكائي كلّ من سمع منهم صوتي ، وأكثرهم لا يلتفتون بي ؛ لكثرتهم وشدّة فرحهم واشتغالهم بسرورهم وارتفاع أصواتهم ، وإذا بنسوة على الأفتاب بغير وطاء ولا ستر ، وقائلة منهنّ تقول : وا مُحّمّدها ! وا عليّاه ! وا حسناه ! لو رأيتم ما حلّ بنا من الأعداء . يا رسول الله ! بناتك أسارى كأئنّ بعض أسارى اليهود والنّصارى . وهي تنوح بصوت شجيّ يفرح القلوب على الرّضيع الصّغير ، وعلى الشّيخ الكبير المذبوح من القفا ومهتوك الخبا العريان بلا رداء . وا حزناه لما نالنا أهل البيت ! فعند الله نحتسب مصيبتنا .

قال : فتعلّقت بقائمة المحمل وناديت بأعلى الصّوت : السّلام عليكم يا آل بيت مُحّمّد ورحمة الله وبركاته . وقد عرفت أنّها أمّ كلثوم بنت عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فقالت : من أنت أيّها الرّجل الذي لم يسلم علينا أحد غيرك منذ قُتل أخي وسيدي الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؟ فقلت : يا سيّدي ! أنا رجل من شهرزور اسمي سهل ، رأيت جدّك مُحّمّد المُصطفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . قالت : يا سهل ! ألا ترى ما قد صنّع بنا ؟ أما والله لو عشنا في زمان لم يُر مُحّمّد ، ما صنع بنا أهله بعض هذا ، قُتل والله أخي وسيدي الحسين ، وسُبيننا كما تُسبى العبيد والإماء ، وحملنا على الأفتاب بغير وطاء ولا ستر كما ترى . فقلت : يا سيّدي ، يعزّ والله على جدّك وأبيك وأمّك وأخيك سبط نبي الهدى . فقالت : يا سهل ! اشفع لنا عند صاحب المحمل أن يتقدّم بالرّؤوس ؛ ليشغل النّظارة عنّا بما فقد خزينا من كثرة النّظر إلينا . فقلت : حُبّاً وكرامة .

ثمّ تقدّمت إليه وسألته بالله وبالغت معه ، فانتهرني ولم يفعل ، قال سهل : وكان معي رفيق نصراني يُريد بيت المقدس وهو مُتقلد سيفاً تحت ثيابه ، فكشف الله عن بصره ، فسمع رأس الحسين وهو يقرأ القرآن ويقول : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ...** ﴾ (1) . فقد أدركته السّعادة ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ مُحّمّداً عبده ورسوله . ثمّ انقضى سيفه وشدّ به على القوم وهو يبكي ، وجعل يضرب فيهم فقتل منهم جماعة كثيرة ، ثمّ تكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ، فقالت أمّ كلثوم : ما هذه

(1) سورة إبراهيم / 42.

الصَّيْحَةُ ؟ فحكيت لها الحكاية , فقالت : وا عجباه ! التَّصَارَى يَحْتَشِمُونَ لِدِينِ الْإِسْلَامِ , وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٌ الَّذِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ , يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُ وَيَسْبُونَ حَرِيمَهُ , وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (1) . ولقد عجبت لتلك الأطواد كيف لا تتزلزل , وكذلك النَّادِي كيف لا ينخسف ويتحوَّل , ولكن أرتفع موجود اللطف من بين أظهرهم وهم لا يعلمون : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (2) :

يا أمة السوء لم تجازوا رسول الله	فـيكم إذ لم يـزل متعـوبا
كل يوم تهتكون حرماً	من بنيه وتقتلون حبيبا
كيف تلقونه شفيفاً وترجون	غدا أن يزيل عنكم كربا
لا وربي ينـال وذاك سـوى	من كان مـولاهم مـوال منيـا

حُكِيَ أَنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ رَأَى إِسْرَائِيلِيًّا مُسْتَعْجَلًا , وَقَدْ كَسَتْهُ الصَّفْرَةُ وَاعْتَرَى بَدَنَهُ الضَّعْفُ وَحَكَمَ بِفَرَائِصِهِ الرَّجْفُ , وَقَدْ أَقْشَعَرَ جَسْمَهُ وَغَارَتْ عَيْنَاهُ وَنَحَفَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا دَعَاهُ رَبُّهُ لِلْمُنَاجَاةِ يَصِيرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى , فَعَرَفَهُ إِسْرَائِيلِيٌّ وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِهِ , فَقَالَ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ , أَذْنِبْتَ ذَنْبًا عَظِيمًا , فَاسْأَلْ رَبَّكَ أَنْ يَعْفُوَ عَنِّي فَأَنْعَمَ . وَسَارَ , فَلَمَّا نَاجَى رَبَّهُ , قَالَ لَهُ : يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ , أَسْأَلُكَ وَأَنْتَ الْعَالَمُ قَبْلَ نَطْقِي بِهِ . فَقَالَ تَعَالَى : ((يَا مُوسَى , مَا تَسْأَلُنِي أُعْطِيكَ وَمَا تُرِيدُ أَبْلُغُكَ)) . قَالَ : رَبِّي , إِنَّ فُلَانًا عَبْدُكَ إِسْرَائِيلِيٌّ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَيَسْأَلُكَ الْعَفْوَ . قَالَ : ((يَا مُوسَى , اعْفُو عَمَّنْ اسْتَغْفَرَنِي إِلَّا قَاتِلَ الْحُسَيْنِ)) . قَالَ : مُوسَى : يَا رَبَّ , مَنْ الْحُسَيْنِ ؟ قَالَ لَهُ : ((الَّذِي مَرَّ ذَكَرَهُ عَلَيْكَ بِجَانِبِ الطَّوْرِ)) . قَالَ : رَبَّ , وَمَنْ يَقْتُلُهُ ؟ قَالَ : ((يَقْتُلُهُ أُمَّةٌ جَدَّةُ الْبَاغِيَةِ الطَّاعِيَةِ فِي أَرْضِ كَرْبَلَاءَ , وَتَنْفِرُ فَرَسَهُ وَتَحْمَحُمُ وَتَصْهَلُ وَتَقُولُ فِي صَهِيلِهَا : الظَّالِمَةُ الظَّالِمَةُ مِنْ أُمَّةٍ قَتَلَتْ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا , فَيَقْبَلُ مُلْقَى عَلَى الرِّمَالِ مِنْ غَيْرِ غَسَلٍ وَلَا كَفْنٍ , وَيُنْهَبُ رَحْلُهُ وَتُسَبَّى نِسَاءَهُ فِي الْبُلْدَانِ , وَيُقْتَلُ نَاصِرُوهُ وَتُشْهَرُ رُؤُوسُهُمْ مَعَ رَأْسِهِ عَلَى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ . يَا مُوسَى , صَغِيرُهُمْ يَمِيتُهُ الْعَطَشُ وَكَبِيرُهُمْ جَلْدُهُ مِنْ كَمَشٍ , يَسْتَغِيثُونَ وَلَا نَاصِرَ , وَيَسْتَجِيرُونَ وَلَا خَافِرَ)) . قَالَ : فَبَكَى مُوسَى وَقَالَ : يَا رَبَّ , مَا لِقَاتِلِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ؟ قَالَ : ((يَا مُوسَى , عَذَابُ يَسْتَعِيثُ مِنْهُ أَهْلُ النَّارِ بِالنَّارِ , لَا تَنَالُهُمْ رَحْمَتِي وَلَا شَفَاعَةُ جَدَّةٍ , وَلَوْ لَمْ تَكُنْ كَرَامَةً لَهُ لَخَسَفَتْ

(1) سورة البقرة / 57.

(2) سورة الشعراء / 227.

بهم الأرض)) .قال موسى : برئت إليك اللهم منهم وممن رضي بفعالهم .فقال سبحانه : ((يا موسى , كتبت رحمة لتابعيه من عبادي , واعلم أنه من بكى عليه وأبكى أو تباكى , حرمت جسده على النار)) :

بني أمية مات الـدين عندكم وأصبح الحق قد وارته أكفان
أضحت منازل آل السبـط مقفـرة من الأنيس وما فيهن سـكان
باهوا بمقتله ظلماً وقد هدمت لفقده من ذوي الإسلام أركان
رزية عمت الدنيا وساكنها فالدمع في أعين الباكين هتان

قيل : افتخر إسرائيل على جبرائيل , فقال : إني من حملة العرش وصاحب الصور والتفخة , وأنا أقرب الملائكة إلى حضرة الجلال .فقال جبرائيل : أنا خير منك .قال : لماذا ؟ قال : أنا أمين الله على وحيه , وصاحب الكسوف والخسوف والزلازل والرسائل .فاختصما إلى الله تعالى , فأوحى إليهما : ((أن اسكنا , فوعزتي وجلالي , لقد خلقت من هو خير منكما , انظرا إلى ساق العرش)) .فنظروا وإذا على ساق العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله , علي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله .فقال جبرائيل : بحقهم عليك , إلا ما جعلتني خادماً لهم .فقال : ((لك ذلك)) .فافتخر جبرائيل على الملائكة أجمع لما صار خادماً لهم .فقال : من مثلي وأنا خادم آل محمد ؟ فانكسرت الملائكة أن يفاخروه .

فتفكروا أيها الأعلام وتأملوا في هذا الإمام , وانظروا إلى ما فعل به القوم اللئام , وإلى صبره على التجرع والغصص والآلام , وتجرع كؤوس الحمام , ولقد فاق على جدّه إبراهيم في هذا المقام العظيم ؛ لأنّ إبراهيم (عليه السلام) ابتلي في نفسه لا غير حين ألقى في النار , والحسين (عليه السلام) صُرع حوله بنوه وبنو أبيه الأطهار , واغتصبوا نفسه أيضاً , فقابل الجميع بالإستغفار والرّضا والإصطبار , فهذا مرام لم يصل قبله ولا بعده أحداً إليه إلا هو صلوات الله وسلامه عليه , نعم قد زاد على هذا المقام أبوه عليّ (عليه السلام) , وذلك أنّ النبي (ص) لما أدركته الوفاة وكان رأسه الشريف في حجر عليّ (ع) , بكى , فقال له : ((ما يبكيك يا أخي ؟)) .فقال(ع) : ((يا سيدي , كنت وقد وعدتني بالشهادة وأنت مُعافي , وقد كنت أرجو أن أقتل بين يديك)) .فقال(ص) : ((ابشر فإنّها من ورائك , فكيف صبرك إذأ ؟)) .فقال : ((يا رسول الله , ليس ذاك موطن الصبر , وإنما هو موطن الشكر)) .

فقد جعل الحسين (عليه السلام) موطن الشهادة موطن الصبر ، وعلي (عليه السلام) جعلها موطن البشري والشكر ، والصبر لا يكون إلا عن أمر مكروه ، والشكر لا يكون إلا عن أمر محبوب ، والفرق بين هذين المواطنين العظيمين ، كالفرق بين هذين الإمامين الكريمين ، فعلى الأطاءب من أهل بيت الرسول فليكن الباكون ، وإياهم فليندب التادبون ، ولثلهم تذرّف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مغامس (رحمه الله تعالى)

كيف السلو والخطوب تنوب	ومصائب الدنيا عليك تصوب
إن البقاء على اختلاف طبائع	ورجاي أن ينجو الفتى لعجيب
والدهر أطوار وليس لأهله	إن فكروا في حالتيه نصيب
ليس اللبيب من استقر بعيشه	إن المفكر في الأمور لبيب
يا غافلاً والموت ليس بغافل	عش ما تشاء فإنك المطلبوب
أبرزت لهوك إذ زمانك مقبل	زاه وإذ غصن الشبّاب رطيب
فمن النصير من الخطوب إذ أتت	وعلا على شرح الشباب مشيب
عمل الفتى من علمه مكتوبة	حتى الممات وعمره مكتوب
فتراه يكسح في المعاش ورزقه	في الكائنات مقدر محسوب
إن الليالي لا تزال مجودة	في الخلق أحداث لها وخطوب
من سر فيها ساءه من صرفها	ريب له طول الزمان قريب
عصفت بخير الخلق آل محمد	صر شامية لها وصوبوب
أما النبي فخانته من قومه	في أقربيه محاكم وصحيب
من بعدما ردوا عليه وصاله	حتى كأن مقالته مكذوب
ونسوا رعاية أحمد في حيدر	في (ختم) وهو وزيره المصحوب
فأقام فيهم برهة حتى قضى	في الفرض وهو بغضبهم مغضوب
والطهر فاطمة زوى ميراثها	شمر الأنام ودمعها مسكوب
من بعدما رمت الجنين بضربة	فقضت وحقها مغضوب
وسليلها الهادي سقته جعيده	سماله سبط الفؤاد لهيب

دمع على قتل الحسين صبيبه
وأمر طعماً أنه لعصبيه
يبدو وليس لمّا يقول مجيب
يشكو الظماً والماء منه قريب
ومحمد عند الإله حبيب
سبب المطهر إن ذا لعجيب
كل الأنام ببولها مكروب
قتلوه ظلماً وهو فيك غريب
منك المياه وضاق منك رحيب
فلهم رفيف نحووه ووثوب
لما قضت أنصاره وأصبيه
سهم لمقلته الشريف مصيب
وبه أوام فإدح ولغووب
تسفي عليه شمائل وجنوب
فلهم ركض حوله وخبيبه
والشيب من دمه الشريف خصب
لهفي عليه ورحله منهوب
شعثاً وقد رعبت لهن قلوب
عنه وقلن وللقلوب وجيب
ولك المهيمن إن فعلت يثبت
فكر لعلك تهدي وتثيب
لم يثنه خوف ولا ترغيب
فحرّبه تبكي له وحريب
جزعاً وكم شقت عليه جيوب
تبكي له وقناعها مسلوب
بين الطفوف ودمعها مسلوب

وجرى من الجفن الغريق بمائه
يا يومه ما كان أقبح منظراً
بأبي الإمام المستظام بكربلا
بأبي الوحيد وماله من راحم
بأبي الحبيب إلى النبي محمد
يا كربلاء أفيك يقتل جهرة
ما أنت إلا كربة وبليّة
هل لا انتصرت له من القوم الأولى
فتدكدت فيهم رباك وغورت
لهفي وقد زحفت إليه جموعهم
لهفي له فرداً وحيداً بينهم
لهفي وقد وافى إليه منهم
لهفي عليه وقد هوى متعفراً
لهفي عليه بالطفوف مجداً
لهفي عليه والخيلول ترضه
لهفي له والرأس منه مميّز
لهفي عليه ودرعه مسلوبة
لهفي على حرم الحسين حواسراً
أبصرت شمراً فوقه فجزته
يا شمير ويحك خله لبناته
يا شمير ويحك من أبوه وأمه
حتى إذا قطع الكرم بسيفه
جددن ثم على الحسين مآتماً
لله كم لطمت خدود عنده
ما أنس لا أنس الزكية زينباً
تدعو وتندب والمصاب يكضها

وتقول أي شـقوة أولى لها
أأخي بعدك ما صفي متكدر
أأخي بعدك قد شقيت ورايني
أأخي بعدك لا حييت بغبطة
أأخي بعدك من أطول به ومن
أأخي بعدك من يدافع جاهلاً
لم يلق خلق ما لقيت ولا ابتلى
حزني تذرف به الجبال وعنده
فأتت إليه أم كلثوم لها
قالت مصابك يا حسين أصابني
ما كنت أحسب يا بن أمي أني
قد كنت دخرأ لي ولكن الفتى
فالآن بعدك ظل مجدي قالص
ودعت سـكينة بالصغيرة فاطم
هـذا أبوك مغرراً ثاو له
فأبكي أخية دائماً لمصابه
قتلت أحبائي وأهل مودتي
ودعا ابن سعد برزوا نسوانه
قال أوقدوا النيران في أبياته
قال اقصدوا بأرض الشام فقربت
فركبن يندبن النبي محمداً
يا جدنا ساقوا علينا موثقاً
يا جدنا ساقوا بناتك حسراً
يا للرجال الأكرميين لما جرى
آل النبي المصطفى الهادي لهم
يحدوا بهم زجر ليرضى منهم

صرف الزمن وحظنا المتعوب
ولخاطري عما يطيب نكوب
دهر لأخبار الرجال مريب
واغتالي خسف إلى قريب
أسطو به والنائبات تنوب
عني ويسمع دعوتي ويجيب
يوماً بمثل بليتي أيوب
يسلو وينسى يوسفاً يعقوب
ذبل على وجه الثرى مسحوب
حزناً ونوري فاحم وغريب
أشقي وإن الظن فيك يخيب
أبدأ إليه حمامه مجلوب
ولمساء وجهي جفنة وتصوب
قومي أخية فالمصاب يصوب
خد على عفر الثراء تريب
فمصابه منه الجبال تذوب
كملاً فليس لما شكوت طيب
فسلبية مكشوفة وسليب
فسما لها بين البيوت لهيب
أنقاص بزل للحريم ونيب
وهم على حر الركاب ركوب
بالقيد وهو خائف المرعوب
حتى تهتك سترها المحجوب
والدهر فيه مصائب وخطوب
بالأرض في آفاقها تغريب
رجس لكأس مدامه شريب

ويرجع الألمان وهو طريب
فهم الذين عليهم مغضوب
لعن مدى الأيام ليس يغيب
يهوى من اللعن الشديد ضروب
جار وقلبي ما حيت كئيب
فرض ونهج هديكم ملحوب
كفر برب العالمين وجوب
أبدأ يعاقب فيكم ويثيب
ذي مقول من طبعه التهذيب
عنه جرائم جملة وذنوب
بالرغم ممن يزدي ويعيب
ما ماس من مر النسيم قضيب

فالرأس بين يديه ينكت ثغره
يدعو بأشياخ له لا قدسوا
فعلى الذى ساس المضالم أولاً
وعلى أمية أجمعين ومن لهم
يا أهل بيت محمد دمعي لكم
أنتم ولاة المسلمين وحبكم
طبتم فحبكم النجاة وبغضكم
أولاكم الفضل الجسم لأنسه
والىكم مني قصيدة شاعر
أهداكم مدحاً لكي تحيي بها
فانظم مغامس ما تشاء منقحاً
ثم الصلاة على النبي وآله

المجلس الرابع

من الجزء الثاني في السابع من عشر المُحَرَّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها المؤمنون , أيّ قُربة يتقرّب بها المتقرّبون , وأيّ سعادة يحضى بها الفائزون , أعظم من هذه القُربات التي يرضى بها ربّ السّمَوات والأئمة الهداة , حسدوهم الظّلمة الطّغاة على ما حصل لهم من الكمالات وعلو الدّرجات عند خالق الأرضين والسّمَوات , واعتضد ذلك بحبّ الدّنيا الدّنيّة , فحملهم ذلك على ارتكاب هذه الرّزيّة . فقد نُقل عن عمر بن سعد لعنه الله عندما وبّخه الرّجل الهمداني على خروجه على الحسين ومنعه الماء وأهل بيته , أنّه قال في جوابه : يا أبا همدان , والله إنّي أعرف النّاس بحقّ الحسين (عليه السلام) وحرّمته عند الله تعالى وعند رسوله , ولكيّ حائر في أمرى ما أدري كيف أصنع في هذا الوقت , كنت أتفكّر في أمرى وخطر ببالي أبيات من الشّعْر , فقال :

دعاني عبيد الله من دون قومه	إلى بدعة فيها خرجت لحياني
فوالله ما أدري وإني لصادق	أفكر في أمرى على خطرين
أتترك ملك الري والري مني	أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النّار ليس دونها	حجاب وملك الري قرة عيني

ثمّ قال : يا أبا همدان , إنّ نفسي لأمارة بالسّوء ما تحسن لي ترك مُلك الري , وإني إذا قتلت حسيناً أكون أميراً على سبعين ألف فارس .

فيا إخواني , اعلموا

أَنَّ التَّوْفِيقَ عَزِيزُ الْمَثَالِ ، وَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ لَمْ يَفِدْ فِيهِ عَذْلُ الْعَدَالِ ، وَمَنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ تَوَرَّطَ فِي أَعْظَمِ الْأُمُورِ وَدَخَلَ فِي الضَّلَالِ ، وَكَمَا أَنَّ لِلجَنَّةِ رِجَالًا وَفِي النَّارِ لَهَا رِجَالٌ ، وَمَنْ زُحِزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ ، فَتَعَسَّأَ لِمَنْ ظَلَمَ تِلْكَ الْعِصَابَةَ الْكِرَامَ ! وَسَحَقًا لِمَنْ نَكَّسَ أَعْلَامَ أَوْلَائِكَ الْأَعْلَامَ ! فَوَيْلٌ لَهُمْ مَاذَا يَقُولُونَ حِينَ يُعْرَضُونَ وَمَاذَا يُجِيبُونَ حِينَ يُسْأَلُونَ ! هُنَالِكَ تَبْلُو كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .

حُكِي : أَنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ وَجُودِيَةَ الْجَبَلِيَّ قَالَا يَوْمًا لِعَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدَّثْنَا عَنْ بَعْضِ خَلْوَاتِكَ مَعَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) . فَقَالَ : ((نَعَمْ ، بَيْنَمَا أَنَا وَفَاطِمَةُ فِي كِسَاءٍ وَاحِدٍ نَائِمَانِ ، إِذْ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْنَا نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) يَأْتِيهَا بِالْتَّمْرِ وَاللَبَنِ ؛ لِيُعِينَهَا عَلَى تَرْبِيَةِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نِيَامُ ، فَوَضَعَ رِجَالًا بِيحَالِي وَرِجَالًا بِحِيَالِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَبَاهَا وَاقْفًا ، هَمَّتْ أَنْ تَجْلِسَ فَلَمْ تَسْتَطِعْ ، فَبَكَتْ ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : وَمَا يَبْكِيكِ يَا بِنْتَ مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى؟ فَقَالَتْ : أَمَا تَرَى حَالَنَا وَنَحْنُ فِي كِسَاءٍ وَاحِدٍ نِصْفُهُ تَحْتَنَا وَنِصْفُهُ فَوْقَنَا ؟ فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتِي ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِطْلَاعًا مِنْ سَمَائِهِ إِلَى أَرْضِهِ ، فَاخْتَارَ مِنْهَا بَعْلَكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمْرِي أَنْ أَرْوِّجَكَ بِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَهُ لِي وَصِيًّا وَخَلِيفَةً مِنْ بَعْدِي . يَا فَاطِمَةُ ، أَمَا أَنَّ الْعَرْشَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَزِينَهُ بِزِينَةٍ لَمْ يَزِينَ بِهَا شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ ، فَزِينَهُ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، وَجَعَلَهُمَا فِي رَكْنَيْنِ مِنْ أَرْكَانِ الْعَرْشِ ، فَالْعَرْشُ يَفْتَخِرُ بِزِينَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، أَنَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) لَمَّا شَكَتَ عِنْدَ أَبِيهَا ضَعْفَ الْحَالِ وَفَقْرَ بَعْلِهَا عَلِيًّا ، قَالَ لَهَا : ((يَا بِنْتِي ، أَتَعْلَمِينَ مَا مَنَزَلَةُ عَلِيٍّ عِنْدِي ؟)) . قَالَتْ : ((اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)) . قَالَ : ((كَفَانِي أَمْرِي وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْ عَشَرَ سَنَةً ، وَقَاتَلَ الْأَبْطَالَ وَوَلَّاقَى الْأَهْوَالَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ سَنَةً ، وَفَرَّجَ هَمِّي وَجَلَّى غَمِّي وَأَزَالَ كُرْبِي وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَقَلَعَ بَابَ خَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً)) . فَاسْتَبَشَرَتْ فَاطِمَةُ بِذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا .

وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى حُدٍّ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، أَنَّهُ قَالَ : ((مَرَرْتُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِقَوْمٍ تَشْرُشِرُ أَشْدَاقَهُمْ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرَائِيلُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ عَلَى النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ)) . قَالَ : ((

ثُمَّ

عدلنا عن ذلك الطَّريق ، فلما انتهينا إلى السَّماء الرَّابِعة ، رأيت عليّاً يُصَلِّي ، فقلت : يا جبرائيل ، هذا عليٌّ قد سبقنا ؟ فقال : ليس هذا عليّاً . قُلت : فَمَنْ هو ؟ قال : إنّ الملائكة المَكْرُوبِينَ لما سمعت بفضائل عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وسمعت قولك فيه : أنت مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أَنَّهُ لا نبي من بعدي . اشتاقت إلى عليٍّ ، فخلق الله ملكاً على صورة عليٍّ ، فكَلَّمنا اشتاقت إلى عليٍّ ، جاءت إلى ذلك الملك فكأْتها قد رأت عليّاً)) .

وعن ابن عَبَّاس ، قال : رأيت أباذر وهو متعلِّق بأستار الكعبة ، وهو يقول : مَنْ عرفني فقد عرفني ومَنْ لم يعرفني فأنا أبوذر ، لو صمتم حتَّى تكونوا كالأوتاد ولو صلَّيتم حتَّى تكونوا كالحنايا ، ما ينفَعكم ذلك حتَّى تحبُّوا عليّاً .

وعن أبي شعيب الخراساني ، قال : دخلت على الإمام أبي عبد الله ، فقلت : فداك أبي وأُمِّي ! إنِّي اشتقت إلى الغري . قال : ((وما يشوقك إليه ؟)) . قُلت : جُعِلت فداك ! أحبُّ أن أزور أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . فقال : ((هلى تعرف فضل زيارته ؟)) . فقلت : يابن رسول الله عَرَفني ذلك . قال : ((إذا أردت زيارة أمير المؤمنين ، فاعلم أنَّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم أمير المؤمنين)) . فقلت : جعلت فداك ! إنَّ آدم بسرنديب بمطلع الشَّمس ، وزعموا أنَّ عظامه في البيت الحرام ، فكيف صارت عظامه بالكوفة ؟ فقال : ((إنَّ الله أوحى إلى نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو في السَّفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً ، فطاف أسبوعاً ، ثمَّ نزل في الماء إلى ركبته فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم ، فلم يزل معه التَّابوت في جوف السَّفينة حتَّى طاف ما شاء الله أن يطوف ، ثمَّ ورد إلى الكوفة في مسجدها وفيه يقول الله للأرض : اقلعي ماءك . فقلعت ماءها وتفرَّق الجمع الذي كانوا مع نوح في السَّفينة ودفعها ، فرجعت إلى بيت الله الحرام ، وأخذ نوح التَّابوت فدفنه في الغري ، وهو قطعة من الجبل الذي كلَّم الله فيه موسى تكليماً ، وقدس الله عليه عيسى تقديساً ، واتَّخذ الله إبراهيم خليلاً ومُحمّداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حبيباً ، وجعله للمتسنِّكين منسكاً ، والله ، ما سكن فيه بعد آبائه الطَّاهرين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين ، وأنتك تزور الآباء الأوَّلِينَ ومُحمّداً خاتم النَّبِيِّين وعليّاً سيِّد الوصيين ، وأنَّ زائرَه يفتح له أبواب السَّماء عند دعوته ، فلا تكن عن الخير نَوَاماً)) .

وكان أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يأتي هذه البُقعة الشَّريفة ويصَلِّي فيها ، فبينما هو ذات يوم يصَلِّي بالغري ، إذ أقبل رجلان

معهما تابوت على ناقة , فحطَّ التَّابوت وأقبلا إليه فسَلِّما عليه , فقال(ع) : ((من أين أقبَلتما ؟)) .قالا : من اليمن .قال : ((وما هذه الجنازة ؟)) .فقالا : كان لنا أب شيخ كبير , فلمَّا أدركته الوفاة , أوصى إلينا أن نحمله وندفنه في الغري , فقلنا : يا أبانا , إنَّه موضع شاسع بعيد عن بلدنا , وما الذي تريد بذلك ؟ فقال : إنَّه سيُدفن هُنَاك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((الله أكبر الله أكبر , أنا والله ذلك الرَّجل)) .ثمَّ قام فصلَّى عليه ودفناه ومضيا حيث أقبلا .

فسبحان من جعلهم رحمة للعالمين وسبباً مودياً إلى الفوز باليقين , وجودهم لطف في حقِّ الأنام , وحط أجسادهم عصم لمن ثوي فيها وأقام , ومحبَّهم تُمحي الآثام , وبصحَّة الاعتقاد فيهم تمحَّص الدُّنوب العظام , وباتباعهم يحصل الخلاص من أهوال يوم القيامة ودخول الجنَّة بسلام :

طوبى لمن أضحى هواكم قصده	وإلى محبتكم إششارة رمزه
في قـربكم نيل المسرة والمـنى	وجنـانكم مسـتنزه المتـنزه
قلب يهيم بحبكم تفريطه	في مـثلكم والله غايـة عـجزه
يضحى كدود القـز يتعب نفسه	في نسـجه وهلاكـه في قـزه
طـرف رآكم ثمَّ شاهد غيركم	تطهـيره بسـوى الـدمـا لم يـجزه
نزه فـؤادك عن سـواهم والقـهـم	فوصـالهم حلـ لكل منـزه
الصـبر طلسم لكنـز وصـالهم	من حلـ ذا الطلسم فاز بكنـزه

فوا عجباً من قوم استطاعوا على ساداتهم فقتلوهم , وخرجوا على أهل هدايتهم فقهرتهم ! أتراهم ما علموا أو علموا وما رعوا فاعتدوا وظلموا ؟ فلا غرو إن بكت عليهم محاجري أو قرح السَّهاد ناظري , أو تزايدت أوصابي أو أضمرت نار وجددي واكتئابي , فعلى الأطائب من أهل بيت الرِّسول فليبك الباكون , وإيَّاهم فليندب التَّادبون , ومثلهم تذرف الدَّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعته عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الجليل ابن مغامس (رحمه الله تعالى)

أتطلب دنيا بعد شيب قـذال وتذكر أياماً مضت وليال

وتظهر عن بان الغوير تجلداً
إذا كنت تستحي من العار خالياً
فكم تركب الأخطار في تبع الهوى
أما كان في شيب القذال هداية
أتأمل في دار الغرور إقامة
تيقض فأني قد رأيتك مقبلاً
تمسكت فيها بالغرور كمثل ما
فيا زلة أسرفت فيها تنغصت
فيا سوأتاه إن حان بيبي وهذه
وكان جديراً أن يموت صبابة
فيا قلب هل لا تستقيل من الخطا
تزود من الأيام خيراً فإنها
اتخذني الدنيا وقد شاب مفرقي
وانسي مسارها وما طال عهدا
ولي أسرة فيها بال محمد
تقسّمهم ريب المنون فاصبحوا
فبين شريد ترمي غربة النوى
وبين صليب مائل فوق جذعه
وبين دفين وهو حي ومختلف
وبين سميم قد سرى في عظامه
فيا ليت شعري من أنوح ومن له
أشجو علياً حين عمم رأسه
له أم لبنت المصطفى بعدما مضى
أم الحسن الزاكي سقطته جعيده
وإن حنيبي للشهيد بكربلا
فديت إماماً بالطواف كإنما

وتصوبو إلى نور له وضلال
فمالك تهوي قد كل غزال
ولا يخطر الذكر الجميل بيال
فيهديك نور الشيب بعد ضلال
لأنت حريص في طلاب محال
عليها وللأخرى رأيتك قالي
تمسكت من نوم بطيف خيالي
لخيفتها نفسي بكل زلال
سبيلي ولم أحذر قبيح فعالي
فتي حاله في المذنبين كحالي
وليس مصرر في غد بمقال
بلاغ لمشغوف بحسن مال
وأصبحت معقلاً لها بعقالي
وأسعى لها بالجهل سعي خيال
بني خير مبعوث وأكرم آل
عباديد أشتاتاً بكل محال
به بين غيطان وبين جبال
تهب عليه من صبي وشمال
يراقب خوفاً من وقوع نكال
من السم قتال بغير قتال
أروح وما قلبي عليه بسال
بمنصلت ذي رونق وصقال
قضت لم تفز من إثرها بخلال
قضى بين أنصار له وموال
لباق فلا يقضى له بزوال
ركائبه قد قيّدت بحبال

ركوب على خيل لهم وجمال
فقال انزلوا فيها ليوم نزال
وفلق رؤوس بيننا وقلال
لنا خير نسوان وخير رجال
تعللى على سمر لها وعوال
ومؤذن أهليه بوشك وبال
فمالك لا ترو لها بوصال
فما بال طعم الموت عندك خالي
لال أبي سفيان جيش ضلال
ذمامي وعهدي فاسمعوا لمقال
عليكم ومنهاج البسيطة خال
عليه سوى قتلي ونهب رحالي
نقول جواباً عند رد سؤال
ويرخص عند النفس ما هو غال
لأولاده والعيش بعدك قال
فكلهم في روضة وظلال
ينادي بصوت في البرية عال
فقتلي لكم والله غير حلال
وما بلها من بردها ببلال
كما خر طود من منيف جبال
لقطع وريد أو لحز قذال
ترض جناحي صدره بنعال
على نهب نسوان له وعيال
كالبدر يزهو في أتم كمال
به في قيود للعدو ثققال
أسارى حيارى في سبي ووبال

فأول لأنصار لديه وكلهم
أفيكم خير باسمها قيل بكرىلا
ففي هذه حقاً محط رحالنا
وفي هذه حقاً ستسبي بذلة
وفي هذه حقاً ستغدوا رؤوسنا
فديتك من ناع إلى الناس نفسه
كأن حياة النفس غير أحيحة
لعمرك إن الموت مر مذاقه
فديت وحيداً قد أحاط برحله
يقول لأنصار له قد اجتكم
ألا فاحلوا فالليل مرخ سدوله
فما لهم من مطلب قد تألبوا
فقالوا جميعاً ما يقال لنا وما
تقيك من الموت الشديد نفوسنا
أمن فرق نبغي الفریق وكلنا
فطوبى لهم قد فاز والله سعيهم
فديت إماماً بعد قتل حماته
يقول لهم إن تتقوا الله ربكم
فديت الذي يرنو الفرات بغلة
فديت فتى قد خر من سرج مهرة
فديت صريعاً قد علا الشمر صدره
فديت طريحاً تركض الخيل فوقه
فديت طريحاً أجمعوا بعد قتله
فديت قتيلاً رأسه فوق ذابل
فديت علياً في آثاره يغتدي
فديت لنسوان الحسين وأهله

بصوت مبين عن فجيعة بال
عليك ولا قلبي عليك بسال
فقد كنت قداماً زينتي وجمال
وقد فارقت كف اليمين شمال
تركنت وصالي أو صرمت حبالي
وبعد دنوي يا أخي وجلالي
أساءك فيما نالني وجرالي
ومما جرى لي قد تغير حالي
فنفسي إذا تفديك منه ومالي
نوائبها جسمي كبرى خلال
وقد كنت فيه عدتي وثمالي
على خلس انقراض لهم ورحال
وأكرم ماض في الزمان وتال
جوار وأما دورنا فخال
وصالت بنا الأيام أي مصال
نقاسي لظي نيرانها بنصال
ولا فستروا في أذننا بنكال
على ما نلاقي من جوى وكلال
ولا انتعلت أقدامنا بنعال
على لاغبات في المصاب هزال
لقي بين دكدك وبين تلال
لإرشاد غا أو لبذل نوال
قرين جلاد بينهم وجمال
رغال لهم قد اردفت برغال
بسمر لها قد أشرعت ونصال
نزيرل أواماً مؤذناً بزوال

فديت وقد قامت تناديه زينب
أخي ليس دمعي ما حييت بجامد
أخي أن تكن فارقت لا عن ملالة
أخي كيف أرجو في زماني مسيرة
أخي كيف أدعو لا تجيب كأنما
أخي كيف بعد القرب منك طردني
أخي لو رأيت عيناك ما قد أصابني
أخي إن وجهي قد تبدل حسنه
أخي إن فدت نفس لنفس من الردى
أخي قد دهنتني الحادثات وقد برت
أخي كيف يفني الدهر عني خطوبه
وسار ابن سعد بالسبايا حواسراً
ينادين بالمختار يا خير مرسل
أيا جدنا ما عبد شمس فدورهم
أيا جدنا عض الزمان بنانه
أيا جدنا أما الرزايا فإننا
أيا جد ما أبقوا علينا بقية
أيا جد لم يربع بنا لاستراحة
أيا جد لأردن تغطي رؤوسنا
أيا جد جد الدهر من بعد هزله
أيا جد هذا السبط في كنف كربلا
دعوهم إليهم طالبين قدومه
فلما أتاهم صار فرداً لديهم
شكا عطشاً والماء طام ودونه
يحاول منهم شربة فترده
فذاق الردى صبراً وما ذاق شربه

يسقن هدايا فوق نيب جمال
 لابصرتنا شعثاً بأسوء حال
 توالي عليها الحزن أي نوال
 فؤاداً من الترنيح ليس بخال
 حنين حمام أم حنين فصال
 بشجو رثى فيكم لرثى لي
 إليهم إذا حل الحساب مآلي
 وأجر به أن لا يفوت مقالي
 إليكم كما زفت عروس حجال
 على جيدها يزهو عقود لآل
 جرى من معانيكم صفات كمال
 فلسست بعقبى ما جنوت أبالي
 وما لاح وسمى بصوت سجالي

بنوك أبيدوا والبنات بذلة
 أيا جد لو شاهدت ما قد جرى لنا
 وحسن وجوه قد تولى سعوها
 بني المصطفى يا صفوة الله إن لي
 حنيني إليكم لا يقاس بمثله
 ولو مرر في تالي الزمان متيم
 وهل أملك السلوان عن حُب سادة
 فإن فاتني في عرصة الطف نصركم
 ودونكم مئتي عروساً زففتها
 منظمة الألفاظ بكرر كأنما
 وما كلمت إلا لأن كلامهما
 فإن صح قبلان لها من مغامس
 عليكم سلام الله ما لاح بارق

الباب الثاني

إن فضل أئمة المسلمين لا يُحصى كثرة ولو اجتمع له كافة العالمين ، ولعمري ، إن في فضيلة من فضائلهم عبرة للمعتبرين وذكرى للمتبررين ، إلا من أغواه الشيطان فأصمّ سمعه وعميت منه العينان ، فتصير عاصية عليه وإن كان ينظر بعينه .
 روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، قال : ((كان من بني مخزوم لهم خولة من عليّ (عليه السلام) ، فأتاه شابّ منهم فقال : يا خال ، مات قريب لي فحزنت عليه حزناً شديداً . قال : أفتحبت أن تراه ؟ قال : نعم . قال : فانطلق بنا إلى قبره . فلما وافى إليه ، وقف عليه ودعى الله تعالى ، وقال : يا فلان ، قم بإذن الله تعالى . فإذا الميت جالس على شفير القبر وهو يقول : زينة شالا - معناه : لبيك لبيك سيّدنا - فقال أمير المؤمنين : ما هذا اللسان ، ألم تمت وأنت رجل من العرب ؟ قال : بلى ، ولكني متّ وأنا على ولاية غيرك ، فأدخلت النار وانقلب لساني إلى لسان أهل النار))

وعن

صالح بن عقبة عن جعفر بن محمد (عليه السلام) ، قال : ((لما هلك أبو بكر [و] ⁽¹⁾ استخلف عمر ، رجع [عمر] إلى المسجد فدخل عليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رجل من اليهود وأنا من ملتهم ، وقد أردت أن أسألك عن مسائل إن أجبني فيها أسلمت ، قال : وما هي ؟ قال : ثلاث وثلاث وواحدة ، فإن سألتك وإن كان في قومك أحد أعلم منك فارشدني إليه . قال : عليك بذاك الشاب - يعني : علي بن أبي طالب (عليه السلام) - فأتى علياً فسأله ، فقال له : [لم] قلت : ثلاثاً [و] ثلاثاً وواحدة ألا قلت سبعاً ؟ قال : أنا إذا جاهل ، إن لم تجبني في الثلاث اكتفيت . قال : فإن أجبته تسلم ؟ . [قال : نعم . قال : سل .] قال : أسألك عن أول حجر وضع على وجه الأرض ، وأول عين نبعت ، وأول شجرة نبتت ؟ قال : يا يهودي ، أنتم تقولون أول حجر وضع على وجه الأرض الحجر الذي في بيت المقدس ، كذبتهم هو الحجر الذي نزل به آدم من الجنة . قال : صدقت والله ، إنه لبخطّ هارون وإملاء موسى (عليه السلام) . قال : وأنتم تقولون أول عين نبعت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس ، كذبتهم هي عين الحياة التي غسل فيها يوشع بن نون السمكة ، وهي العين التي شرب منها الخضر (عليه السلام) ، وليس يشرب منها أحد إلا حي . قال : صدقت والله ، إنه لبخطّ هارون وإملاء موسى (عليه السلام) . قال : وأنتم تقولون إن أول شجرة نبتت على وجه الأرض الزيتون ، وكذبتهم بل هي العجوة [التي] نزل بها [آدم] (عليه السلام) من الجنة معه . قال : صدقت والله ، إنه لبخطّ هارون وإملاء موسى (عليه السلام) . قال : والثلاث الأخرى ، كم لهذه الأمة من إمام هدى لا يضرهم من خذلهم ؟ قال : اثنا عشر إماماً . قال : صدقت والله ، وإنه لبخطّ هارون وإملاء موسى . قال : فأين يسكن نبيكم من الجنة ؟ قال : في أعلاها ذروة وأشرفها مكاناً في جنات عدن . قال : صدقت والله ، إنه لبخطّ هارون وإملاء موسى (عليه السلام) . قال : فمن ينزل معه في منزله ؟ قال : اثنا عشر إماماً . قال : صدقت [والله] ، إنه لبخطّ هارون وإملاء موسى (عليه السلام) . قال : السابعة وأسلم ، كم يعيش وصيه بعده ؟ قال : ثلاثين سنة . قال : ثم يموت أو يُقتل ؟ قال : يُقتل ، يُضرب على قرنه فيخضب لحيته . قال : صدقت والله ، وإنه لبخطّ هارون وإملاء موسى (عليه السلام) .)) .

فانظروا يا إخواني ، هل يوجد مثل هذا الشخص الرباني ؟

(1) كل ما هو موجود بين المعقوفتين في هذه الرواية ، هو منقول من كتاب الخصال للشيخ الصدوق / 476 - 477 . (معهد الإمامين الحسنين).

الله ألبسه في يوم مغرسة
ثياب حمد نقيات من العار
رفاع معضلة حمال مثقلة
دراك وتدر ودفراع لا وتار
بنوه المعصومون سادات الدنيا وشفعاء الخلق في الأخرى ، الجنة دار من والاهم والنار سجن من عاداهم ، أخذ الله لهم على الخلق الموثيق ، وأكد لهم على عباده العهد الوثيق.

نقل أنه افتخرت النار على الجنة ، وقالت : أنا مسكن الملوك والجبابرة والقساورة ، وأنت لا يسكنك إلا الفقراء والمساكين. فشكت الجنة إلى ربها ، فأتاها النداء : ((اسكتي وعزّي وجلالي ، لأزينك يوم القيامة بمحمد خيرتي من برّتي ، وعليّ ولي أمري وخليفتي ، وفاطمة الزهراء التي من أحبها أفطم من النار بإرادتي ، والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة رحمتي ، والأئمة المعصومين زبدة خليقتي ، وشيعتهم يتنافسون في قصورك بعطيتي)) .

فيا إخواني ، لقد أصيب الإسلام بمصيبة ما أعظمها وأدهى بدهاية دهاء ما أدهمها ، مصيبة نكست رؤوس أهل الإيمان وعلت مناكب الطّغيان ، فليت شعري ، من أوصى بقتلهم ومن أمر بتبديد شملهم ؟ ويلهم كأثم نسوا المعاد إلى ربّ العباد ! وسيعلمون إلى أيّ مُنقلب ينقلبون :

تريدون مئتي يا عواذل سلوة	عن الحزن هذا مطلب ليس يعقل
فو الله لا أنسى مصابي بسادتي	إلى أن يواريني لحود وجندل
إذا ذكرت نفسي مصاب أحبتي	يظل فؤادي والحشا يتقلقل
فاوطنان قلبي بالهموم ملاءته	وباب سرور القلب بالهم مقفل
وأي نعيم خلف السبب بعده	ففي القلب حزن ثابت لا يحول
كأنني به والطير يحجل حوله	سليلاً رداه في التراب مرمسل
كأنني به والشمر ينحمر نحره	ومولاي من حر الظما يتململ
ولم أنسها بنت الحسين سكينه	تشير إلى عماها وهي تسأل
أيا عمتا ما للأصاغر ذبحوا	وما بال قومي بالصوارم قتلوا
أيا عمتا ما للحرائر سلبوا	وما ذنبنا حتى نهان ونرذل
أيا عمتا هذا الحسين على الثرى	سليب الردا من حوله الطير يخجل
أيا عمتا لو تنظرون لنحره	تفيض دماء مثل ما فاض جدول

ولو عاينت عيناك ما نال جسمه وما فعلت فيه سيف وذبيل
لقد نصعوه بالصوارم والقنا فللسمر نقط والصوارم تشكل
ألا لعن الرحمن آل أمية وآل زياد كلما حن بزل

ثقل عن لوط بن يحيى في تاريخه , قال : قال عبد الله بن قيس بن ورقة : كنت ممن غزا مع أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في صفين , وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس , فشكى المسلمون العطش , فأرسل فوارس على كشفه , فانصرفوا خائبين فضاك صدره , فقال له ولده الحسين (عليه السلام) : ((أمضي إليه يا أبتاه)) . فقال : ((امض يا ولدي)) . فمضى مع فوارس , فهزم أبا أيوب عن الماء وبنى خيمته وحطّ فوارسه , وأتى إلى إبيه وأخبره , فبكى عليّ (عليه السلام) , فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا أول فتح بوجه الحسين ؟ قال : ((صحيح يا قوم , ولكن سيقتل عطشاناً بطفّ كربلاء حتى تنفر فرسه وتمحمم وتقول : الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها)) .

تخيرتهم رشداً لأمرى أنهم على الحق بل هم خيرة الخيرات
فيا رب زدني في يقيني بصيرة وزد حبيبهم يا رب في حسناتي

روى سلمان الفارسي , قال : دخلت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , فإذا الحسين (عليه السلام) على فخذه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول : ((أنت سيّد ابن السيّد , أنت الإمام ابن الإمام , أنت حجّة ابن الحجّة أبو الحجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم)) .

وعن ابن عباس , قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((فاطمة مهجة قلبي , وابناها ثمرة فؤادي , وبعلمها نور بصري , والأئمة من ولده أمناء ربّي وحبله الممدود بينه وبين خلقه , من اعتصم بهم نجى ومن تخلف عنهم هلك)) .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) , قال : ((سألت ابن الكوا أمير المؤمنين , فقال : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ (1) ؟ فقال : نحن أصحاب الأعراف , نعرف أصحابنا بسيماهم , نقف بين الجنة والنار , فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه , ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه)) :

فمن مثل مولانا عليّ الذي له محمد خير المرسلين خليل

(1) سورة الأعراف / 46.

وناصب دين الله حيث يميل
لأعدائه مرّ المذاق ويمل
ويا من له صعب الأمور ذلول
أتيتك محزوناً وفهت أقول
ثقيل على أهل السماء جليل
عصاة وعن طرق الصواب عدول
فمالوا وطبع الغادرين يميل
لآل رسول الله منه نهمول
وذل عزيز وأسستعز ذليل
بييض وسمير ذبل ونصول
به أصبح الدين الحنيف عليل
فاضحت ربوع السعد وهي محول
خلياً من الندب الجواد يجول
لهن على المولى الحسين عويل
ورزء على الإسلام منه خمول
وأبناء حرب في الديدان نزول
على البزل مأسور اللئام عليل
يزيد وفي الطف الحسين قتييل
وأين لذين الوالدين مثيل
عليّ وجاز الفضل حيث يقول
ولا كلّ أم في النساء بتول
وقلبي إليكم بالولاء يميل
أما أن للظلم المقسيم رحيل
عروساً ولكن في الزفاف ثكول
وذاكي مدى الأيام ليس يزول

فيا دافع الإسلام من بعد خفضه
ويا أسد الله الذي مرّ بأسه
ويا من له قلب الحوادث خافق
أيا سيدي يا حيدر الطهر إنني
أعزيك بالسبب الشهيد فرزه
دعته إلى كوفان شر عصاة
فلمّا أتاهم واثقاً بعهدهم
أحاطوا وحطوا بالفترات ولم يكن
فلما تناهى الأمر واقترب الردى
فمال عليه الجيش حملة واحد
فوفاه في النحر المقدس عبطل
فخر صريعاً ظامياً عن جواده
وراح إلى نحو الخيام جواده
برزن إليه الطاهرات حواسراً
فلله أمر فادح شمل الورى
بنو الوحي في أرض الطفوف حواسراً
ويسرى بزین العابدين مقيداً
ويصبح في تحت الخلافة جالساً
سليل النبي المصطفى وابن فاطم
لقد صدق الشيخ السعيد أخو العلى
فما كلّ جد في الرجال محمداً
أمولاي أمالي تأمل نصركم
وقد طال عمر الصبر في أخذ ثاركم
فدونكم من عبدكم ووليكم
عليكم سلام الله ما ذكر اسمكم

روى السعيد عبد الحميد عن مشايخه يرفعه إلى أنس بن مالك , قال : قال

: جاء أبو بكر إلى النبي (ﷺ) فجلس بين يديه , وقال : يا رسول الله , قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني
 وإني. قال(ص) : ((وماذا ؟)) . قال : تزوجني فاطمة . فأعرض عنه , فرجع أبو بكر إلى عمر , فقال : هلكت . قال : وما
 ذلك؟ قال : خطبت فاطمة إلى النبي فأعرض عني . فقال : مكانك حتى آتية فاطلب منه مثل الذي طلبت . فأتى عمر إلى النبي
 (ﷺ) فجلس بين يديه , وقال : يا رسول الله , قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي وإني وإني . قال(ص) : ((وماذا ؟
)) . قال : تزوجني فاطمة . فأعرض عنه , فرجع إلى أبي بكر , فقال : إنّه لينظر أمراً فيها , ثمّ بنا إلى عليّ نأمره أن يطلب ما
 طلبنا . قال عليّ (عليه السلام) : ((فاتيانى وأنا أعالج فسيلاً لي , فقالا : إنّنا جئنا من عند ابن عمك لخطبة فاطمة , فأعرض عنا فقم
 فاخطبها)) .

قال عليّ (عليه السلام) : ((فقمتم وأنا أجزّ ردائي إلى طرف عاتقي وطرف على الأرض , حتى أتيت النبي (ﷺ) فجلست بين
 يديه وقلت : يا رسول الله , قد علمت قدمي في الإسلام وإني وإني . قال(ص) : ((وماذا ؟)) . قال(ع) : ((زوّجني
 فاطمة. قال(ص) : وما عندك ؟)) . قال(ع) : ((قلت : فرسي وبدي . قال(ص) : أمّا فرسك فلا بدّ لك منها , وأمّا بدنك
 فبعها)) . قال(ع) : ((فبعتهما بأربعمئة درهم وجئت بها حتى وضعتها في حجره , فقبض منها قبضة , فقال : أين بلال ؟
 اشترى بها طيباً . وأمرهم أن يجهزوها , فجعل لها سريراً مشروطاً بالشرط , ووسادة من آدم حشوها ليف , وملاً البيت كثيباً ,
 وقال : يا عليّ , إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك . فجاءت مع أمّ أيمن , فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب , وجاء
 النبي (ﷺ) فقال : ههنا أخي ؟ فقالت أمّ أيمن : أخوك أخوك وقد زوجته ابنتك؟! قال : نعم . ودخل رسول الله البيت ,
 فقال : يا فاطمة , آتيني بماء . فقامت إلى قعب في البيت فأنته بماء فمخ فيه , وقال لها : قومي . فصبّ بين يديها وعلى رأسها
 وقال : اللهمّ , إنّي أعيدها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم , ثمّ قال : آتوني بماء)) .

قال عليّ (عليه السلام) : ((فقمتم فملأت العقب ماء وأتيت به فمخ فيه , ثمّ قال لي : تقدّم . فصبّ على رأسي وبين يدي
 وقال : اللهمّ , إنّي أعيده بك وذريّته من الشيطان الرجيم , ثمّ قال : أدبر . فأدبرت فصبّ بين كتفي وقال : اللهمّ , إنّي أعيده
 بك وذريّته من الشيطان الرجيم . ثمّ قال : ادخل بأهلك باسم الله والبركة)) . فيا إخواني , ألا تتفكّرون في هؤلاء الأقوام , هلا

نظروا في كلام النبي (ﷺ) حين عوذ الدرية من الشيطان , فيقفوا عمّا قدموا عليه من الطغيان ؟ ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور , فتباً لهم ما أجرأهم على انتهاك حرمة خاتم النبيين , وما أقسى قلوبهم على ذريته الطاهرين المُطَهَّرين , ويجهم أين يُناه بهم عن قصد السبيل , وحتى متى لا يرعون عن هذا التّضليل , كلّ هذه الدنيا ونعيمها الزّائل المشوب بالغصص والوهم الباطل ! ولعمري , سيفارقوها عن قليل ويُقال لهم انطلقوا إلى ظلّ لا ظليل .

يا موثر الدنيا على دينه والحائز التائه عن قصده
أصبحت ترجو الخلد فيها وقد أبرز ناب الموت عن حده
هيهات أن الموت ذو أسهم من يرمه يوماً بها يرده
لا يفرج الواعظ قلب أمراء لا يعزم الله على رشده
وعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , وملتلهم تذرف الدموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للسيد عبد الحميد (رحمه الله تعالى)

عز صبري وعز يوم التلاق آه وحسرتاه ممالا الاقيا
أرقتني منذ فارقتني أحبابي برغمي غداة يوم الفراق
وفؤادي أضحى غريم غرام واصطباري نأى ووجدي باق
أحدقوا بي عواذلي يعدلونني حين فاز الدموع من أحداق
يا عدولي إيّ لسيع فراق ماله بعد لسعة من راقيا
أعجبوا من متيم حكم الوجد عليه بالمساء والإحتراق
نار حزني تشب بين ضلوعي ودموعي تفيض من أمياقي
حق لي بالبكاء ما لا دموعاً وأششق الفؤاد لا أخلاق
وأزيد الحزن الشديد لزرء السبط سبط الراقي لظهر السراق
قتلوه ظلماً ولم يرقبوا فيه لعمري وصية الخلاق
لست أنساه يوم ظل ينادي القوم يا عصابة الخنا والشقاق
أتراكم بم اسبتحتم قتالي ورأيتم حلالا عليكم شقاقيا

ونكثتم عهدى وكذبتموني
هل علمتم بأن جدّي رسول الله
وعليّ أبي الذي كسر الأصنام
والبتول الزهراء فاطم أممي
هل مغيث يغيثنا وعلينا
فأجابوه قد علمنا الذي قلت
ثم حفوا به بيض صقال
ورجال إلى الحروب سراع
فعدا للقتال لا يختشي الموت
يورد السم والضربا في الأعادي
فأحاطوا به فاردوه لئلا
ثم علوا كرمه فوق رمح
وبنات النبي يندبن لئلا
وغدت زينب تنادي بشجو
يا نبي الهدى بناتك أسرى
عاريات يحملن فوق المطايا
وعليّ السجاد يرفل في القيود
يا لها من رزية تهدم الدين
يابن بنت الرسول يا غاية المأمول
ابن عبد الحميد عبدك ما زال
إن تفت نصرتي لكم واقتحامي
لم تفت لوعتي وطول حنيّني
ومقامي على الكآبة والأحزان
قسماً بالحجيج والبيت والركن
ما تجري يوم الطفوف على السبط
وسقوه كأس المنية إلا

وشرعتم قتلي وقتل رفاقي
خير الأنام بالإطلاق
قسراً وفي القيامة ساقني
ثم عمي الطيار في الخلد راقني
الأجر يوم الحيا ويوم التلاق
وما أنت بعد ذا اليوم باق
ودرع زغف وسمم رشاقني
فوق خيل مضمرات عتاق
لعمري والموت مر المذاق
فيرويهما دم الأعناق
عز نصاره وقتل الباقي
وهو ييدو كالبدر في الإشراق
عائنه قد خر منه التراقي
يا أخي يا قتيلاً أهل النفاق
بتناجين ممن ألم الفراق
حاسرات يسبحن في الأسواق
عليلاً مضني شديد الوثاق
لعمري لو أن دينك باق
يا عددي غدا للتلاقني
محباً لكم بغير النفاق
دونك الهول عند ضيق الخناق
واكتشابي وحرقتي واشتياقي
باك بدمعة مهراق
وطاهراً وحرمة الخلاق
جهاراً معاشر الفساق
بعتيق ونعشل ذي النفاق

فهمت بالحق والذي يقصد الحق
 حـبـبـكم عـدـتي وأنـتم مـالـاذي
 فأمرن فإنـه لا يتـأقي
 يـوم حـشـري ومـنـكم أعـراقـي
 فصلاة الرب الرحيم عليكم
 ما تغني الحداة خلف النياق

الباب الثالث

أيها المؤمنون , قاطعوا رقاد العيون واصلوا سهاد الجفون , وامسكوا عن اللذات وابدلوا الدموع الجاريات , فإنّ إظهار الدموع البادية دليل على إظهار الأحران الخافية , وإني كلما تزايدت عليّ الأفكار , يتوقّد في قلبي لهيب النار , فلا أجد من ألتجىء إليه ولا أعول في بثّ حزني عليه , وكيف لا تحزن على سادات العباد وأنوار الله في البلاد , وحجج الله على الخلاق ولسانه التاطق , والشهود على الأمم بين يدي باري التسم ؟ :

وأعظم ما بي شـجـو زـينـب إذ رأت
 تقول أخي يا واحدي شمت العدا
 أخي يا أخي يا خير ذخر فقدته
 أخي يا أخي قد كان غاية منيتي
 أخي اليوم مات المصطفى ووصيه
 أخي من لأطفال النبوة يا أخي
 أخي من يحامي عن حریم مُحَمَّد
 وفاطمة الصغرى تخاطب جدها
 تقول له يا جد ليتك شاهد
 لتنظر يا جدّه سبطك ظامياً
 فلله ذا من فادح ما أجله
 أخاهما طريحاً للمنايا يمارس
 بنا واشتفى فينا الحسود المنافس
 وأنفس شيء صابني فيه نافس
 بأن يحتويني قبل فقدك غامس
 ولم يبق للإسلام بعدك حارس
 ومن لليتامى إن قضيت يوانس
 ويصلح أحوالها لها الدهر مائس
 ونحو أبيها طرفها متشاوس
 وقد حكمت فينا الكلاب النواهس
 وسابحه في لجة الموت طامس
 ورزء له عرش المهيمن رائس

روي : أنّ العباس بن عليّ (عليه السلام) كان حامل لواء أخيه الحسين (عليه السلام) , فلمّا رأى جميع عسكر الحسين (عليه السلام) قُتلوا وإخوانه وبنو عمّه , بكى وأتى إلى لقاء ربّه اشتاق وحنّ , فحمل الرّاية وجاء نحو أخيه الحسين (عليه السلام) وقال : يا أخي , هل رخصة ؟ فبكى الحسين (عليه السلام) بكاءً شديداً حتّى ابتلت لحيته المباركة بالدموع (عليه السلام) , ثمّ قال : ((يا

أخي ! كنت العلامة من عسكري ومجمع عددنا , فإذا أنت غدوت , يؤول جمعنا إلى الشّتات وعمارتنا تنبعث إلى الخراب)). فقال العباس : فداك روح أخيك يا سيدي ! قد ضاق صدري من حياة الدنيا وأريد أخذ الثّار من هؤلاء المنافقين . فقال الحسين (عليه السلام) : ((إذا غدوت إلى الجهاد , فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء)) . فلما أجاز الحسين (عليه السلام) أخاه العباس للبراز , برز كالجبل العظيم وقلبه كالطّود الجسيم ؛ لأنّه كان فارساً هامماً وبطلاً ضرغاماً , وكان جسوراً على الطّعن والضّرب في ميدان الكفاح والحرب , فلما توسّط الميدان , وقف وقال : يا عمر بن سعد , هذا الحسين بن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : إنكم قتلتم أصحابه وإخوته وبني عمّه , وبقي فريداً مع أولاده وهم عطاشا قد أحرقتهم قلوبهم , فاسقوه شربة من الماء ؛ لأنّ أطفاله وعياله وصلوا إلى الهلاك , وهو مع ذلك يقول لكم : دعوني أخرج إلى أطراف الرّوم والهند , وأخلي لكم الحجاز والعراق , والشّروط لكم , إنّ غداً في القيامة لا أخاصمكم عند الله حتّى يفعل الله بكم ما يريد .

فلما أوصل العباس إليهم الكلام عن أخيه , فمنهم من سكت ولم يرد جواباً , ومنهم من جلس يبكي , فخرج الشّمر وشبث بن ربعي لعنهما الله , فجاء نحو العباس وقال : يا بن أبي تراب , قُل لأخيك , لو كان كلّ وجه الأرض ماءً وهو تحت أيدينا , ما أسقيناكم منه قطرة إلّا أن تدخلوا في بيعة يزيد . فتبسّم العباس ومضى إلى أخيه الحسين وعرض عليه ما قالوا , فطأ رأسه إلى الأرض وبكى حتّى بلّ أزياقه , فسمع الحسين (عليه السلام) الأطفال ينادون العطش , فلما سمع العباس ذلك , رمق بطرفه إلى السّماء وقال : إلهي وسيدي , أريد اعتدّ بعدي وأملئ لهؤلاء الأطفال قربة من الماء .

فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة في كتفه , وكان قد جعل عمر بن سعد لعنه الله تعالى أربعة آلاف خارجي موكلين على الماء , لا يدعون أحداً من أصحاب الحسين يشربون منه , فلما رأوا العباس قاصداً إلى القرات , أحاطوا به من كلّ جانب ومكان , فقال لهم : يا قوم , أنتم كفرتم أم مسلمون ؟ هل يجوز في مذهبكم أو في دينكم أن تمنعوا الحسين وعياله شرب الماء , والكلاب والخنازير يشربون منه والحسين مع أطفاله وأهل بيته يموتون من العطش ؟ أما تذكرون عطش القيامة ؟! فلما سمعوا كلام العباس , وقف خمسمئة رجل ورموه بالنّبل والسّهام , فحمل عليهم , فتفرّقوا عنه

هاربين كما تتفرّق الغنم عن الدّئب , وغاص في أوساطهم وقتل منهم على ما نُقل تقريباً من ثمانين فارساً , فهمز فرسه إلى الماء وأراد أن يشرب , فذكر عطش الحسين وعياله وأطفاله , فرمى الماء من يده وقال : والله , لا أشربه وأخي الحسين (عليه السلام) وعياله وأطفاله عطاشا , لا كان ذلك أبداً . ثمّ ملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن وهمز فرسه وأراد أن يوصل الماء إلى الخيمة , فاجتمع عليه القوم فحمل عليهم , فتفرقوا عنه وصار نحو الخيمة , فقطعوا عليه الطّريق , فحاربهم محاربة عظيمة , فصادفه نوفل الأزرق وضربه على يده اليمنى فبرأها , فحمل العباس القربة على كتفه الأيسر , فضربه نوفل أيضاً فبرأ كتفه الأيسر من الرّند , فحمل القربة باسنانه , فجاء سهم فأصاب القربة فانفرت وأريق ماءها , ثمّ جاء سهم آخر في صدره , فانقلب عن فرسه إلى الأرض وصاح إلى أخيه الحسين : أدركني ! فساق الرّيح الكلام إلى الخيمة , فلمّا سمع كلامه , أناه فرماه طريحاً فصاح : ((وا أخاه ! وا عبّاساه ! وا قرّة عيناه ! وا قلّة ناصراه !)) . ثمّ بكأ بكاءً شديداً وحمل العباس إلى الخيمة , فجدّوا الأحران وأقاموا العزاء ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) :

لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ لَمَّا أَنْ دَنَى	نَحْوُ الْفَرَاتِ بِقَلْبِهِ الْحِرَانَ
فَأَرَادَ شَرْبَ الْمَاءِ وَقَالَ بِنَفْسِهِ	وَأَلْهَفْتَاهُ لِلْسَّيِّدِ الظُّمْآنَ
عَافَ الشَّرَابِ وَلَمْ يَيْلِ أَوْ أَمِهِ	وَجَدَ الْوَجْدَ أَخِيهِ وَالْإِخْوَانَ
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ إِذْ حَاطُوا بِهِ	مَنْ كَلَّ فَجَحَّ أَقْبَلُوا وَمَكَانَ
حَاطُوا بِهِ وَأَسْتَفْرَدُوهُ وَخَرَقُوا	قَرِيباً مَلَأَهَا قَاصِدَ النَّسْوَانَ
ثَارُوا عَلَيْهِ بِطَعْنِهِمْ وَبُضْرِهِمْ	وَبَطَعْنَهُمْ أَرْدُوهُ فِي الْمِيْئِدَانَ
فَعَلَاهُ رَجَسَ فَاجْرَ بِجَسَامِهِ	قَطَعَ الْيَمِينَ بِمَشْرِفِي وَيَمَانِي
وَهَوَاهُ آخِرَ ضَرْبَةٍ فِي رَأْسِهِ	حَتَّى رَمَاهُ بِجُوبَةِ الْجَوْلَانِي
فَأَتَى الْحُسَيْنَ إِلَيْهِ وَهُوَ مَسَارِعُ	فَرَأَى أَخَاهُ مَكَابِدَ الْحَدَثَانِ
فَبَكَى وَقَالَ جَزِيئَةً خَيْرًا مِنْ أَخٍ	وَأَسَى أَخَاهُ بِشِدَّةٍ وَهُوَ وَانِ
أَدَيْتَ حَقًّا لِلْأَخْوَةِ يَا أَخِي	وَحَضَمْتِ وَصَلَّ الْحُورَ وَالْوَلْدَانَ
يَا أَوْلَ الشَّهْدَاءِ يَا بَنَ الْمُتْرَضِي	صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ كَلَّ أَوَانَ
وَاللَّهُ تَلَّكَ مَصِيْبَةً لَمْ أَنْسَاهَا	إِلَّا إِذَا أَدْرَجْتِ فِي الْأَكْفَانِ

(1) سورة الشعراء / 227.

حكى عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، أنه منذ وفاة أبيه الحسين ما أكل لحم الرؤوس ؛ حزناً على رأس أبيه ، وكان عمره يومئذ أحد عشر سنة ولم يزل يبكي على مصاب أبيه أربعين سنة ، وهو مع ذلك صائم نهاره قائم ليله ، فإذا أحضر الطعام لإفطاره ، قال : ((واكرباه لكربك يا أباه ! وأسفاه لقتلك يا أباه !)) . ثم يبكي طويلاً وهو يقول : ((قُتل ابن بنت رسول الله جائعاً ، قُتل ابن بنت رسول الله عطشاناً وأنا أكل الرّاد وأشرب الماء ، لا هنائي الأكل والشرب ، يعزّ عليك يا أبي ، ليتني لم أر مصرعك)) .

قال : ولم يزل يبكي حتّى تبلّ الدّموع وجهه ولحيته ويغشى عليه ، فإذا أفاق أكل قليلاً وحمد الله كثيراً وقام إلى عبادة ربّه وأصبح صائماً ، ولم يزل هكذا حتّى مات رحمة الله عليه ورضوانه :

وأبلىح وضاح الجبين تجمعت به من معاني المكرمات فنون
إذا أسهرت عيناه من خوف ربه أفترت به للأولياء عيون

حكى فضيل بن عبد ربّه ، أنه قال : دخلت على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ، فقلت له : يا سيدي ، إنّي أنشدك قصيدة للسيد إسماعيل الحميري ؟ قال : ((أجل)) . ثمّ إنّه (عليه السلام) أمر بستور فسدلت وأبواب ففتحت ، وأجلس حريمه من وراء الستّر ، ثمّ قال : ((أنشد يا فضيل بارك الله فيك)) . فانشدته قصيدة للسيد التي أولها : لأم عمر باللوى مربع . فلما بلغت إلى : ووجهه كالشمس إذ تطلع . سمعت نحيباً من وراء الستّر وذلك بكاء أهل بيته وعياله ، وبكى هو أيضاً (عليه السلام) ؛ لأنّه كان رقيق القلب سريع العبرة ، فقال لي : ((يا فضيل ، لمن هذه القصيدة ؟)) . فقلت : هذه للسيد الحميري . فقال : ((يرحمه الله !)) . فقلت : يا مولاي ، إنّي رأيته يرتكب المعاصي . فقال : ((يرحمه الله !)) . فقلت : إنّي رأيته يشرب النّبذ ، نبذ الرّستاق . فقال : ((تعني الخمر ؟)) . قلت : نعم . قال : ((يرحمه الله ! وما ذاك على الله بعسير أن يغفر لمحّب جدّي عليّ بن أبي طالب شارب الخمر)) . فقلت : الحمد لله على ولايته ومحّبته . ثمّ إنّي أكملت القصيدة إلى آخرها وهو (عليه السلام) مع ذلك يبكي .

وحكى سهيل بن ذبيان بن فضل هذه القصيدة أيضاً ، حيث قال : دخلت على الإمام عليّ بن موسى الرضا في بعض الأيام قبل أن يدخل عليه أحد من الناس ، فقال لي : ((مرحباً بك يا بن ذبيان ، السّاعة أراد رسولنا يأتيك لتحضر عندنا)) . فقلت : لماذا يا بن رسول

الله ؟ فقال(ع) : ((لنام رأيته البارحة وقد أزعجني وأرقني)) .فقلت : خيراً يكون إن شاء الله تعالى .فقال : ((يابن ذبيان , رأيت كأني قد نُصب لي سلّم فيه مئة مرقاة , فصعدت إلى أعلاه)) .فقلت : يا مولاي , أهنئك بطول العمر وربّما تعيش مئة سنة لكلّ مرقاة سنة ؟ فقال لي : ((ما شاء الله كان)) .ثمّ قال : ((يابن ذبيان , فلمّا صعدت إلى أعلى السلّم , رأيت كأني دخلت في قبة خضراء يرى ظاهرها من باطنها , ورأيت جدّي رسول الله جالساً فيها وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النور من وجوههما , ورأيت امرأة بهيئة الخلقة , ورأيت بين يديه شخصاً بهيئة الخلقة جالساً عنده , ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ هذه القصيدة : لأم عمر باللوي مربع .فلمّا رأني النبي (ﷺ) , قال لي : مرحباً بك يا ولدي يا عليّ بن موسى الرضا , سلّم على أبيك عليّ .فسلّمت عليه , ثمّ قال لي : سلّم على أمك فاطمة الزهراء .فسلّمت عليها , فقال لي : سلّم على أبويك الحسن والحسين .فسلّمت عليهما , ثمّ قال لي : وسلّم على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيّد إسماعيل الحميري .فسلّمت عليه وجلست , فالتفت النبي إلى السيّد إسماعيل وقال له : عد إلى ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة .فأنشد يقول :

لأم عمر باللوي مربع طامسة أعلامه بلق مع

فبكي النبي (ﷺ) , فلمّا بلغ إلى قوله : ووجهه كالشمس إذ تطلع .بكي النبي وفاطمة (عليها السلام) معه ومن معه , ولمّا بلغ إلى قوله : قالوا لو شئت أعلمتنا إلى من الغاية والمفزع .رفع النبي (ﷺ) يديه , وقال : إلهي أنت الشاهد عليّ وعليهم , إليّ أعلمتهم أنّ الغاية والمفزع عليّ بن أبي طالب .وأشار بيده إليه وهو جالس بين يديه صلوات الله عليه ((.

قال عليّ بن موسى الرضا : ((فلمّا فرغ السيّد إسماعيل الحميري من إنشاد القصيدة , التفت النبي إليّ وقال لي : يا عليّ بن موسى الرضا , احفظ هذه القصيدة وأمر شيعتنا بحفظها , واعلمهم إنّ من حفظها وأدمن قراءتها , ضمنت له الجنة على الله)). قال الرضا : ((ولم يزل يكررها عليّ حتى حفظتها منه)).

ونحن نتبرك بإيراد هذه القصيدة ونجعلها خاتمة الباب وإلى الله المرجع وإليه المآب , والقصيدة هذه :

القصيدة للسيد إسماعيل الحميري (رحمته الله)

طامسة أعلامه بلق مع
والأسد من خيفته نفع
إلا ظلال في الثرى وق مع
والسهم في أنيابها منق مع
والعين من عرفانه تدمع
فبت والقلب شج موجع
من حُب أروى كبد تلذع
بخطبة ليس لها موضع
إلى من الغاية والمفزع
وفيه في الملك من يطمع
كنتم عسيتم فيه إن تصنعوا
هارون فالترك لله أودع
كان إذا يعقل أو يسمع
من ربه ليس لها مدفع
والله منهم عاصم يمنع
كان بما يأمره يصدع
كف علفي ظاهراً يلمع
يرفع والكف الذي ترفع
والله فيهم شاهد يسمع
مولى فلم يرضوا ولم يقنع
على خلاف الصادق الأضلع
كأنما آناهم ثم تجدع
وانصرفوا عن دفته ضيع
واشترتوا الضرر بما ينفع
فسوف يجزون بما قطع

لأم عمرو باللووى مريع
تروح عنه الطير وحشية
برسم دار ما بها مؤنس
رقش يخات الموت من نفثها
لما وقفن العيس من رسمها
ذكرت من قد كنت ألهو به
كان بالنتار لما شفني
عجبت من قوم أتوا أحمداً
قالوا له لو شئت أعلمتنا
إذا توفيت وفارقتنا
فقال لو أعلمتكم مفزعاً
صنيع أهل العجل إذ فارقوا
وفي الذي قال بيان لمن
ثم أتته بعد ذا عزيمة
أبلغ وإلا لم تكن مبلغاً
فعدتها قام النبي الذي
يخطب مأمور وفي كفه
رافعها أكرم بكف الذي
يقول والأملاك من حوله
من كنت مولاه فهذا له
فأتموه وجنبنت منهم
وظل قوم غاضهم فعله
حتى إذا واروه في قبره
ما قال بالأمس وأوصى به
وقطعوا أرحامه بعده

تبتاً لما كان به أزمع
 غداً ولا هو فيهم يشفع
 أيلة والعرض به أوسع
 والحوض من ماء له مترع
 أبيض كالفضة أو انصع
 ولؤلؤ لم تجنسه أصبع
 يهتز منها مونق مربع
 وفقاع أصفر أو انصع
 يذب عنها الرجل الأصلع
 ذباً كجرباء إبل شزع
 ذاك وقد هبت به زعزع
 ذاهبة ليس لها مرجع
 قال لهم تبتاً لكم فارجع
 يرويكم أو مطمع يشبع
 ولم يكن غيرهم يتبع
 والويل والذل لمن يمنع
 خمس فمنها هالك أربع
 وسامري الأمة المشنع
 عبد لتيم لكع أكووع
 للزور والبهتان قد أبدع
 لا ببرد الله له مضجع
 ليس لهم من قعرها مطلع
 وراية الحممد له ترفع
 وراية الحممد له ترفع
 والنار من إجلاله تفزع
 يرووا من الحوض ولم يمنع

وازمعوا غداً بمولاهم
 لا هم عليه يردوا حوضه
 حوض له ما بين صنعا إلى
 ينصب فيه علم للهدى
 يفيض من رحمته كوثر
 حصاه ياقوت ومرجانة
 بطحاءه مسك وحافاته
 أخضر ما دون السورى ناضر
 فيه أباريق وقد حانسه
 يذب عنها ابن أبي طالب
 والعطر والريحان أنواعه
 ريح من الجنة مأمورة
 إذا دنوا منه لكي يشربوا
 دونكم فالتمسوا منها
 هذا لمن والى بني أحمد
 الفوز للشارب من حوضه
 والناس يوم الحشر راياتهم
 فراية العجل وفرعونها
 وراية يقدما أذلم
 وراية يقدما حبرتر
 وراية يقدما نعثل
 أربعاءة في سقر أودعوا
 وراية يقدما حيدر
 غدا يلاقى المصطفى حيدر
 مولا له الجنة مأمورة
 إمام صدق وله شبيعة

يا شـيعة الحق فلا تجزع
ولو يقطـع أصـبع أصـبع
وصنوه حيدة الأـصـلع

بـذاك جاء الوحي من ربنا
الحميري مادحكم لم يـزل
وبعدا صلوا على المصطفى

المجلس الخامس

من الجزء الثاني في الليلة الثامنة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

أيها الإخوان والأصحاب ، كيف لا يعظم عليكم المصاب والحزن والاكتئاب ، وقد أصبح لهم آل الرسول ثاوياً على التراب، وتلك الأبدان المعظمة عارية من الثياب ، ودماهم مسفوكة بسيوف أهل الضلال ، ووجوه بناته مبدولة لأعين الأندال ؟
فياليت فاطمة تنظر إلى الفاطميات بين العدى حاسرات ، وهن ما بين نادبة : واأخاه ! وقائلة : واأباه ! وصارخة : يا جداه ! وباكية : واكرباه ! مشققات الجيوب ، مفجوعات بفقد المحبوب ، ناشرات للشعور ، بارزات من الخدود ، لا طمات للخدود ، عادمات للجدود ، متعبات بالتياحة والعيول ، فاقدمات للمحامي والكفيل . فيا عظم ما أصيب به الرسول وابتلي فيه أولاد البتول ! فالحكم لله ولا حول ولا قوة إلا بالله :

ألا يا رسول الله لو كنت فيهم	لشاهدتهم في حالة تذهل الفكرا
فهم بين أطفال يتامى ونسوة	أيامى وصرعى كالندامى سقوا خمرا
رؤوسهم فوق القنا وعيالهم	بأيدي أعاديهم تسوقهم قهرا
ومن أفضع الأشياء يا خير مرسل	مساومة استرقاق فاطمة الصغرى
مصاب بكت منه السماء وأهلها	واشفت به الشم الرعان على المسرا

فيا ويلهم كأثم لم يسمعوا ما قال رسول الله (ﷺ) : ((إن الله عز وجل قد حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي وقتلهم

وسالبهم والمعرض عنهم ، أولئك

لاخلاق لهم في الآخرة , ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)) .آياتهم باهرة ومعجزاتهم واضحة ظاهرة وهم أعلام المسلمين في الدنيا والآخرة.

روي عن يحيى أم الطويل , أنه قال : كنت عند مولاي الحسين (عليه السلام) إذ دخل عليه شاب وهو يبكي , فقال له الحسين (عليه السلام) : ((ما الذي يبكيك يا شاب ؟)) .قال : يا بن رسول الله , إن أمي ماتت في هذه الساعة وقد تركت مالا عظيماً , ولم توصي إلي شيء ولم أعلم أين دفنته , وقد حرمته .فقال الحسين (عليه السلام) : ((ما الذي قالت لك عند موتها ؟)) .قال : قالت لي : إذا أردت أن تفعل أمراً من الأمور لا تعلمه إلا بما يشير به إليك الحسين ابن بنت رسول الله .فما تأمرني به يا مولاي؟ فقال الحسين (عليه السلام) : ((أحب أن يحيي الله أمك وتحبرك بما تريد ؟)) .فقال الشاب : يا حبذا .فقام الحسين (عليه السلام) مع الشاب والناس معهما حتى أتى منزل أمه , فوقف عليها ودعا إلى الله تعالى بدعوات لم يفهمها , ثم قال لها : ((قومي يا أمة الله بإذن الله تعالى , وأوصي إلى ابنك بما تريد)) .فقامت وهي تشهد وتقول : السلام عليك يا بن رسول الله , اعلم أنّ عندي مالا جزيلاً موضوعاً في مكان كذا وكذا , فاستخرجه وخذ ثلثه لك أنفقته بما شئت , وثلثه الآخر ادفعه لابني هذا إن كنت تعلم أنّه محبّ لكم وموال لكم , وإن كان مخالفاً فامنع عنه ؛ لأنّ مالي محرّم على من يبغضكم أهل البيت .ثمّ إنّها ماتت رحمها الله تعالى , فأمر الحسين (عليه السلام) بتغسيلها وتكفينها وصلّى عليها ودفنها.

انظروا يا إخواني إلى هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم , وهو ليس بكثير منهم ولا بمستبعد عنهم , وقد ظهر لهم من الفضل ما لا يحصى ومن المعجزات ما لا يستقصى , فالويل لمن خذلهم وهوى غيرهم ورد لهم.

وروي عن أبي الحصين (رضي الله عنه) , قال : رأيت شيخاً مكفوف البصر فسألته عن السبب , فقال : إنّني من أهل الكوفة وقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام , وبين يديه طشت فيه دم عظيم من دم الحسين (عليه السلام) , وأهل الكوفة كلّهم يُعرضون عليه فيلطحهم بالدمّ دم الحسين (عليه السلام) , حتّى انتهيت إليه وعُرضت عليه , فقلت : يا رسول الله , ما ضربت بسيف ولا رميت بسهم ولا كثرت السواد عليه .فقال لي : ((صدقت , ألسنت من أهل الكوفة ؟)) .فقلت : بلى .قال : ((فلم لا نصرت ولدي ولم لا

أجبت دعوته ؟ ولكنك هويت قتلة الحسين وكنت من حزب ابن زياد)) . ثم إنَّ النَّبيَّ أومى إليَّ بإصبعه فأصبحت أعمى , فوالله , ما يسرني أن يكون لي حمر التَّعِيم , ووددت أن أكون شهيداً بين يدي الحسين (عليه السلام).

وروي في بعض الأخبار : أنَّ رسول الله كان نائماً في بيت عائشة وقت القائلة , فاستيقظ من نومه وهو يبكي , فقالت له عائشة : ما يبكيك يا رسول الله فداك أبي وأُمِّي ونفسي؟! قال لها : ((إنَّ جبرائيل أتاني في نومي وقال : ابسط يدك يا مُحَمَّد. فناولي قبضة من تراب أحمر , وقال لي : هذه تربة من أرض كربلاء يُقتل فيها ابنك الحسين (عليه السلام) , تقتله أمتك يا محمد)).

قالت عائشة : فجعل النَّبيَّ يحدِّثني وهو يبكي ويقول : ((مَنْ ذا يقتل ابني حُسيناً؟ مَنْ ذا يقتل قرّة عيني حُسيناً؟ لا أناله الله شفاعتي يوم القيامة)) .

ثمَّ قالت عائشة : والله , لقد قال لي رسول الله : ((ادع لي ابنتي فاطمة الزَّهراء)) . فأسرعت إليها , فجاءت وهي تقود ابنيها الحسن والحسين كلَّ واحد منهما بيد , وجاء عليّ (عليه السلام) يمشي خلفهما حتَّى دخلوا حجرة النَّبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) , فأجلس عليّاً عن يمينه وأجلس فاطمة عن شماله وأجلس الحسنين بين يديه , ثمَّ تناول كساء جرباً فلَقَّهم فيه جميعاً , وأخذ بيده اليمنى طرفاً من الكساء وبيده اليسرى الطَّرف الآخر , ورفع رأسه إلى نحو السَّماء وقال : ((اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي , اللَّهُمَّ اذهب عنهم الرَّجس وطهِّرهم تطهيراً)) . حتَّى قالها ثلاث مرَّات . فقالت عائشة : ثمَّ جاءت جارية فاطمة ومعها إناء فيه عصيدة وخبز في طبق , فوضعت بين أيديهم , فجعلوا يأكلون جميعاً والنَّبيُّ يقول لهم : ((كلوا هنئناً مريئناً قد أذهب الله عنكم الرَّجس وطهِّركم تطهيراً)) :

أعيـني جـودا في دمـوع غزيرـة	فقد حق إشفـاقي وما كنت أحذر
أعيـني هذا شافعوا الناس واصلوا	المنـايا فمـنهم دارعون وحسـر
من الأكرمـين الغر من آل هاشم	لهم سلف من واضح المجد يذكر
مصاييح أمثال الأهلـة إذ هم	لدى الجود أو دفع الكريهـة أبصر
بهم فجعتنا والفـواح كاسمها	تميم أو بكر والسـكون وحمير
وهمدان قد جاشت علينا وأجلست	هوازن في أفناء قيس واعصر
وفي كلِّ حي نضحة من دمائنا	بني هاشم يعلو سناها ويشهر

فلله محيانا وكماتنا والله قتلانا وتنشـر
لكل دم مولى ومولى دمائنا لمرتقب يعلو عليكم ويظهر
فسوف يرى أعداءنا حين نلتقي لأي الفريقين التبي المطهر

روى ابن وهب (رضي الله عنه) ، قال : دخلت يوم عاشوراء إلى دار إمامي جعفر الصادق (عليه السلام) فرأيتُه ساجداً في محرابه ، فجلست من ورائه حتى فرغ ، فأطال في سجوده وبكائه ، فسمعتُه يناجي ربّه وهو ساجد يقول : ((اللهم ، يا مَنْ خصّنا بالكرامة ووعدنا الشفاعة ، وحمّلنا الرسالة وجعلنا ورثة الأنبياء ، وختم بنا الأمم السالفة وخصّنا بالوصية ، وأعطانا علم ما مضى وما بقي ، وجعل الأفئدة من الناس تهوي إلينا . اغفر اللهم لإخواني ولزوّار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، الذين انفقوا أموالهم في حبّه وشخصوا أبدانهم ، رغبة في برّنا ورجاء لما عندك في صلتنا ، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) ، واجابة منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدوّنا ؛ وأرادوا بذلك رضوانك .

اللهم ، فكافهم عتاً بالرضوان ، واكلأهم بالليل والنهار ، واخلفهم في أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا أحسن الخلف ، واكفهم شرّ كلّ جبار عنيد ، وكلّ صعيّف من خلقك وشديد ، وشرّ شياطين الإنس والجن ، واعطهم أفضل ما أملوه منك في غربتهم عن أوطانهم ، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وأقربائهم .

اللهم ، إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم ، فلم ينههم ذلك عن التّهوض والشّخوص إلينا ؛ خلافاً منهم على مَنْ خالفنا ، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس ، وارحم تلك الحدود التي تقلّبت على قبر أبي عبد الله الحسين ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا ، وارحم تلك القلوب التي حزنت لأجلنا واحتترقت بالحزن ، وارحم تلك الصّرخة التي كانت لأجلنا . اللهم ، إيّ استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش الأكبر ، وتدخلهم الجنّة وتسهّل عليهم في يوم الحساب ، إنّك أنت الكريم الوهاب .))

قال : فما زال الإمام (عليه السلام) يدعو لأهل الإيمان ولزوّار قبر الحسين وهو ساجد في محرابه ، فلمّا رفع رأسه ، أتيت إليه وسلّمت عليه وتأملت وجهه ، وإذا هو كاشف اللون متغيّر الحال ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر على خديّه كاللؤلؤ الرطب ، فقلت : يا سيدي ، ممّ بكاؤك لا أبكى الله لك عيناً ؟ وما الذي حلّ بك ؟ فقال لي : ((أوفي غفلة عن

هذا اليوم؟ أما علمت أنّ جدّي الحسين قد قُتل في مثل هذا اليوم؟!)) .فبكيت لبكائه وحزنت لحزنه , فقلت له : يا سيّدي , فما الذي أفعل في مثل هذا اليوم؟ فقال لي : ((يابن وهب , زر الحسين (عليه السلام) من بعيد أقصى ومن قريب أدنى , وجدّد الحزن عليه وأكثر البكاء والشّجون له)) .فقلت : يا سيّدي , لو أنّ الدّعاء الذي سمعته منك وأنت ساجد كان كمن لا يعرف الله تعالى , لظننت أنّ النّار لا تطعم منه شيئاً , والله , لقد تمنّيت إنّ كنت زرته قبل أن أحج .فقال لي : ((فما الذي يمنعك من زيارته يابن وهب ؟ ولمّ تدع ذلك ؟)) .

فقلت : جعلت فداك ! لم أدر أنّ الأجر يبلغ كلّه حتّى سمعت دعاءك لزوّاره .فقال لي : ((يابن وهب , إنّ الذي يدعو لزوّاره في السّماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض , فإنّك أن تدع زيارته لخوف من أحد , فمّن تركها لخوف , رأى الحسرة والنّدم حتّى أنّه يتمنّى أنّ قبره نبذه .يابن وهب , أما تحبّ أن يرى الله شخصك ؟ أما تحبّ أن تكون غداً ممّن رأى وليس عليه ذنب يتبع به ؟ أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يصفحه رسول الله يوم القيامة ؟)) .

قلت : يا سيّدي , فما قولك في غير تبييت ؟ فقال لي : ((لا تجعله صوم يوم كامل , وليكن إفطارك العصر بساعة على شربة من ماء ؛ فإنّه في ذلك الوقت انجلت الهيجاء عن آل الرّسول وانكشفت الغمّة عنهم , ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً من مواليهم من أهل البيت , يعزّ على رسول الله مصرعهم ولو كان حيّاً لكان هو المعزّى بهم)) .

قال : وبكى الصّادق (عليه السلام) حتّى اخضلت لحيته بدموعه , ولم يزل حزيناً كثيراً طول يومه ذلك وأنا معه أبكي لبكائه وأحزن لحزنه , وها نحن كيف لا نبكي لمن بكى لفقده الرّسول ! وكيف لا نحزن لمن حزنت لأجله البتول ! وكيف لا نبكي لبكاء سادتنا ! وكيف لا نحزن لفقد هُداتنا ! أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ مغامس (رحمه الله تعالى)

لغيرك يا دنيا نعيبت عناني	وذاك لأمر عن غناك غناني
ومن كان في الدنيا مثلي عارفاً	لواه الذي عن حبهن لواني
نعيبت إلى نفسي زمان شبيبي	وشبيبي إلى هذا الزمان نعياني
وانفذت في اللذات أيام صحتي	فلما لحى عظمي السقام لحاني

لقد ستر الستار حتى كأنه
ولو أنني أديت في ذلك شكره
ولكنني بارزته به بجرائم
أقول لنفسي إن أردت سلامه
ذري حذري يذري دموعي لعله
فإني لأخشى أن يقول امرته
ولي عنده يوم النشور وسيلة
بنو المصطفى الغر الذين اصطفاهم
أناف بهم في الفخر عبد منافهم
أبروا حمى من يرجي ويتقي
وإن لهم في سالف الدهر وقعة
غداة ابن سعد يستعد لحربهم
غداة تسمى مسلماً وهو خادم
غداة دعوا النصاب سبط محمد
غداة أتى من أهله في عصاة
غداة دعوة فيهم أقبلت قاصداً
غداة دعا كما تبتموني فاقبلت
غداة دعوا فأنزل الحكم أميرنا
غداة دعا أن لم تنبوا لربكم
غداة أبو أن يرجع السبط فائتني
غداة استحث اليعملات فلم تسر
غداة دعا انصاره الآن فانزلوا
ففي هذه حقاً تجول رجالنا
وفي هذه حقاً تجول خيولنا
وفي هذه حقاً تعلق رؤوسنا
ودارت بهم خيل الأعادي فجرعوا

بعفو عن اسم المذنبين محباني
لكنت رعيت الحق حين رعاني
كأن لم يكن عن مثلهن نحاني
فديني فمالي في الغداة بداني
إذا ما سقاني بالدموع شفاني
بأمر وقد امهلته فعصاني
بما أنا راج صفح ما أنا جاني
وميزهم من خلقه بمعاني
فما لهم عند المدان مداني
ليوم طعام أو ليوم طعمان
لدى الطف تجري الدمع بالهملان
بكل معدي وكل يماني
لنجل عقيل مسلم وهباني
خداعاً بإيمان لهم وأماني
يجوبوا بها البيداء بغير تواني
لأنت مريب قاصداً لبيان
هجائن عزمي نحوكم وهجاني
وإلا لحرب يا حسين عواني
فخلوا سبيلي والرجوع لثاني
وما هو فيما بينهم بمعاني
وقد ضربت في كربلاء بحران
نزل تفران لا نزل تهمان
وقطع أكف بيننا وبنان
مجال قتال لا مجال رهان
على مستقيمات الكعوب لمدان
كؤوس المنايا والحتوف دواني

فلم يبق إلا السبب يحمل فيهم
إذا ما التقاه الجحفل اللحب رده
إلى حيث أراه سنان برمحاه
واقبل شمر ساحب الذيل نحوه
فقال له من أنت قال أنا الذي
فقال وهل بي أنت يا شمر عارف
فقال له أنت الحسين ابن فاطم
فجاءته تمشي زينب ابنة فاطم
فقال لشمر ذي الخنا وهو مثنخ
أيا شمر أم والله لو كنت مسلماً
لما كنت يا شمر أجترت عزيمة
أيا شمر جهلاً قد جنيت جناية
أيا شمر إن الخصم فيها محمد
أيا شمر أبشر سوف تلقى محمد
أيا شمر هذا واحدي قد قتلته
أيا شمر من ذا للزمان نعهده
أيا شمر ألا قبل ذاك قتلتي
أيا شمر من ذا يرعوي لأرامل
ولما رنت نحو الحسين ونحوه
دعت يا أخي يعز عليك بأني
أخي إن بكت نفسي أسأً فلعلني
أخي ما الحجالي عن حجالي بحاجب
أخي أي أحداث الطوارق اشتكي
أخي من عمادي في الزمان وناصري
أخي إن رمتني الحادثات بريها
أخي ليس للمبقي لحالي بقيمة

لدى لبدة في حومة الجولان
بعضب له ذي رونق وسنان
فخر كطوب من هضاب رهان
وفي كفه ماضي الغروب يماني
اسمي بشمر والضباب نماني
أم أنت كفور أم جهلت مكاني
ومالك في هذه البرية ثاني
مفرحة الأحشاء في لهفاني
بخلق حسين للمهند حاني
لربك أو أيقنت أنك فان
بها يوم تأتي يشهد الملكان
لأمثالها لم يجن قبلك جاني
وحيندر والزهراء والحسنان
فتشقى ولا تسقى رحيق جنان
وحسي به حسي به وكفاني
إذا ما زماني بالخطوب رماني
فمالي عيش بعد ذاك بهاني
أراها تسح الدمع حين تراني
خضيب بما قد اسبل الودجان
أراك قطيع الرأس رأي عياني
بكيته لأمر عن أساك عنان
ولا عنك إذا بكى نهائي نهاني
فقد قض دمعني طارق الحدثان
ولم يبق إلا شقوقتي وهوان
فقد كنت فيها عدتي وأماني
عليك مصاب شفني وبراني

أخي للرزايا حرقمة مستمرة
أخي إن يكن في الموت من ذاك راحة
أخي لو تراني في السبايا أسيرة
لا بصرت مس الضر كيف أصابني
وفاطمة الصغرى تنادي بزئيب
أيا عمتاه ما للضبابي ترني
أيا عمتا مالي إذا رمت من أبي
أيا عمتاكم استغيث بوالدي
أيا عمتا قد كنت أملت أنني
أيا عمتا أما الأسى فاطعاني
أيا عمتا أما السلو فخانني
أيا عمتا وجدي عليه مجدد
أيا عمتا ما أخيب الحزن مطعماً
أيا عمتا أن نيح مضي من الأسا
وتدعو بخير العالمين محمد
أيا جد هذا السبط في طف كربلاء
أيا جد أما جسمه فضيوفه
أيا جد ما رأسه لو نظرته
أيا جد قد رضته بالجرد منهم
أيا جد لم يسقوه ماء وإنه
أيا جدنا قد هدم القوم كلما
أيا جدنا هذي بناتك بينهم
أيا جدنا هذا علي مصفداً
أيا جد لو عاينته في قيوده
وأعظم شيء أن يشاء على الطوا
يسار بهم نحو الشام هدية

فيا سواتا منها يجن جناني
فراحنة نفسي أن يكون أتاني
بشجو مصاب هدي ودهاني
بكف عدو سبني وسباني
وتشكو فؤاداً دائماً الخفقان
قناعي وبغيا بالقطيع علاني
دنوا حماني قريبة ولحاني
ولو كان حياً سامعاً لوعاني
فداه ولكن الحسين فداني
وأما العزا عن والدي فعصاني
غداة سلا عني الحيا وجفاني
وما فرط أحزاني عليه بواني
بخلق معان للمصيبة عان
فإن الأسى قد شجني وشجاني
وبالدمع جفنا عليتها بكفاني
مضمخ جثمان باحمر قاني
ضباع الفلا معلومة العسلان
تجده رفيعاً في سنان سنان
بنو أمهات قد عرفن زواني
ليكرع فيه سائر الحيوان
له قبل هذا اليوم مجدل بان
فمن أيم مسببة وحصان
يرى ما يلاقي من أذى وهوان
رثيت لمغلول اليدين مهان
بهم من مكان نازح لمكان
إلى كافر ذي قسوة وشنان

يقول بالحفاظ الشمامسة ران
 بترجيح ألحان ورشف دنان
 يقبله من أحمد الشفتان
 أشد نكال في غد ولعان
 ذكرتم لهم بالدمع تبتدران
 لأقصر سني حسرة بيناني
 ففات سناني لا يفوت لساني
 فلا فلان اقتدى وفلان
 إذا ما إلهي للحساب دعاني
 لنج ولكن الشفيع لجاني
 لقصدكم قبل السؤال هديني
 ولكنة ذو رحمة وحنان
 لكم في معاني حسنكم بمعاني
 إذا كنتم مما أخاف أماني
 وما قام داعي فرضه لأذان

فلما رأتهم في القيود غداً لهم
 ويندب أشياخاً بيد مغرداً
 ويقرع سنا فاضلاً كان قبل ذا
 على ظالم الأطهار من آل أحمد
 بني صفوة الجبار عيناى كلما
 وإني من حزن على فوت نصركم
 ولكنة إن أحر العصر عنكم
 وأنتم موالى الذي اقتدى بهم
 ولي موبقات من ذنوب أخافها
 وما قيل يوم الحشر يؤتى بشافع
 على أني راج سماحة منعم
 وما أنا من عفو الإله بقانط
 وكيف وقد ابدعت إذ قمت خاطباً
 ولن يخش يوماً من عذاب مغامس
 عليكم سلام الله ما در شارق

الباب الثاني

أيها الإخوان والأصحاب ، إذا عرفتم أنّ الحزن على هذا المصاب مما يزيد في الأجر والثواب ، فليمّ لا تحزنون على ما حلّ بسادات الناس من اللثام الكفرة الأرجاس ؟ أزالوهم عن مراتبهم التي ربّهم الله فيها ، وهذه القضية أصل كلّ بلية إن كنت تعيها ، ثمّ لم يكفهم ذلك حتّى منعوهم من الأحماس التي عوضهم الله تعالى بها عن أوساخ الناس ، فقالوا : هذه للمسلمين كافة . فحرّموها عليهم ومنعوها من الوصول إليهم ، ثمّ ارتقوا إلى أبلغ من ذلك ، فقالوا لفاطمة (عليها السلام) : فدك لنا لا لك . فانتزعوا منها بلغتها وبلغه بعلها وبنيتها ، ثمّ ارتقوا على ذلك ، فمنعوها إرثها من أبيها ، فلمّا رأى أهل الشقاق والتّفاق ما فعل بهم الصّدر الأوّل الذي على زعمهم عليه المعوّل ، وكان في صدورهم الغل الكامن الدّفين ؛ من أجل بغضهم لأمير المؤمنين ، لا جرم انتهزوا فيهم الفرص فجرّعوهم الغصص .

فواعجباً من

الأوائل والأواخر وظلمهم الزائد وعقلهم القاصر ! فيا حرقى تزايدى على ما حلّ بساداتى ! ويا جفونى سحى دموعاً على أصول دينى وأهل هدايتى ! :

مضينا إلى الأرض التي تسكنونها أقبل تراب الأرض في كل منزل
وحزناً على ما قد لقيتم من الظمأ اغص بشرب الماء في كل منهل
فإنّا لله وإنّا إليه راجعون : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1).

حُكي : أنّه لما قُتل الحسين وأراد القوم وطأه بالخيّل ، قالت فضّة لزَيْنب : يا سيدي ، إنّ سفينة صاحب رسول الله كان بمركب ، فضرِبته الرّيح فتكسّر ، فسبّح فقفذه البحر إلى جزيرة ، وإذا هو بأسد ، فدنا منه فخشي سفينه أن يأكله ، فقال له : يا أبا حارث ، أنا مولى لرسول الله . فهمهم بين يديه مشيراً له برأسه ، ومشى قدّامه حتّى أوقفه على طريق فركبه ونجا سالماً ، وأرى أسداً خلف محيّمنا ، فدعيتني أذهب إليه وأخبره بما هم صانعون غداً بسيدي الحسين . فقالت : شأنك . قالت فضة : فمضيت إليه حتّى قربت منه وقلت : يا أسد ، أتدري ما يريدون صنعه غداً غداً بنو أميّة بأبي عبد الله ؟ يريدون يوطئون الخيل ظهره . قال : نعم . فقام الأسد ولم يزل يمشي وأنا خلفه حتّى وقف على جثّة الحسين (عليه السلام) ، فوضع يديه عليه ، وجعل يمرّغ وجهه بدم الحسين ويكي إلى الصّباح ، فلما أصبح بنو أميّة ، أقبلت الخيل يقدمهم ابن الأحنس لعنه الله تعالى ، فلما نظروه ، صاح بهم ابن سعد إنّها لفتنة لا تثيروها ، فرجعوا عليهم لعائن الله تعالى ، وهو من بعض فضائلهم عليهم رحمة الله .

حُكي عن رجل أسدي ، قال : كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني أميّة ، فرأيت عجائب لا أقدر أحكي إلّا بعضها ، منها : أنّه إذا هبّت الرّيح ، تمرّ عليّ نفحات كنفحات المسك والعنبر ، وإذا سكنت ، أرى ما تنزل من السّماء إلى الأرض ويرقى من الأرض إلى السّماء مثلها ، وأنا مفرد مع عيالي ولا أرى أحداً أسأله عن ذلك ، وعند غروب الشّمس ، يقبل أسد من القبلة فأولّي عنه إلى منزلي ، فإذا أصبح الصّباح وطلعت الشّمس وذهبت من منزلي ، أراه مستقبل القبلة ذاهباً ، فقلت في نفسي ، إنّ هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبّيد الله بن زياد فأمر بقتلهم ، وأرى منهم ما لم أره من سائر القتلى ، فوالله ، هذه الليلة لأبدأ من المساهرة لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث أم لا . فلما صار غروب

(1) سورة الشعراء / 227.

الشمس ، وإذا به أقبل فحققته وإذا هو هائل المنظر ، فارتعدت منه وخطر ببالي ، إن كان مراده لحوم بني آدم ، فهو يقصدني ، وأنا أحاكي بهذا فمثلته ، وهو يتخطى القتلى حتى وقف على جسد كأنه الشمس إذا طلعت ، فبرك عليه ، فقلت : يأكل منه؟ وإذا به يمرغ وجهه عليه وهو يهمهم ويدمدم ، فقلت : الله أكبر ما هذا إلا أعجوبة . فجعلت أحرسه حتى اعتكر الظلام ، وإذا بشموع مُعلّقة ملأت الأرض ، وإذا ببكاء ونحيب ولطم مفجع ، فقصدت تلك الأصوات ، فإذا هي تحت الأرض ، ففهمت من ناع فيهم يقول : وا حسينا ! وا إماماه ! فاقشعرّ جلدي ، فقربت من الباكي وأقسمت عليه بالله وبرسوله : من تكون ؟ فقال : إنّا نساء من الجن . فقلت : وما شأنكن ؟ فقلنّ : في كلّ يوم وليلة هذا عزاؤنا على الحسين الدّيح العطشان . فقلت : هذا الحسين الذي يجلس عنده الأسد ؟ قلنّ : نعم ، أتعرف هذا الأسد ؟ قلت : لا . قلنّ : هذا أبوه عليّ بن أبي طالب . فرجعت ودموعي تجري على خدي :

سلوا سيوف محمد بمحمد ففـزوا بها هامات آل محمد
فكأن عترة أحمد اعداؤه وكأئنا الأعداء عترة أحمد

فاكثروا رحمكم الله الأحزان ، واطهروا شعائر الأشجان ، فإنّه رزء عظيم ومصاب جسيم ، تنزل من الأطواد ، وتتفتت منه الأكباد .

حكّي : أنّه لما فرغ عمر بن سعد من حرب الحسين ، وأدخلت الرؤوس والأسارى إلى عبّيد الله بن زياد لعنه الله تعالى ، جاء عمر بن سعد لعنه الله ودخل على عبّيد الله بن زياد ؛ يريد منه أن يمكّنه من ملك الرّي ، فقال له ابن زياد : آتني بكتابي الذي كتبتك لك في معنى قتل الحسين وملك الرّي . فقال له عمر بن سعد : والله إنّه قد ضاع منّي ولا أعلم أين هو . فقال له ابن زياد : لا بدّ أن تجئني به في هذا اليوم ، وإن لم تأتني به ، فليس لك عندي جائزة أبداً ؛ لأني كنت أراك مستحياً معتذراً في أيام الحرب من عجائز فُريش ، أأست أنت القاتل :

فوالله ما أدري وإني لصادق أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الرّي والرّي مني أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

؟ وهذا كلام معتذر مستح متردد في رأيه . فقال عمر بن سعد : والله يا أمير ، لقد نصحتك في حرب الحسين نصيحة صادقة ، لو ندبني إليها أبي سعد ، لما كنت أديت حقه كما أديت حَقَّك في حرب الحسين . فقال له عبيد الله بن زياد : كذبت يا لكع . فقال عثمان بن زياد - أخو عبيد الله بن زياد - : والله يا أخي ، لقد صدق عمر بن سعد في مقاتله ، وإني لو دددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزيمة إلى يوم القيامة ، وأنَّ حُسَيْنًا لم يُقتل أبداً .

فقال عمر بن سعد : فوالله يابن زياد ، ما رجعت أحد من قتلة الحسين بشرٍّ ممَّا رجعت به أنا . فقال له : وكيف ذلك ؟ فقال : لأني عصيت الله وأطعت عبيد الله ، وخذلت الحسين بن رسول الله ونصرت أعداء الله ، وبعد ذلك ، إني قطعت رحمي ووصلت خصمي وخالفت ربي ، فيا عظم ذنبي ويا طول كربتي في الدنيا والآخرة . ثمَّ نهض من مجلسه مغضباً مغموماً ، وهو يقول : **و ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ** (1) .

قال أبو السدي : والله إني لأعجب ممن يسعى في قتل أئمته ، وهو يعلم أنهم منتقمون منه في آخرته ، فهذا عاقبة أمره في حكومة الرِّي وقد خسرها .

وأما هو نفسه ، فحكى عن الهيثم بن الأسود ، قال : كنت جالساً عند المختار بالكوفة ، فابتدأ يقول لجلسائه : والله ، لأقتلنَّ رجلاً عريض القدمين غائر العينين مرفوع الحاجبين عدو الحسن والحسين ، وقتله يرضى فيه رب العالمين ، ويرضى علياً أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيِّدة نساء العالمين . قال الهيثم : فلما سمعت كلام المختار ، علمت أنه يريد بهذه الأوصاف قتل عمر بن سعد .

قال : فلما نهض الهيثم من مجلسه ، مشى إلى عمر بن سعد وعرفه بمقالة المختار ، قال : وكان عبد الله بن جعد أعزَّ النَّاس عند المختار ؛ لأنه رئيس قومه ، فجاء إلى المختار وتشقَّع في عمر بن سعد ، وأخذ له كتاب أمان من المختار يقول فيه : أمَّا بعد ، إنك يا عمر بن سعد ، آمن بأمان الله ورسوله على نفسك وأهلك وولدك ومالك ، ولا تؤاخذ بذنوبك كان منك قديماً ، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الأمير ، فلا يعرض له إلى سبيل الخير . فلما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد ، طاب قلبه ، وظهر بعدما كان محتفياً ، وصار يحضر في مجلس المختار في كلِّ أسبوع مرّة ، والمختار يكرمه ويدنيه ويجلسه معه على سريره ، كلَّ هذا وعمر بن سعد يحسُّ قلبه بالشرِّ ، ويظنُّ أنَّ المختار يقتله لا محالة ، فعزم على الخروج ليلاً من الكوفة ،

(1) سورة الحج / 11 .

فعلم المختار بخروجه من الكوفة ، فقال : الله أكبر وفيناه وغدر ، واعطيناه ومكر والله خير الماكرين ، ولكن والله في عنقه سلسلة ، لو جهد عمر بن سعد أن يفلّها لما استطاع أبداً حتّى اقتله إن شاء الله تعالى عن قريب .

قال : فبينما عمر بن سعد سائر في الطّريق بالليل ، فنام على ظهر النّاقة ، فرجعت النّاقة به إلى الكوفة وقت الصّبح ، فلم يشعر إلّا وهو على باب داره ، فنوخ ناقته ودخل داره واستسلم للقتل ، فلما أصبح عمر بن سعد ، دعا بابنه حفص وقال له : امض إلى المختار وانظر هل علم بخروجي أم لا ، واكشف لي عن سريرته .

قال : فجاء حفص إلى المختار وسلّم عليه ، وقال له : أيّها الأمير ، أبي يقرؤك السّلام ويقول لك اتفي لنا بالأمان أم لا ؟ فقال له : وأين أبوك ؟ فقال : ها هو في داره . فقال له : أليس أبوك قد هرب البارحة وكان يريد الشّام ؟ فقال : معاذ الله ، إنّ أبي في داره لم يتغيّب أبداً . فقال : كذبت وكذب أبوك ، اجلس هنا حتّى يأتي أبوك . ثمّ إنّ المختار استدعى رجلاً من جلاوزته ، وقال له : انطلق إلى عمر بن سعد وآتني برأسه . فمضى مسرعاً ، فما لبث هنيئة إذ جاء ويده رأس عمر بن سعد ، فألقاه في حجر ابنه ، إنّنا لله وإنّا إليه راجعون . فقال له المختار : يا حفص ، أتعرف صاحب هذا الرأس ؟ قال : نعم ، هذا رأس أبي ولا خير الله في الحياة بعده . فقال المختار : وإيّ لا أبقيك بعده . ثمّ أمر بقتله في الحال لا رضي الله عنهما . ووضع الرّأسان بين يديه ، فسّر بهما سروراً عظيماً ، فقال بعض من حضر : أيّها الأمير رأس عمر بن سعد برأس الحسين ، ورأس حفص برأس عليّ بن الحسين . فقال له المختار : صه يا كع الرّجال ، يا ويلك ! أتقيس رأس عمر بن سعد برأس الحسين ، ورأس حفص برأس عليّ بن الحسين ؟! فوالله ، لو قتلت ثلاثة أرباع أهل الأرض ، ما وفوا بأتملة من أنامل الحسين .

قال : وكان محمّد بن الحنفية بمكة يجلس مع أصحابه ويذمّ المختار ويعتب عليه ؛ لمجالسته مع عمر بن سعد على سريره وتأخيره قتله ، قال : فحمل الرّأسان إليه إلى مكة ، قال : فبينما محمّد بن الحنفية جالس ، فنظر الرّأسان بين يديه ، فخرّ لله ساجداً شاكراً ، ثمّ رفع يديه يدعو للمختار بالخير ، ويقول : اللهمّ ، لا تنس المختار من رحمتك . اللهمّ ، أجزه عنّا أهل بيت نبيّك خير الجزاء .

وعن ابن مسعود ، قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله في مسجده ، إذ دخل علينا فتية من قُريش ومعهم عمر بن سعد لعنه الله ، فتغيّر لون رسول الله ، فقلنا له : يا رسول الله ، ما شأنك ؟ فقال : ((إنّ أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإني ذكرت ما يلقي أهل بيتي من أمتي من بعدي من ؛ قتل وضرب وشتم وسبّ وتطريد وتشريد ، وإنّ أهل بيتي سيشرّدون ويطرّدون ويقتلون ، وإنّ أوّل رأس يُحمل على رمح في الإسلام رأس ولدي الحسين ، أخبرني بذلك أخي جبرائيل عن الرّبّ الجليل)) . وكان الحسين حاضراً عند جدّه في ذلك الوقت ، فقال : ((يا جدّاه ، فمن يقتلني من أمتك ؟)) . فقال : ((يقتلك شرار النّاس)) . وأشار النّبّي (ﷺ) إلى عمر بن سعد لعنه الله ، فصار أصحاب رسول الله إذا رأوا عمر بن سعد داخلاً من باب المسجد ، يقولون : هذا قاتل الحسين (عليه السلام) . قال : وجعل عمر بن سعد كلّما لقي الحسين يقول : يا أبا عبد الله ، إنّ في قومنا أناساً سفهاء يزعمون إني أقتلك . فيقول له الحسين (عليه السلام) : ((والله إنهم ليسوا سفهاء ، ولكنهم أناس خُلماء ، أما إنّه ستقرّ عيني حيث لا تأكل من برّ الرّي من بعد قتلي إلا قليلاً ، ثمّ تُقتل من بعدي عاجلاً)) .

وكان الباقر (عليه السلام) يقول : ((إنّ قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا ، وقاتل الحسين ولد زنا ، ولم تمطر السّماء دماً إلا يوم قتلتهما ، ولم يحمرّ الأفق إلا في قتلتهما ، وإنّ هذه الحمرة التي تظهر في السّماء لم تر قبل قتل الحسين ولا رؤيت بعد قتله)) .

قال الرّواي : فلمّا نزل الحسين يوم الطّف في أرض كربلاء ، أوّل من حال بينه وبين ماء الفُرات عمر بن سعد لعنه الله تعالى ، فاشتدّ العطش بالحسين وأطفاله وأهل بيته (عليهم السلام) ، فقام رجل من أصحاب الحسين قال : يا بن رسول الله ، أتأذن لي أن أمضي إلى ابن سعد فأكلمه في أمر الماء ، وأعرّفه بعطش الحرم والأطفال ؛ فعساه يرتدع عن القتال ؟ فقال (عليه السلام) : ((ذلك إليك ، افعل ما شئت)) .

قال : فجاء الهمداني ووبّخه بكلام - قد مرّ ذكره سابقاً - ، فكان من عذره أن قال : يا أخا همدان ، والله إني أعرف النّاس بحقّ الحسين وحرّمته عند رسول الله ، ولكيّي حائر في أمري ما أدري كيف أصنع ، وفي هذا الوقت كنت اتفكّر في أمري بين ترك ملك الرّي وقتل الحسين . ثمّ قال : نفسي لأمارّة بالسّوء ما تحسن لي ترك مُلك الرّي ، وإني إذا قتلت حُسيناً أكون أميراً على سبعين ألف فارس .

قال : فنهض

من عنده مكسور القلب ورجع إلى الحسين (عليه السلام) ، وقال : يا مولاي ، إنَّ القوم استحوذ عليهم الشيطان ، وإنَّ عمر بن سعد قد عزم على قتلك وقتل أصحابك وأهل بيتك ، ورضي بدخول النار بولاية الرسي : ﴿ ذَلِكْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (1) .
 فيا إخواني ، كيف لا يبكيهم من يزعم أنَّ له بهم الاتصال حتَّى تنقطع منه عليهم الأوصال ؟ وكيف لا يتحمَّل الحزن عليهم في هذا الحال وفي كلِّ حال حتَّى المآل ؟ فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التادبون ، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ نعمان (رحمه الله تعالى)

وجرت بـوادٍ دمعـه تنـدفع	جـزع بكـى وأخـو الصـبابة يجـزع
وجد تـفيض العين منه وتدمع	صـب إذا هـل المحـرم هاجـه
نيرانه بـين الأضـالع تسـفـع	وجـوى لمـّا نال الحـسـين وآلـه
لـمّا اسـتجابوا حولـه وتجمـعوا	في كـربلاء في كـربها وبلائها
والخيـل مسـرجة تعـد وتمنـع	واتـوه بالبـيض الصـوارم والقنـا
عدلاً يـرى ما يـفعلون ويسـمع	بغـياً وعدواً لم يـخافوا حاكمـاً
منهم وهم من كل قوم أجدع	من بعد ما كتبوا إليه خديعة
خـدعوا بـه وكأـنهم لم يسـمعوا	حتـى إذا ما جاءهم متحملاً
فيه وما أوصاهم بل ضيعوا	بالأمس ما قال النبي محمداً
ظمأ ولم يـخشوا ولم يـفزعوا	وحموه عن ماء الفرات وقد شكوا
وتـرددوا في غـيهم وتسـلـعوا	ويل لهم باعوا الهداية بالعمى
منهم ولا فعلت ثمود وتبع	والله ما عاد بأعظم حرمة
بل فعلهم من كل فعل أشنع	قوم كفعلهم الشنيع وما أتوا
زمرأاً ولم يك من لقاها يجزع	ناداهم لمّا به حفوا معاً
منكم له دين يكف ويردع	يا شر خلق الله ما من مسلم
والوـحش في ماء الشريعة يترع	حرم النبي تموت من حر الظمأ

(1) سورة الحج / 11.

ألكم طلائب عندنا تبغونها
انفذتم كتبنا إلى فجئتمكم
قالوا له هيهات بل لاميرنا
أو بالسيف المرففات وبالقنا
فهناك جرد سيفه لقتالهم
في فتية بذلوا نفوسهم معاً
من حوله فوق التراب كأنهم
وبقي حبيب محمد بين العدا
كالليلث منصلتاً إلى أن غالسه
عن سرجه يرنو إلى فسطاطه
أسفي على النسوان في ذل السبا
ومضى الجواد إلى الخيام محمماً
فسمعن رنته النساء فقلن قد
فخرجن من فسطاطهن صوارخا
وأثنين والشمر جاث فوقه
فرقى الحسين وقلن ويلك يا عدو
هَذَا جِزَاءَ مُحَمَّدٍ فِي آلِهِ
فاحتز رأس السبب يا لك لوعة
فاهتز عرش الله جل وسبحت
وهوت نجوم عند ذاك من السما
والأرض مادت والجبال تزعزعت
والطير في جو السماء بكنت له
عن وعيها جزعاً عليه ولم يزل
وعلى سنان الرمح شالوا رأسه
وجرت خيولهم على جثمانه
وتناهبوا رحل الحسين وسلبوا

أم ما عرفتم ويلكم ما تصنعوا
فالآن إذ خنتم دعوي أرجع
تعطى القياد وتسكتين وتخضع
نوليكم طعناً وضرباً يفضع
وهو الشجاع اللوذعي السلفع
من دون مهجته إلى أن صرعوا
أقمار أديحة ضياها يلمع
فردا يذب عن الحریم ويمنع
سهم المنون فخر وهو الموجه
والعين منه تستهل وتدمع
إذ لم يعد أحد هنالك يسمع
ينعي الحسين ودمعته يتدفع
وقع الذي كنا له نتوقع
جزعاً صراخاً للصخور يصدع
بحسامه للرأس منه يقطع
الله ماذا بالمطهر تصنع
منكم لفعلك يا أمية اشنع
لم يبق للإسلام شمل يجمع
أملاكه وبكوا أسى وتفجعوا
وبكت دما بعض لبعض تتبع
والجو مسود هنالك اسفح
أسفاً واعرضت الوحوش الرتع
للجن نوح في الأماكن يسمع
كالبدريزه نوره ويشعشع
حتى تحطم صدره والأضلع
نسوانه باخبت ما قد صنعوا

بدم إذا ما قل منك المدمع
 فمصابه مما سواه أفضع
 والببيض فيه والأسنة تشرع
 والجسم منه بالسيف مبضع
 كفن ولا نعش هناك يشيع
 في اليد ما فيهن من يتقنع
 قسراً وهن إذا عطاشى جوع
 بالقيد مكتوف اليدين مكنع
 لما تنادوا للرحيل وازمعوا
 قومي إلى جسد الحسين نودع
 منه سوى هذي العشية نطمع
 لا يوم فيه بعده نتجمع
 أبعده لهم نخب وتبمع
 لعناً يدمو مجدداً لا يقطع
 والآخرون بنوا عليه ورفعوا
 يوم الغدير وظلم حيدر فاسمعوا
 كلا ولا لخلافة يوم دعوا
 يرضى بفعالهم الشنيع ويقنع
 ما دام صبح خلف ليل يصدع
 يوم القيامة في السلام أطمع
 ذكري إذا ظم الأنام المضجع
 وغدا إذا فرغ السورى لا أفزع
 أعداءكم من حوضكم لا امنع
 ورقاء نحتف في الغصون وتسجع

يا عين أبكي للحسين وأهله
 ابكي غريب محمد وجيبه
 ابكي عليه مفرداً بين العدا
 ابكي عليه ورأسه في ذابل
 ابكي له ملقى بلا غسل ولا
 ابكي لنسوان الحسين حواسراً
 ابكي لهن يسقن بعد صيانة
 ابكي على السجاد وهو مقيد
 ابكي لزئيب إذ تقول لاختها
 يا أخت قد عزوا عليّ ترحالهم
 قومي إليه فما لنا من نظرة
 يا أخت هذا اليوم آخر عهدنا
 هذا بال محمد فعل العدى
 بل منهم نبراً ونلعنهم معاً
 فالأولان همما لهذا أسساً
 والله لو لا نكث عهد المصطفى
 ما استنهضت آل النبي أمية
 لا زال لعن الله يغشاهم ومن
 وعلى بني الزهراء صلّى ربهم
 يا آل بيت محمد إني لكم
 أنا عبدكم نعمان حبيكم معاً
 واليبتكم لأكون تحت ولائكم
 وإذا منعتم حين يشد الظمأ
 مني السلام عليكم ما غردت

الباب الثالث

أيها المؤمنون الناصحون والاخلاء الصالحون ، عجبوا بالبكاء والعويل ،

واندبوا أهل الإيمان والتّزليل ، ويا أهل الأمانة والطّاعة ، ساعدوا أهل الكرامة والشّفاة ، أو لم تسمعوا يا ذوي العقول بمصيبة آل الرّسول؟! فواعجابه من هذه المصائب التي تسكب العبرات ! ويا تعجباه ممّن لا يساوي مواليه في التّكبات ! فكيف يدّعي المحبّة ممّن لا ينوح على أولاد الرّسول وثمره فؤاد البتول ؟ فهل تحسن المراثي والنّذب إلّا على المقتولين من غير سبب ؟! فيا وقعة ما أمرّها ! ويا قتلة ما أحرّها ! منعوهم من الماء المباح وسقوهم السيّوف والرّماح ، فليت شعري ما كان السّبب لذلك حتّى أوردوهم تلك المهالك ، مشرّدين عن البلاد مفعوجين في الأهل والأولاد ؟ فمنهنّ من تخمش وجهها بيديها ، ومنهنّ من ينزع قرطيها من أذنيها.

فيا لها من مصيبة في الأنام تضععت لها سائر بلاد الإسلام ! فنحتسب أجرها عند الله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

نُقل عن أمّ سلمة ، قالت : كان رسول الله (ﷺ) ذات يوم معي ، فبينما هو راقد على الفراش ، جاعل رجله اليمنى على اليسرى وهو على قفاه ، وإذا بالحُسين (عليه السلام) - وهو ابن ثلاث سنين وأشهر - أتى إليه ، فلمّا رآه (ﷺ) ، قال : ((مرحباً بقرّة عيني مرحباً بثمره فؤادي)) . ولم يزل يمشي حتّى ركب على صدر جدّه فأبطأ ، فخشيت أنّ النّبي تعب فأحببت أنخيه عنه ، فقال : ((دعيه يا أمّ سلمة ، متى أراد الانحدار ينحدر ، واعلمي ممّن أذى منه شعرة فقد آذاني)) . قالت : فتركته ومضيت فما رجعت إلّا ورسول الله يبكي ، فعجبت من بعد الضّحك والفرح ، فقربت منه وقلت : يا سيّدي ، ما يبكيك لا أبكي الله عينك ؟ وهو ينظر لشيء بيده ويبكي ، قال : ((ما تنظرين ؟)) . فنظرت وإذا بيده تربة ، فقلت : ما هي ؟ قال : ((أتاني بها جبرائيل هذه السّاعة ، وقال لي : يا رسول الله ، هذه طينة من أرض كربلاء ، وهي طينة ولدك الحُسين وتربته التي يُدفن فيها، فصيربها عندك في قاروره ، فإذا رأيتها قد صارت دماً عبيطاً ، فاعلمي أنّ ولدي الحُسين قد قُتل ، وسيصير ذلك من بعدي وبعد أبيه وأمه وجدته وأخيه)) .

قالت : فبكيته وأخذتها من يده واثمّرت بما أمرني ، وإذا لها رائحة كأنّها المسك الأذفر ، فما مضت الأيام والسّنون إلّا وقد سافر الحُسين إلى أرض كربلاء ، فحسّ قلبي بالشّتر وصرت كلّ يوم اتجسس القارورة ، فبينما أنا كذلك وإذا بالقارورة انقلبت دماً عبيطاً ، فعلمت أنّ الحُسين قد

فُتِل ، فجعلت أنوح وأبكي يومي كلّه إلى الليل ، ولم اتحنّ بطعام ولا منام إلى طائفة من الليل ، فأخذني النّعاس ، وإذا أنا بالطّيف برسول الله (ﷺ) مُقبل وعلى رأسه ولحيته دم كثير ، فجعلت انفضه بكمّي وأقول : نفسي لنفسك الفداء ! متى أهملت نفسك هكذا يا رسول الله؟! من أين لك هذا التّراب؟ قال : ((هذه السّاعة فرغت من دفن ولدي الحسين)) .

قالت أمّ سلمة : فانتبهت مرعوبة لم أملك على نفسي ، فصحت : وا حسيناه ! وا ولداه ! وا مهجة قلباه ! حتّى علا نحيبي ، فأقبلت إليّ نساء الهاشميات وغيرهن ، وقلنّ : ما الخبر يا أمّ المؤمنين؟! فحكيت لهنّ بالقصة فعلا الصّراخ وقام النّياح ، وصار كأنّه حين ممات رسول الله (ﷺ) ، وسعين إلى قبره مشقوقة الجيب ومكشوفة الرّأس ، فصحن : يا رسول الله فُتِل الحسين ! .فو الله الذي لا إله إلا هو ، فقد حسسنا كأنّ القبر يمج بصاحبه حتّى تحرّكت الأرض من تحتنا ، فخشينا أنّها تسيخ بنا ، فانحرفنا بين مشقوقة الجيب ومنشورة الشّعر وباكية العين .

فيا إخواني ، مصابهم هو الذي أحرمننا المهجوع وأسكب من أعيننا سحائب الدّموع ، وقلل صبرنا وأذهل فكرنا ، وهدّد منّا الأركان وأسلمنا الدّل والهوان ، فالحكم لله ولا حول ولا قوة إلا بالله :

غريـون عن أوطانهم وديارهم	تنوح عليهم في البراري وحوشها
وكيف ولا تبكي العيون لمعشر	سيوف الأعداء في العلاء تنوشها
بدور توارى نورها فتغيرت	محاسنها تـرب الفـلا نعوشها

وروي : أنّ المتوكل من خلفاء بني العبّاس ، كان كثير العداوة شديد البغض لأهل بيت الرّسول ، وهو الذي أمر الحارثين بحرث قبر الحسين (عليه السلام) ، وأن يجروا عليه الماء من نهر العلقمي ، بحيث لا يبقى له أثر ولا أحد يقف له على خير ، وتوعّد النّاس بالقتل لمن زار قبره ، وجعل رسداً من أجناده وأوصاهم : كلّ من وجدتموه يريد زيارة الحسين فاقتلوه ؛ يريد بذلك إطفاء نور الله وإخفاء آثار ذرّيّة رسول الله ، فبلغ الخبر إلى رجل من أهل الخير يُقال له زيد المجنون ، ولكنّه ذو عقل شديد ورأي رشيد، وإمّا لُقّب بالمجنون ؛ لأنّه أفحم كلّ لبيب ، وقطع حجّة كلّ أديب ، وكان لا يعبأ من الجواب ولا يملّ من الخطاب ، فسمع بخراب قبر الحسين وحرث مكانه ، فعظم ذلك عليه واشتدّ حزنه وتجدد مصابه

بسيده الحسين (عليه السلام) ، وكان يومئذ بمصر ، فلما غلب عليه الوجد والغرام لحرث قبر الإمام (عليه السلام) ، خرج من مصر ماشياً هائماً على وجهه شاكياً وجده إلى ربّه ، وبقي حزناً كثيراً حتى بلغ الكوفة وكان البهلول يومئذ بالكوفة ، فلقية زيد المجنون وسلّم عليه فردّ عليه ، فقال له البهلول : من أين لك معرفتي ولم ترني قط ؟ فقال زيد : يا هذا ، اعلم أنّ قلوب المؤمنين جنود مجنّدة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

فقال له البهلول : يا زيد ، ما الذي أخرجك من بلادك بغير دابة ولا مركب ؟ فقال : والله ، ما خرجت إلا من شدّة وجدي وحزني ، وقد بلغني أنّ هذا اللعين أمر بحرث قبر الحسين (عليه السلام) وخراب بنيانه وقتل زوّاره ، فهذا الذي أخرجني من موطني ونعّص عيشي ، وأجرى دموعي وأقلّ هجوعي . فقال البهلول : وأنا والله كذلك . فقال له : قم بنا نمضي إلى كربلاء لنشاهد قبور أولاد عليّ المرتضى .

قال : فأخذ كلّ بيد صاحبه حتى وصلا إلى قبر الحسين ، وإذا هو على حاله لم يتغير وقد هدموا بنيانه ، وكلّموا أجروا عليه الماء ، غار وحرار واستدار بقدره العزيز الجبار ، ولم يصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين (عليه السلام) ، وكان القبر الشريف إذا جاءه الماء ، ترتفع أرضه بإذن الله تعالى ، فتعجب زيد المجنون مما شاهده ، وقال : انظر يا بهلول ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾ . قال : ولم يزل المتوكل يأمر بحرث قبر الحسين مدّة عشرين سنة ، والقبر على حاله لم يتغير ولا تعلوه قطرة من الماء ، فلما نظر الحارث إلى ذلك ، قال : آمنت بالله ومحمّد رسول الله ، والله ، لاهربنّ على وجهي وأهيم في البراري ولا أحرث قبر الحسين ابن بنت رسول الله ، وإنّ لي مدّة عشرين سنة أنظر آيات الله وأشاهد براهين آل بيت رسول الله ، ولا اتعظ ولا اعتبر . ثمّ أنّه حلّ الثيران وطرح الفدان وأقبل يمشي نحو زيد المجنون وقال له : من أين اقبلت يا شيخ ؟ قال : من مصر . فقال له : ولأيّ شيء جئت إلى هنا ؟ وإني أخشى عليك من القتل . فبكى زيد وقال : والله قد بلغني حرث قبر الحسين (عليه السلام) ، فأحزني ذلك وهيج حزني ووجدني . فانكب الحارث على أقدام زيد يقبلهما ، وهو يقول : فداك أبي وأمي ! فوالله يا شيخ ، من حين ما أقبلت إليّ ، أقبلت إليّ الرّحمة واستنار قلبي بنور

(1) سورة التّوبة / 32.

الله ، وإني آمنت بالله ورسوله ، وإن لي مدّة عشرين سنة وأنا أحرث هذه الأرض ، وكلّما أجريت الماء إلى قبر الحسين ، غار وحرار واستدار ولم تصل إلى قبر الحسين منه قطرة ، وكأني كنت في سكر وأفقت الآن ببركة قدومك إليّ . فبكي زيد وتمثّل بهذه الأبيات :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أيهه بمثلته هذا لعمرك قبره مهـدوما
اسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميمـا

فبكي الحارث وقال : يا زيد ، قد أيقظتني من رقدتي وأرشدتني من غفلي ، وها أنا الآن ماض إلى المتوكل بسر من رأى أعرفه بصورة الحال ، إن شاء أن يقتلني وإن شاء يتركني . فقال له زيد : وأنا أيضاً أسير معك إليه وأساعدك على ذلك . قال : فلما دخل الحارث إلى المتوكل وأخبره بما شاهد من برهان قبر الحسين (عليه السلام) ، استشاط غيظاً وازداد بغضاً لأهل بيت رسول الله ، وأمر بقتل الحارث ، وأمر أن يشد حبل في رجله ويسحب على وجهه في الأسواق ، ثم يُصلب في مجتمع الناس ؛ ليكون عبرة لمن اعتبر ، ولا يبقى أحد يذكر أهل البيت بخير أبداً .

أمّا زيد المجنون فإنه ازداد حزنه واشتدّ عزاؤه وطال بكائه ، وصبر حتى انزلوه من الصّلب وألقوه على مزبلة هناك ، فجاء إليه زيد فاحتمله إلى دجلة وغسّله وكفّنه وصلّى عليه ودفنه ، وبقي ثلاثة أيّام لا يفارق قبره وهو يتلو كتاب الله عنده ، فبينما هو ذات يوم جالس ، إذ سمع صراخاً عالياً ونوحاً شجياً وبكاءً عظيماً ، ونساء بكثرة منشرات الشّعور مشققات الجيوب مسودّات الوجوه ، ورجالاً بكثرة يندبون بالويل والثّبور ، والناس كافّة في اضطراب شديد ، وإذا بجنّازة محمولة على أعناق الرجال وقد نشرت لها الأعلام والرّايات ، والناس من حولها أفواجاً قد انسدّت الطّرق من الرجال والنّساء ، قال زيد : فظننت أنّ المتوكل قد مات . فتقدمت إلى رجل منهم وقلت له : من يكون هذا الميت ؟ فقال : هذه جنازة جارية المتوكل ، وهي جارية سوداء حبشية وكان اسمها ريحانة ، وكان يحبّها حبّاً شديداً . ثمّ إنهم عملوا لها شأناً عظيماً ، ودفنوها في قبر جديد وفرشوا فيه الورد والرّياحين والمسك والعنبر ، وبنوا عليها قبة عالية ، فلما نظر زيد إلى ذلك ، إزدادت

أشجانه وتصاعدت نيرانه ، وجعل يلطم وجهه ويمزق أطماره ، وحتى التراب على رأسه وهو يقول : وا ويلاه ! وا أسفاه عليك يا حسين ! أتقتل بالطّفّ غريباً وحيداً ظمأناً شهيداً ، وتُسي نساؤك وبناتك وعيالك وتُدبح أطفالك ، ولم يبك عليك أحد من الناس ، وتُدفن بغير غسل ولا كفن ، ويُحرق بعد ذلك قبرك ؛ ليطفئوا نورك وأنت ابن عليّ المرتضى وابن فاطمة الزهراء ، ويكون هذا الشّأن العظيم لموت جارية سوداء ، ولم يكن الحزن والبكا لابن مُحمّد المُصطفى .

قال : ولم يزل يبكي وينوح حتّى غشي عليه والناس كافّة ينظرون إليه ، فمنهم من رقّ له ومنهم من جثى عليه ، فلمّا أفاق من غشوته ، أنشأ يقول :

أيجرث بالطّف قـبـر الحـسـين	ويعمر قـبـر بـني الزانـية
لعل الزمان بهم قد يعود	ويأتي بدولتهم ثانيّة
ألا لعن الله أهل الفساد	ومن يأمن الدنيّة الفانيّة

قال : ثمّ إنّ زيدا كتب هذه الأبيات في ورقة وسلّمها لبعض حجّاب المتوكل ، قال : فلمّا قرأها ، اشتدّ غيظه وأمر باحضاره فاحضر ، وجرى بينهما من الوعظ والتوبيخ ما أعياه حتّى أمر بقتله ، فلمّا مثل بين يديه ، سأله عن أبي تراب : من هو ؟ استحقّاراً له ، فقال : والله ، إنّك عارف به وبفضله وشرفه وحسبه ونسبه ، فوالله ، ما يجحد فضله إلا كلّ كافر مرتاب ولا يبغضه إلا كلّ منافق كذّاب . وشرع يعدد فضله ومناقبه ، حتّى ذكر منها ما أغاظ المتوكل ، فأمر بحبسه فحبس ، فلمّا أسدل الظلام وهجع ، جاء إلى المتوكل هاتف ورفسه برجله ، وقال له : قم وأخرج زيدا وإلا أهلكك الله عاجلاً . فقام هو بنفسه وأخرج زيدا من حبسه وخلع عليه خلعة سنّية ، وقال له : اطلب ما تريد . قال : أريد عمارة قبر الحسين وأن لا يتعرض أحد بزوّاره . فأمر له بذلك ، فخرج من عنده فرحاً مسروراً ، وجعل يدور في البلدان وهو يقول : من أراد زيارة قبر الحسين ، فله الأمان طول الأمان .

وعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التّادبون ، ومثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ محمد بن السمين (رحمته الله)

أيعذب ممن ورد الجفَاء ورود
وينبع من غرس الوداد ثمارها
فيا من بدا ذا الود بالصد والجفا
فإن تبخلوا بالوصل إني مواصل
وإن عدتم يوماً بما قد بدأتم
وحبل ذمامي لا تحل عقوده
وإن نقضوا عهد الوداد فإني
وما حال حال العهد عما عهدتم
وما كادني أمر يكيده احتمالاه
ولا بدع إن أبعدتم نقض عهدكم
فكم تنقض الأرجاس عهداً وعقده
وقد جاءه تترى صحائف جملة
يقولون إن الضد باد وفي غد
ونحن بلا وال وأنت ولينا
فسر قصدنا قصداً فلا زلت مقصداً
فإن لم تسر فارسى من الآل سيداً
فأرسى سهماً من كنانة آل
فبايعه منهم ألوف تألفت
فلم يأتي إلا الليل حتى تحاذلوا
وألقوه مذ ألقوه قد جاء رائداً
عتواً من القصر المشيد مبوءاً
ففرق جند الحق من بعد قتله
لها ابن زياد مرسى ومجهز
إلى حرب مولانا الحسين وآله
طبوهم في الخافقين خوفاً وق

أيزهر ممن ورد الوفاء ورود
ويورق من غصن المودة عود
أحمل من بعد الوصال صدود
وبالنفس إن ضن الجواد أجود
من الغدر إني بالوفاء أعود
إذا حل من حل الذمام عقود
مراع لأساب الوداد ودود
وإن رث عقد العهد فهو جديد
ولكما نقض العهد يكيده
فقد نقضت لابن النبي عهدود
وثيق على كل العباد وكيده
كأوجههم عند التوجه سود
له في لظى بعد الدخول خلود
وأولى بنا منا ونحن عبيد
فقصدك في كل الأمور حميد
فأنت لسادات الأنام عميد
مصيباً لدفع النائبات عتيد
عليه ولا يخصى له من عديد
وبان لهم بعد الوفاء صدود
لمرعى يولي في الصدور بزود
له قصر در في الجنان مشيد
وجمع من جند الضلال جنود
وأما ابن سعد للجنود يقود
تسارع منهم قائد ومقود
وتخفق رايات لهم وبنود

يُذاد عن الماء المباح وقد غدا
ويمنعه من ورده ووروده
ولست بناس قوله حال ما بدا
يقول وقد أبدأ مقالة معذر
إلى سبل فيها الهداية فاعدلوا
ولا تكحلوا الأبصار بالبغى أعيناً
وكونوا أناساً أصلحوا ذات بينهم
ألم تعلموا إني الإمام عليكم
وإن لنا حكماً المعاد وامره
وإن أبي يسقي على الحوض معشراً
ولولاه لم يخضر للدين عوده
وقد قلت هذا القول والله عالم
فقالوا علمنا ما تقول فلا تزد
ولكنما انفاذ أمر أميرنا
نريد بأن تأتي يزيد مبائعاً
فقال وللعين المبرح في الحشا
سلام على الإسلام بعد رعاته
وكيف وأبناء الكرام بذلة
وآب إلى أنصاره يطلب الرجاء
يقول ابشروا فالقول من بعد هذه
وحور حسان ما هن مناظر
وباتوا ومنهم ذاكرو ومسبح
فمد بزغت شمس الهياج مضيئة
به النقع غيم والبروق بوارق
دعاهم فثابوا للثواب تسابقاً
حفو حفيفاً مقدمين كأنهم

لجل عباده الله منعه ورود
كفور لآلاء الإله كنهود
يناطبهم بالطرف ثم يعيد
ويعلم أن القول ليس يفيد
وعن طريق فيها الضلالة حيدوا
مراضاً بأعمال العتو ثمود
وآرائهم في ابن النبي شديد
وإني لله الشهيد شهيد
يؤول إلينا والحساب يعود
ويطرد عنه معشراً ويذود
ولا قام للإسلام قط عميد
وقاض به والعمالمون شهود
فقولك هذا ما عليه مزيد
يزيد لده دون الأنام نريد
فرشك أن تأتي يزيد نريد
كلام وفي القلب الكلیم وقود
إذا كان راعي المسلمين يزيد
تسام وأبناء اللثام تسود
ويوعده إذ حقت لديه وعود
مهد وعيش في الجنان رغيد
يضاهي وفي دار الخلود خلود
وراع ومنهم ركع وسجود
بأفق سماء البغي وهو مديد
به الويل نبل والصراخ وعود
إلى الموت إذ فيه الحياة تعود
ليوث الشرى عند اللقاء أسود

فأورد كل نفسه مورداً له
إلى أن تفانوا واحد بعد واحد
وظل بأرض الطوف فرداً وحوله
وتنظره شزراً من السمر والقنا
ينادي أما من مسلم ذي حمية
أما من شهاب ثاقب يحرق العدا
أما من نصير ينصر الفرد نصرة
أما واحد يأتي الوحيد موصلاً
أما جابر يأتي مجيراً ويجيره
أما من شقي والنفوس تخوفه
أما أكمه في ليل غي فإن وفي
أما فاسد رأياً إذا أب ناصراً
فلما رمى عن قوس حقد بأسهم
ثنى صده قصد الخيام مودعاً
يقول اصبروا فالله جلّ جلاله
وصيراً جميلاً آل بيت محمد
إذا مات منا سيّد قام سيّد
وبعد فزين العابدين خليفتي
واستودع الرحمن ولدي وعترتي
وألوى على جيش العداة بعزمه
ففر العدى من بأسه خيفة الردى
فغادهم صرعى لديه ومنهم
فمذحان حين أرسل القوم اسهما
هوى ثاوياً فوق الثرى ومحلّه
وظل صريعاً بالطفوف ونفسه
إلى أن قصى نجباً وعهداً وموعداً

صدور ومن بعد الصدور ورود
لديهم فمنهم قائم وحصيد
لآل زياد ععدة وعديد
نواظر إلا أنهم حديد
يحمي وعن آل الرسول يذود
بنار فشيطن الطغاة عنيد
لينصر يوم الجمع وهو فريد
ليوصل يوم الفصل وهو وحيد
إذا حرق في يوم الوعيد وعيد
توافيه إن وافى لذي سعود
أرى الفخر فخر الرشيد وهو رشيد
يبلج وجهه الرأي وهو سيد
حداد وكل للجلاد مرید
لهم موصياً بالثبير وهو حميد
يؤف لأجر الصابرين مزيد
فمجدكم والفضل ليس يبيد
رقيب على كل الأنام شهيد
على من له في ذا الوجود وجود
ومن جاء منهم والد ووليد
تكاد لها شم الجبال تميد
كما فر من بأس الأسود صيود
جريح تولى هارباً وطريد
أصيب بها نحر له ووريد
له فوق آفاق السماء صعود
بها من سياق الموت وهو يجود
به جاء من سر النبي وعود

تقي نقي طاهر ، طاهر الوفا
ولما غدا الحر الجواد وسرجه
برزن نساء الهاشميات حسراً
توادين يحدشن الوجوه تفجعاً
وفاطمة الصغرى تعانق اختها
وزينب ما بين النساء وقلبها
تقول وللأحزان في القلب مبدع
أخي يابن أمي يا شقيقي وسيدي
عليك جفوني الذاريات ذوارف
أخي مهجة الإسلام مقضي كآبة
أخي ثل عرش الدين وانهد ركنه
أخي من يلثم الشمل بعد شتاته
أخي من ترى للجود والندى
فأنت لمن يبغي الوفادة والجدي
وإن أجذبت أرض فأنت ربيعها
وكل مصاب جاء بعدك هين
فيا شيعة المختار نوحوا لمصرع
تطأه خيول المجريات تحبراً
وآل رسول الله يشهرن في الملال
يسار بال المصطفى فوق ضمير
ورأس إمام السبط في رأس ذابل
وينكثه بالخيزران شماتة
ويؤتى بزين العابدين مصفداً
فقوموا بأعباء العزاء فإناه
لأي مصاب يذرف الشأن ماءه
لأعظم من هذا المصاب وخطبه

وفي مجيد في الفعـال حميد
خلى وللحر الجواد فقيـد
عليهن من نسج الثكول برود
وتلطم بالأيدي لهـن خـدود
سكينة خوف السبي وهو مكيد
قريح وبالأحزان فهو كميد
وميد لأسرار الهموم معيد
ومن لي من دون الأنام عميد
وأما دموعي المرسلات تجود
ومتن الهدى قد قد وهو عميد
وعطل منه إذا أصبت حدود
ومن لبناء المكرمات يشيد
إذا سار وفد أو أقام وفود
بأنفس ما يسخو المفيد تفيد
وإن ضمن صوب المزن أنت مجيد
وما هان في هذا المصاب شديد
الشهيد وبالدمع الغزير فجدوا
ويسفي عليه بعد ذلك صعيد
وآل ابن هند في الخدور رقود
وترفعهم بيد وتحفض بيد
طويل على رأس السنان يميد
به وسروراً كافر وعنيـد
وفي قدميه للحديد حدود
جليل وأما غيره فزهيد
وتقضى نفوس أو تفت كبود
عظيم على أهل السماء شديد

مصـاب له في كل قلب مصيبة
وللهم هم والرزايا رزية
إليكم يا بني الزهراء يا من سمت بهم
أوجه وجهه الممدح مئّي لأنه
لأني لكم عبد محب وحببه
وما قدر مدح قاله في علاكم
ولكن يسر الأولياء استماعه
فيا من هم فلك النجاة ومن هم
فمذ كان بدء الفضل منكم تفضلوا
فأنتم له ذخـر إذا جاء في غد
عليكم سلام الله حيث ثناؤكم
وحيث بكم هبت نسيم ونسـمت
وأزهر من زهر البروج زواهر

سـهام لحيات القلوب تبيد
وللحزن حزن زائد ويزيد
إلى المجد آباء لهم وجود
قلائد في جيد العلى وعقود
قديم فمـنه طارف وتليد
ومدحكم في المحكمات عتيد
ويكبت أعداء لكم وحسود
هداة وغوث في الأنام وجود
وجودوا على نجل السمين وعودوا
ومع كل نفس سائق وشهيد
حكى نشره ند يـضوع وعود
هبوب وللعيدان زنج عود
وورد من زهر المـروج ورود

المجلس السادس

من الجزء الثاني في اليوم الثامن من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

أيها المؤمنون ، جودوا بماء العيون المخزون ، وأيتها السامعون جدّدوا ثياب الأشجان والحزون ، وتساعدوا على النياحة والعيول ، واسكبوا العبرات على الغريب القتيل ، واندبوا لمن اهتز لفقده عرش الجليل ، ونوحوا أيها المحبون لآل الرسول وابكوا على مصاب أبناء البتول ، وسحوا عليهم بالدموع فيآتهم أعلام الأنام وأئمة أهل الإسلام ؛ فلعلكم تواسونهم في المصاب بإظهار الجزع والإكتئاب ، والاعلام بالحنين والانتحاب ، فيا خيبة من جهل فضلهم وانكر قدرهم ، ولكنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور :

وقفت على الدار التي كنتم بها فمغناكم من بعد معناكم قفر
وقد درست منها الرسوم وطالما بها درس العلم الإلهي والذكر
فراق فراق الروح بعد بعدكم ودار برسوم الدار في خاطري الفكر

روي عن زين العابدين عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، قال : ((لما أتوا برأس أبي يزيد ، فكان يتخذه بمجالس الشراب ويأني برأس أبي ويضعه بين يديه ويشرب عليه ، فحضر في مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم وكان من أشرافهم وعظماهم ، فقال : يا ملك العرب ، هذا رأس من ؟ قال يزيد لعنه الله : مالك بذلك حاجة ، قال : إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته ،

فأحبت أن أخبره بقصة هذا الرأس حتى يشاركك في الفرح والسرور . فقال له يزيد : هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب . قال : ومن أمه ؟ قال : فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى . قال النصراني : أما تراني إذا حققت النظر إليه يقشعر جسمي ، واسمعه يقرأ آيات من كتابك ، أف لك ولدنيك ، ديني خير من دينك ، اعلم أن أبي من حوافظ داود (عليه السلام) ، وبينه وبينه آباء كثيرة ، والنصارى يعصمونني ويأخذون من تراب أقدامي ؛ تبركاً بي ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم رسول الله ، وما بينكم وبينه إلا أمّ واحدة ، فأبي دين أحسن من دينكم ؟ أما سمعت يا يزيد كنيسة الحافر ؟ فقال : لا والله . قال له : اعلم أن بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ، ليس فيه عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء ، طولها ثمانون فرسخاً وعرضها مثله ، ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها ، ومنها يحمل الكافور والياقوت ، وأشجارهم العود والعنبر ، وهي في أيدي النصارى لا ملك عليهم ، وفيها كنائس كثيرة ، لكن أعظمها كنيسة الحافر في محرابها حقة من ذهب ، معلق بها حافر يزعمون أنه حمار عيسى (عليه السلام) ، وقد زخرفوا حول الحقة بالذهب والدياج ، يقصدها في كل عام عالم من النصارى ، يطوفون حولها ويقبلونها ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم ؟! لا بارك الله فيكم ولا في دينكم .

فاغتاظ يزيد لعنه الله وقال : اقتلوا هذا النصراني ؛ لكي لا يفضحنا في بلاده . فلما أحسن النصراني بذلك ، قال : أمرت بقتلي ؟ قال : نعم . فخرّ ساجداً إلى الأرض شكراً لله تعالى ، وقال : اعلم إنني رأيت البارحة نبيكم في المنام وهو يقول : ((يا نصراني ، أنت من أهل الجنة)) . فعجبت غاية العجب ، فوثب إلى الرأس وضّمه إلى صدره ونادى : السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين ورحمة الله وبركاته ، إشهد لي عند ربك وجدك وأبيك وأمك وأخيك ، بأبي : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأنّ علياً ولي الله .

فغاروا عليه بالسيف وقطّعه رحمه الله تعالى :

هدأت العيون ودمع عينك يهمل	سحاً كما وكف الضباب المخضمل
وكأنما بين الجوانح والحشا	مما تأوي بني شهاب مدخل

وجداً على النفر الذين تتابعوا
 يوماً بموته اسندوا لم يقفلوا
 فتغير القمر المنير لفقدهم
 والشمس قد كسفت وكادت تأفل
 قوم علا بنياهم من هاشم
 فرع اشهم وسؤدد ما ينقل
 قوم بهم نصروا الإله رسوله
 وعليهم نزل الكتاب المنزل
 وبهديهم رضي الإله لخلقهم
 وبجدهم نصر النبي المرسل

روي : أنّ رجلاً مؤمناً من أكابر بلاد بلخ ، كان يحجّ بيت الله الحرام ويزور قبر النبي في أكثر الأعوام ، وكان يأتي علي بن الحسين فيزوره ، ويحمل إليه الهدايا والتحف ويأخذ مصالح دينه منه ثم يرجع إلى بلاده ، فقالت له زوجته : أراك تهدي تحفاً كثيرة ولا أراه يجازيك عنها بشيء ؟ فقال : إنّ الرجل الذي هدي إليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة ، وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه ؛ لأنّه خليفة الله في أرضه وحجّته على عباده ، وهو ابن رسول الله ، وهو إمامنا ومولانا ومقتدانا . فلما سمعت ذلك منه ، امسكت عن ملامته ، قال : ثمّ إنّ الرجل تميّاً للحجّ مرّة أخرى في السنة القابلة وقصد علي بن الحسين ، فاستأذن له فدخل فسلم عليه وقبل يديه ، ووجد بين يديه طعاماً فقربه إليه وأمره بالأكل معه ، فأكل الرجل حسب كفايته ، ثمّ استدعى بطشت وإبريق فيه ماء ، فقام الرجل فأخذ الإبريق وصبّ الماء على يدي الإمام ، فقال الإمام : ((يا شيخ ، أنت ضيفنا فكيف تصبّ على يدي الماء ؟)) . فقال : إنّ أحبّ ذلك . فقام الإمام (عليه السلام) : ((حيث أنّك أحببت ذلك ، فوالله لأريك ما تحبّ وترضى به وتقرّ به عينك)) . فصبّ الرجل الماء على يديه حتّى امتلأت ثلث الطشت ، فقال الإمام للرجل : ((ما هذا ؟)) . قال : ماء . فقال الإمام : ((بل هو ياقوت أحمر)) . فنظر الرجل إليه ، فإذا هو قد صار ياقوتاً أحمر بإذن الله تعالى ، ثمّ قال الإمام (عليه السلام) : ((يا رجل ، صبّ الماء أيضاً)) . فصبّ الماء على يدي الإمام مرّة أخرى حتّى امتلأ ثلثي الطشت ، فقال له : ((ما هذا ؟)) . قال : هذا ماء . فقال الإمام : ((بل هذا زمرد أخضر)) . فنظر الرجل إليه ، فإذا هو زمرد أخضر ، ثمّ قال الإمام أيضاً : ((صبّ الماء يا رجل)) . فصبّ الماء على يدي الإمام حتّى امتلأ الطشت ، فقال للرجل : ((ما هذا ؟)) . فقال : ماء . قال : ((بل هذا درّ أبيض)) . فنظر الرجل إليه ، فإذا هو درّ أبيض بإذن الله تعالى ، وصار الطشت ملاًناً

من ثلاثة ألوان ؛ درّ ، وياقوت ، وزمرد ، فتعجب الرجل غاية العجب وانكبّ على يدي الإمام يقبلهما ، فقال له : ((يا شيخ ، لم يكن عندنا شيء نكافيك على هداياك إلينا ، فخذ هذه الجواهر فإنّها عوض هديتك ، واعتذر لنا عند زوجتك ؛ لأنّها عتبت علينا)) .

فأطرق الرجل رأسه خجلاً ، وقال : يا سيّدي ، من أنباك بكلام زوجتي ؟ فلا شك أنّك من بيت النبوة . ثمّ إنّ الرجل ودّع الإمام وأخذ الجواهر وسار بها إلى زوجته وحدثها بالقصة ، قالت : ومن أعلمه بما قلت ؟ فقال : ألم أقل لك إنّ من بيت العلم والآيات الباهرات ؟ فسجدت لله شكراً وأقسمت على بعلها بالله العظيم ، أن يحملها معه إلى زيارته والنظر إلى طلعتة ، فلمّا تجهّز بعلها للحج في السنة القابلة ، أخذها معه فمرضت المرأة في الطريق وماتت قريباً من مدينة الرسول ، فجاء الرجل إلى الإمام باكياً حزيناً وأخبره بموت زوجته ، وإنّها كانت قاصدة إلى زيارته وزيارة جدّه رسول الله ، فقام الإمام وصلى ركعتين ودعا الله سبحانه بدعوات لم تحجب ، ثمّ التفت إلى الرجل ، فقال له : ((ثمّ وارجع إلى زوجتك ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أحياها بقدرته وحكمته ، ﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (1))) .

فقام الرجل مسرعاً وهو فرح بين مصدّق ومكذّب ، فدخل إلى خيمته ، فرأى زوجته جالسة في الخيمة على حال الصّحة ، فزاد سروره واعتقد ضميره ، وقال لها : كيف أحياك الله تعالى ؟ فقالت : والله ، لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي وهمّ أن يصعد بها ، وإذا برجل صفته كذا وكذا ، وجعلت تعدد أوصافه الشريفة وبعلمها يقول لها : نعم صدقتي ، هذه صفة سيّدي ومولاي عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، قالت : فلمّا رآه ملك الموت مُقبلاً ، انكبّ على قدميه يقبلهما ويقول : السّلام عليك يا حجّة الله في أرضه ، السّلام عليك يا زين العابدين . فردّ عليه وقال له : ((يا ملك الموت ، أعد روح هذه المرأة إلى جسدها ؛ فإنّها قاصدة إلينا ، وإني قد سألت ربّي أن يقيها ثلاثين سنة أخرى ويحييها حياة طيبة ؛ لقدومها إلينا زائرة لنا ، فإنّ للزائر علينا حقّاً واجباً)) . فقال له الملك : سمعاً وطاعة لك يا ولي الله . ثمّ أعاد روحي إلى جسدي وأنا أنظر إلى ملك الموت قبل يده الشريفة وخرج عني . فأخذ الرجل بيد زوجته وأتى بها إلى مجلس الإمام وهو بين أصحابه ، وانكبّت على ركبتيه تقبلهما وهي تقول : هذا والله سيّدي ومولاي ، هذا الذي أحياني الله

(1) سورة يس / 78 .

ببركة دعائه.

قال : ولم تزل المرأة مع بعلها مجاورين عند الإمام بقية أعمارهما بعيشة طيبة في البلدة الطيبة إلى أن ماتا رحمة الله عليهما .
فيا إخواني : إذا كان الإمام زين العباد هذه حالته عند الله ، كيف يستحق أن تغل يدها وتسبي نساؤه ويحملن على أقتاب
الجمال بغير وطاء ، ويطاف بهنّ البلدان بين أهل العناد حزب الشيطان ، فلا حول ولا قوة إلا بالله وعلى ظالمي أهل البيت
لعنة الله .

روي عن حذلم بن بشير ، قال : قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين ، وقت منصرف عليّ بن الحسين (عليه السلام)
بالتسوة من كربلاء ومنهم الأجناد يحيطون بهم ، وقد خرج الناس لينظروا إليهم ، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء ولا غطاء ،
جعلن نساء الكوفة يبكين ويندبن ، فسمعت عليّ بن الحسين وهو يقول - وقد نهكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى
عنقه - : ((إن هؤلاء التسوة يبكين ، فمن قتلنا؟!)) . قال : ورأيت زينب بنت عليّ (عليها السلام) ولم أر خفرة أنطق منها ، كأثما
تفرغ من لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال : وقد أومت إلى الناس أن اسكتوا ، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات ، فقالت :
الحمد لله والصلوة على أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أما بعد ، يا أهل الكوفة ، فلا رقت لكم العبرة ولا هدأت الرنة ، فإثما مثلكم
كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصلف الظلف ، والصرم السرف ،
خوارون في اللقاء عاجزون عن الأعداء ، ناكثون في البيعة مضيعون للذمة ، فبئس ما قدمت لكم أنفسكم إن سخط الله عليكم
، وفي العذاب أنتم خالدون ، أتبكون ؟ أي والله ، فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً ، فلقد فرتم بعارها وشنارها ، ولن تغسلوا دنسها
عنكم أبداً ، فسليل خاتم الرسالة وسيّد شباب أهل الجنة ، وملاذ خيرتكم ومفرع نازلتكم ، وإمارة محجتكم ومدرجة حجتكم ،
خذلتكم وله قتلتم ، ألا ساء ما تزرون فتعساً ونكساً ، ولقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله
وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، ويلكم أتدرون أيّ كبد لمحمد فريتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! لقد جئتم
شيئاً إذا ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (1) ولقد أتيتم بها ؛ خرقاء شوهاء بلاغ الأرض
والسّماء ، أفعجبتكم أن فطرت السّماء دماً ، ولعذاب الآخرة

(1) سورة مريم / 90.

أخزى ، فلا يستخفّنكم المهمل ، فإنّه لا يحقره البدار ولا يخاف عليه فوت النّار ، كلا إنّ ربّك لبالمرصاد . قال : ثمّ سكنت ،
فرايت النّاس حيارى قد ردّوا أيديهم على أفواههم ، ورأيت شيخاً قد بكى حتّى أخضبت لحيته وهو يقول :

كهلولهم خير الكهلول ونسلهم إذا عد نسل لا يخيب ويخزي

وعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ومثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا
تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ صالح بن العرندس (رحمته الله)

طوايا نظامي في الزمان لها نثر
قصائد ما خابت لمن مقاصد
مطالعها تحكي النجوم طوالعاً
عرائس تجلى حين تجلى قلوبنا
حسان لها حسان بالفضل شاهد
أنظمها نظم اللئالي وأسهر الليالي
فيا ساكني أرض الطفوف عليكم
نشرت دواوين الثنا بعد طيبها
فطابق شعري فيكم دمع ناظري
لئالي نظامي في عقيق مدامعي
فلا تتهموني بالسلو فإنما
فذلي بكم عز وفقري بكم غني
تروق بروق السحب لي من دياركم
فعيناي كالخنساء تجري دموعها
وقفت على الدار التي كنتم بها
وقد درست منها الرسوم وطالما
فراق فراق الروح من بعد بعدكم

يعطرها من طيب ذكركم نشر
ظواهرها حمد ، بواطنها شكر
وأنوارها زهر وإخلاقها زهر
أكاليلها در وتيجانها تبر
على وجهها بشر يدين لها بشر
ليحبي لي بكم وبها ذكر
سلام محب ماله عنكم صبر
ففي كل طرس من مديحي لكم سطر
فسر غرامي شائع بكم جهر
فمبيض ذا نظم ومحمر ذا نثر
مواعيد سلواني وحققكم الحشر
وكسري بكم جبر وعسري بكم يسر
فينهل من دمعي بيارقها القطر
وقلبي شديد في محبتكم صخر
ومغناكم من بعد معناكم قفر
بها درس العلم الإلهي والذكر
ودار برسوم الدار في خاطري الفكر

وسالت عليها من دموعي سحائب
وقد أفلعت عنها السحاب ولا تجد
إمام الهدى سبط النبوة والهدى
أبوه إمام المُرتضى علم الهدى
إمام بكتفه الإنس والجن والسما
له القبة البيضاء بالطف لم تنزل
وفيه رسول الله قال وقوله
حي بثلاث ما أحاط بمثلها
له تربة فيها الشفاء وقبة
وذرية ذرية منه تسعة
أقتل ظمناً حسنين بكريل
ووالده الساقى على الحوض في غد
فوا لهف نفسي للحسين وما جنى
رماه بجيش كالظلام قسيه
لراياته نصب وأسيافه جزم
تجمع فيه من طغاة أمية
وأرسلها الطاغى يزيد ليملك
وشد لهم أسراً سليل زيادهما
وأمر فيهم نجل سعد لنحسه
فلما التقى الجمعان في أرض كربلاء
فداروا به في عشر شهر محرم
فقام الفتى لماً تشاجرت القنا
وجال يطوف في المجال كأنه
له أربع للريح فيهن أربع
ففرق جمع القوم حتى كأنهم
فأذكرهم ليل الهريير فأجمع

إلى أن تروي ألبان بالدكع والسدر
ولا در من بعد الحسين لها در
الأئمة رب النهى مولى له الأمر
وصي رسول الله والصنو والصهر
ووحش الفلا والطير والبر والبحر
يطوف بها حزنأ ملائكة غر
صحيح صريح ليس في ذلكم نكر
ولي فمن زيد سواه ومن عمرو
يجاب بما الداعي إذا مسه الضر
أئمة حرق لا ثمان ولا عشر
وفي كل عضو من أنامله بحر
وفاطمة ماء الفرات لها مهر
عليه غداة الطف في حربة الشمر
الأهله والخصان أنجمه الزاهر
وللنقع رفيع والرماح لها جر
عصائب غدر لا يقوم لها عذر
العراق وما اغتته شام وما مصر
فحل بهم من شد أزهرم الوزر
فما طال في الري اللعين له عمرو
تباعد فمل الخير واقترب الشر
وبيض للمواضي في الأكف لها شمر
وصال وقد أودى بمهجته الحر
دجى الليل في لألاء غرته الفجر
لقد زانه كر وما شأنه الفر
طيور بغاث شت شملهم الصقر
الكلاب على ذاك الهريير وقد هر

هناك فدتته الصالحون بأنفس
وحادوا عن الكفار طوعاً لنصره
ومدوا إليه ذبيلاً سمهريه
فغادره في مأزق الحرب مارق
فمال عن الطرف الجواد أخو الندى
سنان سنان خارق منه في الحشا
تجر عليه العاصفات ذبولها
زجت له السبع الشداد وزلزلت
فيالك مقتولاً بكتته السما دمماً
ملايسه في الحرب حمر من الدما
ولففي لزين العابدين وقد سرى
وآل رسول الله تسبي نساؤهم
سبايا بأكوار المطايا حواسراً
ورملة في ظل القصور مصانة
فويل يزيد من عذاب جهنم
ملايسها ثوب من السم أسود
تنادي وأبصار الأنام شواخص
وتشكو إلى الله العلي وصوتها
فلا ينطق الطاغي يزيد بما جنى
فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم
أيقرع جهراً ثغر سبط محمد
ويشدو له الشادي فيطربه الغنا
فذاك الغنا في البعث تصحيفه الغنا
وليس لأخذ الثار إلا خليفة
تطوف به الأملاك من كل جانب
عوامله في الدار عين خوارق
تظلمه حقاً غمامة جده

يضاعف في يوم الحساب لها الأجر
وجادله بالنفس من سعده الحر
لطول حياة السبط من مداها جزر
بشهم لنحر السبط من وقعه نحر
الجواد قتيلاً حوله يصهر المهر
وصارم شمير في الوريد له شمير
ومن نسج أيدي الصافنات له طمر
رواسي جبال الأرض والتطم البحر
فمغبر وجه الأرض بالدم محمر
وهن غداة الحشر من سندس خضر
أسيراً عليلاً لا يفك له أسر
ومن حولهن الستر يهتك والخدر
يلحظهن العبد في الناس والحر
يناط على أقراطها النير والدر
إذا اقبلت في الحشر فاطمة الطهر
وآخر قان من دم السبط محمرد
وفي كل قلب من مهابتها دعر
عليّ ومولانا عليّ لها ظهر
وإني له عذر ومن شأنه الغدر
النعيم ويصلى في الجحيم له قعر
وصاحب ذاك الثغر يحمى به الثغر
ويسكب في الكأس النظار له الخمر
وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
يكون لكسر الدين من عدله جبر
ويقدمه الإقبال والعز والنصر
وحاجبه عيسى وناصره الخضر
إذا ما الملوك الصيد ظللها الحتر

محيط على علم النبوة صدره
هو ابن الإمام العسكري مُحَمَّد
سليل عليّ الهادي نجل مُحَمَّد
علي الرضا وهو ابن موسى الذي قضى
وصادق قول إنه نجل صادق
نتيجة مولانا الإمام مُحَمَّد
سلالة زين العابدين الذي بكى
سليل الحسين الفاطمي وحيدر
له الحسن المسموم عم فجبنا
سمي رسول الله وارث علمه
هم النور نور الله جل جلاله
مهابط وحي الله خزان علمه
وأسماءهم مكتوبة فوق عرشه
فلولاهم لم يخلق الله آدمياً
ولا سطحت أرض ولا رفعت سماً
ونوح بهم في الفلك لمّا دعا نجياً
ولولا نارهم نار الخليل لمّا غدت
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه
ولان لداود الحديد بسرهم
ولما سليمان البساط بهم دعا
وسخرت الريح الرخاء بأمره
ولولاهم ما كان عيسى بن مريم
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم
مصائبكم يا آل طه مصيبة
سأندبكم يا عدي عند شدتي
وأبكيكم ما دمت حياً فإن أمت

فطوبى لعلم ضمه ذلك الصدر
التقي النقي العالم العلم الحبر
الجواد ومن بأرض طوس له قبر
ففاح على بغداد من نشره عطر
إمام به في العلم يفتخر الفخر
إمام لعلم الأنبياء به بقر
فمن دمعه يبس الأعاشيب مخضر
الوصي فمن طهر نعى ذلك الطهر
الإمام الذي عم الورى جوده الغمر
إمام على آبائه نزل الذكر
هم التين والزيتون والشفيع والوتر
ميامين في أيّاتهم يقبل النذر
ومكنونة من قبل أن يخلق النذر
ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو
ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر
وغيض به طوفانه وقضى الأمر
سلاماً وبرداً وانطفأ ذلك الجمر
ولا كان عن أيوب يكشف الضر
فقدر في سرد يحير له الفكر
أسيلت له عين يفيض بها القطر
فغدوتها شهر وروحها شهر
لغادر من طي اللحود له نشر
فكل نبي فيه من سرهم سر
ورزء على الإسلام أحدثه الكفر
وأندبكم حزنناً إذا أقبل العشر
ستبكيكم بعدي المراثي والشعر

وكيف يحيط الواصفون بمدحك
ومولدكم بطحاء مكة والصفاء
جعلتكم يوم المعاد ذخيري
عرائس فكر الصالح بن عرندس
سبيلى الجديدان الجديد وحبكم
عليكم سلام الله ملاح بارق
وفي مدح آيات الكتاب لكم ذكر
وزمزم والبيت المحرم والحجر
فطوبى لمن أمسى وأنتم له ذخر
قبولكم يا آل طه لهها مهر
جديد بقلبي ليس يخنقه الدهر
وحلت عقود المزن وانتشر القطر

الباب الثاني

العجب من يرضى من ذوي العقول بالدنيا داراً بعد آل الرسول ! غدرت بمواليها فلا خير والله ولا بركة فيها ، فرحم الله من اتخذ فيها الزاد ليوم الحشر والمعاد ، وجعلها إلى ما تقدم من صالح الأعمال بعد انقضاء الأعمار والآجال . ولعمري ، لا عمل فيها أعظم من مولاة الآل ؛ لدفع تلك الأثقال العضال والمشاق والأهوال .

فواعجبه ممن مال من الحق إلى الباطل ، وارتكب مثل هذا الخطب الهائل ، وتجسئ على انتهاك ذريرة الرسول وأولاد فاطمة البتول ، وما ذاك إلا لطلب الدنيا ونعيمها ، وما قدره لو صح بالنسبة إلى النار وجحيمها :

هـب الدنيا تساقى إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى زوال
وهل دنياك إلا مثل فيء أضللك ثم أذن بانتقال
فما ترجو لشيء ليس يبقى سريع لا يدوم على الليالي

لعلهم ما عرفوا حالهم ولم يبلغهم شيء من معجزاتهم ، بلى والله ، لقد سمعوا وعرفوا وعاهدوا وما فوا ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) .

نقل : أنه لما رجع النبي من غزاة خيبر إلى المدينة ، جاءته امرأة يهودية قد أظهرت له الإسلام ، ومعها لحم ذراع جمل مشوي فيه سم ، فوضعت بين يديه ، فقال لها : ((ما هذا ؟)) . فقالت له : فداك أبي وأمي يا رسول الله ! لقد هممتني أمرك في غزوتك إلى خيبر ، فإني أعرفهم رجالاً شجعاناً ، وهذا لحم ذراع جمل لي قد ربّيته صغيراً ، وعلمت أن حُبّ الأطعمة إليك الشواء من لحم الذراع ، فنذرت لله نذراً إن سلّمك الله من وقعة خيبر وظفرك الله بهم ، لأذبحنّ جملي واجعل لحمه صدقة عنك ، وقد جمعت بهذا منه إليك ؛ لأوفي نذري ، قال : وكان من جلساء رسول الله رجل يُقال

(1) سورة الشعراء / 227.

له البراء⁽¹⁾ فمد يده وأخذ من ذلك اللحم فوضعها في فيه ، فقال له عليّ : ((يا برا ، لا تتقدم على رسول الله أبداً)) . فقال البراء - وكان أعرابياً - : يا عليّ ، كأنك تبخل رسول الله ؟ فقال عليّ : ((لا والله ، ما أبخل رسول الله ، ولكنّي أبجله وأوقره وأعظمه ، وليس لي ولا لك ولا لأحد من خلق الله أن يتقدم على رسول الله ؛ بقول ولا فعل ولا أكل ولا شرب)) . فقال البراء: لست تريد هذا ، ولكنك تبخل رسول الله . فقال عليّ : ((يا برا ، هذا طعام جاءت به امرأة وكانت من قبل يهودية ولسنا نعرف حالها ، فإذا أكلت به بأمر رسول الله فهو الضامن لسلامتك منه ، وإذا أكلت بغير إذنه وكلك الله نفسك ، فربما يكون هذا الطعام مسموم)) . قال : فبينما عليّ يخاطب البراء بهذا الكلام والبراء يلوك اللقمة في فمه ، إذ أنطق الله الدراع بلسان فصيح يقول : يا رسول الله ، لا تأكلني فإنّي مسموم . فسقط البراء مغشياً عليه ، ولم يرفع من مكانه إلا ميتاً .

فقال رسول الله : ((اتوني بالمرأة)) . فأتوا بها فقال لها بلطف ورفق : ((ما حملك على ذلك ؟)) . فقالت : يا محمد ، قد قتلت أبي وعمّي وأخي وبعلي وولدي ، فهذا الذي حملني على ذلك ، فجئت إليك بهذا السمّ وقُلت في نفسي : إن كان محمد نبياً حقاً ، فسيمنعه الله من أكله أو يأكله ولا يضره السمّ ، وإن كان كاذباً ، فإنّي أنتقم منه حيث قتل قومي ورجالي . فقال رسول الله (ﷺ) : ((يا هذانة ، لن يضرنا موت البراء ، فإنما امتحنه الله ؛ لتقدمه عليّ ، ولو أنّه كان يأكل بأمرى ، لكفاه الله أذية السمّ)) .

ثمّ إنّ رسول الله (ﷺ) قال : ((هلمّ يا سلمان ويا عمار ويا مقداد ويا أبا ذر ، هلمّوا جميعاً فكلوا من هذا الطعام)) . فمد رسول الله يده وقال : ((بسم الله الشّافي ، بسم الله الكافي ، بسم الله المعافي ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)) . ثمّ أكل مع جميع أصحابه حتّى شبعوا والمرأة واقفة تنظر إليهم ، فقال لها رسول الله (ﷺ) : ((أليس أكلنا بحضرتك من هذا الطعام المسموم ؟ فكيف رأيت دفع الله عن نبيّه وأصحابه أذية السمّ ؟)) . فقالت : يا رسول الله ، إنّي كنت شاكّة في نبوتك ، والآن قد أيقنت أنّك رسول الله حقاً وصدقاً ، وأنا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمداً رسول الله . وأسلمت وأحسنّت اسلامها .

قال : فلمّا حُمِلت جنازة البراء إلى رسول الله

(1) الظاهر أنّه ليس ابن عازب ، لأنّه بقي إلى أن قُتل الحسين ، كما تقدم القول فيه في الباب الثالث من المجلس الثامن ، من مجالس هذا الكتاب في الجزء الأول .

ليصلي عليها , قال رسول الله : ((أين علي بن أبي طالب ؟)) . فقيل له : قد ذهب في حجة . فجلس رسول الله ينتظره ولم يصل على جنازة البراء ، فقيل له : يا رسول الله ، ما لك لا تصلي على جنازة هذا العبد المؤمن ؟ فقال : ((إن الله عز وجل أمرني أن لا أصلي عليها حتى يحضر علي بن أبي طالب ، فيجعله في حلّ مما كلفه ؛ ليجعل الله موته البراء بهذا السم كفارة لذنبه)) .

فقال من حضر وشاهد الخبر وسمع الكلام الذي قاله البراء لعلي : يا رسول الله ، إنما كان كلام البراء مزاحاً مزاح به علياً ، ولم يكن جدّاً منه فيؤاخذ به الله بذلك . فقال رسول الله : ((لو كان كلام البراء جدّاً ، لأحبط الله أعماله كلّها ولو كان تصدّق بملء ما بين الثرى إلى عنان السما ذهباً وفضّة ، لكنّه كان مزاحاً وهو في حلّ من ذلك ، إلّا أنّ رسول الله يريد أن لا يعتقد أحد منكم أنّ علياً (عليه السلام) واجد عليه ، فيحله علي بن أبي طالب بحضرتكم ؛ إجلالاً للبراء ويستغفر له ليزيده الله زلفه في جنانه)) .

قال : فبينما هم في الكلام ، إذ دخل علي (عليه السلام) فوقف عند جنازة البراء وقال : ((يرحمك الله يا براء ! لقد كنت صوّماً ولقد متّ في سبيل الله ولقد جاهدت بين يدي رسول الله ، فرضي الله عنك)) . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((فوالله ، لو كان أحد من الموتى يستغني عن صلاة رسول الله ، لاستغني صاحبكم هذا بدعاء علي بن أبي طالب)) . ثمّ قام رسول الله فصلى على جنازة البراء وأمر بدفنه برحمة الله عليه .

فانظروا يا ذوي العقول إلى حقد هذه المرأة التي عزمت على قتل الرسول وأب الطهر البتول ، وكذلك بنو أمية حقدوا وهم من قديم الزمان والأعوام من فتك عليّ فيهم ؛ إطاعة للملك العلام ، ولكن إلى الله مرجع الخصام في يوم القيام :

فرى كبدي من حزن آل محمد	ومن زفـرات ما لهـن طيب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة	وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأن قميصه	صـيغ بمـاء الأرجـوان خـضـيب
فللسيف أعـوال وللـرمح رنة	وللخيل من بعد الصهيل نجيب
ترلزلت الدنيا لآل محمد	وكادت لهم صم الجبال تذوب

حكى عروة البارقي ، قال : حججت في بعض السنين فدخلت مسجد رسول الله ، فوجدت رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالساً وحوله غلامان يافعان ، وهو يقبل هذا

مرّة وهذا أخرى ، فإذا رآه النَّاس يفعل ذلك ، أمسكوا عن كلامهم حتّى يقضي وطره منهما ، وما يعرفون لأيّ سبب حبّه إيّاهما، فجئته وهو يفعل ذلك بهما ، فقلت : يا رسول الله ، هذان ابناك ؟ فقال : ((إنَّهما ابنا ابنتي ، وابنا أخي وابن عمّي وأحبّ الرّجال إلي ، ومَن هو سمعي وبصري ، ومن نفسه نفسي ونفسي نفسه ، ومَن أحزن لحزنه ويحزن لحزني)) .

فقلت له : قد عجبت يا رسول الله من فعلك بهما وحبك لهما ؟ فقال لي : ((أحدثك أيّها الرّجل ، إنّي لما عُرج بي إلى السّماء ودخلت الجنّة ، انتهيت إلى شجرة في رياض الجنّة فعجبت من طيب رائحتها ، فقال لي جبرائيل : يا مُحَمَّد ، لا تعجب من هذه الشّجرة ، فثمرها أطيب من ريحها . فجعل جبرائيل يتحفني من ثمرها ويطعمني من فاكهتها وأنا لا أملّ منها ، ثمّ مررنا بشجرة أخرى ، فقال لي جبرائيل : يا مُحَمَّد ، كُل من هذه الشّجرة ، فإنّها تشبه الشّجرة التي أكلت منها الثّمرة ، فإنّها أطيب طعاماً وأزكى رائحة)) .

قال : ((فجعل جبرائيل يتحفني بثمرها ويشمّني من رائحتها وأنا لا أملّ منها ، فقلت : يا أخي جبرائيل ، ما رأيت في الأشجار أطيب ولا أحسن من هاتين الشّجرتين ! فقال : يا مُحَمَّد ، أندري ما اسم هاتين الشّجرتين ؟ فقلت : لا أدري . فقال : أحدهما الحسن والأخرى الحسين ، فإذا هبطت يا مُحَمَّد إلى الأرض من فورك ، فأت زوجتك خديجة وواقعها من وقتك وساعتك ؛ فإنّه يخرج منك طيب رائحة الثّمرة الذي أكلته من هاتين الشّجرتين ، فتلد لك فاطمة الزّهراء ، ثمّ زوّجها أخاك عليّاً فتلد له ابنين ، فسّم أحدهما الحسن والآخر الحسين)) .

قال رسول الله (ﷺ) : ((ففعلت ما أمرني أخي جبرائيل ، فكان الأمر ما كان ، فنزل إليّ جبرائيل بعد ما ولد الحسن والحسين ، فقلت له : يا جبرائيل ، ما أشوقني إلى تينك الشّجرتين . فقال لي : يا مُحَمَّد ، إذا اشتقت إلى الأكل من ثمر تينك الشّجرتين ، فشمّ الحسن والحسين)) .

قال : فجعل النبي (ﷺ) كلّما اشتاق إلى الشّجرتين ، يشمّ الحسن والحسين ويلثمهما وهو يقول : ((صدق أخي جبرائيل)) . ثمّ يُقبّل الحسن والحسين ويقول : ((يا أصحابي ، إنّي أودّ أن أقاسمهما حياتي ؛ لحيّ لهما ، فهما ريحانتي من الدنيا)) . فتعجب الرّجال من وصف النبي للحسن والحسين (عليهما السلام) ، فكيف لو شاهد النبي من سفك دمائهم وقتل رجالهم وذبح أطفالهم ، ونهب أموالهم وسبي

حريمهم ؟ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) . وعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النادبون ، ومثلهم تدرّب الدموع من العيون . أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ التقي التقي محمد علي بن طريح النجفي

(حجته الله)

جـاد ما جـاد من دموعي السـجاد	لمصـاب الكـريم نـسل الكـرام
حل من فادح على الناس طراً	ومصـاب أصـيب في الإسـلام
كيف يلتذ طعام بطعام	كيف يهني اللبيب طيب المنام
قل صبري وزاد حزني ووجدي	فهمومي سكرى ودمعي مداми
أضرم الشوق جذوره في فؤادي	للأسى خل لأئمي عن ملامي
لم أزل في تفكير وانقياد	لهموم تعلني بالسقام
بدموع حكمت سحائب مزن	وفؤاد متميم مسـتـهام
برحمت مهجتي لتبريح وجدي	فعلسى جـيرتي وأهلي سـلامـي
ظللت أشكو إلى الحمام غرامي	يا حمامي أدنيتني لحمامي
هيجتني بلابلي وامتحاني	بالتحاني إذ الغريم غرامي
لست أبكي لفقده أهل وخل	فتكـت فـيهم يـد الأيـام
وديار خـلا الأحبـة منـها	فهـي بعـد الأنـيس مأوى الهـوام
لا ولا هـالي فـراق حـبيب	بأن عـني مقـوضاً للخـيام
إنما حسرتي وحزني ووجدي	ونحـيـبي وزفـرتي واضـطـرام
لسليل البتول سبط رسول الله	نـور الإلـه خـير الأناـم
فتكـت فـيـه عـصـبة الكـفر حـتى	قتلـوه ظلمـاً بغـير إجـرام
منعـوه مـاء الفـرات مباحاً	لسـواه تمـرداً بالخصـام
لست أنسى الحسين بالطف ملقى	عـافـر الخـد نـاحـر النـحر دامـي
لست أنساه وهو فيهم وحيد	قـد أحاطـت بـه علـوج اللئـام
منعـوه المـاء الـزلال وحاطوه	دونـه بالمهـند الصمـصـام

(1) سورة الشعراء / 227.

فيه كل مجرد للحسام
يا لقومي هل كيف ختمت ذمامي
من الماء حوله وهو ظامي
رب فاحكم بيني وبين اللئام
وا إماماه ما له من محامي
ويرمي بطرفه للخيام
ثم تدعو لواحد العلام
أظلمت بعد فقدكم أيامي
قد أهلت دموعها بالسجام
وفؤاد مؤلله مسـتـهـام
لـمـا نالها من الآلام
بعد عز ونعمة واحتشام
أسارى ومالهـن محامي
سـاتـرات الوجوه بالأكمـام
صـرن من غير برقـع ولثـام
ناكس الرأس ذلـة للـرغـام
وكسـاني النـحـول ثـوب سـقـام
وجفـاعـن جفـون عيـني منـام
بعـدما كان ضـاحكاً بابتـسـام
بـين تـلك الأوهـاد والأوكـام
نـحـوه وهو مشـهـر للحسـام
ابـن بنـت الرـسـول بـدر التـمـام
صـفوة الله والنبي التـهـامي
نـلت اليـوم يابـن طه مرامـي
يـوم حـشـري الـورى بدار السـلام
بـل عـطاء يزيـد والأنعام

وا حسـينه إذ أحـاط الأعـادي
وا حسـينه وهو فيهم ينادي
وا حسـينه إذ قضى وهو ممنوع
وا شـهـيداه لست أنساه يدعو
وا إماماه ما له من نصير
وا إماماه إذ يدع أهليه
زينب أخته تنوح بشـجـو
وتناديه يا أخي يابن أمي
يا أخي هذه سـكـينة تبكي
تستجير العدا بطرف كليل
يا أخي فاطم تدور وترتاع
خانها دهرها فاضحت بذل
يا أخي هذه بناتك بالذل
يا أخي هذه الاسارى حيارى
كم حسان وكم ربيبة خدر
يا أخي لو ترى علياً بقيد
يا أخي هدّ حزن فقدك ركني
يا أخي خانني الزمان بصبري
يا أخي أظلم الزمان علينا
لهف قلبي على الحسين طريحاً
لهف قلبي عليه والشمر يسعي
قال يا شمر هل علمت بأبي
وأبي خـيرة الأنام وجـدي
قال شمر عرفت هذا ولكن
قال يا شمر خل قلبي لتحضى
قال شمر ما للجنان ومالي

ذابحاً بالمهنة الصمصم
 كالبدر في ليالي التمام
 وممن خان أحمد بالذمام
 حسبه في الحسب نار الضرام
 الـرجس رأس الحـسـين بين الأنام
 قاصداً بالمسير نحو الشام
 والغدر عابـد الأصبـنام
 عصبة الكفر والخنا والحرام
 وابن سعد اللعين نسل اللئام
 نعقل ثم حـبـتر والـسدلام
 سرمدياً مخلداً بالـسدوام
 أنتم النور والبحور الطوامي
 تنقذوني من الذنوب العظام
 فهو كاف عن منطقي وكلامي
 يا رجائي وسادتي واعتصامي
 يختفي مهذب للنظـام
 تنقذوني من زلتي واجترامي
 وسلام بالف الف سلام
 وأضواءت كواكب بظلام

ثم انحنى على الإمام مكباً
 ثم على سنان كريم السبـط
 لعنة الله لا تزال على الشمر
 أي نكراني وأي فجـور
 أيعلى على السنان سنان
 ثم يسري به أيام السبايا
 لعن الله آل حرب الكفر
 ويزيد اللعين نسل اللعين
 وزيداً ونسـل آل زياد
 وكذا اللعين يعثري كل رجس
 زادهم رينا إلى لعناً لعناً
 يا بني أحمد وركن المعالي
 أنتم عدتي ليوم معادي
 أنتم العارفون حبي وبغضبي
 قلت في حبكم واخصلت ودي
 فخذوها من مسلمي ولي
 تحفتي منكم غداً في حياتي
 فعلتكم من السلام صلاة
 ما اضمحل الدجى واسفر صبح

الباب الثالث

أيها المؤمنون الأخيار والأمناء الأبرار ، أليس بإظهار الأسف تحطّ الأوزار ؟ أليس أئمتكم هم الجنن الواقية من النار ؟ أليس هم العدة لكل هول وشدة ؟ أيكي الباكون منكم على فقد الأولاد والآباء والأجداد ، ولا يبكي على سادات العباد وأنوار الله في البلاد ؟! لو بكيتم بدل الدمع دماً وجعلتم جميع العمر مائماً ، لكان أقلّ القليل بالنسبة إلى هذا الخطب الجليل ، كيف لا وقد جاء في الخبر عن سيّد البشر : ((من شرب الماء فذكر عطش الحسين وعطش أطفاله وعياله وانصاره))

فلعن الله قاتليهم وظالمهم ((كتب الله له أربعة آلاف حسنة وحطّ أربعة آلاف سيئة , ورفع له أربعة آلاف درجة , وكان كمن اعتق أربعة آلاف نسمة , وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد لن يضمأ أبداً)) . فهل هذا إلّا لعظم المصاب وشدة الوجد الدّاخل عليهم والإكتئاب ؟

فيا إخواني تساعدوا على التّذب والعويل ، وتحاضوا على الثّواب الجزيل ، فإنّكم تعرّون فاطمة البتول بل جميع أهل بيت الرّسول (ﷺ) :

و ناراً لها بين الضلوع ذحول	فيا لك عيناً لا تجف عيونها
إلى النسا من رب العباد رسول	أيقتل ظمناً حسين وجده
على الشرب منها صادر ونحول	ويمنع شرب الماء والشرب آمن
تكاد له شم الجبال تزول	مصاب أصيب الدين منه بفادح

حُكي : أنّه لما توفت فاطمة (عليها السلام) ، حزن أمير المؤمنين (عليه السلام) لفقدتها حزناً عظيماً ، وانفرد بالعزاء وحده وتحجّب من النّاس مدّة طويلة ، فاجتمع جماعة من إخوانه المؤمنين وشيعته الصّادقين ، وقالوا : إنّ عليّاً بن أبي طالب إمامنا وولينا وأميرنا وأمير المؤمنين أجمع ، قد احتجب عنّا وصرنا لا نراه إلّا في وقت أداء الفرائض ، وانقطع عنّا ما كان يفيدنا به من أحاديثه ويرشدنا به من أخباره ، وقد طال ذلك علينا منه وصرنا كالغنم بغير راع . فوقع عين الجماعة على عمّار بن ياسر وقالوا له : يا عمّار ، امض إلى أمير المؤمنين وكلمه في ذلك ، فلعلّك تأنينا به أو تستأذن لنا بالدّخول عليه . قال عمّار : فقمّت ودخلت عليه ، فوجدته جالساً في بيته ومعه ولداه الحسن والحسين (عليهما السلام) وهو مع ذلك يبكي ، فسلمت عليه وجلست بين يديه ساعة ، فقلت له : يا سيّدي ، أتأذن لي أن أقول أو أسكت ؟ فقال لي : ((قل ما شئت)) . [قلت] : يا سيّدي ، ما بالكم تأمروننا بالصّبر على المصيبة ونراكم تجزعون . [قال : فالتفت إليّ وقال] : ((يا عمّار ، إنّ العزاء عن مثل من فقدته لعزير . يا عمّار ، لما فقدت رسول الله كانت فاطمة الرّضاء هي الخلف منه والعوض عنه ، وكانت صلوات الله عليها إذا نطقت ملأت سمعي بكلامه ، وإن مشيت حكت كريم قوائمه ، فوالله يا عمار ، ما أحسست بوجع المصيبة إلّا بوفاتها ، وما أحسست بألم الفراق إلّا بفراقها)) .

قال عمّار : فأبكاني كلامه وبكاؤه فبكيته رحمة له ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنّ النّاس صنفان مقرر ومفتقر إليك وقول النّاصح ثقيل . فقال لي : ((يا عمّار ، إنّي أحدثك بحديث

سمعتَه من رسول الله (ﷺ) ، قال : لما قُتِلَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ﷺ) ووجم عيسى بن مريم وجوماً ، فقطعه ذلك من الكلام واحتجب من الأنام ، ودخل عليه أحد الحواريين ، فقال له : يا روح الله ، لا تقطع عادتك المباركة عَنَّا واخبرنا بالأحاديث الصَّحيحة ؛ لعلَّ الله يرحمنا ، ولعلَّ حديثك ينبئه أبناء الدنيا من رقدة الغفلة ويخرجهم من ظلمة الجهل ، فربَّ كلمة قد أحييت سامعاً بعد الموت ورفعتَه بعد الضَّعة ، ونعشتَه بعد الصَّرعة واغنته بعد الفقر ، وجبرته بعد الكسر وأيقظته بعد الغفلة ، وبقيت في قلبه ففجَّرت ينابيع الحياة ، فسالت منه أودية الحكمة ونبتت فيه غرائس الحكمة ، إذا وافق ذلك القضاء من الله عزَّ وجلَّ . قال له عيسى : نعم يا عبد الله ، إنَّ مثلك من يستدعي من العالم الكلام ، ولا بأس عليك .
وأما أنت : اعلم أنَّ هذه المفقودة الماضية بنت رسول الله ، وعند الله أحسبها)) .

ثمَّ نَهَضَ ودموعه تنحدر على لحيته ، فتلقَّوه الجماعة وصاروا بين عاذر وعاذل ، فقال لهم : ((رويداً ، فإنَّ القلوب إذا خلت قالت وإذا كرهت مالت ، أستم تعلمون أنَّه لما توفيت أمَّ المؤمنين خديجة الكبرى ، جزع رسول الله (ﷺ) جزعاً شديداً حتَّى إنِّي أشفقت عليه من شدَّة الجزع ؟ فقلت له : يا رسول الله ، أنت والله القبلة وإليك الإشارة وبك القدوة ، وعليك المعتمد ومنك التعليم ، وأنت السَّراج إذا ضللتنا ، وأنت الصَّلاح إذا فسدنا ، وأنت الهادي إذا تهنأ ، وحولك حاسد وحاقد ومحبَّ وواجد ، وفريش شاخصة الأبصار إليك مصغية الأذان نحوك . وبعد ، فأنت يا رسول الله ممَّن إذا قال فعل وإذا أمر عمل .
فقال لي : مهلاً يا أبا الحسن ، برَّدت دمعي وسكنت جزعي . ثمَّ إنَّه (ﷺ) صار يحبُّ الخلوة بنفسه ويتطرَّق الأمكنة الخالية ، فبينما هو ذات يوم بظاهر مكَّة شرفها الله تعالى ، إذ سمع هاتفاً ينشد بيتاً من الشَّعر وهو :

وكـلـ ذـي سـفـرة يـؤـوب وغـائـب المـسـوت لا يـؤـوب
فقال النَّبِيُّ (ﷺ) : إنَّ من الشَّعر لحكمة .

ثمَّ قال لي (ﷺ) : يا عليَّ حفظته ؟ قلت : نعم . فاستعاده مِنِّي نوباً كثيرة ، وكان (ﷺ) يقول :
(وكـلـ ذـي سـفـرة يـؤـوب ولا يـؤـوب غائـب المـسـوت)

ثمّ قال (عليه السلام) : ((يا عمّار ، والله ما ذكرت أمّها خديجة إلّا وجابها رسول الله في ذكرها ، ولا رآها تبكيها إلّا وسبقها عبرة عليها ، ولا جرى ذكرها إلّا وأسهب في وصفها وطال الثناء عليها وتلّهف على فراقها .ولمّا مات ولده إبراهيم (عليه السلام) ، بكى رسول الله حتّى جرت دموعه على لحيته صلوات الله عليه ، فقيل له : يا رسول الله ، أنتهى عن البكاء وأنت تبكي هكذا؟! فقال : ليس هذا بكاء وإمّا هو رحمة ، ومّن لا يرحم لا يرحم ، وإمّا البكاء الذي هو رتّة وصراخ عال ، ومّن لا يرحم لا يرحم)) .

ثمّ التفت إلى أصحابه ، وقال : ((أتلوموني على فقد بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وإني اقتدي برسول الله ؛ لأنّه بكى على خديجة الكبرى وليست بنت نبيّ ، وإنّ فاطمة الزهراء ست النساء بنت أشرف الأنبياء ، ووالدة سيّد الشهداء صلوات الله عليه وعلى أبيها)) .

نقل أنّه من إنشاد عليّ (عليه السلام) بعد وفاة فاطمة (عليها السلام) :

نفسى على زفاتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

كماهم لا يخفى ونورهم بيّن لا يطفى ، حسدوهم على الفضل والكمال وجلّ وعلا مجدهم أن ينال .

حكى عن السيّد الحسيني (ره) ، قال : كنت مجاوراً في مشهد مولاي عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) مع جماعة من المؤمنين ، فلمّا كان اليوم العاشر من شهر عاشوراء ، ابتدأ رجل من أصحابنا يقرأ مقتل الحسين (عليه السلام) ، فوردت رواية عن الباقر (عليه السلام) ، أنّه قال : ((من ذرفت عيناه على مصاب الحسين (عليه السلام) ولو مثل جناح البعوضة ، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر)) . وكان في المجلس معنا جاهل مركّب يدّعي العلم ولا يعرفه ، فقال : ليس هذا بصحيح والعقل لا يعتقده . وكثر البحث بيننا ، وافترقنا من ذلك المجلس وهو مصرّ على العناد في تكذيب الحديث ، فنام ذلك الرجل تلك الليلة ، فرأى في منامه ، كأنّ القيامة قد قامت وحشر الناس في صعيد صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، وقد نُصبت الموازين وامتدّ الصّراط ووضع الحساب ، ونُشرت الكتب واشعلت النيران ، وزخرفت الجنان واشتدّ الحر عليه ، وإذا هو قد عطش عطشاً شديداً وبقي يطلب الماء فلا يجده ، فالتفت يميناً وشمالاً ، وإذا هو بحوض عظيم الطّول والعرض ، قال : فقلت في نفسي هذا هو الكوثر . فإذا فيه ماء أبرد من الثلج وأحلى من العذب ، وإذا عند الحوض رجلان

وامرأة ، أنوارهم تشرق على الخلائق ، وهم مع ذلك لبسهم السواد وهم باكون محزونون ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقيل : هذا مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى ، وهذا الإمام عليُّ المُرتضى ، وهذه الطاهرة فاطمة الزهراء . فقلت : ما لي أراهم لابسين السواد باكين ومحزونين ؟ فقيل لي : أليس هذا يوم عاشوراء ، يوم مقتل الحسين (عليه السلام) ؟! فهم محزونون لأجل ذلك . قال : فدنوت إلى ستِّ النساءِ فاطمة ، وقلت لها : ما أفضل الأعمال بعد إتيان الواجبات ؟ قالت : ((فضل البكاء على مصاب ولدي الحسين (عليه السلام)) ومهجة قلبي وقرة عيني ، الشهيد المقتول ظلماً وعدواناً ، لعن الله قاتليه وظالميه ومانعيه من شرب الماء)) .

قال الرجل : فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً واستغفرت الله كثيراً وندمت على ما كان مني ، وأتيت إلى أصحابي الذي كنت معهم وأخبرتكم برؤيائي ، وتبت إلى الله عز وجل :

تبارك من أجلك من شبيهه ومن أعطى محاسنك الكمالا
مديحك عدتي وهواك قصدي ومن عاداك لا أهواه لا لا

روى شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي ، أنه قال : لما قُتل الحسين (عليه السلام) في طفِّ كربلاء ، وجد في ظهره أثر ، فسئل زين العابدين (عليه السلام) : ما هذا الأثر الذي نراه في ظهر أبيك ؟ فبكى طويلاً وقال : ((هذا مما كان يحمل قوتاً على ظهره إلى منازل الفقراء والأرامل واليتامى والمساكين ، وأنه كان ينقل لهم طعاماً في جراب ، وينقله إلى دورهم طول ليلته ، وكانت نفقته سرّاً لا جهراً ؛ لأنَّ صدقة السرِّ تطفئ غضب الربِّ)) :

هو الذي كل آية نزلت أحاط في علمها وأولها
حوى الكرامات بعد والده آخرها ملكه وأولها

نُقل : رجل يُسمى عبد الرحمن كان مُعلماً للأولاد في المدينة ، فعلم ولداً للحسين يُقال له جعفر ، فعلمه الحمد لله ربِّ العالمين ، فلما قرأها على أبيه الحسين (عليه السلام) ، استدعى المُعلّم واعطاه ألف دينار وألف حلّة وحشى فاه درّاً ، فقيل له : قد استكثرت ؟ فقال (عليه السلام) : ((وهل تساوي ما أعطيته هذه بتعليمه ولدي ؟)) .

الحمد لله ربِّ العالمين ، فوا حرّ قلباه لتلك الأجساد المُلقاة على الرّمضاء بلا مهاد ، هي والله جسوم طالما أتعبوها في عبادة الرحمن وتلاوة القرآن ، تبكيهم الحراب والصلوات ،

وتنوح عليهم المطايا والكرامات , لقد هدموا بقتلهم الدين المتين , واذلّوا بمصائبهم رقاب المؤمنين , وأغضبوا بغضبهم رب العالمين والملائكة المقرّبين أجمعين ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1). فعلى الأطائب من أهل بيت الرّسول فليبك الباكون , وملتهم تذرف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة لابن السّمين (رحمه الله تعالى)

كيف أخفي وجدي واكتم شأنِي	ودموعي تسيح من سحب شأنِي
وفؤادي لا يستنفيق غراماً	وهيامي لشدة الحفّة الحفّة
وجفوني جفون طيب رقادي	واصطباري نأي ووجدي دان
فلو جدّي أبرزت من طي فكري	ناشرات الهموم والأحزان
ولوجدي شخصان عيني قالاً	حين سحت سحائب الأجنان
لست ممن تخشى خف الله فينا	نحن في لجة البكا غرقان
قال إقرأ أو لا تقرّ فعذري	قد بدا واضحاً فلا تعذراني
كف صبري على الحسين ومولاي	حسين رمى بسهم الهوان
من أكف البغاة آل زياد	وذوي البغي آل أبي سفيان
فوقوا نحوه ينال عناد	ورمواه بأسهم العدوان
نبذوا عهدّه وأبدوا جهاراً	كل خاف من كامن الأضغان
كيف أنساه بالطفوف فريداً	بعد فقد الأنصار والأعوان
وينادي هل زايد هل نصير	ينصر الطهر من بني عدنان
ويلكم ما علمتم أن جدّي	دينه المرضى من الأديان
ويلكم ما سمعتم أي قول	جاء فينا في محكم القرآن
فأجاب النداء غير معين	ورماه بنبل حرب عوان
قتلوه ظلماً وبغيّاً وعدواً	وانتهاكاً لحرمّة الرحمن
ثم رضوا الصدر الشريف عناداً	بخيول العصيان والطغيان
ثم حز الكريم واحتزّ هام	الآل أهل الحساد والكفران
وتولوا سلب النساء وإلهاب	خباه بمضرم النيران

(1) سورة الشعراء / 227.

تتهادى بذلقة وهوان
ثم أبدي مسرة الجذلان
حيث نلنا أماننا والأمان
ضياء من نوره النيران
وعويل الرجال والنسوان
جابرأ زائراً لتلك المغاني
ويدي كواً من الأشجان
وتذري مدامع الأحنان
وجفون عبرى وقلب عان
ويرثو الفاقد الولهان
حيث يشجي فؤاده ما شجاني
لعاني من العنا ما عناني
ومثوى الكهول والشبان
بنص النبي والقمرآن
ليسوا بالهلم والأحزان
يشكو من قلعة الأعوان
من مآقي شونة ما شأن
الخلق طراً من أنسها والجنان
عن حمى الدين فارس الفرسان
ومبيد العرارة يوم طعان
وجمال الأقران والإخوان
الدين أهل المعروف والإحسان
في سماء السماء والجنان
يسمو على سنان سنان
ثغره الجوهري بالخيزران

ثم ساروا برأسه والسبايا
حيث وافوا يزيد زاد سروراً
قائلاً أرجعوا فلسنا نبالي
ثم ردوا الكريم أزهري في الأفق
فادكارى رد الكريم شجاني
حين وافوا من الشام ولا قوا
فأقاموا له عزاً يفرح القلب
آه لهفي لزيب تنذب السبط
وتنادي بلوعة واكتئاب
أين من يسعد النوائح بالنوح
أين من وجدّه كوجدي وشجوي
أين من قلبه كقلبي المعنى
أين من ينذب المصارع بالطف
أين من يعرف المودة للقرى
أين أهل الوفا وأهل التأسى
أين من ينذب الوحيد من الناصر
أين من ينذب الحسين ويذري
أين من ينذب الإمام إمام
أين من ينذب الشجاع المحامي
ومفيد العفواة يوم طعام
وكمال السورى وزين البرايا
أين من ينذب الحماة حماة
وبدوراً غابوا فلسنا نراهم
أين من ينذب الكريم كريم سبط
ويزيد اللعين ينكث منه

ظلمونا فويل لمن ظلم الآل
يوم يثو الحُسين بين يد الله
وتراه البتول وهو بلا رأس
فتنادي يا رب هذا حسين
فانتصف لي من الظلوم وخذ لي
عندها يغضب الإله فتأتي
يا بني المُصطفى سموتم محلاً
أنتم منهج المحجة في الدين
وجمال لأوجه الدهر يبدو
وجرى ماء حبيبكم ذوي الإيمان
فهو نجوى لمن أراد نجاة
فلهذا نجل السمين مواليه
ثم أهدى إليك در نظام
يتولاكم بوجهه ويدي
مدح تبهج الولي سروراً
فعليناكم من السلام سلام

ولم يخش سطة الرحمن
وما رأسه على الجثمان
فتبدي الأشجان عند العيان
قتلوه الأعداء بالعدوان
يا إلهي من كل قاص وداني
هبهب تلقط الظلوم الجاني
سامياً في المكمان والإمكان
وتهيج الإرشاد والإيمان
كل شخص منكم جمال زمان
مجرى الأرواح في الأبـدان
من ولاكم وسر علم البيان
أراد البيان بعد المعاني
وعقوداً يفقن نظم الجمعان
بوجه من المديح حسان
وتهيج العداوة بالأحزان
كل آن وساعة وزمان

المجلس السابع

من الجزء الثاني في الليلة التاسعة من عشر المُحرّم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أيّها المؤمنون الأتقياء العارفون ، أما تحبّون أن يرجح لكلّ واحد منكم ميزانه ؟ أما تريدون أن يعطى كلّ واحد منكم على حزنه ثواباً جزيلاً وثناءً جميلاً ؟ أما بلغكم عن الفصيح الناطق الإمام الصّادق (عليه السلام) ، أنّه قال : ((نفس المهموم المحزون لنا تسبيح ، وحزنه لمصابنا عبادة ، وكنمان سرّنا عنده جهاد في سبيل الله ، ونوحه على مصابنا أفضل العبادة ، وبكائه على ما أصابنا من أعدائنا تمحيص لذنوبه)) . وإذا كان الحال هذه ، فينبغي للمؤمن أن يتجلّبب أشجانه ويلبس شعار وجده وأحزانه ، فإنّ الرّقة على الآل من أحسن الأحوال وأكملها عند ذي الجلال ، كما جاءت به الرّواية عن الصّادق حيث قال : ((إنّ اكمال المؤمنين أحسنهم حلّقاً وأكثرهم رقة علينا أهل البيت ، وأشدّهم حبّاً لنا وأكثرهم حزناً علينا وأكثرهم مودة لنا)) .
فيا إخواني ، محبّتهم من النّار تقيكم وولايتهم عند كلّ كربهة حتّى الموت تكفيكم ، كما ورد بذلك الخبر عن الصّادق (عليه السلام) ، حيث قال : ((مرض مؤمن صالح فافتقده سلمان الفارسي ، فقال : أين صاحبنا فلان ؟ فقيل له : إنّهُ مريض . قال : امشوا بنا إليه لنعوده . فقاموا معه جميعاً ، فدخلوا عليه فوجدوه في حال التّزع وهو يجود بنفسه ، فبكى سلمان وقال : يا ملك الموت ، ارفق بولي أهل البيت . فقال له ملك الموت بلسان فصيح يسمعه من حضر : يا عبد الله ، اعلم أنّي لرقيق بالمؤمنين ولو ظهرت لك . فتعجّب الحاضرون من هذا الكلام ولم يروا المتكلم)) . وإذا كان الأمر

كذلك , فكيف لا ننوح على أولاد مُحَمَّد المُصطفى وعلي المرتضى وفاطمة البتول الزهراء؟! ويلهم توابوا عليهم جهراً فقتلوهم وعن شرب الماء منعوهم كأثم ما عرفوهم , فتباً لهم ما أجرأهم على انتهاك حُرمة الرّسول وتقريح كبد الزّهراء البتول , فكأثم نسوا المعاد إلى ربّ العباد.

القصيدة للصاحب بن عباد (عليه السلام)

عيني جودي على الشهيد القتيل	واتركي الخد كالمحل المحل
كيف يشفي البكاء في قتل مولاي	إمام التنزيل والتأويل
قاتلوا الله والنبي ومولاهم علياً	إذ قاتلوا ابن الرّسول
فجعوه من غدرهم برضيع	هل سمعتم بموضع مقتول
ثم لم يشفهم سوى قتل نفس	هي نفس التكبير والتهليل
هي نفس الحسين نفس رسول الله	نفس الوصي نفس البتول
ذبحوه ذبح الأضاحي فيا قلب	تصدع على الغريب الذليل

ثقل : أنه لما وصل الحسين (عليه السلام) في مسيره إلى الكوفة إلى منزل اسمه سوق ، جلس (عليه السلام) ناحية عن الناس ، وإذا برجل قد قدم من الكوفة ، فسأله الحسين (عليه السلام) وقال : ((ما الخبر ؟)) . فقال : يا سيدي ، ما خرجت من الكوفة حتى رأيت هانياً ومُسلماً بن عقيل مقتولين وبُعث برأسيهما إلى يزيد . فقال الحسين (عليه السلام) : ((إنا لله وإنا إليه راجعون)) . وسار الرجل ولم يعلم به أحد من أصحابه.

قال : وكان لمُسلم بنت عمرها احدى عشرة سنة مع الحسين (عليه السلام) ، فلما قام الحسين من مجلسه ، جاء إلى الخيمة فعزّز البنت وقربها من منزله ، فحسّت البنت بالشر ؛ لأنّ (عليه السلام) كان قد مسح على رأسها وناصيتها كما يُفعل بالأيتام ، فقالت : يا عم ، ما رأيتك قبل هذا اليوم تفعل بي مثل ذلك؟! أظن أنه قد استشهد والدي؟ فلم يتمالك الحسين (عليه السلام) من البكاء ، وقال : ((يا ابنتي ، أنا أبوك وبناتي اخواتك)) . فصاحت ونادت بالويل ، فسمع أولاد مُسلم ذلك الكلام وتنفسوا الصّعداء ، وبكوا بكاءً شديداً ورموا بعمائمهم إلى الأرض.

قال : لما تأمل الحسين (عليه السلام) هذا الحال وقتل مُسلم ، وأنّ أهل الكوفة هم الذين أعانوا على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ونهب الحسن وضربه بالخنجر على

فخذه , فبكى بكاءً شديداً حتى اخضلت لحيته بالدموع.

ونُقل أيضاً : لما آل أمر الحسين إلى القتال بكرىلاء وقتل جميع أصحابه , ووقعت التوبة على أولاد أخيه , جاء القاسم بن الحسن وقال : يا عم , الإجازة لأمضي إلى هؤلاء الكفرة . فقال له الحسين : ((يابن الأخ , أنت من أخي علامة وأريد أن تبقى ؛ لأتسلى بك)) . ولم يعطه إجازة للبراز , فجلس مهموماً مغموماً باكي العين حزين القلب , وأجاز الحسين إخوته للبراز ولم يجزه , فجلس القاسم متألماً ووضع رأسه على رجليه .

وذكر : أنّ أباه قد ربط له عوذة في كتفه الأيمن , وقال له : ((إذا أصابك ألم وهم , فعليك بحلّ العوذة وقراءتها وفهم معناها , واعمل بكلّ ما تراه مكتوباً فيها)) . فقال القاسم لنفسه : مضى سنين عليّ ولم يصبني من مثل هذا الألم . فحلّ العوذة وفصّنها ونظر إلى كتابتها , وإذا فيها : ((يا ولدي قاسم , أوصيك إنك إذا رأيت عمك الحسين (عليه السلام) في كربلاء وقد أحاطت به الأعداء , فلا تترك البراز والجهاد لاعداء رسول الله ولا تبخل عليه بروحك , وكلّمنا نّهاك عن البراز , عاوده ليأذن لك في البراز ؛ لتحضني في السعادة الأبدية)) .

فقام القاسم من ساعته وأتى إلى الحسين (عليه السلام) وعرض ما كتب الحسن على عمّه الحسين , فلمّا قرأ الحسين العوذة , بكى بكاءً شديداً ونادى بالويل والتّبور وتنقّس الصّعداء , وقال : ((يابن الأخ , هذه الوصية لك من أبيك , وعندي وصية أخرى منه لك , ولا بدّ من إنفاذها)) . فمسك الحسين (عليه السلام) على يد القاسم وأدخله الخيمة وطلب عوناً وعباساً وقال لأُمّ القاسم : ((ليس للقاسم ثياب جدد ؟)) . قالت : لا . فقال لأخته زينب : ((ايتيني بالصندوق)) . فأتته به ووضع بين يديه , ففتحه وأخرج منه قباء الحسن وألبسه القاسم , ولفّ على رأسه عمامة الحسن , ومسك بيد ابنته التي كانت مُسمّاة للقاسم فعقد له عليها , وأفرد له خيمة , وأخذ بيد البنت ووضعها بيد القاسم وخرج عنهما , فعاد القاسم ينظر إلى ابنة عمّه ويبكي إلى أن سمع الأعداء يقولون : هل من مبارز ؟ فرمى بيد زوجته وأراد الخروج وهي تقول له : ما يخطر ببالك وما الذي تريد أن تفعله ؟ قال لها : أريد ملاقاتة الأعداء , فإنّهم يطلبون البراز وأيّ أريد ملاقاتهم . فلزمته ابنة عمّه , فقال لها : خليّ ذيلي , فإنّ عرسنا أحرّناه إلى الآخرة . فصاحت وناحت وأنت من قلب حزين , ودموعها جارية على خديها وهي تقول : يا قاسم , أنت تقول عرسنا أحرّناه إلى الآخرة , وفي القيامة بأيّ شيء أعرفك وفي أيّ

مكان أراك؟ فمسك القاسم يده وضربها على ردفه وقطعها , وقال : يا بنة العم , اعرفيني بهذه الرّذن المقطوعة . قال : فانفجع أهل البيت بالبكاء لفعل القاسم , وبكوا بكاءً شديداً ونادوا بالويل والثبور .

قال من روى : فلمّا رأى الحسين أنّ القاسم يريد البراز , قال له : ((يا ولدي , أتمشي برجلك إلى الموت ؟)) . قال : وكيف يا عم وأنت بين الأعداء وحيداً فريداً لم تجد محامياً ولا صديقاً؟! روعي لروحك الفداء ونفسي لنفسك الوقاء ! ثمّ إنّ الحسين (عليه السلام) شقّ أزياق القاسم وقطع عمامته نصفين ثمّ أدلاها على وجهه , ثمّ ألبسه ثيابه بصورة الكفن وشدّ سيفه بوسط القاسم وأرسله إلى المعركة , ثمّ إنّ القاسم قدم إلى عمر بن سعد , وقال : يا عمر , أما تخاف الله أما تراقب الله يا أعمى القلب؟! أما تراعي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال عمر بن سعد : أما كفناكم التّجبرّ , أم تطيعون يزيد؟ فقال القاسم : لا جزاك الله خيراً , تدّعي الإسلام وآل رسول الله عطاشا ظمّاً .

قد اسودّت الدنيا باعينهم , فوقف هنيهة فما رأى أحداً يقدم إليه , فرجع إلى الخيمة فسمع صوت ابنة عمّه تبكي , فقال لها : ها أنا جئتك . فنهضت قائمة على قدميها وقالت : مرحباً بالعزير , الحمد لله الذي أراني وجهك قبل الموت . فنزل القاسم في الخيمة وقال : يا بنت العم , مالي اصطبار أن أجلس معك والكفّار يطلبون البراز . فودّعها وخرج وركب جواده وحماه في حومة الميدان , ثمّ طلب المبارزة , فجاء إليه رجل يُعدّ بألف فارس , فقتله القاسم وكان له أربعة أولاد مقتولين , فضرب القاسم فرسه بسوط وعاد يقتل بالفرسان إلى أن ضعفت قوّته , فهمّ بالرجوع إلى الخيمة , وإذا بالأزرق الشّامي قد قطع عليه الطّريق وعارضه , فضربه القاسم على أمّ رأسه فقتله , وسار القاسم إلى الحسين وقال : يا عمّاه ! العطش العطش أدركني بشرية من الماء ! فصبره الحسين واعطاه خاتمه وقال : ((حطه في فمك ومصه)) .

قال القاسم : فلمّا وضعته في فمي , كأنته عين ماء فارتويت وانقلبت إلى الميدان . ثمّ جعل همّته على حامل اللوى وأراد قتله , فاحتاطوا به بالنّبل , فوقع القاسم على الأرض , فضربه شيبه بن سعد الشّامي بالرّمح على ظهره فأخرجه من صدره , فوقع القاسم يخور بدمه ونادى : يا عم أدركني ! فجاءه الحسين (عليه السلام) وقتل قاتله , وحمل القاسم إلى الخيمة فوضعه فيها , ففتح القاسم عينه فرأى الحسين قد احتضنه وهو يبكي ويقول : ((يا ولدي لعن الله

قاتليك ، يعزّ والله على عمك أن تدعوه وأنت مقتول . يا بني ، قتلوك الكفار كأثم ما عرفوا من جدك وأبوك)) . ثم إنّ الحسين (عليه السلام) بكى بكاءً شديداً ، وجعلت ابنة عمّه تبكي وجميع من كان منهم ؛ لطموا الخدود وشقوا الجيوب ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور .

فيا إخواني ، أكثروا النوح وجددوا الأحزان على ما جرى على سادات الزمان . فواحزننا لما أصاب أهل بيت الرسول وبني الزهراء البتول من الأشقياء النغول ! فتبّاً لهم فيما فعلوه وتعساً لهم فيما تحمّلوه ! فبأيّ شيء يتعللون حين يسئلون ؟ وبم يجيبون حين يستنطقون ؟ كلا ، والله ليس لهم جواب مانع ولا خطاب دافع ، وسيردّون إلى العذاب الأليم والعقاب الجسيم ، وعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النادبون ، وملتلهم تذرف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فتتابعته عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدّة للشيخ محمد السبّعي (رحمه الله تعالى)

مشيب تولى للشباب وأقبلا	نذيراً لمن امسى وأضحى مغفلاً
يرى الناس منهم ظاعن أثر ظاعن	فظن سواه الطاعن المتحملاً
ترحلت الجيران عنه إلى البلا	وما رحل الجيران إلا ليرحلا
ولكنه لما مضى العمر ضائعاً	بكى عمره الماضي فحن وأعولا
تذكر ما افنى الزمان شبابه	فبات يسح الدمع في الخد مسبلاً
ولم يبك من فقد الشباب وإنما	بكى ما جناه ضارحاً متنصلاً
تصرمت اللذات عنه وخلفت	ذنوباً غداً من أجلها متوجلاً
حنانك يا من عاش خمسين حجّة	وخمساً ولم يعدل عن الشر مغدلاً
وليس له في الخير مثقال ذرة	وكم ألف مثقال من الشر حصلاً
وقد جاءه في الذرتين كفاتيه	إذا ما تلي في محكم الذكر منزلاً
أعاتب نفسي في الخلا ولم يفد	عتابي على ما فات في زمن خلا
فيا ليت إني قبل ما قد جنت يدي	على نفسها لاقيت حتفاً معجلاً
ويا ليت إني كنت في الوحش هاملاً	ولم أك للطاعات في العمر مهملاً
ويا ليت أمي لا غدت حاملاً بمن	غدا حاملاً وزراً يوازن أجيلاً

ويا ليت شعري هل تفيّد ندامتي
عذيري من الذنب الذي صار موجباً
يدي قد جنت يا صبي على يدي
ولا تعذل عيناً على عينها بكت
سأبكي على ما فات منّي ندامة
سأبكي على ذنبي وآفات غفلتي
سأبكي على ما مات منّي بعبرة
حينني على ذاك القتييل وحسرتي
حينني على الملقى ثلاثاً معفراً
سأبكي عليه والمذاكي بركضها
سأبكي عليه وهي من صدره
سأبكي على الحران قلباً من الظما
إلى أن قضى يا لهف نفسي على الذي
سأبكي على المحروز رأساً من القفا
سأبكي عليه يوم اضحى بكريلاء
وقد أصبحت أفراسه وركابه
فقال بأي الأرض تعرف هذه
فقال على اسم الله حطوا رحالكم
ففي هذه مهراق جاري دمائنا
وفي هذه والله تضحى جسومنا
وفي هذه والله تضحى رؤوسنا
وفي هذه والله تضحى حريمنا
وفيها تساق الهاشميات حسراً
فلهفي على مضروبة الجسم وهي من
ولهفي على أطفالها في جحورها
ولهفي على الطفل المفارق أمه

على ما به أمسى وأضحى مثقلاً
عذاب إلهي عاجلاً ومؤجلاً
ونفسي لنفسي حرت العذل فاعذلاً
فطرفني على طرفي جني وتأملاً
إذا الليل أرخى الستر منه وأسبلاً
وأبكي قليلاً بالطفوف مجذلاً
تجوّد إذا جاء المحرم مقبلاً
عليه غريباً في المهاملة والفلاً
طريحاً ذبيحاً بالدماء مغسلاً
تكفنه مما أثارته قسطلا
تعرض عظاماً أو تفصل مفصلاً
وقد منعوه أن يعمل وينهلاً
قضى بغليل يشبه الجمر مشعلاً
إلى أن برى السيف الوريدين والطلا
يكابد من أعدائه الكرب والبلأ
وقوفاً بهم لم تنبعث فتوجلاً
فقالوا له هذي تسمى بكريلأ
فليس لنا أن نستقل ونرحلاً
ومهراق دمع الهاشميات ثكلاً
وزوارها سيّد يعاقب فرعلاً
مشهرة تعلقو من الخط ذبلاً
وتضحى بأنواع العذاب وتبتلاً
وتضرب ضرب الشدقميات جفلاً
ضروب الأسى تبكي هماماً مبعلاً
تمج عقيب الثدي سهماً ومنصلاً
ولهفي تبكي على الطفل مطفلاً

ولففي عليها وهي في غربة النوى
أشيعة آل المصطفى من يكون لي
أشيعة آل المصطفى من ينوح لي
قفا نبك من ذكرى حبيب محمد
قفا نبك من تذكره ومصابه
فوالله لا أنسى وإن بعد المدى
فوالله لا أنساه يخفض في الثرى
يهير أوداج الحسين بسيفه
ولم أنس أخت السبط زينب أقبلت
وقد قنع الرجس المزم رأسه
فقالته له يا شمر دعني هنيهة
فإن لم يكن إلا تعلق ساعة
أيا شمر دع عيني إلى نور عينه
اتممع عيني نظرة من حبيبه
اتممعني من نظرة يشتهي بها
اتفردني وحدي وابن والدي
فما رق منه القلب عنه خضوعه
وميز رأس السبط ثم رمى به
وسحت عليه سبعا الدم قاني
ولا عجباً إن مادت الأرض بالورى
ومالوا إلى سبي الحرير فحللو
فكم سالب درعاً وكم هاتك خب

تجوب الفيافي مجهلاً أثر مجهلاً
عويناً على رزه الشهيد مولوداً
وينعي الإمام الفاضل المنفضلاً
وخلوا لذكراكم حبيباً ومنزلاً
فتذكاره ينسي الذخول فحرماً
قتل ضبابي من الدين قد خلا
وشمر على الصدر المعظم قد علا
إلى حيث رواه نجيعاً وخضلاً
لتقبيله ثم انتنت لم تقبلاً
ومنكبهما الزاكي قطعاً مفتلاً
أعلل قلباً باللقا لن يعلاً
فإني بها أشقى فؤاداً معللاً
به تشتهي من قبل أن تتحملاً
ولا لذ في قلبي سواه ولا حلاً
فؤادي بمن لي كان كهفياً وموئلاً
وتحتز رأساً منه رأس على الملا
وأوجعها بالسوط ضرباً مثكلاً
فسبحت الأملاك في سبعا العلاً
ولا عجباً من أن تسح وتحملاً
وأرجف منها جانباها وزلاً
بجهلهم ما ليس في الشرع حلاً
وقاصم خلخال فادمي المخللاً

سأبكي له وهو العليل وفي الحشا
سأبكي لبنت السبط فاطم قد غدت
تحن فيشجي كل قلب حنينها
تقول أبي أبكيك يا خير من مشى
أبي كنت للدين الحنفي موضحاً
أبي يا ثمال الأرمالات وكهفها
أبي يا ربيع المجد بين ومن به
أبي يا غيث المسـتغيثين والذي
أبي أن سلا المشـتاق أو وجد العزى
سأبكيك تبكيك المحارب شجوها
سأبكيك تبكيك المحارب شجوها
سأبكيك تبكيك المناجاة في الدجى
سأبكيك إذ تبكي عليه سـكينة
ونادت رباب أمتـاه فاقبلت
وقالت لها يا أمنا مالوالدي
أنادي به يا والدي وهو لم يجب
أظن أبي قد حال عما عهدته
ألا أبتا قد شقت البين شملنا
ونادي المنادي بالرحيل فقربوا
وصار بها الحادي يغني مغرداً
تسير ورأس السبط يسري أمامها
فلهفي لها عن كربلا قد ترحلت
ولهفي لها بين العراق وجلق
ولهفي لها في اعنف السير والسرى
فلمارآها في حبال سـره
ونادي برأس السبط ينكث ثغره

غليل بـبرد الماء أن يتـبلا
قريحة جفن وهي تبكيه معولا
وتصدع من صم الصياخيد جنـدلا
ومن ركب الطرف الجواد المحجلا
ومذ ثكلتك البيض أصبح مثكلا
إذا عاينت خطباً من الدهر معضلا
يغاث من السقيا إذا الناس أمحلا
غداً لهم كنزاً وذخراً وموثلا
فإن فـؤادي بعـدك ماسـلا
وقد فقدت مفروضها والتـنقلا
وقد فقدت مفروضها والتـنقلا
سأبكيك يبكيك الكتاب مرتلا
ومدمعها كالغيث جاد وأسبلا
وقد كضها فقد الحسين وأثكلا
مضى مزمعاً عنا الرحيل إلى البـلا
وقد كان طلقاً ضاحكاً متهللا
وإلا فقد أمسى بنا متبـدلا
وجرعنا في الكأس صبراً وحنظلا
من الهاشميات الفـواطم نـزلا
سل الدار عمـن قد نأى وترحلا
كبدر الدجى وافي السـعود فاكـملا
مخلفة أزكى الأنام وأنـبلا
إذ هو جلا خلفن قابلن هو جـلا
تأم زينب بالشـآم مضـللا
تهلل مسـروراً وأبـدى التـغزلا
وينشد أشعاراً بها قد تمثلا

نفلق هاماً من رجال أعزة
 الا فاعجبوا من ناكث ثغر سيداً
 له عذب الرحمن ماسح وابل
 أولئك في يوم السقيفة أفسدوا
 أولئك من أردى الحسين بكربلا
 قضوا ما قضوا من أمرهم بعدما قضى
 وجاءهم إبليس في زي عابد
 ولم يشكر الملعون إلا لأنسه
 وقال أبا تهن فإني
 فقل لرجيم جاء نحو رجيمه
 أويلك لم تدعن لآدم ساجداً
 تغشاك باللعن الإله مضاعفاً
 بني الوحي والتنزيل من لي بمدحك
 وإن كان نظمي كالفريد مفصلاً
 ولكني أرجو شفاعة جدكم
 فهنيتموا بالمدح من خالق الورى
 فسمعاً من السبعي نظم غرائب
 غرائب يهويها الكمييت ودعبل
 أجاهر فيها بالولاء مصرحاً
 لقد سيط لحمي في هواكم وفي دمي
 عليكم سلام الله يا خير من مشى
 فما ارتضى إلا كموالي سادة

علينا وهم كانوا أحق وأجلاً
 له أحمد يمسي ويضحى مقبلاً
 وعذب أصحاب السقيفة أولاً
 جميع الورى جيلاً فجياً لهم تلا
 ومن خان الله المهيمن مرسلاً
 نبئهم واسـتـعجلوا أن يغسلاً
 فأظنّب في شكر الإله وطولاً
 رأى حبترا صار الإمام فحمدلاً
 أبايع قبل الناس لن اتشكلاً
 فبايعه قبل العصاة وعجلاً
 وبايعت أدنى العالمين وأنذلاً
 وخص ابن سلما والدلام ونعثلاً
 ومدحك في محكم الذكر أنزلأ
 فقد أنزل الرحمن فيكم مفصلاً
 لما فقت فيه دعبلأ ثم جرولأ
 فقد نلتموا أعلا محلاً وأفضلاً
 يظل لديها احظل الفحل احضلاً
 كما فيكم أهوى الكمييت ودعبلاً
 وبغضي لشانكم مزجت به الولا
 وما قل مي في عدوكم القلا
 ويا خير من لي وطاف وهللاً
 وما سواكم فالبراءة والخلا

الباب الثاني

أيها المؤمنون السامعون والأمناء الصالحون ، اعلموا أنّ الله تعالى قد ابتلى ابن نبيكم الحسين (عليه السلام) ببلاء عظيم ، بكت من أجله السموات بأركانها ، والأرض بأرجائها والأشجار بأطيارها وأغصانها ، والملائكة المقربون وأهل

السَّمَاوَاتِ أَجْمَعُونَ.

فَأَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ ، وَأَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْزَنُ مِنْ أَجْلِهِ؟! وكيف لا وقد أصبح أهل البيت مطرّدين مشرّدين مذودين عن الأوطان والدّيار ، شاسعين في البراري والأمصار كأثمّ أولاد اليهود والكفّار ، فيا لها من مصيبة عظمت في الإسلام وجيليل خطب عمّ سائر الأنام.

فيا إخواني ، لا تُقَصِّرُوا فِي الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ وَتَسَاعَدُوا عَلَى هَذَا الرَّزْءِ الْجَلِيلِ ، وَاِبْرَزُوا الدَّمْعَ الْهَتَانِ وَمُخْفِيَاتِ الْأَشْجَانِ وَالْأَحْزَانِ عَلَى مَا أَصَابَ سَادَاتِ الزَّمَانِ مِنَ الدَّلِّ وَالْهَوَانِ :

يا مؤمناً متشاكراً بولائه
أبك الحُسين بلوعةً ومجرقةً
وامزج دموعك بالدماء وقل ما
والبس ثياب الحزن يوم مصابه
ففساك تحضى في المعاد بشربة
يرجو النجا والفوز يوم المحشر
إن لم تجدها لم فؤادك وأكثر
في حقه حقاً إذا لم تنصّر
وما بين أسود حالك أو أصفر
من حوضهم ماءً لذيذ سكر

روي عن أبي مخنف ، قال : لما قُتِلَ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، أُسِرَ مِنْ عَسْكَرِهِ غَلَامَانِ صَغِيرَانِ ، فَأُتِيَ بِهِمَا إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَعْنَهُ اللَّهُ ، فَدَعَا بِسَجَّانٍ لَهُ وَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذَيْنِ الْغَلَامَيْنِ وَاسْجَنْهُمَا ، وَمِنْ طَيْبِ الطَّعَامِ فَلَا تَطْعَمُهُمَا وَمِنْ بَارِدِ الْمَاءِ فَلَا تَسْقَهُمَا ، وَضَيِّقْ عَلَيْهِمَا سَجْنَهُمَا.

قال : فأخذهما السّجان ووضعهما في السّجن إلى أن صار لهما سنة كاملة حتى ضاقت صدورهما ، فقال الصّغير للكبير : يا أخي ، يوشك أن تُفنى أعمارنا وتُبلى أبداننا في هذا السّجن ، أفلم تخبر السّجان بخبرنا وتقرّب إليه بمُحمّد المصطفى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟ فقال : هكذا يكون.

فلَمَّا جَنَّهُمَا اللَّيْلُ ، أَتَى السّجَّانُ إِلَيْهِمَا بِقَرَصَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ وَكَوْزٍ مِنْ مَاءٍ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الصّغير فقال له : يا شيخ ، أتعرف مُحمّد المصطفى ؟ قال : وكيف لا أعرفه وهو نبيّ وشفيعي يوم القيامة ! قال له : يا شيخ ، أتعرف عليّ بن أبي طالب ؟ قال : وكيف لا أعرفه وهو إمامي وابن عمّ نبيّ ! قال له : يا شيخ ، أتعرف مُسلم بن عقيل ؟ قال : بلى أعرفه وهو ابن عمّ رسول الله . فقال له : يا شيخ ، نحن من عترة مُسلم بن عقيل ، نسألك من طيب الطّعام فلا تطعمنا ومن بارد الماء فلا تسقينا ، وقد ضيّقت علينا سجننا ، فما لك وما لنا لا ترحمنا لصغر سننا ؟ أما ترعانا لأجل سيّدنا رسول الله ؟ فلَمَّا سَمِعَ السّجَّانُ كَلَامَهُمَا ، بَكَى بِكَاءٍ شَدِيداً وَانْكَبَّ عَلَى أَقْدَامِهِمَا يَقْبَلُهُمَا وَيَقُولُ :

نفسى لنفسكما الفداء وروحي لروحكما الوقا ! يا عترة مُحَمَّد المُصطفى , والله لا يكون مُحَمَّد خصمى فى القيامة , هذا باب السّجن مفتوح فخذوا أيّ طريق شئتما , يا حبيبي سيروا بالليل واكمنا بالنّهار.

قال : فلمّا خرجا لم يدريا إلى أيّ جهة يمضيان , فلمّا جهجه الصّبح عليهما , دخلا بستاناً وصعدا على شجرة واكتنا بها , فلمّا طلعت الشّمس , وإذا بجارية قد رأتهما , فأقبلت إليهما وسألتهما عن حالهما وطيب قلوبهما , وقالت لهما : سيرا معي إلى مولاتي فإنّها محبّة لكما . فسارا معها , فسبقتهم الجارية فاعلمت مولاتهما , فلمّا سمعت بهما , قامت حافية إليهما واستقبلتهما بالبشرى , وقالت لهما : ادخلا على رحب وسعة . فلمّا دخلا , أنزلتهما فى مكان لم يدخل إليه أحد من النّاس , وخدمتهما خدمة تليق بهما.

ثمّ إنّ ابن زياد لعنه الله نادى فى شوارع الكوفة : أنّ من جاءني بأولاد مُسلم بن عقيل , فله الجائزة العظمى . وكان زوج تلك المرأة من جملة من طلبهما , فلمّا جنّ الليل , أقبل اللعين إلى داره وهو تعبان من كثرة الطّلب , فقالت له زوجته الصّالحة : أين كُنْتَ , فيلّيّ أرى فى وجهك آثار التّعب ؟ قال : إنّ ابن زياد قد نادى بأزقة الكوفة : أنّ من جاءني بأولاد مُسلم بن عقيل , كان له عندي الجائزة العظيمة . وقد خرجت فى الطّلب فلم أجد لهما أثراً ولا خبراً . فقالت له زوجته : يا ويلك أما تخاف من الله ! ما لك وأولاد الرّسول تسعى إلى الظّالم بقتلهم , فلا تغزّتك الدّنيا . قال : أطلب الجائزة من الأمير . قالت : تكون أقلّ النّاس وأحقرهم عنده إن سعيت بهذا الأمر .

فبينما هو بين النّائم واليقظان , إذ سمع الهمهمة من داخل البيت , فقال لزوجته : ما هذه الهمهمة ؟ فلا ترد عليه الجواب كأنّها [لا] تسمع , فقعد وطلب مُصباحاً , فتناوم أهل البيت كأنّهم لم يسمعوا , فقام وأشعل المصباح وأراد فتح الباب , فقالت له زوجته : ما تريد من فتح الباب ؟ ومانعته , فقائلها ومانعها وفتح الباب , وإذا بأحد الولدين قد انتبه , فقال لأخيه : يا أخي , اجلس فإنّ هلاكنا قد قرب . فقال له أخوه : وما رأيت يا أخي ؟ قال : بينما أنا نائم وإذا بأبي واقف عندي , وإذا بالنّبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعليّ والحسن والحسين وقوف وهم يقولون لأبي : ما لك تركت أولادك بين الكلاب والملاعين ؟ فقال لهما أبي : وها هما باثري قادمين . فلمّا سمع الملعون كلامهما , جاء إليهما وقال لهما : من أنتما ؟ قالوا : من آل الرّسول . [قال] : ومن أبوكم ؟ قالوا :

مُسلم بن عقيل .فقال الملعون : إني أتعبت اليوم فرسي ونفسي في طلبكما وأنتما عندي.

ثمَّ إنَّه لطم الأكبر منهما لطمه أكبَّه على الأرض حتَّى تَهشَّم وجهه وأسنانه من شدَّة الضَّربة , وسال الدَّم من وجهه وأسنانه، ثمَّ إنَّه كتَّفهما كتناً وثيقاً , فلمَّا نظرا إلى ما فعل به [بهم] اللعين , قالا : ما لك يا هذا تفعل بنا هذا الفعل , وامرأتك قد أضافتنا وأكرمتنا وأنت هكذا تفعل بنا ؟ أما تخاف الله فينا ؟ أما تراعي يتمنا وقرينا من رسول الله ؟

فلم يعبأ اللعين بكلامهما ولا رحمهما ولا رقَّ لهما ، ثمَّ دفعهما إلى خارج البيت , وبقيا مكتئبين إلى الفجر وهما يتوادعان ويكيان ؛ لما جرى عليهما , وأمَّا الملعون , فلمَّا أصبح الصَّبح , أخرجهما من داره وقصد بهما جانب الفُرات ؛ ليقتلهما وزوجته وولده وعبده خلفه وهم يخوفونه الله تعالى ويلومونه على فعله , فلم يرتدع اللعين ولم يلتفت إليهم حتَّى وصلوا إلى جانب الفُرات , فأشهر اللعين سيفه ؛ لقتلها فوقعت زوجته على يديه ورجليه تقبلهما وتقول له : يا رجل , اعف عن هذين الولدين اليتيمين , واطلب من الله الذي تطلبه من أميرك عبيد الله بن زياد , فإنَّ الله يرزقك عوض ما تطلبه منه أضعافاً مضاعفة .فرعق الملعون عليها زعقة الغضب حتَّى طار عقلها وزهل لبَّها , ثمَّ قال للعبد : يا أسود , خُذ هذا السَّيف واقتل هذين الغلامين , وائتني برأسيهما حتَّى انطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد , وأخذ جائزتي منه ألفي درهماً وفساً .فلمَّا همَّ بقتلها , قال له أحد الغلامين : يا أسود , ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤدَّن رسول الله (ﷺ) , يا أسود , ما لك وما لنا حتَّى تقتلنا ؟ امض عنَّا حتَّى لا نطالبك بدمنا عند رسول الله (ﷺ) .فقال لهما الغلام [العبد] : يا حبيبي من أنتما ؟ فإنَّ مولاي أمرني بقتلكما.فقالوا: يا أسود , نحن من عترة نبيِّك مُحَمَّد (ﷺ) , نحن أولاد مُسلم بن عقيل , أضافتنا عجوزكم هذه الليلة ومولاك يريد قتلنا.

قال : فانكبَّ العبد على أقدامهما يقبلهما ويقول : نفسي لنفسكما الفداء وروحي لروحكما الوقاء يا عتره مُحَمَّد المُصطفى ! والله لا يكون مُحَمَّد خصمي يوم القيامة .ثمَّ رمى السَّيف من يده ناحية وطرح نفسه في الفُرات وعبر إلى الجانب الآخر , فصاح به مولاه : عصيتني ؟ فقال : اطعتك ما دمت لا تعصي الله , فلمَّا عصيت الله عصيتك ؛ أحبَّ إليَّ من أن أعصي الله وأطيعك .فقال اللعين : والله , ما يتولَّى قتلكما أحد غيري .فأخذ السَّيف وأتى إليهما وسلَّ السَّيف

من جفنه , فلمّا همّ بقتلهما , جاء إليه ولده وقال له : يا أبه , قدّم حلمك وأخّر غضبك وتفكّر فيما يصيبك في القيامة . قال : فضربه بالسيف فقتله . فلمّا رأّت الحُرمة ولدها مقتولاً , أخذت بالصّياح والعيويل .

قال : فتقدم الملعون إلى الولدين , فلمّا رأياه تباكيا ووقع كلّ منهما على الآخر يودّعه ويعتنقه , والتفتا إليه وقالاه : يا شيخ , لا تدعنا نطالبك بدمائنا عند جدّنا يوم القيامة , خذنا حيّين إلى ابن زياد يصنع بنا ما يريد . فقال : ليس إلى ذلك سبيل . فقال له : يا شيخ , بعنا في السّوق وانتفع بأثماننا ولا تقتلنا . فقال : لا بدّ من قتلكما . قال له : يا شيخ , ألا ترحم يتمنا وصغرنا ؟ فقال لهما : ما جعل الله لكما في قلبي من الرّحمة شيئاً . فقالا : يا شيخ , دعنا نصلّي كلّ منّا ركعتين . قال : صلّيا ما شئتما إن نفعتكما الصّلاة .

قال : فصلّيا أربع ركعات , فلمّا فرغا رفعا طرفيهما إلى السّماء وبكيا وقالاه : يا عادل يا حكيم , أحكم بيننا وبينه بالحقّ . ثمّ قال له : يا هذا , ما أشدّ بغضك لأهل البيت ؟ فعندها عمد الملعون وضرب عنق الأكبر , فسقط إلى الأرض يخور في دمه , فصاح أخوه وجعل يتمرّغ بدم أخيه وهو ينادي : وا أخاه ! وا قلّة ناصراه ! وا غربتاه ! هكذا ألقى الله وأنا متمرّغ بدم أخي . فقال له الملعون : لا عليك سوف ألقك بأخيك في هذه السّاعة . ثمّ ضرب عنقه , ووضع رأسيهما في المخلاة ورمى أبدأهما في الفّرات , وسار بالرّأسين إلى عبّيد الله بن زياد , فلمّا مثل بين يديه , وضع المخلاة فقال له : ما في المخلاة يا هذا؟ قال : رؤوس أعدائك أولاد مُسلم بن عقيل . فكشف عن وجهيهما , فإذا هما كالأقمار المشرّقة , فقال : لمّ قتلتهما ؟ قال : بطمع الفرس والسّلاح . فقام ابن زياد ثمّ قعد ثلاثاً وقال : ويلك وأين ظفرت بهما ؟! قال : في داري , وقد أضافتهم عجوز لنا . فقال ابن زياد : أفلا عرفت لهما حقّ الصّيافة وأتيت بهما حيّين إليّ ؟ فقال : خشيت أن يأخذهما أحد منّي ولا أقدر على الوصول إليك . فأمر ابن زياد أن يغسلوهما من الدّم , فلمّا غسلوهما وأتى بهما إليه ونظرهما , تعجّب من حسنهما وقال له : يا ويلك ! لو أتيتني بهما حيّين , لضاعفت لك الجائزة . فتعدّر بعذره الأوّل , ثمّ قال له : يا ويلك ! حين أردت قتلتهما ما قالاه لك ؟ قال , قال لي : يا شيخ , ألا تحفظ قرابتنا من رسول الله ؟ قال : فما قُلت لهما ؟ قال : قُلت لهما : مالكما من رسول الله قرابة . قال : فماذا قالاه لك أيضاً ؟

قال : قال لي : ألا ترحم صغر سننا ؟ فقلت لهما : ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئاً . قال : فما قال لك أيضاً ؟
 قال : قال لي : امض إلى السوق فبعنا وانتفع بأثماننا ؟ فقلت لهما : لا بدّ من قتلكما . قال : فماذا قال لك أيضاً ؟ قال : قال
 لي : ألا تمضي بنا إلى ابن زياد يحكم فينا بأمره ؟ فقلت لهما : ليس إلى ذلك من سبيل . قال : فماذا قال لك أيضاً ؟ قال :
 قال لي : دعنا نُصلي كلّ واحد منّا ركعتين ؟ فقلت لهما : فصلّيا إن نفعكما الصلّاة . فصلّيا أربع ركعات ، فلمّا فرغنا من
 الصلّاة ، رفعنا طرفيهما إلى السّماء ودعيا وقالا : يا حي يا حكيم ، أحكم بيننا وبينه بالحقّ .

ثمّ نظر ابن زياد إلى ندمائه وكان فيهم محبّ لأهل البيت ، وقال له : خذ هذا الملعون وسر به إلى موضع قتل فيه الغلامين ،
 واضرب عنقه ولا تدع أن يختلط دمه بدمهما ، وخذ هذين الرّأسين وارمهما في موضع رمي به أبداً .

قال : فأخذه وسار به وهو يقول : والله ، لو أعطاني ابن زياد جميع سلطنته ، ما قبلت هذه العطية . وكان كلّما مرّ بقبيلة ،
 أراهم الرّأسين وحكى لهم بالقصّة ، وما يريد يفعل بذلك اللعين . ثمّ سار به إلى موضع قتل فيه الغلامان ، فقتله بعد أن عدّبه
 بقطع عينيه وقطع أذنيه ويديه ورجليه ورمى بالرّأسين في الفُرات .

قال : فخرجت الأبدان وركبت الرّؤوس عليها بقدره الله تعالى ، ثمّ تحاضنا وغاصا في الفُرات ، ثمّ إنّ ذلك الرّجل المحبّ أتى
 بالرّأس - رأس ذلك اللعين - فنصبه على قناة وجعل الصّبيان يرمونه بالحجارة . ألا لعنة الله على القوم الظّالمين ﴿ وَسَيَعْلَمُ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1) . وعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون ، وإياهم فليندب التّادبون ، ولمثلهم
 تذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحران فتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ ابن حماد (رحمه الله تعالى)

وداع لبـيـادي شـيـبه فتودعـا	دا قلبه الداعي الوعيد فاسمعـا
وحاذر من عقبي الذنوب فاقلعـا	وأيقن بالترحال فاعتد زاده
وقد مر منك الأطيان فودعـا	إلى كم وحتى ما اشتغالك بالمنى

(1) سورة الشعراء / 227.

أيقنع بالتفريط في الزاد عاقل
إذا نزع الإنسان ثوب شبابه
وشبيك توقيح المنون مقدماً
أطمع أن تبقى وغيرك ما بقي
تدافع بالآمال عن أخذ أهبة
وتسأل عند الموت ربك رجعة
أمالك إخوان شهدت رفاتهم
وأنت فعن قرب إلى الموت صائر
جرت عينه النجلى عن صحن خده
وأنت كضيف لا محالة راحل
تلاقي الذي فرطت واستدرك الذي
ولا تدع الدنيا الغرور فإنما
فقد جعلت دار الفجائع والأسى
كفك بخير الخلق آل محمد
تخطفهم ريب المنون بصرفه
وقفت على أياتهم فرأيتها
وإن لهم في عرصة الطف وقعة
غزتهم بجيش الحق أمة جدهم
كأنى بمولاي الحسين وصحبه
وقد قام فيهم خاطباً قائلاً لهم
ألم تأتني يا قوم بالكتب رسلكم
وأنا جميعاً شبيعة لك لا نرى
وقد جئت للعهد الذي عليكم
فقالوا له ما هذه الكتب كتبتنا
فقالوا له هي هيات بل لنسوقكم
فإن لم تجيبوا فالأسنة بيننا

رأى الرأس منه بالمشيب تقنعا
فليس ترى إلا إلى الموت مسرعا
بأنك لموت في غد متوقعا
فليس نرى للنفس في العيش مطمعا
ليوم إذا ما حم لم يغن مدفعا
وبهات أن تعطي هنالك مرجعا
وكنتم لهم نحو القبور مشيعا
وينعك للإخوان ناع لهم نعي
فاصبح بين الدود نهباً موزعا
ومسترجع ما كان عندك مودعا
مضى باطلاً واصنع من الخير مصنعا
هلاكك فيها إن تغر وتخدعا
فلمست ترى إلا مزاراً مفجعا
أصابهم هم المصائب أجمعا
فاغرب بالارزاء فيهم وابدعا
خراباً أراباً قفرة الجو بلقعا
تكاد لها الأطواد أن تتزعزعا
ولم ترع فيهم من لهم كان قد رعا
وجيش ابن سعد حولهم قد تجمععا
ولم يك من ريب المنون ليجزعا
تقولون عجل نحونا السير مسرعا
لغيرك في حق الإمامة موضعا
فما عندكم في ذاك قولوا لأسمعا
فقال لهم خلوا سبيلي لارجعا
إلى ابن زياد كارهين وخضعا
يجرركم أطرافها السم منقعا

فقال لهم يا ويلكم فتباعـدوا
سنوردكم حوض الردى قبل ورده
فبادر أصحاب الحسين إليهم
إذا ما أتوا نحو الشريعة للظما
لقد صبروا لا ضيع الله صبرهم
إلى أن ثووا صرعى على الترب حوله
ووافوا إلى مولاي إذا ظل وحده
فشده عليهم شدة علوية
كفعل أييه في الحروب وضربه
إلى أن ثوى عن سرجه متعفراً
وأقبل شمر الرجس فاحتز رأسه
وشال سنان في السنان برأسه
ومالوا على رحل الحسين وأهله
فلو تنظر النسوان في ذلة السبا
وزينب ما تنفك تدعو باختها
أيا أخت أخت من بعد الحسين نعه
أيا أخت هذا اليوم آخر عهدنا
أيا أخت لو أن الذي بي من الأسى
أيا أخت أبكي لليتامى بذلة
فيا مؤمناً في زعمه متشيعاً
أذبج في يوم به ذبح العدى
ويألف في عاشور جنبك مضجعاً
أيضحك منك الثغر من بعد أن غدى
أينهب فيه رحل آل محمد
فيا ليت سمعي صم عن ذكر يومه
سأبكي دمماً بعد الدموع لفقده

عن الماء كي نروي فقالوا له معاً
ومالوا عليه بالأسنة شرعا
فرادى ومثنى حاسرين ودرعا
رأوا دونها زرق الأسنة شرعا
ولم يك عند الله صبر مضيعاً
فلله ذاك المصرع الطف مصرعا
فلا قوة إذ لاقوا شجاعاً سمدعا
فخلي نياط القوم منها مقطعا
وهل تلد الشجعان إلا مشجعا
يلاحظ فسواط النساء مودعا
وخلف منه الجسم شلوا مبضعا
كيدر الدجى وافي من التم مطعنا
فيا يومهم ما كان أدهى واشنعنا
يسقن على رغم عطاشى وجوعنا
أيا أخت ركني قد وهى وتضعضنا
لحادثه الأيام حصناً ممنعنا
فبعد حسين قط لن نتجمعنا
برضوي إذا لانهدا ولتزعزعا
ونوحى وابكى للأرامى ضيعنا
ولا مؤمن إلا الذي قد تشيعنا
أمامك فاعفر عفر خديك لالعنا
وترب الفلا أضحى لمولاك مضجعنا
به ثغر مولاك الحسين مقرعنا
وبيتك فيه لا تزال موسعنا
ويا ليت لم يخلق لي الله مسمعنا
وإن لم يكن يترك لي الحزن مربعنا

أشيعه آل المصطفى من يلومني
برئت إلى الرحمن ممن شئناهم
ولائي لهم شفع البرا من عدوهم
أوالي الذي سمى لكثرة علمه
ومدح ابن حماد لآل محمد

على بغض من يشني الشفيع المشفعا
ولا زلت أبكيهم إلى أن أشيعا
بذلك أرجوهم غداً لي شفعا
بطيناً كما سمى من الشرك انزعا
يرجى بأن يجزى لدى البعث ما سعا

الباب الثالث

أيها الأصحاب والإخوان ، أطيلوا الأشجان والأحزان وابكوا لسادات الزمان ، فيا ليت علمي ماذا يقول ظالم بضعة الرسول، إذ حاولوا إطفاء نور خاتم النبیین ومحو آثار ذرئته من بين العالمين ، فتعساً لهم ! ما حملهم على غضب البتول ابنة النبي الرسول ؟ وعلى ماذا أنفسهم وطنوا وعلى أي شيء اعتمدوا وركنوا ؟ فهل كانت إلا أيام قلائل وفيء زائل ، ثم يردون على الهول الطائل : ﴿ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (1).

فيا إخواني ، إذا ذكرت مصابهم في تلك الأيام وما حلّ بهم من الآلام العظام ، يعتزني الهتم والحزن حتى تكاد تخرج روعي من البدن ، فاتمّني من أبتّ حزني إليه ؛ ليساعدني ويسعفني على ما أنا عليه .

لا تحسبوا مدمعي المبيض غير دمي وإنما نار أنفاسي تصعد
روي عن عبد الحميد (ره) ، قال : بينما الحسين (عليه السلام) واقف في ميدان الحرب يوم الطفّ وهو يستعطف القوم شربة ماء ، وهو ينادي : ((هل من راحم يرحم آل الرسول المختار ؟ هل من ناصر ينصر الذرّيّة الأطهار ؟ هل من مجير لأبناء البتول ، هل من ذاب يدب عن حرم الرسول ؟)) . إذ أتى الشمر اللعين إليه حتى صار بالقرب منه ، ونادى : أين أنت يا حسين ؟ فقال : ((ها أنا ذا)) . فقال : أتطلب منّا شربة من الماء ؟ هذا مطلب محال ، ولكن ابشر بالنار الحمراء وشرب الحميم . فقال الحسين (عليه السلام) : ((من أنت يا لعين ؟)) . فقال : الشمر . فقال الحسين (عليه السلام) : ((الله أكبر ، صدق جدّي رسول الله في رؤياه من قبل)) . فقال له الشمر : في أي شيء صدق جدك ؟ فقال (عليه السلام) : ((قال جدّي : رأيت في منامي كلباً أبقع يأكل من لحوم أهل بيتي ويلعق

(1) سورة التحريم / 6.

من دمائهم .وأما أنا فإنّي رقدت الآن , فرأيت في منامي كلاباً كثيرة تريد تنهش من لحمي وتشرب من دمي , وكان فيهم كلب أبقع وكان أشدهم عليّ جرأة وأكثرهم عليّ حنقاً , وهو أنت يا شمر ((.- وكان الشّمر لعنه الله أبقع الجسد - قال : فغضب الشّمر من كلام الحسين وازداد حنقاً وبغضاً , وقال : والله لا يقتلك غيري , ولأذبحنك من قفاك ؛ ليكون ذلك أشدّ بك :

لييك على الإسلام من كان باكياً فقد هدمت أركانه ومعالمه
وقد ذهب الإسلام إلا بقية قليل من الدنيا الذي هو لازمه

فيا لهفاه على مصاب الإسلام بعصابة جعلهم الله تعالى رحمة للأنام , بهم تتحصّل الخيرات وتكتسب الفضائل والكمالات ,
فيا خيبة من ناوأهم ويا خسران من أبغضهم وعاداهم !

روي عن بعض الثّقاة : أنّ عبد الله بن عمر لما بلغه أنّ الحسين (عليه السلام) متوجه إلى العراق , جاء إليه وأشار عليه بالطّاعة والإنقياد لابن زياد وحذّره من مشاقّة أهل العناد , فقال له الحسين (عليه السلام) : ((يا عبد الله , إنّ من هوان هذه الدّنيا على الله , أنّ رأس يحيى بن زكريا (عليه السلام) أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل , فامتلاً به سروراً ولم يعجل الله عليهم بالإنّقام , وعاشوا في الدّنيا مغتبطين . ألم تعلم يا عبد الله , أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس سبعين نبياً , ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأثم لم يفعلوا شيئاً , ولم يعجل الله عليهم بالإنّقام , بل أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ؟)) .

ثمّ قال ((يا عبد الله , اتق الله ولا تدعن نصرتي ولا تركزن إلى الدّنيا ؛ لأنّها دار لا يدوم فيها نعيم ولا يبقى أحد من شرّها سليم , متواترة محنها متكاثرة فتنها , أعظم النّاس فيها بلاء الأنبياء , ثمّ الأئمة الأمناء ثمّ المؤمنون ثمّ الأمثل بالأمثل)) .

قال (عليه السلام) : ((يا عبد الله , قد حُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة , وما أولهني إلى لقاء أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف , وخير مصرع أنا لاقيه , كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين التّواويس وكربلاء , فيملاًنّ منّي أكراشاً جوفاً وأجوفة سغباً , لا محيص يوم خطّ بالقلم , رضا الله رضانا أهل البيت , نصبر على بلائه ليوافينا أجور الصّابرين , لن تشدّ عن رسول الله لحمته , هي مجموعة لنا في حظيرة القدس , تقرّهم عينه وينجز لهم وعده , فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه ؟

فليرحل معي ، فإنِّي راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى)) .

ثمّ لقيه أبو هريرة الأسدي ، فقال له : يا بن رسول الله ، ما الذي أخرجك من حرم جدك مُحَمَّد المصطفى ؟ فقال : ((يا أبا هريرة ، إنّ بني أمية أخذوا مالي فصبرت ، وشتماوا عرضي فحملت ، وطلبوا دمي فهربت عن حرم جدّي)) . وكان يزيد أنفذ عمر بن العاص في جيش عظيم وولاه أمر الحاج ، وأوصاه أن يقبض على الحسين سرّاً ويقتله غيلة ، ألا لعنة الله على القوم الظالمين .

قال : ثمّ جاء إليه عبد الرحمن بن الحرث ، وأشار عليه بترك ما يجزم عليه من المسير إلى الكوفة وبالغ معه ، ودكّره ما فعله أهل الكوفة بأبيه وأخيه من قبله ، وحدّره منهم غاية الحذر ، فشكر له الحسين (عليه السلام) ، وقال : ((لقد اجتهدت برأيك هذا ولكن مهما يقض الله يكن ، وأيم الله ، لتقتضي [ليقتلني] الفئة الباغية ، وليسلبنهم الله بعد قتلي ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً في رقابهم ، ثمّ يسلّط الله عليهم من يذلّمهم حتّى يكونوا أذلّ من قوم سبأ ، إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم وأولادهم ودمائهم ، وكذلك أمية)) :

إن كان منزل دمعي لا أنيس له فإن رسم الكرى عن مقلتي درسا

ما زلت أجد ما القى وادفعه فاستشهد العاذلون الدمع والنفسا

روي عن الصادق (عليه السلام) ، أنّه قال : ((دخل جابر الأنصاري إلى أبي في مدينة الرسول ، فقال له : يا جابر ، بحق جدّي رسول الله ، ألا أخبرتني عن اللوح ، رأيته عند أمي فاطمة الزهراء ؟ فقال جابر (ره) : أشهد بالله العظيم ورسوله النبي الكريم ، لقد أتيت إلى فاطمة الزهراء في بعض الأيام ؛ لأهنئها بولدها الحسين (عليه السلام) بعدما وضعته بستة أيّام ، فإذا هي جالسة ويدها لوح أخضر من زبرجدة خضراء ، وفيه كتابة أنوار الشمس ، وله رائحة أطيب من المسك ، فقلت لها : ما هذا اللوح يا بنت رسول الله ؟ فقالت : هذا اللوح أهده الله إلى أبي رسول الله ، فيه اسم مُحَمَّد المصطفى واسم عليّ المرتضى واسم ولدي الحسن والحسين ، واسماء الأئمة الباقيين من ولدي . فسألتها أن تدفعه إلي ؛ لانظر ما فيه ، فدفعته إلي فسررت به سروراً عظيماً ، فقلت لها : يا ستّ النساء ، هل تأذنين لي أن اكتب نسخته ؟ فقالت : افعل . فأخذته ونسخته عندي ، فقال له الباقر (عليه السلام) : هل لك أن تريني

النسخة بعينها الآن ؟ فمضى جابر إلى منزله فأتى بصحيفة من كاغد ، مكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من العليم أنزله الروح الأمين على خاتم النبيين أجمعين ، أما بعد ، يا مُحَمَّد ، عَظَمَ اسمائي واشكر نعمائي ، ولا تجحد آلائي ولا ترج سوائي ولا تخشى غيري ، فمن يرجو ويخشى غيري ، أعدّبه عذاباً لا أعدّب به أحداً من العالمين . يا مُحَمَّد ، إنِّي اصطفتك على سائر الأنبياء ، وفضلت وصيكت علياً على سائر الأوصياء ، وجعلت ولدك الحسن عيبة علمي بعد انقضاء مدّة أبيه ، وجعلت الحسين خير أولاد الأوّلين والآخرين ومن نسله الأئمة المعصومين ، وعليه تشب فتنة صمّاء ، فالويل كلّ الويل لمن حاربه وغضبه حقّه ! ومنه يعقب زين العابدين ، وبعده مُحَمَّد الباقر لعلمي والدّاعي إلى سبيلي على منهاج الحقّ ، ومن بعده جعفر الصّادق القول والعمل ، ومن بعده الإمام المطهر موسى بن جعفر ، ومن بعده عليّ بن موسى الرضا ، يقتله كافر عنيد ذو بأس شديد ، ومن بعده مُحَمَّد الجواد يُقتل مسموماً ، ومن بعده عليّ الهادي يُقتل بالسّم ، ومن بعده الحسن العسكري يُقتل بالسّم ، ومن بعده القائم المهدي ، وهو الذي يقيم اعوجاج الدّين ويأخذ ثأر الأئمة الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو رحمة للعالمين وسوط عذاب على الظّالمين ، وسألقي عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب ، فتذلّ أوليائي قبل ظهوره وتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس التّرك والدّيلم ، فيظهر حجّتي فيهم ، فيقتلون ويُحرقون وتُصبغ الأرض من دمائهم ، ويفشوا الويل والرنة في نسائهم ، أولئك أوليائي حقّاً ، بهم أذفع كلّ فتنة عمياء هندسية ، وبهم أكشف الزّلازل وأرفع الأسلال⁽¹⁾ والأغلال

: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾⁽²⁾ .

فقال بعض أصحاب الصّادق (عليه السلام) : يا مولانا ، لو لم نسمع في دهرنا إلّا فضل هذا الحديث ، لكفانا فضله . وقال (عليه السلام)⁽³⁾ : ((ولكن فضنه إلّا عن أهله)) .

فانظروا أيّها الإخوان الأبرار إلى ما فعل بالأئمة الأطهار ، الأشقياء الكفرة الفجرار ، فيا ويلهم ماذا يجيئون عند بكاء الرّسول لمصاب ذرّيّة البتول ، وبكاء إبراهيم خليل الرّحمن وغضب لغضبهما الملك الدّيان ! : ﴿هَذَا لِك تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَصَلَّى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾⁽⁴⁾ .

فعلى الأطائب من أهل الرّسول فليبك الباكون وأياهم فليندب التّادبون ، ومثلهم تذرف الدّموع من العيون ، أو لا

(1) الموجود في الكافي : 528 / 1 : وأدفع الأصار . (مؤسسة الإمامين الحسينين).

(2) سورة البقرة / 157 .

(3) ولكن الوارد في المصادر المعتمدة كالكافي 528/2 ، وغيره : قال أبو بصير : لو لم نسمع في دهرنا ، إلّا هذا الحديث لكفناك ، فضنه إلّا عن أهله . (معهد الإمامين الحسينين).

(4) سورة يونس / 30 .

تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ محمود بن طريح النجفي (رحمته الله)

هجو عي وتلذذي علي محرم
أجدد حزنناً لا يزال مجدداً
وأبكي على الأطهار من آل هاشم
هم العروة الوثقى هم المعدن التقى
هم العترة الداعي إلى الرشيد حبه
بهم نطقت مدحاً من الله (هل أتى)
وجدهم الهادي النبي وأمههم
يعز على المختار والطاهر حيدر
وقد سار بالرهط الحسين بن فاطمة
إلى أن أتى أرض الطفوف بأهله
فقال فما هذي البقاع التي بها
فقال تسمى نينوى نينوى قال أوضحوا
نعم هذه والله أخير جدنا
وفي هذه الأذان تهوي إلى الثرى
وفي هذه تبعدوا البنات حواسراً
وفي هذه النسوان يبرزن هتكاً
وتخرم أقراط وتدمي أساور
وتستعطف النسوان آل أمية
وسار ابن سعد واللعين ابن خولة
فلما أحاطوا بالحسين تناوبوا
وأقبلت الأعداء من كل جانب
وصال أمامي بالطغاة مجادلاً
وجالدهم بالبيض ضرباً وبالقنا
إلى أن فنوا أصحابه ورجالهم

إذا هل في دور الشهور المحرم
ولي مدمع هام همول مسجم
وما ظفرت أيدي أولي البغي منهم
هم الشرف السامي نور الهدى هم
ينبتنا فيه الكتاب المعظم
(وطه) (ويس) (وعم) (ومريم)
بتول ومولانا علي أبوهم
وفاطمة بالطرف رزء معظم
لكتب من الطاغين بالخدع تقدم
فلم ينبعث مهر ولم يجر منسم
وقفن تسمى (كربلاء) قال خيموا
فقالوا تسمى (كربلاء) قال خيموا
بأن بها تسمى نسانا وتظلم
وفي هذه الأطفال بالبرغم تيتتم
وتوجع ضرباً بالسياط وتشتم
بغير شعور والسعور تترنم
وتسلب خمير والخلاخل تقصم
فلم تر من يحنو عليها ويرحم
وشمر وطم الأرض جيش عرمم
وأكيفهم ليل من الكفر مظلم
على الظلم واشتاقت إليهم جهنم
كما صال بالأغنام ليث غشمشم
طعاناً وروى الأرض بالدم منهم
وأضحى فريداً ألفه الترب والدم

فنادى ألا هل ناصراً ومجاهداً
فلم يلق إلا سميراً يجييه
وداروا عليه بالقسي فأرسلت
فأصدفه سهم الردى متشعباً
فجد له الأرض ملقى على الثرى
فقام إليه الشمر يسعى وقد جثى
وأقبل مهر السبط نحو خيامه
فلما رأى من الطاهرات خرجن في
وبادرن نحو السبط وهو مرملة
رأت زينب صدر الحسين مرضضاً
وصكت من الضرب المبرح وجهها
تقول أخي قد كنت نوراً لشمنا
أخي يا أخي قد كنت كنزاً لفقرا
أخي يا أخي قد كنت كهفاً لعزنا
أخي زود الأطفال وعدداً وأوبة
أخي زود الولى سكينه نظرة
أخي تهوى التقييل منك سكينه
أخي فاطم الصغرى تحب التفاتة
أخي بنتك الأخرى رقية ضمها
تقولوا هلمى يا سكينه نرتقى
وإلا فقومى ودعيه فإنه
ولم أنس وجداً أم كلثوم تشتكى
أيا جد هل تنظر حسيناً مرملاً
وهل تنظر السجاد بالقييد موثقاً
أيا جدنا هذى بناتك حسراً
أيا جدنا ساقوا علينا مكابلاً

يجاهد عن آل النبي ويغنم
وإلا يمانياً به الموت يعلم
لجثمانه نبل فرادى وتوأم
ثلاثاً تلقاها الوريد المكرم
طريحاً له الذراري شراب ومطعم
على صدره والشمر رجس مزعم
يحمم عرياناً وينعي ويلطم
أذل السبا كل إليه تقدم
يكلمنه شجواً ولا يتكلم
فصاحت ونار الحزن في القلب تضرم
ولم تر صبراً من جوى الشكل يعصم
فيا سورنا لم أنت فينا مهدم
فها أنت في أيدي العدى تقسم
لم ترنا بالذل نسبي ونشتم
فليس سوى الباري وإياك يرحم
فمجتها حارى وعبرتها دم
وشمر لها بالسوط ضرباً يؤلم
وحقك هذا قلبها فيك مغرم
إليك فأحشاها من الوجد تضرم
على والدي دعنا من الموت نسلم
يروم إرتحالاً بعده ليس يقدم
إلى جدها يا جد لو كنت تعلم
لأضلعه خيل العدة تحطم
يضربه التكييل سحباً ويشتم
أسارى قرط ابن بنتك تقسم
لينظره الطاغى يزيد المزم

أيا جـدنا رأس الحـسـين يـقلـه
فـيـالـك مـقـتـولـا أصـيـب بـقـتـلـه
وـيـالـك مـن رـزـة عـظـيـم إذا بـه
وـيـالـك مـن يـوم مـهـول تـزـلـزـلت
وـيـالـك مـن حـزـن كـأن مـذاقـه
أـتـسـي كـرـيـمـات الحـسـين عـلـى الضـنـا
أـل لـعـن الـرـحـمـن آل أـمـيـة
وأشـيـاعـهـم والتـابـعـين لـقـولـهـم
فـيـا عـتـرة الـهـادـي خـذـوهـا بـمـدـحـكـم
عـلـى كـل بـيـت للـمـدـيـح يـتـيـمـة
تـزـف إلـيـكـم كـل عـشـر مـحـرم
مـدـيـحاً لمـحـمـود العـزـيـز عـبـدكـم
مـوالـي مـوالـيـكـم مـعـادـي عـدوكـم
وـيـرـجـي بـهـا يـوم الـقـيـامـة شـرـبـة
خـذـوا لـي وآبـائـي وأـمـي ووالـدي
ورـهـطـي وإخـوانـي وقـارنـن مـدحـتي
وـفـي الخـلـد نـرـجـو تـدخـلـونـا بـجـاهـكـم
صـلاة وتـسـلـيـم مـسـاء وبـكـرة

سـنـان سـنـاه بـالقـنـاة مـحـكـم
مـلائـكـة الـرـحـمـن والـجـن مـعـهـم
تـقـاس الـرـزـايـا كـلـهـا فـهـو أـعـظـم
لـه الأـرض والأطـيـار بـالجـو حـوم
عـلـى شـيـعة المـخـتـار صـاب وعـلـقـم
وـيـكـنـف نـسـوان العـلـوج المـخـيـم
وأشـيـاخـهـم مـع مـن تـنـاسـل مـنـهـم
ومـن لـهـم بـالقـلـب يـهـوى وـيـرحـم
مـدـبـجـة كـالـدـر حـيـن يـنـظـم
بـأـسـمـاع مـن يـهـواكـم تـتـقـسـم
يـتـوق إلـيـهـا الشـاعـر المـتـزـم
لـه بـاعـادـيـكـم مـن اللـعـن أـسـهـم
مـودتـهـ في حـبـبـكـم لا تـكـتـم
مـن الحـوض يـا أهـل الشـفـاعـة مـنـكـم
أـمـاناً مـن أذى النـار وأـرحـم
ومـسـتـمـعـيـها واعـطـفـوا وتـرحـم
فـلـيـس لـنـا إلـا النـبي وأنـتـم
مـن اللـه عـد الـنـذر تـتـرى عـلـيـكـم

المجلس الثامن

من الجزء الثاني ، في التاسع من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

أيها الإخوان ، أكثروا رحمكم الله التّوح والأشجان ، واطهروا شعائر الأحزان على سادات الرّمان ، وأولي الكرم والفضل والإحسان خصوصاً في شهر عاشوراء ، وإن كان حزنهم خليقاً في كل الشّهور .

وكيف لا نبكي على مصاب من لا يحصل لنا من النّار الخلاص إلّا إذا قمنا في محبتهم بالإخلاص؟! وما لنا لا نعادي أعداء قوم محبتهم يحبهم الجبار ومبغضهم يورده موارد أهل النّار؟! ففي الخبر عن سيّد البشر ، أنّه قال ذات يوم لبعض أصحابه: ((يا عبد الله ، احبب في الله وابغض في الله ووال في الله وعاد في الله ، فإنّه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه ، حتّى يكون ذلك كذلك)) . فقال له : يا رسول الله ، وكيف لي أن اعلم أيّ قد واليت في الله وعاديت في الله ، ومَن وليّ الله عزّ وجلّ حتّى أواليه ، ومَن عدوه حتّى أعاديه ؟ فأشار رسول الله (ﷺ) إلى عليّ (عليه السلام) ، فقال : ((أترى هذا ؟)) . قال : بلى . قال : ((وليّ هذا وليّ الله ، وعدو هذا عدو الله ، فوال ولي هذا لو أنّه أبوك ، وعاد عدوه لو أنّه أبوك)) :

إذا كنت تموى القوم فاسلك طريقهم فمما وصلوا إلّا بعد العلائق

وما نقل الهندي وهو حديده على الكتف إلّا بعد دق المطارق

فيا هذا : أيلام من شقّ الجيوب ، جيوب القلوب لا جيوب الثياب ، أو يعتف من أجرى الدّماء لا الدّموع على هذا

المصاب ؟ كلا ، حاشا لله حقهم لا

يقضي وشكرهم لا يؤدي ، لكن من بذل الاجتهاد كان جديراً أن يحصل المراد.

روي عن أبي حمزة الثمالي ، قال : أتيت إلى سيدي ومولاي علي بن الحسين (عليه السلام) وهو في داره في مدينة الرسول ، فاستأذنت عليه بالدخول فاذن لي ، فدخلت عليه فوجدته جالساً ، وإذا على فخذه صبي صغير وهو مشغوف به ، وهو يقبله ويحنو عليه ، فقام الصبي يمشي فعثر فوقع على عتبة الباب ، فانشج رأسه فوثب إليه مهولاً وقد أحزنه ذلك ، فجعل ينشف دمه بخرقه وهو يقول له : ((يا بني ، أعينك بالله أن تكون المصلوب في الكناس)) . فقلت له : يا مولاي فذاك أبي وأمّي وأبيّ كناس؟! فقال : ((يُصلب ابني هذا في موضع يُقال له الكناس من أعمال الكوفة)) . فقلت : يا مولاي أو يكون ذلك؟! قال : ((والله سيكون ذلك ، والذي بعث محمدًا بالحق نبياً ، لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة وهو مقتول مسحوب ، ثم يُدفن ويُنبش ويُصلب في الكناس ، ثم يُنزل بعد زمان طويل فيحرق ويُذرى في الهوى)) . فقلت : جعلت فداك ! وما اسم هذا الغلام ؟ قال : ((هذا ابني زيد)) . وهو مع ذلك يحدثني ويبيكي ، ثم قال لي : ((أتحب أن أحدثك بحديث ابني هذا ؟)) . قلت : بلى .

قال : ((بينما أنا ليلة ساجداً في محرابي ، إذ ذهب بي النوم فرأيت كأني إلى الجنة ، وكأن رسول الله وعلياً والحسن والحسين وقد زوجوني بحورية من حور العين ، فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى ، وإذا أنا بهاتف يقول : أتحب أن أبشرك بولد اسمه زيد ؟ فاستيقظت من نومي وقمت وصلّيت صلاة الفجر ، وإذا أنا بطارق الباب ، فخرجت إليه ، فإذا معه جارية وهي مخمرة بخمار ، فقلت له : ما حاجتك ؟ فقال : أريد علي بن الحسين . فقلت : أنا هو . فقال : أنا رسول المختار إليك ، وهو يقرئك السلام ويقول : قد وقعت هذه الجارية بأيدينا ، فاشتريتها بستمائة دينار وقد وهبتها لك ، وهذه أيضاً ستمائة دينار أخرى فاستعن بها على زمانك . فدفعت إليّ المال ومعه كتاب ، فقبضت المال والجارية ، فقلت لها : ما اسمك ؟ قالت : اسمي حورية . فقلت : صدق الله ورسوله ، هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقاً . فدخلت بها تلك الليلة فإذا هي غاية الصلاح ، فعلمت أنّي بهذا الغلام ، فلمّا وضعته سمّيته زيداً ، وسترى ما قلت لك)) .

قال أبو حمزة الثمالي : فو الله لقد رأيت زيدا مقتولاً ، ثم سُحب ثم دُفن ثم نُشر ثم صُلب ، ولم يزل مصلوباً زماناً طويلاً حتى عسعشت الفاختاة في جوفه ، ثم أُحرق وذري في الهواء رحمة الله عليه .

وروى فضله عن بعض الأخبارين ، قال : سألت خالد بن فضله عن فضل زيد بن زين العابدين (عليه السلام) ، فقال : أي رجل كان . فقلت : وما علمت عن فضله ؟ قال : كان يبكي من خشية الله تعالى حتى تختلط دموعه بدمه طول ليله ، حتى اعتقد كثير من الناس فيه الإمامة ، وكان سبب اعتقادهم ذلك منه ؛ لخروجه بالسيف يدعو بالرضى من آل محمد (عليهم السلام) ، فظنوه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريد بها ؛ لمعرفته باستحقاق من قبله ، وكان سبب خروجه ؛ الطلب بدم جدّه الحسين (عليه السلام) ، وأنه دخل يوماً على هشام بن عبد الملك ، وقد كان جمع له هشام بني أمية ، وأمرهم أن يتضايقوا في المجلس ؛ حتى لا يتمكن زيد من الوصول إلى قربه ، فوقف زيد مقابله وقال له : يا هشام ، ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصي بتقوى الله في عباده ، وأنا أوصيك بتقوى الله فاتقه . فقال هشام : يا زيد ، أنت المؤهل نفسك للخلافة ، وأنت الرّاجي لها؟! وما أنت وذاك لا أم لك ، وإنما أنت ابن أمة . فقال له زيد : إني لا اعلم أحداً أعظم عند الله من نبي بعثه ، فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث الله إسماعيل نبياً وهو ابن أمة ، فالتبوة أعظم أم الخلافة ؟ وبعد ، فما يقصر في رجل جدّه رسول الله وهو ابن عليّ بن أبي طالب أن يكون ابن أمة .

قال : فنهض هشام مغضباً ودعا قهرمانه وقال : والله ، لآتين هذا بعسكر يضيق به الفضاء . وخرج زيد وهو يقول : لم يكره قوم قط حرّ السيف إلا ذلوا . ثم إنّه توجه إلى الكوفة فاجتمع عليه أهلها وبايعوه على الحرب معه . فنقضوا بيعته وسلموه لعدوه ، فقتل رحمة الله عليه وصُلب في موضع يُقال له الكناس ، وبقي مصلوباً بينهم أربع سنوات لا ينكر أحد منهم بيد ولا لسان ، وقد عسعشت الفاختاة في جوفه ، وقد خانوا به أهل الكوفة ونقضوا بيعته كما خانوا آبائه وأجداده من قبل ، ألا لعنة الله على القوم الظالمين .

قال : فلما بلغ قتله إلى الصادق (عليه السلام) ، حزن عليه حزناً عظيماً وجعل يئنّ من وجده عليه ، وفرّق من ماله صدقة عنه وعمّن أصيب معه من أصحابه لكلّ بيت منهم ألف دينار ، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر صفر سنة عشرين

ومئة من الهجرة ، وكان عمره يوم قُتل اثنين وأربعين سنة ، قال : فلما قُتل زيد ، سرّ بقتله المنافقون وحزن له المؤمنون ، وأمّا هشام بن الحكم ، فإنه فرح بقتله وعمل يوم قتله عيداً ، وأنشد يقول :

صلبنا لكم زيدياً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من عليّ وأطيب

قال : فبلغ قوله إلى الصادق (عليه السلام) ، فاغتم منه غمّاً شديداً ، ورفع يديه إلى نحو السماء وهما يرتعدان من شدة عرقه ، وقال : ((اللهم ، إن كان عبدك الحكم كاذباً ، فسلط عليه كلباً من كلابك يأكله)) .

قال : فأرسله بنو أمية إلى الكوفة ، فافترسه الأسد لعنة الله عليه ، فوصل خبره إلى الصادق (عليه السلام) ، فخرّ ساجداً لله ؛ لسرعة إجابة دعائه ، وقال : ((الحمد لله الذي انجز وعده وأهلك عدوه ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1))) . لقد غرّتهم الدنيا الدنية حتى أردتهم وأهلكتهم ، فحسبهم جهنم وساءت مصيراً ، يوم لا يجدون من الله ولياً ولا نصيراً .

ألا يا بايعاً ديناً بديننا غروراً لا يدم لها نعيم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

نقل : أنه كانت الدولة لبني أمية ألف شهر ، وكانوا لا يزالون يأمرن الخطباء بسبّ عليّ بن أبي طالب على رؤوس المنابر ، فأول من تأمر منهم معاوية عليه اللعنة ومدّة خلافته عشرون سنة ، ثمّ تخلف من بعده ولده يزيد عليه اللعنة ثلاثة سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ، ثمّ تخلف من بعده معاوية بن يزيد شهراً واحداً وأحد عشر يوماً ، وترك الخلافة ؛ خوفاً من عذاب الله ، واعترف بظلم آبائه وعرف الناس ذلك وهو قائم على المنبر ، حتى أنّ أمه لامتته على ذلك ، فقالت له : ليتك كنت حيضة ولم تكن بشراً ، أتعزل نفسك عن منصب آبائك؟! فقال لها : يا أمّاه ، وأنا والله وددت أن أكون حيضة ، ولا أطأ موطناً لست له بأهل ، ولا ألقى الله عزّ وجلّ بظلم آل محمّد .

ثمّ تخلف من بعده عبد الملك بن مروان عليه اللعنة إحدى وعشرين سنة وشهراً ، ثمّ تخلف من بعده الوليد بن عبد الملك بن مروان عليه اللعنة إحدى وعشرين سنة وشهراً ، ثمّ تخلف من بعده الوليد بن عبد الملك تسع سنين

(1) سورة الشعراء / 227.

وثمانية أشهر ويوماً واحداً ، ثم تخلف من بعده أخوه هشام بن عبد الملك ، تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام ، ثم تخلف مروان الحمار خمس سنين وشهراً وثلاثة عشر يوماً ، فملك بنو أمية ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر ، يكون المجموع ألف شهر ، وهم مع ذلك يسبون علياً (عليه السلام) . ثم تخلف عمر بن عبد العزيز وأبطل السب عن عليّ .

فلما قُتل الحسين (عليه السلام) لم تقم لبني أمية قائمة حتى سلبهم الله ملكهم وضمحلّ ذكركم ، فلما تولّى السفاح ، أحمد بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستأصل الأكثر منهم ، ألا لعنة الله على القوم الظالمين . وعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون ، وإياهم فليندب النادبون ، ولمثلهم تذرّف الدّموع من العيون ، أولاً تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابع عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة لابن حماد (رحمة الله)

ويك يا عين سحي دمعاً سكوباً	ويك يا قلب كن حزيناً كئيباً
ساعداًني سـعدتما فعسى	أشفي غليلاً من لوعة وكروبا
إن يوم الطفوف لم يبق لي من	لذة العيش والرقاد نصيباً
يوم صارت إلى الحسين بنو حرب	بجيش فنـزلوه الحـروباً
وحموه من الفرات فما ذاق	سوى الموت دونـه مشروباً
في رجال باعوا النفوس على الله	فـالوا ببيعها المرغوباً
لست أنساه حين أيقن بالموت	دعاهم فقام فيهم خطيباً
ثم قال الحقوا بأهلكم إذ	ليس غيري أرى لهم مطلباً
شكر الله سـعيتكم إذ نصحتهم	ثم أحسنتم لي المصحباً
فأجابوه ما وفيناك إن نحن	تركناك بالطفوف غريباً
أي عذر لنا يوم نلقى	الله والطهر جر جـدك المنـدوباً
حاش لله بل نواسيك أو يأخذ	كل من المنون نصيباً
فبكى ثم قال جـوزيتم الخير	فما كان سعيتكم ان يخيباً
ثم قال أجمعوا الرجال وشبوا	النار فيها حتى تصير لهيباً
وغدا للقتال في يوم عاشوراء	فأبدي طعننا وضرباً مصيباً

فكأنني بصحبه حوله صرعي
فكأنني أراه فـرداً وحيـداً
حاملاً طفله بقلبه حتى
وكأنني أراه إذ خـر مطعـوناً
وكأنني بمهـره قاصداً الفسـطاط
وبرزن النساء حتى إذا أبصرن
فكأنني بزینب إذ رأته
أقبلت نحو اختها ثم قالت
أخت يا أخت كيف صبرك عنه
ثم خـرت عليه تلثم خديه
وتناديه يا أخي لو رأته
يا أخي لا حيتت بعدك هيهات
كنت حصني من الزمان إذا ما
ضـاقت الأرض بي وكانت علينا
يا هـلالاً لمـاً استتم كمالاً
يا قضيباً اغضى ما كان أودته
ما توهمت يا شقيق فـؤادي
عد يتاماك إن أردت منيلاً
فلعلني أسـر فيك وليلاً
يا أخي حق فيك ما كنت أخشاه
يا أخي فاطم الصغيرة كلمها
يا أخي قلبك الشـفيق علينا
ما أذل اليتيم حين ينادي
يا أخي لو ترى علياً لدى اليتيم
يا أخي لو ترى علياً لقد صار
يا أخي ضممه إليك وقربه

لدى كـربلاء شـباباً وشـيباً
ظامياً بينهم يلاقى الكـروبا
قد هو الطفل بالدماء خضياً
على حـر وجهه مكبـوبا
بيدي تحمحمماً ونحيباً
حيارى وقد شـققن الجيـوبا
عـارياً دامى الجـبين تريـبا
وديـه وداع من لا يـؤوبا
وهو كـان المؤمنـل المحبـوبا
وقد صـار دمعها مسـكوبا
حالي رأيت أمراً عجيباً
حياتي من بعدكم لن تطيبا
خفت خطباً دفعت عني الخطوبا
بك يا سيدي فناءً رحيباً
غالبه خسفه فـأهوى غـروبا
رياح الـورى وكـان رطـيباً
كأن هذا مقـدراً مكتـوبا
يا أخي بالرجوع وعـداً قـريباً
وأسـوء الحسـود فيك المـريباً
فظني قد بان فيك كـذوبا
فقد كـاد قلبها أن يـذوبا
ماله قد قسى وصـار صـليباً
بأيـه ولا يـراه مجـيباً
مع الأسـر ما يطـيق وجـوبا
لدى القيد بينهم مسـحوبا
وسـكن فـؤاده المرعـوبا

لا تباعده يا أخخي بعهد إذا
يا أخخي لو تراه مستضعفاً بين
كلمها أوجعه بالضرب ناداك
يا أخخي هل يعز فيك على
يا أخخي زود اليتيم اعتناقاً
عندها قد بكت ملائكة الله
ثم سهرن حاسرات حيارى
وإذا ما رأين بالرأس قد شيل
يتساقطن بالوجه على الأرض
وينادين : يا أقل البرايا
باعدوا الرأس وارحمونا ورقوا
مالنا بيننا وبيدكم الله
يوم عاشور لا رعييت لقد
يا بني المصطفى السلام عليكم
هدني الحزن بعدكم مثل ما هد
ولقد زاد ذكر زيد غليلي
ثم أذري من بعد قبر ونبش
أمة السوء لم تجازوا رسول الله
كل يوم تهتكون حرماً
وتبيحون ما حمى وتشنون
كيف تلقونه شفيفاً وترجون
لا وربي ينال ذاك سوى من
والبيكم يا سادتي قد توجهت
بكم طاب مولد علم الله
ويقيني صفا لكم فصفا سري
وخلعت العذار فيكم فلن

عودته منك ذلك التقريباً
الأعدادي مقيداً مصحوباً
وقد صار دمعه مسكوباً
حين أضحى مكبلاً مضروباً
والتراماً إذا أردت المغيماً
واهتزز عرش ربي غضوباً
ما يفترن رنة ونحيباً
على رأس ذابل منصوباً
ويندبن بالعويدل ندوباً
كلها رحمة وأقسى قلبوباً
لا تزيدوا قلوبنا تعذيباً
لدى الحشر حاكماً وحسبياً
كنت مشوماً على الهداة عصياً
ما أقل الغصون طيراً طروباً
من الحزن يوسف يعقوباً
حين أضحى على الكناس صليباً
وحريق بين الريح نهباً
فبيكم إذ لم يزل متعوباً
من بنيه وتقتلون حبيباً
على أهله الأذى والحروباً
غداً أن يزيل عنكم كرباً
كان مولاهم موال منيباً
مطيعاً لأمركم مستجبياً
وزادت بصيرتي تمهيدياً
وودي قتلت حصنا عجيباً
أقبل عدلاً فيكم ولا تأنيباً

وأنا الشاعر ابن حماد لا ينكر فضلي من كان طبا لبيبا

الباب الثاني

أيها المؤمنون السامعون , اعملوا رحمكم الله الفكر وأطيلوا التأمل والنظر , وانظروا إلى هذا الإمام وشدة صبره على المضض والآلام , وتجرع كؤوس الحمام في رضى الملك العلام , فإنه أمر تحير فيه الأفكار وتذهل في معانيه القلوب والأبصار . ألا ترون إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام) ابتلى بنفسه لا غير حين ألقى في النار , والحسين (عليه السلام) صرع حوله بنوه وبنو أبيه الأطهار وآله وصحبه الأخيار , واغتصبوا نفسه الزكية , فقابل الجمع بالرضى والاصطبار؟! وهذا أمر لم يصل أحد قبل ولا بعد إليه إلا أبوه الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام :

كفأك قسماً لو أكتفيت به إنك في المجد والعلوى علم
بمن يلوذ الراجي سواك ومن به يلوذ اللاجبي ويعتصم

فلا غرو إن بكينا الإمام الحسين (عليه السلام) بدمع ينجل صوب الغمام . أليس هو ابن حبيب الملك العلام ؟ أليس هو سبط سيّد الأنام ؟ أليس هو ثمرة فؤاد الزهراء ؟ أليس من خدامه جبرائيل ؟ أليس من عتقائه دردايل ؟ فيا ويل من ظلمهم وغصبهم حقهم وهضمهم !

نقل : أنه لما أنفذ ابن زياد برأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد لعنه الله , التفت يزيد إلى عبد الملك بن مروان , وقال له : انطلق حتى تأتي عمر بن سعيد بن العاص بالمدينة , فبشره بقتل الحسين . قال عبد الملك : فركبت ناقتي وسريت نحو المدينة , فلما دخلت المدينة , لقيني رجل من قريش فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : عند الأمير تسمعه . فبكى الرجل وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون , قُتل والله الحسين . قال عبد الملك : فلما دخلت على عمر بن سعيد , قال لي : ما وراءك ؟ قلت : ما يسرّ الأمير , قُتل والله الحسين بن عليّ . فاسترّ بذلك سروراً عظيماً , [و] قال لي : اخرج فناد في شوارع المدينة بقتل الحسين ؛ لتسرّ بذلك بني أمية وتكمد بني هاشم . قال : فخرجت فناديت في شوارع المدينة , فلم أسمع واعية قطة [قط] مثل واعية بني هاشم في دورهم ينوحون على

الحُسين (عليه السلام) حين سمعوا النداء بقتله , ثم رجعت إلى عمر بن سعيد بن العاص , فلما رأني تبسم ضاحكاً ثم قال :
 عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
 فالآن أشفينا القلوب بقتله وسقى حسين جرعة لم تشرب
 ثم قال : هذه والله واعية بواعية عثمان . ثم خرج إلى المسجد ورقى المنبر وأعلم الناس بقتل الحسين (عليه السلام) , ودعا ليزيد
 بدوام الملك وشدة السلطان , وسب الحسين وذمه , ثم نزل عن المنبر . فيزداد البكاء والتوح في دور بني هاشم , وقال :
 وخرجت أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين وهي حاسرة ومعها أخواتها ؛ أم هاني وأسماء ورملة وزينب
 بنات عقيل , وهن يبكين قتلهن بطف كربلاء , وواحدة منهن تقول :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
 بعترتي وأهلي بعد مفتقي مني أسارى ومنهم ضرجوا بدم
 ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

قال : فلما كان الليل من ذلك اليوم الذي خطب فيه عمر بن سعيد , إذ سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي ولا
 يرى شخصه :

أيها القاتلون ظلماً حسيئاً إبهروا بالعباد والتكيد
 كل من في السماء يدعو عليكم من نبي وملائك وقبيل
 قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل

فتبأ لهم ما أجرأهم على انتهاك حرمة خاتم النبيين ! وما أقسى قلوبهم على الذريرة الطاهرين , كأنهم لم يسمعوا بفضلهم في
 القرآن المبين على لسان الرسول وجبرائيل الأمين , بلى والله قد سمعوا وعرفوا وعاهدوا عليه وما وفوا ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1).

وابشروا أيها الشيعة وبنوهم , فإن لكم عند الله الأجر العظيم والثواب الجسيم , وتصديق ذلك ما روي عن أمير المؤمنين
 (عليه السلام) , أنه كان يقول لغلامه قنبر : ((أبشر وبشر المؤمنين , أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)))

(1) سورة الشعراء / 227.

مات وهو ساخط على أُمَّته إلا الشَّيعة ، ألا وإنَّ لكلَّ شيء عروة ، وعروة الإسلام الشَّيعة ، ألا وإنَّ لكلَّ شيء دعامة ، ودعامة الإسلام الشَّيعة ، ألا وإنَّ لكلَّ شيء شرفاً ، وشرف الإسلام الشَّيعة ، ألا وإنَّ لكلَّ شيء سيِّداً ، وسيِّد المجالس مجالس الشَّيعة . والله ، لولا من في الأرض منكم ، ما أنعم الله على أهل الخلاف وما لهم في الآخرة من نصيب ، وإنَّ تعبّدوا واجتهدوا وصاموا وصلّوا كثيراً ، لن يدخلوا الجنّة ، وإنَّ شيعتنا ينظرون بنور الله ومن خالفنا ينقلب بسخط الله . والله ، إنَّ فقراءكم أهل الغنى وإنَّ أغنياءكم أهل القنوع ، وإنَّ كلَّكم أهل دعوة الله وأهل إجابته ، أنتم الطَّيِّبون ونساءكم الطَّيِّبات ، كلَّ مؤمن منكم صدِّيق في الجنّة ، وكلَّ مؤمنة حوراء في الجنّة)) .

فيا إخواني ، ما عذر أهل الإيمان في إضاعة البكاء ولبس أثواب الأحران ؛ لمصاب سيِّد الشَّهداء من ولد عدنان ؟ كيف لا ؟! وهو حبيب ربِّ العالمين وابن سيِّد الوصيين وآية الله في العالمين .

ففي الخبر عن ابن مسعود ، أنّه قال : دخلت يوماً على رسول الله (ﷺ) ، فقلت : يا رسول الله ، أرني الحقَّ حتَّى أنظر إليه . فقال لي : ((يابن مسعود الج المخدع)) . فولجت ، فرأيت عليّ بن أبي طالب راکعاً ساجداً وهو يقول عقيب كلِّ صلاة : ((اللّهُمَّ ، بحرمة مُحَمَّد عبدك ورسولك اغفر للخاطئين من شعيتي)) . قال ابن مسعود : فخرجت أخبر رسول الله بذلك ، فرأيتته راکعاً وساجداً وهو يقول : ((اللّهُمَّ ، بحرمة عليّ بن أبي طالب عبدك اغفر للعاصين من أمتي)) . قال ابن مسعود : فأخذني الهلع حتَّى غشي عليّ . فرفع النَّبي رأسه فقال : ((يابن مسعود ، أكفرت بعد إيمانك ؟)) . فقلت : معاذ الله ، ولكنِّي رأيت عليّاً يسأل الله تعالى بك وتساءل الله به ، ولا أدري أيُّكما أفضل ! فقال النَّبي (ﷺ) : ((يابن مسعود ، إنَّ الله عزَّ وجل خلقني وعلقني [وعليّ] والحسن والحسين من نور عظمته قبل الخلق بألف عام حين لا تسبيح ولا تقديس ، ففتق نوري فخلق منه السَّماوات ، وفتق نور عليّ فخلق منه العرش والكرسي ، وعليّ أجلّ من العرش والكرسي ، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم ، والحسن أجلّ من اللوح والقلم ، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والهور والولدان ، والحسين أفضل منهم ، فاطلمت المشارق والمغارب ، فشكت الملائكة إلى الله عزَّ وجلَّ الظُّلمة وقالت : اللّهُمَّ ، بحرمة هذه الأشباح التي خلقتهم إلا ما فرّجت عنّا من هذه الظُّلمة .

فخلق الله روحاً وقرنها بأخرى فخلق منها نوراً ، ثم أضارت الروح⁽¹⁾ ، فخلق منها الزهراء فأضاءت منها المشارق والمغرب ؛ فمن ذلك سميت الزهراء . يابن مسعود ، إذا كان يوم القيامة ، يقول الله عز وجل لي ولعلي : ادخلا الجنة من شئتما وادخلا النار من شئتما ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾⁽²⁾ . والكافر من جحد نبوي والعنيد من عادى علياً وأهل بيته وشيعته)) .

ولله درّ دعبل الخزاعي ، حيث قال :

لزمّت بمأمون على العثرات	ولو قلّـدوا الموصى إليه أمـورهم
ومفـتـرس الأبطـال في الغمـرات	أخـو خاتم الرسل الصفي من القذا
وبدر وأحد شامخ الهضبات	فإن جحدوا كان الغدير شهودهم
وإيثاره بالقوت في اللـزبات	وآي من القرآن يتلى بفضله
عكوف على العزى معاً ومنات	نحى لجبرائيل الأمين وأنتم

روى الشيخ أبو علي الطبرسي في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً إِلَى قَوْلِهِ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً** ﴾⁽³⁾ . قال : نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم تُسمى فضة . وذكر القصة بإسناد عن الصادق (عليه السلام) وابن عباس ، قالوا : ((مرض الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، عادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه رجلان ، فقال أحدهما لأمير المؤمنين : يا أبا الحسن ، لو نذرت في ابنك نذراً عافهما الله تعالى ، فقال علي : أصوم ثلاثة أيام شكراً لله سبحانه ، وكذلك قالت فاطمة وكذا الصبيان وكذا جاريتهما فضة ، فألبسهما الله العافية ، فأصبحوا صياماً وليس عندهم شيء من الطعام ، فانطلق أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى جار له يهودي يعالج الصّوف اسمه شمعون ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : هل لك أن تعطيني جزراً من الصّوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصواع من شعر ؟ فقال اليهودي : نعم . وأعطاه ، فجاء بالصّوف والشّعير وأخبر فاطمة بذلك ، فقبلت وأطاعت ثم عمدت فغزلت ثلثه ، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته فخبزت منه خمسة أقراص ، وصلى أمير المؤمنين صلاة المغرب مع رسول الله ، ثم أتى المنزل فوضع الخوان بين يديه وجلسوا يتعشون خمستهم ، فأول لقمة كسرهما أمير المؤمنين إذا مسكين قد وقف

(1) في المصدر : ثم أضاف النور بالروح . (معهد الإمامين الحسينين).

(2) سورة ق / 24 .

(3) سورة الإنسان/ 5 - 22 .

على الباب وقال : السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوة , أنا مسكين من مساكين المُسلمين , اطعموني مما تأكلون اطعمكم الله من موائد الجنّة . فوضع أمير المؤمنين اللقمة من يده ثمّ قال : يا فاطمة ادفعيه إليه . فعمدت فاطمة إلى ما كان على الخوان جميعه فدفعته إلى المسكين , وباتوا جوعاً وأصبحوا صياماً ولم يذوقوا إلاّ الماء القراح , ثمّ عمدت إلى الثّالث الثّاني من الصّوف فغزلته , ثمّ أخذت صاعاً من الشّعير فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحد قرص , وصلى أمير المؤمنين مع رسول الله صلاة المغرب , ثمّ أتى المنزل , فلمّا وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم , فأول لقمة كسرهما أمير المؤمنين إذا بيتيم ينادي بالباب : السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوة , أنا يتيم من يتامى المُسلمين , أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنّة . فرمى أمير المؤمنين اللقمة وقال لفاطمة : ادفعيه إليه . ثمّ عمدت فاطمة إلى جميع ما على الخوان من الخبز فأعطته لليتيم , وباتوا جوعاً لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صائمين , فعمدت فاطمة إلى الثّالث الباقي من الصّوف فغزلته وطحنت الباقي من الشّعير وعجنته , وخبزته خمسة أقراص لكلّ واحد قرص , فصلى أمير المؤمنين مع رسول الله صلاة المغرب وأتى المنزل فوضع الخوان وجلسوا يتعشون خمستهم , فأول لقمة كسرهما أمير المؤمنين وأراد وضعها في فمه , إذا بأسير من أسارى المشركين ينادي بالباب : السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوة , تأسرونا وتشردونا ولا تطعمونا مما تأكلون , أطعمونا أطعمكم الله من موائد الجنّة . فرمى أمير المؤمنين اللقمة من يده وعمدت فاطمة إلى ما كان على الخوان فجمعته ودفعته إلى الأسير , وباتوا ليلتهم جوعاً وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء)) .

قال شعيب في حديثه : وأقبل عليّ بالحسن والحسين نحو رسول الله وهما يرتعشان كالفراخ من شدّة الجوع , فلمّا نظرهما رسول الله قال : ((يا أبا الحسن , ما أشدّ ما يسوءني ما أراكم فيه)) . فقال : ((يا رسول الله , انطلق معي إلى فاطمة)) . فانطلق , فإذا هي في محرابها وقد لصقت بطنها بظهرها من شدّة الجوع وغارت عيناها في وجهها , فلمّا نظرها رسول الله , ضمّها إليه وقال : ((وا غوثاه ! أنتم منذ ثلاثة أيام على ما أرى)) . فهبط جبرائيل (عليه السلام) وقال : خذ يا محمّد مما هنالك الله في أهل بيتك . قال : ((وما أخذ يا جبرائيل ؟)) . قال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ ﴾

مِنَ الدَّهْرِ إِلَى قَوْلِهِ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١﴾ :

بأهلي ومالي ثم قومي وأسرتي فداء لمن أضحى قتيلا ابن ملجم
علي رقفا فوق الخلائق في الورى فهدت له أركان بيت المحرم
تكاد الصفا والمشعران كلاهما وأصبحت الشمس المنير ضياؤها
وضل له أفق السماء كأنه وناحت عليه الأرض إذ فجعت به
وأضحى التقى والخير والعلم والنهى وقال غيره من أهل الفضل :

إلى م الام وحتى محتى أعنف في حُبِّ هذا الفتى
فهمل زوجت فاطم غيره وفي غيره (هل أتى) هل أتى

فيا إخواني , العنوا من ظلمهم وغضبهم حقمهم وهضمهم , فعلى مثل هؤلاء الأشراف فليبك الباكون , وإياهم فليندب
النادبون , ومثلهم تذرف الدموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحران , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الخليلي (رحمته الله)

سجعت فوق الغصون فاقدمات للقمرين فاستهلت سحب أجفاني وهزتي شجوني
غردت لاشجوها شجوي ولاحت حيني لا ولا قلت لها يا ورق بالنوح أسعديني
ماشجي الباكي طروباً وشجي الباكي الحزين حق لي أبكي دماء عوض الدمع الهتوني
لغريب نازح الدار خلى من معين لتريب الخددامي الوجه مرضوض الجبين
لحييب أسلم القلب إلى داء دفين لست أنساه بأرض الطف إذا قال أخبروني
ما اسم هذه الأرض قالوا كربلاء يا ابن الأمين فبكى شجواً ونادى يا لقومي حان حيني
أرض كرب وبلاء في رباهما يدفنوني وبها تمتهك نسواني وفيها يقتلوني
وبها يمتحن الله رجلاً ينصروني فارجعوا جزيتم خير جزاء واتركوني
ليس للقوم سوى قتلي قصد فاسمعوني فأجابوا لا ومن خصك بالفضل المبين
لا رجعنا أو سنسقي القوم كاسات المنون فاثنتي نحو الحريم الفاطميات بلين

أخت يا زينب ضمي شمل أهلي خلفيني
فهو القائم من بعدي بعلم وبدين
وإذا نحت فنوحى بشجون وسكون
وإذا قمت إلى نافلة الليل اذكروني
وغداً نحو العدى يرتاح للحرب الزبون
فرمته أسهم الأحقاد عن أيدي الضغون
وغدت زينب تبكي بعويل ورنين
أين جدّي أين حمالات أبي أين حصوني
حاسرات يسحبونا في سهول وحزون
واضلالى لوجوه كبدور في دجون
وأشقائي في أسارى في قيود يرمقوني
يحمل الرأس السماوي إلى الرجس اللعين
يا بني (طهه ويس وحم ونون)
فإذا خفت فأنتم لنجاتي كالسفين
فاحشروا العبد الخليعي إلى ذات اليمين
يا حجاب الله والمحمي عن رجم الظنون
وتحصنت بقول الصادق الحبر الأمين
ولأوصافك وريت كلامي وحنيني
وكفاني علمك الشاهد للسر المصون
وأساوي بين مفضل ومفضلون
بين من قال : أقيوني ومن قال : اسألوني

قائلاً يا أخت يا أخت هلمي ودعيني
واحرسى السجاد وحميه بأجفان العيون
وإن اشدت عليكن مصابي فانديني
واتقي الله وكوني خير أسلاف القرون
وإذا استعبدت مولاك صلاة فصليني
جائلاً يشبهه في سطوته ليث العرين
فهوى شلواً طعيناً آه للشلو الطعين
وتنادي ورجاله فقد خابت طنوني
ليرونا والعدى هتكوا كل مصون
وتنادي والمطايا تشتكي شد الوضين
واعنائى في يتامي في البكا قد أفرحوني
يا لها صفقة مغبون ولوعات حزين
وبنات المصطفى تهدي إلى كلب مهين
بكم استعصمت من شر خطوب تعزيني
وعليكم ثقل ميزاني وأنتم تنقذوني
واليكم مدحاً أسنى من الدر الثمين
فيك داريت أناساً عزموا أن يقتلوني
إنقوا إن التقى من دين آبائي وديني
وإلى مدحكم أظهرت ظهوري وبطوني
ومعاذ الله أن ألوي عن الحبل المتين
وعليهم وعديهم وأمين وخنوني

هل يساويه بعلم أو فضل أو بدين

الباب الثالث

أيها الرؤساء الأعلام , كيف يلتذ العاقل منكم بطعام وقد حكمت في مواليه الكفرة اللثام ، أو بشراب وقد قُتلوا في الظلماء
[الظماء] والماء حولهم قد طما , أو

يسكن بعدهم إلى الطمأنينة والدعة وقد ضيقوا عليهم الأرحبة والسعة ، أو يقل من النوح والأحزان وقد لاقوا الهوان من أبناء الزمان؟! ولم لا نموت صباغة في هواهم ؛ طلباً لرضى الله ورضاهم ؟ :

الموت مرر ولكنني إذا ظمئت نفسي إلى المجد مستحل لمشربه
رئاسة ماض في رأسي وساوسها تدور فيه وأخشى أن تدور به

حكى عن زيد النساج ، قال : كان لي جار وهو شيخ كبير عليه آثار النسك والصلاح ، وكان يدخل إلى بيته ويعتزل عن الناس ولا يخرج إلا يوم الجمعة.

قال زيد النساج : فمضيت يوم الجمعة إلى زيارة زين العابدين (عليه السلام) ، فدخلت إلى مشهده ، وإذا أنا بالشيخ الذي هو جاري قد أخذ من البئر ماء وهو يريد أن يغتسل الجمعة والزيارة ، فلما نزع ثيابه ، وإذا في ظهره ضربة عظيمة فتحته أكثر من شبر وهي تسيل قيحاً ودماً ، فاشمأز قلبي منها ، فحانت منه التفاتة فرآني فحجل ، فقال لي : أنت زيد النساج ؟ فقلت : نعم. فقال لي : يا بني ، عاوتني على غسلي . فقلت : لا والله لا أعاونك حتى تحبرني بقصة هذه الضربة التي بين كتفيك ، ومن كف من خرجت ، وأي شيء كان سببها ؟ فقال لي : يا زيد ، أخبرك بما بشرط أن لا تحدث بها أحداً من الناس إلا بعد موتي. فقلت : لك ذلك . فقال : عاوتني على غسلي فإذا لبست أطماري حدثتك بقصتي.

قال زيد : فساعدته ، فاغتسل ولبس ثيابه وجلس في الشمس وجلست إلى جانبه وقلت له : حدثني . فقال لي : اعلم إننا كنا عشرة أنفس قد تواخينا على الباطل وتوافقنا على قطع الطريق وارتكاب الآثام ، وكانت بيننا نوبة نديرها في كل ليلة على واحد منا ؛ ليصنع لنا طعاماً نفيساً وخمراً عتيقاً وغير ذلك ، فلما كانت الليلة التاسعة وكنا قد تعشينا عند واحد من أصحابنا وشرينا الخمر ، ثم تفرقنا وجمعت إلى منزلي وهدوت ونمت ، أيقظتني زوجتي وقالت لي : إن الليلة الآتية نوبتها عليك ولا في البيت عندنا حبة من الحنطة . قال : فانتبهت وقد طار السكر من رأسي وقلت : كيف أعمل وما الحيلة وإلى أين أتوجه ؟ فقلت لي زوجتي : الليلة ليلة الجمعة ولا يخلو مشهد مولانا علي بن أبي طالب من زوار يأتيون إليه يزورونه ، فقم وامض وأكمن على الطريق ، فلا بد أن ترى أحداً فتأخذ ثيابه فتبيعها وتشتري شيئاً من

الطعام ؛ لتتم مروتك عند أصحابك وتكافئهم على صنيعهم .قال : فقمتم وأخذت سيفي وجحفتي ومضيت مبادراً , وكنمت في الخندق الذي في ظهر الكوفة , وكانت ليلة مُظلمة ذات رعد وبرق , فأبرقت برقة فإذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة , فلمّا قربا مِنِّي , برقت برقة أخرى فإذا هُما امرأتان , فقلت في نفسي : في مثل هذه السّاعة تأتي امرأتان ! ففرحت ووثبت إليهما وقلت لهما : اطرحا ثيابكما سريعاً .ففرعتا مِنِّي ونزعتا ثيابهما , فحسست عليهما حلياً , فقلت لهما : وانزعا الحلّي التي عليكما سريعاً .فطرحتا , فابرقت السّماء برقة أخرى , فإذا إحداهما عجوز والأخرى شابة من أحسن النّساء وجهاً كأنّها ظبية قنّاص أو درّة غوّاص , فوسوس لي الشّيطان على أن أفعل بها القبيح , وقلت في نفسي : مثل هذه الشّابة التي لا يوجد مثلها حصلت عندي في هذا الموضع وأحليها ! فراودتها عن نفسها , فقالت العجوز : يا هذا , أنت في حلّ مما أخذته مِنّا من الثّياب والحلي , فحلنا نمضي إلى أهلنا , فوالله أنّها بنت يتيمة من أمّها وأبيها وأنا خالّتها , وفي هذه الليلة القابلة تُزفّ إلى بعليها , وإنّها قالت لي : يا خالة , إنّ الليلة القابلة أُزفّ إلى ابن عمّي , وأنا والله راغبة في زيارة سيّدي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , وإنّي إذا مضيت إلى بعلي زُيماً لا يأذن لي بزيارته .فلمّا كانت هذه الليلة الجُمعة , خرجت بها لأزورها مولاهما وسيّدها أمير المؤمنين , فبالله عليك لا تهتك سترها ولا تفض ختمها ولا تفضحها بين قومها .

فقلت لها : إليك عني .وضربتها وجعلت أدور حول الصّبيّة وهي تلوذ بالعجوز , وهي عريانة ما عليها غير السّرّوال , وهي في تلك الحال تعقد تكّنها وتوثّقها عقداً , فدفعت العجوز عن الجارية وصرعتها إلى الأرض , وجلست على صدرها ومسكت يديها بيد واحدة , وجعلت أحلّ عقد التّكّة باليد الأخرى وهي تضطرب تحتي كالسمكة في يد الصّياد , وهي تقول : المُستغاث بك يا الله ! المُستغاث بك يا عليّ بن أبي طالب , خلّصني من يد هذا الظّالم ! قال : فوالله , ما استتم كلامها إلا وأحسّ حافر فرس خلفي , فقلت في نفسي : هذا فارس واحد وأنا أقوى منه .وكانت لي قوّة زائدة وكنت لا أهاب الرّجال قليلاً أو كثيراً , فلمّا دنى مِنِّي , فإذا عليه ثياب بيض وتحتّه فرس أشهب تفوح منه راحة المسك , فقال لي : ((يا ويلك خلّ المرأة !)) .فقلت له : اذهب لشأنك , فأنت نجوت بنفسك وتريد تنجي

غيرك .قال : فغضب من قولي ونفحني بذبال سيفه بشيء قليل , فوقعت مغشياً عليّ لا أدري أنا في الأرض أو في غيرها , وانعقد لساني وذهبت قوّتي لكنتي أسمع الصّوت وأعي الكلام ، فقال لهما : ((قوما البسا ثيابكما وخذا حليكما وانصرفا لشأنكما)) .فقال العجوز : فمن أنت يرحمك الله وقد منّ الله علينا بك ؟ وإيّ أريد أن توصلنا إلى زيارة سيّدنا عليّ بن أبي طالب .

قال : فتبسّم في وجوههما وقال لهما : ((أنا عليّ بن أبي طالب ارجعا إلى أهلكما فقد قبلت زيارتكما)) .قال : فقامت العجوز والصّبّية وقبلا يديه ورجليه وانصرفا في سرور وعافية .

قال الرّجل : فأفقت من غشوتي وانطلق لساني , فقلت له : يا سيّدي , أنا تائب إلى الله على يدك , وإيّي لاعدت أدخل معصية أبداً .فقال : ((إن تبت تاب الله عليك)) .فقلت له : تبت والله على ما أقول شهيد .ثمّ قلت له : يا سيّدي , إن تركتني في هذه الضّربة هلكت بلا شكّ .قال : ((فرجع إليّ)) .وأخذ بيده قبضة من تراب ، ثمّ وضعها على الضّربة ومسح بيده الشّريفة عليها , فالتحمت بقدرة الله تعالى .

قال زيد النّساج : فقلت له : كيف التحمت وهذا حالها ؟! فقال لي : والله , إنّها كانت ضربة مهولة أعظم مما تراه الآن , ولكنّها بقيت موعظة لمن يسمع ويرى .ولا شكّ أنّ عليّاً والأئمة (عليهم السلام) أحياء عند ربّهم يُرزقون :

بنو السّوحى والآيات يا من مديهم	علوت به قدراً وطبت به ذكرا
مهابط سر الله خزان علمه	وأعلى السورى فخراً وأرفعهم قدرا
ركائب آمالي إليكم حشتها	فلا أرتجى في النّاس زيّداً ولا عمرا
ومن ذا الذي أضحى بربع ندامكم	نزيراً فما أبدلتم عسره يسرا

عن ابن عبّاس وأبي رافع , قالوا : كنّا جلوساً عند النّبي إذ هبط جبرائيل ومعه جام من البلّور الأحمر مملوء مسكاً وعنبراً , فقال له : السّلام عليك , الرّبّ يقرّوك السّلام ويحييك بهذه التّحية ويأمرك أن تحيي بها عليّاً وولديه .فلما صارت في كفّ النّبي (صلى الله عليه وآله) , هللت ثلاثاً وكبرت ثلاثاً , ثمّ قالت بلسان ذرب : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (1) .فشمّها النّبيّ ثمّ حيّ بها عليّاً , فلما صارت في كفّ عليّ , قالت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (2) .فاشمّها عليّ (عليه السلام) وحيّ بها

(1) سورة طه / 1 - 2 .

(2) سورة المائدة / 55 .

الحسن ، فلما صارت في كفّ الحسن ، قالت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴾ (1) فاشتتمها الحسن وحيّ بها الحسين (عليه السلام) ، فلما صارت في كفّ الحسين ، قالت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (2) . ثم رجعت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقالت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . فلم ندري صعدت في السماء أم نزلت في الأرض بقدره الله تعالى .

وهل هذا يا إخواني إلا من بعض كراماتهم وفضائلهم ونكاتهم ؟ الآيات الباهرة والمعجزات بيّنة ظاهرة ، وساداتنا هم والله شفعاء المذنبين في الآخرة ، فيحقّ لمثلهم أن يبكي الباكون ، وإياهم فليندب النّادبون ، ومثلهم تذرف الدموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ حسن النجفي (رحمته الله)

لمصاب الكـريم زاد شـجوني	فاعـذلوني أو شـتمتموا فاعـذروني
كيف لا أنـدب الكـريم بجفـن	مقـرح بالبـكاء وقلـب حنيـني
وقليـل أن سـح من غـير عـين	دمـع عيـني من ذاريـات جفـوني
يا لهـا من محـاجر هامـيات	بخـلت وابلـ الغمـام الهـتوني
وجفـون أن أصـبـح المـاء غـوراً	من بكـاهـا جـاءت بمـاء معـين
لقتيـل بكـت له الجن والإنـس	وسـكان سـهلها والـحـزون
لهـف قلـبي عليه وهو جـديـل	فوق وجـه الصـعيد امـي الجـبين
يتلظـى من الصـدى وعلـى الخـد	جـواري عيـونـه كـالعـيون
لهـف قلـبي لثغـره وهو يـفـتر	نظامـاً كـاللؤلؤ المكنـون
قـد علاه قـضيب كـف يـزيد	البـاغي الطـاغـي الظلـوم الخـؤون
لست أنـساه بالطفـوف فريـداً	منشـداً من لـواعج وشـجون
ليـت شعـري لأي ذنـب ويا ليـت	علـى أي بدعـة يـقتلـوني
إن يـكن قـد جهلتمـوا الفضـل منـا	فاسـألوا محـكم الكـتاب المـبين
والـدي أشـرف الـورى بعـد جـدي	وأخـي أصـل كلّ فضـل وديـن
والبتـول الزهـراء أمـي وعمـي	ذو الجنـاحين صـاحب التـمكـين

(1) سورة التبا / 2.

(2) سورة الشورى / 23.

وينادي يا أم كلثوم قـوم قـوم
واذرفي دمـعك المـصون على الخـد
وإذا ما رأيت مقتول ظلم
لهف قلبي لزنب وهي تبكي
يا أخي يا مؤلمي يا رجائي
كنت أمنأاً للـخائفين ويمناً
بم تشدي من خاطري مستهام
يا هـلالاً لمأاً اسـتم ضيأاً
ليت عينيك يا شـقيقي تـرانا
سـافرات الوجـوه متهتكات
آل طهه يا من بهم يغفر الله
وأمانني في يوم بعثني وأمني
أنتم قبلتي وحجتي وفرضي
من تمسك بكم وأم إليكم
لا أبالي وإن تعـظم ذنبي
كل عـزي بين الأنام وفخري
بعثكم مهجتي بعد صحيح
أنا منكم لكم بكم وإليكم
قد بذلت المجهود بالمدح مـني
ذركم لم يزل جليسي أنيسي
أنتم لا ساواكم وإليكم
لا أبالي إذا حضيت لـديكم
سوف أصفيكم الوداد بقلب
وإذا ما قضيت بحبي سـتبقى
وإليكم من عبدكم حسن النجفي
بكر نظم لها القبول صدق
وعليكم من الإله صلاة

قبل تفريق شملنا ودعيني
ونـوحـي عـليّ ثم انـديني
منعوه عن حقه فاذكروني
وتنادي من قلبها المحزون
يا منائي يا مسـعدي يا معيني
للبرايا في كل وقت وحين
موثق بالأسى وقلب رهين
غيبته بالطف أيدي المنون
حاسرات من بعد خدر وصور
بين عبد باغ ووغد لعين
ذنوبي وما جنته يميني
عند خوفي من كل خطب وضيبي
وصلاقي وأصل نسكي وديني
قد نجا والتجا بحصن حصين
يوم بعثني لكن يقيني يقيني
يوم حشري بأنكم تقبلوني
عن تراض ولسنت بالمغبون
فرط وجدي وذا حنين أنيني
حسب جهدي ولم أكن بضنين
مسعفي عند حركتي وسكوني
لا إلى غيركم تساق ظعوني
قربوني الأنام أو أبعـدوني
ولسان كالصـارم المسـنونني
بعد مودتي مـدائحي وفنوني
قصيداً ترهـو كـدر ثمين
فاقبلوها يا سـادتي وارحموني
كلما ناح طـائر في الغصون

الجلس التاسع

من الجزء الثاني في الليلة العاشرة من المُحرّم

وفي ابتداء مصرع الحسين (عليه السلام)

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأوّل

أمّا بعد ، أيّها المؤمنون ، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة ، فتحه الله لخاصّته وأوليائه وأحبّائه وخلصائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الدّل وشمله البلاء ، وديث بالصّغار وضرب على قلبه بالإسهاب ، وأدبيل الحقّ بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومُنع النّصف . ألا وإنّ من أهله الله لذلك الشّهداء من الأنصار والأقرباء ، فإنّهم لما علموا أنّهم لا ينالون لبس الخلعة السّنية ، إلّا بخلع الحياة وركوب المنية ، وإنّهم لا يعلون إلى مطلوبهم ، إلّا ببذل النفوس في طاعة محبوبهم ، وتيقّنوا أنّها المرتبة العالية والبيعة الرّاجحة الغالية ، وبذلوا الأرواح يوم الكفاح ، واتلفوا الأجساد يوم الجلاّد والأبدان يوم الطّعان ، فلو شاهدت كلّ واحد منهم يوم الطّفوف وهو يبادر إلى طعن الرّماح وضرب السيوف ، لرأيت الأمر العظيم والخطب الجسيم ، ومثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون :

يلقى الرّماح بنحره فكأنّها
في قلبه عود من الريحان
ويرى السيوف وصوت وقع حديدّها
عرساً يجليها عليه غواني

فيا لها من منية حصولها وفضيلة أحرزوها ، فاقوا بها الأوّلين والآخرين في رضى مولاهم الحسين بن أمير المؤمنين . ولعمري ،

أنّه جهاد أعظم من جهاد

أنصار الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) ، أذن لهم في ترك القتال وقال : ((اذهبوا في هذا الليل بمن معي من الآل ، فأنا بغية هؤلاء الأرجاس وقتلى مرادهم دون الناس)) . فأبوا واختاروا الموت على الحياة في طاعته والفناء لإجابته ، ولله درّ من قال فيهم :
جادوا بأنفسهم في حُبّ سيدهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود
فلو رأيتهم وقد أقبلوا على القتال يجالدون بالسيف في حومة النزال ، يستبشرون بذهاب الأعمار لما كشف عن أبصارهم
فشاهدوا الجنة والنار . ولله درّ بعض مادحيهم حيث نظم وقال فيهم :
قوم إذا نودوا للدفع ملمة والقوم بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفوس
وقوا بنفوسهم نفوس الطاهرين البررة ، حتى أبيدوا عن آخرهم بأيدي الطغاة الفجرة ، فكم يومئذ من كبد مقروحة ودمعة
مسفوحة ، ومن لاطمة خدّها ونادبة جدّها ومنشور شعرها ومهتوك سترها ، وكم من مريض يئنّ وثاكلة تحنّ ، وكم من كريم
على رأس السنان وشريف يسام الخسف والهوان ، وكم من طفل مذبوح ودم لآل رسول الله مسفوح ، وكم من أكباد محترقة من
الظّماء وأجساد مرقلة بالدماء ، وربّات خدر بارزات ومغلولات حاسرات؟! فوا عجبا بما حلّ بالآل من اللثام الكفرة
الأندال!:

وجرع كأس الموت بالطف أنفوس كرام وكانوا للرسول ودائعا
وبدل سعد التم من آل هاشم بنحس وكانوا كالبذور طوالعا
وقال آخر :

أديرت كؤوس للمنايا عليهم فأعفوا عن الدنيا كاعفاء ذي السكر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

روي عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالسا إذ أقبل الحسن (عليه السلام) ، فلما رآه
بكى وقال : ((إليّ إليّ)) . فأجلسه على فخذه

اليمنى ، ثم أقبل الحسين (عليه السلام) ، فلمّا رآه بكى وقال : مثل ذلك . وأجلسه على فخذه اليسرى ، ثمّ أقبلت فاطمة (عليها السلام) ، فلمّا رآها بكى وقال : مثل ذلك . وأجلسها بين يديه ، ثمّ أقبل عليّ (عليه السلام) ، فرآه فبكى وقال : مثل ذلك . فأجلسه إلى جانبه الأيمن ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما ترى واحداً من هؤلاء إلّا وبكيت له وما فيهم إلّا من تسرّ برؤيته ؟ فقال : ((والذي بعثني بالنبوة واصطفاني بالرسالة على جميع البرية ! ما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم ، وإمّا بكيت لما يحلّ بهم بعدي ، وذكرت ما يُصنع بولدي هذا الحسين ، فكأنيّ به وقد استجار بجرمي وقبري فلا يُجار ، فيرتحل إلى أرض مقتله ومصرعه أرض كربلاء ، تنصره عصابة من المسلمين ، أولئك سادات شهداء أمّتي يوم القيامة ، كأنيّ أنظر إليه وقد رُمي بسهم فخرّ عن سرجه طريحاً⁽¹⁾ ، ثمّ يُذبح كما يُذبح الكبش مظلوماً)) . ثمّ انتحب وبكى وأبكى من كان حوله ، وارتفعت أصواتهم بالصّحيج ، ثمّ قام وهو يقول : ((اللهمّ ، إنّي أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي من بعدي)) .

وفي بعض الأخبار : أنّ الحسين دخل على أخيه الحسن ، فلمّا نظر إليه بكى ، فقال : ((ما يبكيك يا أبا عبد الله الحسين؟)) . فقال : ((بلى ، لما يُصنع بك)) . فقال الحسن : ((إن الذي يؤتى إليّ بالسم فأقتل به⁽²⁾ ، ولكن لا يوم كيومك ! يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أمّهم من أمة جدّنا ، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك ، وانتهاك حرمتك وسي ذراريك ونسائك ، وانتهاك رحلك وثقلك ، فعندها تحلّ على أمية اللعنة وتمطر السماء دماً ، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار)) .

فيا إخواني ، تساعدوا على النّياحة والعيويل واسكبوا عبراتكم على الغريب القليل الذي اهتزّ لمصابه عرش الجليل ، ولئن حجبتكم عن نصرتهم الأقدار على ما يشاء القادر المُختار ، فلا عذر لكم عن لبس جلايبب العزاء وإظهار شعار الحزن والبكاء ، وهو من أقلّ القليل في هذا القبيل :

يا سادة شرف الكتاب بما حوى	فيهم من الإجلال والإعظام
يا من إذا ذكر اللبيب مصابهم	هانّت عليه مصائب الأيام
قسماً بمن فرض الولا على الورى	لكم وذلك أعظم الإقسام
ما أطمع الأرجاس فيما أبدعوا	فيكم وجراهم على الإقدام

(1) في المصادر الأخرى : صريعاً . (معهد الإمامين الحسينين).

(2) ورد في آماي الشيخ الصدوق /177، هكذا : إنّ الذي يؤتى إليّ سمّ يدسّ إليّ فأقتل به . (معهد الإمامين الحسينين).

إلا الذين تعاقبوا أن ينقضوا ما أحكم الهادي من الإبرام

روي : أنه لما قبض الحسن (عليه السلام) , اجتمع نفر من أهل الكوفة في دار رجل منهم , وكتبوا إلى الحسين كتاباً يعزّونه على أخيه الحسن , ويذكرون فيه : إنّا شيعتك والمصابون لمصيبتك والمحزونون لحزنك والمنتظرون لأمرك , شرح الله صدرك وغفر ذنبك ورفع ذكرك وعلا قدرك وردّ عليك حقّك , والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وصار النّاس يقولون : إن هلك معاوية , يكن الأمر للحسين (عليه السلام) . فبلغ ذلك معاوية , فبعث يستعيب الحسين بكلام يذكر فيه : أمّا بعد , فقد بلغني عنك أمور وأسباب وأظنّها باطلة , فلا تُسمعني إلى قطيعتك يا أبا عبد الله , فمتى أكرمتني أكرمتك ومتى أهنتني أهنتك , فلا تشق عصا هذه الأمة , فقد جرّتهم وبلوّتهم , وأبوك من قبلك كان أفضل منك وقد أفسدوا عليه رأيه , وإياك تسمع كلام السّفهاء الذين لا يعلمون بعواقب الأمور .

فكتب الحسين (عليه السلام) كتاباً إليه يعتذر فيه , إلى أن دنا من معاوية الموت , أوصى إلى ابنه يزيد وكان غائباً , وكتب له كتاباً يذكر فيه : اعلم يا بني , إنّني قد وطّأت لك البلاد وذللت لك الرّقاب الشّداد , ولست أخشى عليك إلّا من أربعة أنفر , فإنهم لا يباعدونك على هذا الأمر . وذكر منهم الحسين , ودفع الكتاب إلى الضّحّاح بن قيس وأمره أن يوصله إلى يزيد عند قدومه من غيبته , ثمّ إنّ معاوية قضى نحبّه , فأرسل الضّحّاح إلى يزيد رسولاً يخبره بموت أبيه , فجزع جزعاً عظيماً وبقي أيّاماً لا يخرج من داره , فلمّا خرج بعد ذلك , جاء النّاس يعزّونه ويهنّونه , وكان من جملتهم الضّحّاح بن قيس , فدفع إليه الوصية , فلمّا فضّنها وقرأها , بكى حتّى غُشي عليه , فلمّا أفاق , خرج فرقى المنبر وخطبهم خطبة يذكر فيها موت أبيه وأنّه ولاه الأمر من بعده , ثمّ نزل عن المنبر وكتب إلى الوليد بن عتبة - وكان يومئذ والياً على المدينة - كتاباً يأمره أن يأخذ البيعة على أهلها , وبعث إلى عمر بن سعد بالرّي وأمره أن يأخذ البيعة على أهلها , ونفذ إلى جميع الأمصار بذلك , فبايعوه إلّا أهل الكوفة والمدينة .

وكان فيما بعث إلى الوليد يقول : خذ لنا البيعة على من قبلك عامة وعلى هؤلاء الأربعة أنفر خاصة وهم ؛ عبد الرّحمن بن بكر , وعبد الله بن عمر بن الخطاب , وعبد الله بن الزّبير , والحسين بن عليّ , فمن لم يبايعك منهم , فانفذ إليّ برأسه .

فلمّا قرأ الكتاب , بعث

إلى مروان بن الحكم - وكان قد جفاه من أجل الإمارة ، لأنه كان والياً من قبله على المدينة - فلما دخل عليه ، قرّبه وأدناه وقرأ عليه الكتاب ، فقال له مروان : الرّأي ، أن ترسل إلى هؤلاء الأربعة وتدعوهم إلى البيعة والدّخول في الطّاعة ، فإن أبوا ، فاضرب أعناقهم . فأرسل في طلبهم ، فقالوا للرسول : انصرف .

أقبل عبد الله بن الزّبير على الحسين (عليه السلام) ، وقال : يا بن رسول الله ، أتدري ما يُريد الوليد منّا ؟ قال : ((نعم ، اعلموا أنّه قد مات معاوية وتولّى الأمر من بعده ابنه يزيد ، وقد وجّه الوليد في طلبكم ؛ ليأخذ البيعة عليكم ، فما أنتم قائلون ؟)) . فقال عبد الرّحمن : أمّا أنا ، فأدخل بيتي وأغلق بابي ولا أبايعه . وقال عبد الله بن عمر : أمّا أنا ، فعليّ بقرآنة القرآن ولزوم المحراب . وقال عبد الله بن الزّبير : أمّا أنا ، فما كنت بالذي أبايع يزيد .

وقال الحسين (عليه السلام) : ((أمّا أنا ، فأجمع فتياي وأتركهم بفناء الدّار وأدخل على الوليد ، وأناظره وأطالب بحقي)) . فقال له عبد الله بن الزّبير : إنّني أخاف عليك منه . قال : ((لست آتية إلّا وأنا قادر على الإمتناع منه إن شاء الله تعالى)) . ثمّ إنّه (عليه السلام) نهض إلى منزله ، فأرسل إلى أهله وشيعته ومواليه فاقبلوا إليه ، فأتى إلى دار الوليد وقال لهم : ((إنّني داخل على هذا الرّجل ، فإن سمعتم صوتي فاهجموا عليه ، وإلّا فلا تبرحوا حتّى أخرج إليكم)) . ثمّ دخل على الوليد ، فقرّبه وأدناه وأراه الكتاب ودعاه إلى البيعة ، فقال الحسين (عليه السلام) : ((إنّ مثلي لا يبايع خلف الأبواب سرّاً دون الجهر ، ولكن إذا خرجت ودعوت النّاس ، كنت أول من بايع)) . فقال : انصرف يا أبا عبد الله واتنا غداً مع النّاس . فقال مروان : فإنّك التّعلّب فلا ترى إلا غباره⁽¹⁾ ، واحذر أن يخرج حتّى يبايعك أو تضرب عنقه . فلما سمع الحسين ، وثب قائماً وقال : ((يا بن الرّزقاء ، أنت تقتلني أم هؤلاء لا أم لك ؟! يا بن اللّخناء ، والله لقد أهجت عليك وعلى صاحبك منّي حرباً طويلاً)) . ثمّ خرج ، فقال مروان للوليد : عصيتني ، والله لا قدرت على مثلها أبداً . فقال له الوليد : ويحك لقد اخترت لي ما فيه هلاكك وهدمتك ! فوالله ما أحبّ أن يكون لي ملك الدّنيا وأنا مُطالب بدم الحسين ، وإنّ كلّ أمرئ يكون مطالباً بدمه ، لخفيف الميزان يوم القيامة . فقال له مروان : مثلك ينبغي أن يكون سائحاً في البراري والقفار ولا

(1) هكذا هو الموجود، والظاهر إنّ الصّحيح هو : فإن فاتك التّعلّب فلا ترى إلا غباره . (معهد الإمامين الحسنين).

يكون أميراً. ثم إنَّ الوليد أرسل إلى الحسين (عليه السلام) رُسلًا بالليل وقال لهم : لا ترجعوا إلَّا به . فساروا إليه مستعدِّين لذلك , فوجدوه قد طلع يُريد مَكَّةَ بأهله وبني عمِّه إلَّا مُحَمَّدَ بن الحنفية .

فيا حرَّ قلبي تزايدِي , ويا نارِ وجدي توقَّدي , ويا فؤادي القريح من الحزن والكآبة لا تستريح ! والله درَّ مَنْ قال من الرجال :
ويـلـ لـمـن شـفـعـاؤه خصـمـاؤه والصـور في نشـر الخـلائـق يـنـفـخ
لا بـد أن تـرد الـقيـامـة فـاطم وقـمـيصـها بـدم الحـسـين ملـطـخ
روي عن بعض نقلة الآثار : أنه لما أراد الحسين (عليه السلام) الخروج إلى مَكَّة , قال له مُحَمَّد بن الحنفية : يا أخي , إنِّي خائف عليك أن تأتي مصرًا من هذه الأمصار فيختلفون عليك , فتكون قتيلًا بينهم ويذهب دمك وتهتك حرملك . قال له الحسين : ((إنِّي أقصد مَكَّة , فإنَّ اطمأنت بي البلاد , أقمت بها , وإن كان الأخرى , لحقت بالرمال والشعاب حتَّى ننظر ما يكون)) .
ثم أتى قبر جدِّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتزمه وبكى بكاءً شديداً , وقال : ((بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد خرجت من جوارك كرهاً وقد فُرق بيني وبينك ؛ حيث إنِّي لم أبايع ليزيد بن معاوية شارب الخمر وراكب الفجور , وها أنا خارج من جوارك على الكراهة , فعليك مَيِّ السلام)) . ثم أخذته النعسة , فرأى في منامه رسول الله وإذا هو قد ضمَّه إلى صدره وقبَّل ما بين عينيه , وقال : ((حبيبي يا حسين , كأني أراك عن قليل مُرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كرب وبلاء بين عصابة من أمتي , وأنت في ذلك عطشان ولا تُسقى وظمآن لا تُروى , وهم في ذلك يرجون شفاعتي , ما لهم لا أناهم الله شفاعتي يوم القيامة , فما لهم عند الله من خلاف . حبيبي يا حسين , إنَّ أباك وأُمَّك وأخاك قد قدموا عليَّ وهم إليك مشتاقون , إنَّ لك في الجنة درجات لن تنالها إلَّا بالشهادة)) .

قال : فجعل الحسين (عليه السلام) في منامه ينظر إلى جدِّه ويسمع كلامه وهو يقول : ((يا جدَّاه ! لا حجَّة لي في الرجوع إلى الدنيا , فخذني إليك وادخلني معك إلى قبرك)) . فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : ((يا حسين , إنَّه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا ؛ حتَّى تُرزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم , فإنَّك وأباك وأخاك وعمُّك وعمَّك , تُحشرون في زمرة واحدة حتَّى تدخلوا الجنة)) .

قال : فانتبه الحسين (عليه السلام) من نومه فرعاً مرعوباً , فقصَّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب , فلم يكن في ذلك اليوم

في شرق ولا غرب قوم أشدَّ غمًّا من أهل البيت ولا أكثر باكية ولا باك.

قال : وتهيأ الحسين وعزم على الخروج ودعا بمحمد بن الحنفية وقال له : ((يا أخي , إنِّي عازم على الخروج إلى مكة , وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي , وأمرهم أمري ورأيهم رأيي , وأما أنت يا أخي , فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم , ولا تخف عليّ شيئاً من أمورهم)).

قال : ثم دعا الحسين (عليه السلام) لأخيه بدواة وبياض فكتب : ((هذه وصية الحسين لأخيه محمد : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ , هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيه محمد بن عليّ , المعروف بابن الحنفية : إنّ الحسين بن عليّ يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأنّ محمداً عبده ورسوله جاء بالحقّ من عند الحقّ , وأنّ الجنة والنار حقّ , وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها , وأنّ الله يبعث من في القبور , وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً , وإنما خرجت أطلب⁽¹⁾ الإصلاح في أمة جديّ محمد , أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر , وأسير بسيرة جديّ محمد وسيرة عليّ بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين , فمن قبلني بقول الحقّ , فالله أولى بالحقّ , ومن ردّ عليّ هذا , أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ , ويحكم بيني وبينهم وهو خير الحاكمين . هذه وصيتي إليك يا أخي , وما توفيقى إلا بالله العليّ العظيم)).

ثم طوى الحسين كتابه وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد بن الحنفية , ثم ودّعه وخرج في جوف الليل يُريد مكة في جمع من أهل بيته , وذلك لثلاث ليال مضين من شعبان سنة ستين من الهجرة . فلزم الطريق الأعظم , فجعل يسير وهو يتلو هذه الآية : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾.

وعن سكينه بنت الحسين (عليه السلام) , قالت : لما خرجنا من المدينة , ما كان أحد أشدَّ خوفاً منا أهل البيت , ثم إنّ الحسين ركب الجادة , فقال له ابن عمّه مسلم بن عقيل : يا بن رسول الله , لو عدلنا عن الطريق وسلكننا غير الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير , كان عندي الرأي , فإننا نخاف أن يلحقنا الطلب . فقال له الحسين (عليه السلام) : ((لا والله يا بن العم , لا فارقت هذا الطريق أبداً , أو أنظر إلى أبيات مكة , أو يقضي الله في ذلك ما يحبّ ويرضى)).

قال : فسار الحسين (عليه السلام) وهو يقول :

إذا المرء لم يحمم بنيّه وعرسه ونسوته كان اللئيم المسيبا

(1) الموجود في المصادر المعتبرة هو : لطلب . (معهد الإمامين الحسينين).

(2) سورة القصص / 21.

وفي دون ما يبغى بنا غداً نخوض حياض الموت شرقاً ومغرباً
ويضرب ضرباً كالحريق مقديماً إذا ما رآه ضيغم راح هـاربا

قال : فبينما الحسين كذلك بين مكة والمدينة , إذ استقبله عبد الله بن مطيع العدوي , فقال له : أين تريد يا أبا عبد الله جعلني الله فداك؟! فقال : ((أما في وقتي هذا , فإني أريد مكة , فإذا سرت فيها , استخرت الله في أمري)) . فقال له عبد الله : خار الله لك يا بن رسول الله فيما قد عزمت عليه , غير إنني أشير عليك مشورة فاقبلها مني . فقال الحسين : ((وما هي يا بن مطيع ؟)) . فقال : إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة , فيها قُتل أبوك , وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه فيها , فالزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا , فوالله لعن هلكك , ليهلكن أهل بيتك بهلاكك , والسلام. فودّعه الحسين ودعا له بالخير وسار حتى وافى مكة , فلما نظر إلى جبالها من بعيد , جعل يتلو هذه الآية : ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ (1).

قال : فلما قدم الحسين إلى مكة , قال : ((اللهم , خري لي وقرّ عيني واهدني سواء السبيل)) . ثم دخل مكة وجعل الناس يترددون إليه ولا ينقطعون عنه , فلما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية , امتنعوا من البيعة ليزيد , فاجتمعوا وكتبوا إلى الحسين كتاباً يقولون فيه : أقدم إلينا يكون ذلك ما لنا وعليك ما علينا , فلعلّ الله يجمع بيننا وبينك على الهدى ودين الحق (2) . ورغبوه في القدوم إليهم إلى أن قالوا : فإن لم تقدر على الوصول إلينا , فأنفذ إلينا برجل يحكم فينا بحكم الله ورسوله . وكتبوا بهذا المعنى كتباً كثيرة , فلما وقف الحسين على الكتب وقرأ ما فيها , سألهم عن أمور الناس , وكتب إليهم كتاباً يذكر فيه : ((إنني قد أنفذت إليكم أخي وابن عمي والمفضل عندي مسلم بن عقيل بن أبي طالب , فاسمعوا له وأطيعوا رأيه , وقد أمرته باللطف فيكم وإن ينفذ إلي بحسن رأيكم وما أنتم عليه , وأنا أقدم عليكم إن شاء الله)) . ثم دعا بمسلم فأنفذه مع دليلين يدلانه على الطريق , فلما صار أثناء الطريق , ضلّ الدليلان عن الطريق ومات أحدهما عطشاً , فنظر مسلم ممّا هو متوجّه إليه , فبعث إلى الحسين يخبره بذلك ويستعفيه عن المسير إلى الكوفة , فبعث إليه الحسين يأمره بالمسير إلى ما أمره به , فسار من وقته وساعته إلى أن قدم الكوفة فدخلها ليلاً , فنزل في دار

(1) سورة القصص / 22.

(2) الوارد في ينابيع المودة للقندوزي 55/3 , وغيره , هكذا : ... يقولون فيه : لك مالنا وعليك ما علينا , فلعلّ الله أن يجمع بيننا وبينك على الهدى ودين الحق . (معهد الإمامين الحسنين).

المختار بن أبي عبيدة ، ثم صار الناس يختلفون إليه ، فأقرأهم كتاب الحسين (عليه السلام) ، فمنهم من تداخل السرور عليه ، فاجتمعوا عليه وبايعوه حتى نُقل أنه بايعه في ذلك اليوم ثمانية عشر ألف رجل.

فكتب مُسلم إلى الحسين كتاباً بمبايعة أهل الكوفة وإنك تعجل بالإقبال إلينا . فبلغ الخبر إلى النعمان بن بشير - وكان هو خليفة يزيد بن معاوية - ، فصعد المنبر خطيباً ، فقال في خطبته : احذروا مخالفة الخليفة يزيد ، وأيّ رجل أصبح مخالفاً لقولي لأضربن عنقه.

ثم إن رجلاً من القوم يُقال له عبد الله الحضرمي ، استضعف رأي النعمان وبعث كتاباً إلى يزيد يذكر فيه اجتماع الناس على مُسلم بن عقيل ، وأنه يبعث إلى الكوفة رجلاً أقوى رأياً من النعمان ، فلما قرأ يزيد الكتاب ، أنفذ إلى الكوفة عمر بن سعد لعنه الله ، وكتب إلى عبيد الله بن زياد - وكان في البصرة - كتاباً يستنهضه على الرحيل إلى الكوفة ، ولا يدع من نسل عليّ إلا قتله ، فلما قرأ الكتاب ، تجهز للمسير إلى الكوفة مجدداً في مسيره ، فلما وصل الكوفة ، دخلها وهو مُلتئم وبيده قضيب خيزران وأصحابه من حوله ، فجعل لا يمرّ بملاً إلا وسّلم عليهم بالقضيب ، والناس يردّون عليه ويذمّون الحسين ؛ لأنهم كانوا يتوقّعون قدومه ، فلما قرب من قصر الإمارة ، قال لهم مُسلم الباهلي : يا ويلكم ! هذا الأمير ابن زياد ليس هو طلبتكم . فأسفر ابن زياد عن لثامه وقال للنعمان وهو في أعلى القصر : يا نعمان ، حفظت نفسك وضيعت مصرك . ثم نادى بالناس ، فرقى المنبر فخطب خطبة ذكر فيها : إن الخليفة يزيد قد ولاني مصركم هذا ، وقد أوصاني بالإحسان إلى محسنكم والتجاوز عن مسيئكم وأنا مطيع أمره فيكم ، فلما نزل من المنبر ، جعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون : ما لنا والدخول بين السلاطين . فنقضوا بيعة الحسين وبايعوا عبيد الله بن زياد . قيل : وكان يوم الجمعة وكان مُسلم بن عقيل موعوكاً لم يقدر على الحضور للاجتماع ، فلما كان وقت صلاة العصر ، خرج إلى الجامع ، فأذن وأقام الصلاة وصلّى وحده ولم يصل معه أحد من أهل الكوفة ، فخرج فرأى رجل ، فقال له : ماذا فعل أهل مصركم ؟ قال : يا سيدي ، نقضوا بيعة الحسين وبايعوا يزيد . فصفق بيده وجعل يخرق السكك والمحال هارباً حتى بلغ إلى محلة بني خزيمة ، فرأى باباً شاهقة في الهواء وجعل ينظر إليها ، فخرجت جارية

فقال لها : يا جارية لمن هذه الدار ؟ قالت : لهاني بن عروة . فقال لها : أدخلي فقولي : إن رجلاً من أهل البيت واقف بالباب . فإن قال : ما اسمه . فقولي : مسلم بن عقيل . فدخلت الجارية ثم خرجت إليه ، وقالت له : أدخل . وكان هاني يومئذ عليلاً ، فنهض ليعتنقه فلم يطق ، وجعلاً يتحادثان إلى أن وصلا إلى ذكر عبيد الله بن زياد ، فقال هاني : يا أخي ، إنّه صديقي وسيبلغه مرضي ، فإذا أقبل إليّ يعودني ، أخذ هذا السيف واحذر أن يفوتك ، والعلامة بيني وبينك أن ألقع عمامتي عن رأسي ، فإذا رأيت ذلك ، فاخرج لقتله . قال مسلم : أفعل إن شاء الله . ثمّ إن هاني أرسل إلى ابن زياد يستجفيه ، فبعث إليه معتذراً إليّ رائح العشيّة ، فلمّا صلّى ابن زياد العشاء يعود هانياً أقبل ، فلمّا وصل استأذن للدخول ، قال هاني : يا جارية ، ادفعي هذا السيف إلى مسلم بن عقيل . فدفعته إليه ، ودخل عبيد الله بن زياد ومعه حاجبه ، وجعل يحادثه ويسأله عن حاله وهو يشكو إليه ألمه ويستبطي مسلماً في خروجه ، فقلع عمامته عن رأسه وتركها على الأرض ثمّ رفعها ثلاث مرّات ، ثمّ رفع صوته بشعر أنشده ؛ كلّ ذلك يريد به إشعار مسلم وإعلامه . فلمّا كثرت الحركات والإشارات من هاني ، أنكر عليه ابن زياد ، فنهض هارباً وركب جواده وانصرف ، لمّا خرج مسلم من المخدع ، فقال له هاني : يا سبحان الله ما منعك من قتله ؟ قال : معني كلام سمعته من أمير المؤمنين (عليه السلام) ، أنّه قال : ((لا إيمان لمن قتل مسلماً)) . فقال له هاني : والله ، لو قتلته لقتلت فاجراً كافراً .

ثمّ إنّ ابن زياد بعث في طلب مسلم وبذل على ذلك الجوائز والعطايا الخطيرة ، وكان ممن رغب في ذلك العطاء مولى لابن زياد يُقال له معقل ، فنخرج يدور الكوفة ويتحيل للاستطلاع على خبر مسلم إلى أن وقع على خبره أنّه عند هاني ، أرشده عليه رجل يُقال له مسلم بن عوسجة ، قال له : إنّي ثقة من ثقاته وعندني كتمان أمره ، وقد أحببت أن ألقاه ؛ لأبأبعه . وحلف لذلك الرجل بالأيّمان المؤكّدة على ذلك ، فلمّا أدخله على مسلم وهاني ، أخذ أخبارهما على الحقيقة وأوصلهما إلى ابن زياد ، فبعث ابن زياد في طلب هاني ، فلمّا وصل إليه وسلّم عليه ، أعرض عنه ولم يرد عليه جواباً ، فأنكر هاني أمره ، فقال : لماذا أصلح الله الأمير ؟ فقال : يا هاني ، أخبيت مسلماً وأدخلته دارك وجمعت له الرّجال والسّلاح ، وظننت أنّ ذلك

يخفي عليّ . فقال هانئ : معاذ الله أيها الأمير ما فعلت ذلك . فقال : بلى قد فعلته . فقال هانئ : الذي بلغك عني باطل . فقال ابن زياد : يا معقل ، أخرج إليه وكذبته . فخرج معقل وقال : يا هانئ أما تعرفني ؟ فقال : نعم أعرفك فأجراً غادراً . ثم إنه علم كان عيناً لابن زياد ، فقال له ابن زياد : يا هانئ ، آتني بمسلم وإلا فرقت بين رأسك وجسدك . فغضب من قوله وقال : إنك لا تقدر على ذلك أو تحرق بنو مذحج دمك . فغضب ابن زياد فضرب وجهه بقضيب كان عنده ، فضربه هانئ بسيف كان عنده فقطع أطماره وجرحه جرحاً منكراً ، فاعترضه معقل لعنه الله فقطع وجهه بالسيف ، فجعل هانئ يضرب بهم يميناً وشمالاً حتى قتل من القوم رجالاً ، وهو يقول : والله ، لو كانت رجلي على طفل من أطفال أهل البيت ، ما رفعتها حتى تُقطع . حتى تكاثر عليه الرجال فأخذوه وأوثقوه كثافاً وأوقفوه بين يدي ابن زياد ، وكان بيده عمود من حديد ، فضربه به فقتله رحمة الله عليه وعدب قاتله وأصلاه جهنم وبئس المصير ، والله درّ من قال :

سأصبر حتى تنجلي كل غمة وتأتي بما تختار نفسي من البشائر
وإني لبئس العبد إن كنت آيساً ممن الله إن دارت عليّ الدوائر

قال التأقلون : لما وصل خبر هانئ إلى مسلم ، خرج من الدار هارباً حتى انتهى إلى الحيرة ، فأضافته امرأة هُناك بعد ما سألته عن حاله وقصته ، فلما أدخلته الدار ، أكرمته وقدمت إليه المأكول فأبى عن ذلك ؛ لما به من الوجع والألم ، فلما أمسى المساء ، أقبل ولد المرأة إلى الدار - وكان من أتباع ابن زياد - فنظر إلى أمه رآها تكثر الدخول والخروج إلى المكان ، فأنكر شأنها وسألها عن ذلك فنهرته ، فألح عليها في المسألة ، فأخذت عليه العهد فأخبرته ، فأمسك عنها وأسّر ذلك في نفسه إلى أن طلع الفجر ، وإذا بالمرأة قد جاءت إلى مسلم بماء ليتوضأ وقالت له : يا مولاي ، ما رأيتك رقدت في هذه الليلة ؟ فقال لها : اعلمي إنّي رقدت رقدة فرأيت في منامي عمي أمير المؤمنين وهو يقول : الوحاء الوحاء ، العجل العجل . وما أظنّ إلا أنه آخر أيامي من الدنيا :

يا طالب الصفوة في الدنيا بلا كدر طلبت معسرة فآيس من الظفر
واعلم بأنك ما عمرت ممتحن بالخير والشر والإيسار والعسر
في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة ومن يفرّ فلا ينجو من القدر

ثم إنَّ ولد تلك المرأة لما حَقَّق الخبر عن مُسلم ، مضى إلى اللعين ابن زياد فأخبره بخبر مُسلم ، ثمَّ إنَّ ابن زياد دعا بمُحمَّد بن الأشعث الكندي وضمَّ إليه ألف فارس وخمسمائة راجل ، وأمرهم بالانطلاق إلى مُسلم ، فسار ابن الأشعث حتَّى وصل الدَّار ، ولمَّا سمعت المرأة صهيل الخيل وقعقة اللجم ، أقبلت إلى مُسلم وأخبرته بذلك ، فلبس درعه وشدَّ وسطه وجعل يدير عينيه ، فقالت المرأة : ما لي أراك تهيأت للموت ؟ فقال : ما طلبه القوم غيري ، وأنا أخاف أن يهجموا عليَّ في الدَّار ولا يكون لي فسحة ولا مجال . ثمَّ إنَّه عمد إلى الباب وخرج إلى القوم ، فقاتلهم قتالاً عظيماً حتَّى قتل منهم خلقاً كثيراً ، فلمَّا نظر ابن الأشعث إلى ذلك ، أنفذ إلى ابن زياد يستمدُّه بالخيال والرَّجال ، فانفذ إليه ابن زياد يقول : ثكلتك أمك ! رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة ، فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشدَّ منه قوة وبأساً؟! (يعني الحسين) فبعث إليه الجواب : عساك أرسلتني إلى بَقَّال من بقايل الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الكوفة ، وإمَّا أرسلتني إلى سيف من أسياف مُحمَّد بن عبد الله. فلمَّا بلغ ذلك ابن زياد ، أمده بالعسكر الكثير ، فلمَّا رأى مُسلم ذلك ، رجع إلى الدَّار وتهيأ وحمل عليهم حتَّى قتل كثيراً منهم ، وصار جلده كالقنفذ من كثرة النَّبل ،

فبعث [ابن الأشعث]⁽¹⁾ إلى ابن زياد يستمدُّه بالجند والرَّجال ، فأرسل إليه بذلك وقال لهم : يا ويلكم ! أعطوه الأمان وإلَّا أفناكم عن آخركم . فنادوه بالأمان ، فقال لهم : لا أمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله . ثمَّ حمل عليهم فقاتلهم ، ثمَّ إنَّهم احتالوا عليه وحفروا له حفرة عميقة في وسط الطَّريق ، وأخفوا رأسها بالدَّغل والتراب ، ثمَّ انطردوا بين يديه ، فوقع بتلك الحفرة وأحاطوا به ، فضربه ابن الأشعث على محاسن وجهه ، فلعب السَّيف في عرني أنفه ومحاجر عينيه ، حتَّى بقيت أضراسه تلعب في فمه ، فأوثقوه وأخذوه إلى ابن زياد ، فنظر مُسلم إلى برادة هُناك فيها ماء وكان له يومان ما شرب الماء ، فقال لِمَن يليها : اسقني ماء والجزء على الله تعالى وعلى رسوله . فرفع إليه البرادة ، فلمَّا تناولها منه ، ردَّها إليه وقال : خذها لا حاجة لي فيها . ثمَّ أدخلوه إلى ابن زياد ، فقال له القوم : سلِّم على الأمير . فقال : السَّلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الرِّدى وأطاع الملك الأعلى . فضحك ابن زياد ، فقال له بعض الحجة : أما ترى الأمير يضحك في وجهك ، فلمَّ لا تسلِّم عليه .

(1) من إضافات المقوم . (معهد الإمامين الحسنين).

بالإمارة؟ فقال مُسلم : والله , ما لي أمير غير الحسين بن عليّ (عليه السلام) , وإنما يُسلّم عليه بالإمارة من يخاف منه الموت . والله درّ من قال من الرجال :

أصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت مصيبة تشجى بها فاذكر مصيبة آل بيت محمد
واصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب اليوم تكشف في غد

ثم إن ابن زياد قال له : سواء عليك سلّمت أم لم تسلّم فإنك مقتول . فقال : إذا كان لا بدّ من قتلي , فلي إليكم حاجة. قالوا : وما هي ؟ قال : أريد رجلاً قرشياً أوصيه . فنهض عمر بن سعد لعنه الله , فقال له : ما وصيتك ؟ فقال له : إدن منّي . فدنى منه .

فقال له : أوّل وصيتي , فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله , وأنّ عليّاً وليّ الله ووصي رسوله وخليفته في أمّته. وثانياً : تأخذ درعي تبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم ؛ استقرضتها منذ دخلت إلى مصركم هذا . [و] (1) ثالثاً : أن تكتب إلى سيدي الحسين يرجع ولا يأتي إلى بلدكم ؛ فيصبيه ما أصابني , فقد بلغني أنّه توجّه بأهله وأولاده إلى الكوفة . فقال عمر بن سعد : أمّا ما ذكرت من الشّهادة فكلّنا نشهدها , وأمّا ما ذكرت من بيع الدرع وقضاء الدّين , فذلك إلينا إن شئنا قضينا وإن شئنا لم نقض , وأمّا ما ذكرت من أمر الحسين , فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّة بعد غصّة . ثمّ إنّ ابن زياد سمع بذلك , فقال : قبّحك الله من مستودع سرّاً , وحيث أنّك أفشيت سرّه , فلا يخرج إلى حرب الحسين غيرك . ثمّ أمر بمُسلم أن يُصعد به إلى أعلى القصر ويُرْمى منه منكساً على رأسه , فعند ذلك بكى مُسلم على فراق الحسين (عليه السلام) , وقال :

جزى الله عنا قومنا شر ما جزى شرار الموالى بل أعق وأظلم
هم منعونا حقنا وتظاهاهروا علينا ورامونا نذل و نرغم
وغاروا علينا يسفكون دماءنا فحسبهم الله العظيمة المعظم
ونحن بنو المختار لا شيء مثلنا نبي صدوق مكرم ومكرم

قال ثمّ ألقى من أعلى القصر وعجل الله بروحه إلى الجنّة . ثمّ إنهم أخذوا مُسلماً وهانئاً يسحبونهما في الأسواق , فبلغ خبرهما إلى مدحج , فركبوا خيولهم

(1) من إضافات المقوم . (معهد الإمامين الحسينين).

وقاتلوا القوم , وأخذوها ودفنوها رحمة الله عليهما وعدّب قاتليهما بالعذاب الشديد يوم الوعيد . والله درّ من قال من الرجال :

فإن كنت لا تدرين بالموت فانظري إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتييل
أصاحبهما أمر الأمير فأصبحا أحاديث من يسري بكل سبيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه ونضيح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحى من فتاة حيية وأقطع من ذي شفتين صقيل
وأشج من ليث ببطن مسبل وأجرأ من ليث بغابة غيل

ثم إن ابن زياد لعنه الله بعث كتاباً إلى يزيد لعنه الله يخبره بقصتهما , فكتب إليه الجواب يقول : كنت كما أردت وفعلت ما أحببت وصدقت ظني فيك , وقد بلغني أنّ الحسين متوجه إلى العراق , فضع عليه المراصيد واكتب إليّ بما يحدث من الأمور , والسلام.

فانظروا يا إخواني إلى ما صنع بأهل الفضل والمعاني , جرّعوهم الكؤوس وأذقوهم الحتوف , واستأصلوهم طعناً بالزّماح وضرباً بالسيف , فيا ويجهم ! كأثم لم يخافوا الإنتقام في يوم الحشر والقيامة , ولم يراقبوا الملك العلام ولا برسوله المظلل بالغمام .
وبالله عليكم يا إخواني , لما ترخّمت على مسلم بن عقيل وتفكّرتم فيما امتحن الله فيه هذا الجيل , فليس ذلك على سبيل الهوان وإمّا هو على سبيل التّبجيل والتّفضيل , فلو ذابت نفوسكم من الأحزان بذلتم أرواحكم في النّوح والأشجان , لكان ذلك من أقلّ القليل لهذا الخطب الجليل , فيحقّ على مثل هؤلاء الكرام أن يبكي الباكون , وإياهم فليندب النّادبون , ومثلهم تذرّف الدّموع من العيون , أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عزته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة للشيخ الدرّمكي (رحمته الله)

قلب المتيم بالأحزان موعور وطرفه عن لذيذ النوم محجور
ودمعه فوق صحن الخد منحدر وجسمه بقيود السقم مقهور
وودي الصير منه مقفر خرب وعمره بالبكاء والنوح معمور

قد عاهد الله إيماناً مغلظة
حزناً مقيماً مديماً لا على ولد
ولا لحسن رياض قد زهت ونمت
ولا لنوح حمام الايك إذ سجت
ولا لطيب الصبا واللهو إذ ذهب
لكن تصرم شهر الحج فاحتزقت
أمثل الأتقياء الأصفياء ومن
غداة سار ابن سعد بالجيش إلى
من بعد ما وردت بالأمس كتبهم
فحين لمّا دنا من قرب دارهم
ثاروا عليه وحالوا دون مشربه
فقال يا قوم كفوا عن ضاللتكم
فلا تغرركم الدنيا وزينته
إني أحذركم بطش الإله بكم
عذرتموني وجدتم عهـودكم
قالوا له كفّ عن هذا الكلام فما
فإن أردت النجا بايع يزيد وإن
فقال يا قوم إن الله أمرنا
وقسمة النار والجنات في يدنا
قالوا له حكمكم ظلم وطاعتكم سقم
فإن أطعت على هون نجوت وإن
فقال خلوا سبيلي إن لي فكراً
فأمّ منزله والدمع يسبقه
فحين لمّا دجى الليل البهيم وقد
دعا بأصحابه جميعاً فاحضروهم
إن النواصب قد نامت عيونهم

لا يترك الحزن حتى ينفخ الصور
ولا حبيب ولا أبكاء مخدور
وقت الربيع بالزهـر تـزهـير
فوق الغصون لها في النوح تجهير
غداة ذيل حلى الببال مجدور
أحشاه بالحزن لمّا هل عاشور
لولا هم مارجاً القرآن مأزور
حرب الحسين له في السير تكبير
أقدم فأنت بعون الله منصور
مبلغاً ما به بالنص مأمور
وأظهروا رشك في الصدر مذخور
فالكل منا بتقوى الله مأمور
فالخير والشر للإنسان مسطور
ومن تقدم بالإنذار معذور
فجئت أسعى لمّا في الكتب مسطور
ينجيك من كيدنا ذا اليوم تعذير
تأبى فدمك بالأسـياف مهـدور
وما لصاحبكم في الحكم قطمير
وما علينا لخلق الله قط تأمير
وخذلانكم ما فيه تخسير
تأبى فأنت بحمد السيف مقهور
باقـي نهـاري ولي في الليل تفكير
كأنه درر في الخـد مثـور
أمسى على وجل والطرف مسهور
وقال يا قوم ما في الأمر تأخير
والبر خال وجنح الليل مستور

من كان منكم يواسينا بمهجتة
ومن أبي فهو في حل وفي دعة
فأكثروا بالبكاء والوجد وانتحبوا
حاشا وكلا بأن نعطي الظهور معاً
فالموت لا بد أن نلقني مرارته
فقال لا خيب الرحمن قصدكم
يا ليتني كنت ذاك اليوم بينهم
لله درهم ما كان أصبرهم
من كل محتزم بالصبر مدرع
كانوا كأصحاب بدر في الوغاهم
لله كم قسموا بالروع من بطل
حتى أذيقوا الردى ظمماً على ظمماً
وأصبح السبب فرداً لا نصير له
إذا دنوا منه أفناهم بصارمه
حتى رموه بسهم في مقاتله
وأدبر المهجر ينعاه ويندبه
فحين أبصرته النسوان محتضباً
كل تقول فجعلنا بالذي فجعت
أين الحسين يرانا نستغيث فلا
واغربت الأرض والآفاق وانكسفت
وأصبحت عرصات العلم دارسة
فحين أبصرته النسوان منجدل
سقطن كل توقيه بمهجتة
والشمر يلدفعهم عنه ويوجعهم
ومييز الرأس في كفيه ينظره
لهفي لزئيب تنعاه وتندبه

فأجره ثابت والذنب مغفور
فمالنا في رقاب الناس تحجير
وجددوا قلوبهم والدمع محذور
وأنت في عرصات الصنف محصور
فاصدع بما أنت ملزوم ومأمور
ولا هفنا لكم ذكر ولا نور
وفي يدي مرهف الخدين مشهور
كأنهم في السوغي أسد مغاور
بالفضل متشح بالخير المذكور
شأن ومجد وتعظيم وتوفير
مجرّب وهو في الهيجاء المذكور
والماء يشربه كلب وخنزير
وقلبه بلظى الأحزان موغور
وإن ولي فله في السدين تبصير
فخرّ ملقى له في التراب تعفير
والسرج منتكس والرمح مكسور
خرجن كل لها في الذيل تعشير
بسه البتول وخاتنتنا المقادير
نغات قد أحكمت فينا الخنازير
شمس النهار ووائى البدر تكوير
وشرد الحق واستعلى المناكير
والشمر يذبجه والسيف مشهور
ودمعنا فوق صحن الخد محذور
ضرباً بوشحهم والنحر منحور
الدم منه على زنديه تقطير
والنحر في يدها والرأس مبتور

يا عارياً كسست الأرياح جثته
وغسلته الضبا من دم منحره
ونعشه من قنى الخطى أرفعها
يا سيدي ما ترى الأيام حولك
وأم كلثوم للأيتام جامع
ويينهم فاطمة الصغراء صارخة
تقول يا أبتا خلفتنا عبر
من للأرامل والأيتام يا أبتا
ما كان أطيننا والشمل مجتمع
تبدل الأمن خوفاً والنعيم شقاً
ما كنت أحسب أن الدهر يعذرنى
لا زلت أحذر حتى صرت في حذري
يعز على البضعة الزهراء لو نظرت
كان الحسين لنا سوراً وقصر حمى
يا عمته قربهوا الأجمال يرتحلوا
قومي نودع جثمان الحسين فقد
فغردت برفيع الصوت عمته
تسيرونا على الأقتاب عارية
يا ليت أسماعنا من قبل ذا طرشت
بأي وجهه تلاقى الله ويلك يا
فحين لمّا أتوا أرض الشام معاً
وأقبلوا بالسبايا والرؤوس معاً
فكبروا قال ما هذا فليل له
أخذت ثاري بقتلي لابن فاطمة
فلعنمة الله تغشاه ووالده
وجاد أجدات آل المصطفى أبداً

قميص ترب بدم النحر مزرور
وشبيهه قطنه والترب كافور
والقبر في قلب من والاه محفور
والسجاد يسحب في الأقياد مأسور
وقلبها بسيف الحزن مشطور
وشعرها من وراء الكتف منشور
وفي بعض ما نالنا الناس تعب
وأنت تحت طباق الأرض مقبور
ونحن في نعمة والقلب مسرور
واليسر عسراً وضد الصفو تكبير
وبذل وجهي وهتك الستر مذخور
وحاذر الدهر لم ينفعه تحذير
أولادها الغر كل وهو مضرور
فالיום هدم ذلك القصر والسور
والرأس يقدمهم في الرمح مشهور
حان الرحيل وما للقوم تأخير
أما لزلتنا يا قوم تكبير
شعناً عرارة لنا في السير تعشير
جمعاً وأعيننا من رزتنا عور
حادي اتق الله أين الله محذور
نحو اللعين وباب القصر محصور
نحو اللعين وباب القصر محصور
رأس الحسين فأنشأ وهو مسرور
ظلماً وخالفت ما في الكتب مسطور
مخلد في أطباق النار مدحور
غيث مقيم مدى الأيام مهمور

متى نرى الشمس من غرب وقد طلعت
والعادل بالأرض والأيام باسمه
أنا العبد الذليل الدرهمي ومن
صلى الإله على من حبه من سكن
لها شعاع على الأفق مظهر
والظلم والفسق والطغيان مطمور
شخصي على فطرة الإسلام مفسور
ومدحهم في جميع الكتب مسطور

الباب الثاني

أيها المؤمنون والأمناء الصالحون ، أجروا مياه العيون من مقرحات الجفون ، على هذا الخطب العظيم والمصاب الجسيم ،
خطب يقل فيه بذل الأرواح ويهون فيه الضرب والكفاح ، خطب أبكى الرسول وأحرق كبد البتول . فواعجابه ممن تقدم إليهم
بذلك وخاض بنفسه تلك المهالك ! كيف لم تحفظ فيهم القرابة والنسب والشرف والحسب ، حتى تركوا رجالهم بنجيع الدماء
مخضوبة ، وأبدانهم على التراب مسلوقة ، ومخدراتهم سبايا منهوبة ؟ فكم من جرم أجتزموه وعظيم أمر ارتكبهوه ، فما أجرأهم على
الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله .

فيا إخواني ، كيف لا نبكي عليهم ونحن قلوبنا إليهم ؟ وقد ورد في الخبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، أنه قال : ((من
دكرنا عنده فبكى لما أصابنا من نوب الدهر ، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر)) . فلذلك يجب علينا لبس سراويل
الجزع والأشجان وإرسال الدموع الهتان ، وأن نضح ضجيج التكللى بين العباد ، ونواسي بهذا التعداد علي بن الحسين السجاد ؛
لما روي أنه بكى على أبيه الحسين أربعين سنة ، وما وضع بين يديه طعام إلا وبكى ، حتى قال مولى له : جعلت فداك يا بن
رسول الله ! إنني أخشى عليك أن تكون من الهالكين . فيقول : ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا**
تَعْلَمُونَ ﴾ (1) . ثم قال : ((إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا وخنقتني العبرة)) :

إن كنت محزوناً فما لك ترقد
ولقد بكته في السّماء ملائكتك
والشمس والقمر المنير كلاهما
هلا بكيت لمن بكاه محمد
زهرا كرام راعيون سجد
حول النجوم تباكيها والفرقد

(1) سورة يوسف / 86.

أنسيت قتل المصطفين بكرىلا
فسقوه من جرع الحتوف بمشد
ثم استناحوا الصائحات حواسراً
كيف السلو وفي السبايا زينب
يا جد حولي من يتامى إخوتي
يا جد قد منعوا الفرات وقتلوا
يا جد من ثكلي وطول مصيبي
يا جد لو أبصرتني ورأيتني
يا جد ذا نحر الحسين مخرج
يا جد ذا صدر الحسين مرضض
يا جد ذا ابن الحسين معلل
يرنو لوالده وينظر حاله
يا جد ذا شمر يروم بفتكه
ليحوز جائزة الزينم عليه من
حتى إذا أهوى عليه بسيفه
يا خالقي أنت الرقيب عليهم
وتعجج طوراً بالنبي وآله
يا والدي الساقى على المُرْتضى
يا أمي الزهراء قومي جدي
هذا حبيبك بالحديد قتلنى مقطوع
والطيبون بنوك قتلنى حوله
هذا مصاب ما أصيب بمثله
وإليكم من عبداكم ومحبيكم
صلى الإله عليكم يا سادتي

حول الحسين ذبائح لم يلحدوا
كثر العدو به وقل المسعد
فالشمل من بعد الحسين مبدد
تدعو بحرقه قلبها يا أحمد
في النذل قد سلبوا القناع وجردوا
عطشاً فليس لهم هناك مورد
ولما أعانیه أقوم وأقعد
والخند مئى بالدماء مخدد
بالدم والجسم الشريف مجرد
والخيال تنزل من علاء وتصعد
ومغلل في قيده ومصفد
وينو أمية في العمى لم يهتدوا
ذبح الحسين فأى عين ترقد
لعن المهيمن ما به يتضهد
نادى بفاضل صوته يا واحد
في فعلهم ظلماً وأنت الشاهد
وتقول يا جده ألا يا أحمد
نال العدو بنا كما قد مهدوا
وجميع أملاك السماء لك ينجد
ومخضب بدمائمه مستشهد
فوق الصعيد مبضع ومجرد
بشر من المخلوق إلا واحد
بعض النظام عساه فيه يسعد
ما دام طير في الغصون يغرد

روي عن نقلة الأخبار : أنّ اليوم الذي قُتل فيه مُسلم بن عقيل وهو يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذي الحجة يوم التروية ،

كان فيه خروج الحسين من مكة

إلى العراق بعد أن طاف وسعى وأحلّ من إحرامه وجعل حجّة عمره مفردة ؛ لأنّه (عليه السلام) لم يتمكّن من إتمام الحج مخافة أن يُبطش به ؛ وذلك لأنّ يزيد لعنه الله أنفذ عمر بن سعد بن العاص في عسكر عظيم ، وولاه أمر الموسم وأمره على الحاج كلّه ، وكان قد أوصاه بقبض الحسين (عليه السلام) سرّاً ، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة . ثمّ إنّ لعنه الله دسّ مع الحجاج في تلك السنّة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أميّة ، وأمرهم بقتل الحسين على كلّ حال اتفق ، فلمّا علم الحسين بذلك ، حلّ من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة .

وعن بعض النّاقليين : أنّ محمّد بن الحنفية لما بلغه الخبر : أنّ أخاه الحسين خارج من مكّة يُريد العراق ، كان بين يديه طشت فيه ماء وهو يتوضأ ، فجعل يبكي بكاءً شديداً حتّى شُمع ، وكفّ دموعه في الطشت مثل المطر ، ثمّ إنّّه صلّى المغرب ثمّ سار إلى أخيه الحسين ، فلمّا صار إليه ، قال له : يا أخي ، إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم ومكرهم بأبيك وأخيك من قبلك ، وإنيّ أخشى عليك أن تكون حالك كحال من مضى من قبلك ، فإنّ أطعت رأبي ، قم بمكّة وكن أعزّ من في الحرم المشرف . فقال : ((يا أخي ، إنيّ أخشى أن تغتالي أجناد بني أميّة في حرم مكّة ، فأكون كالذي يُستباح دمه في حرم الله)) . فقال : يا أخي ، فسر إلى اليمن فإنّك أمانع الناس به . فقال الحسين : ((والله يا أخي ، لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض ، لاستخرجوني منه حتّى يقتلوني)) . ثمّ قال : ((يا أخي سأنظر فيما قلت)) .

قال : فلمّا كان وقت السّحر ، عزم الحسين على الرّحيل إلى العراق ، فجاءه أخوه محمّد بن الحنفية وأخذ بزمام ناقته التي هو راكبها ، وقال : يا أخي ، ألم تعدني النّظر فيما أشرت به عليك ؟ فقال : ((بلى)) . قال : فما حدّاك على الخروج عاجلاً ؟ فقال : ((يا أخي ، إنّ جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاني بعدما فارقتك وأنا نائم ، فضمّني إلى صدره وقبّل ما بين عيني وقال : يا حسين يا فترّة عيني ، اخرج إلى العراق ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد شاء أن يراك قتيلاً مخضباً بدمائك)) . فبكى ابن الحنفية بكاءً شديداً ، وقال له : يا أخي ، إذا كان الحال هكذا ، فما معنى حملك هذه النّسوة وأنت ماض إلى القتل ؟ فقال : ((يا أخي ، قد قال لي جدّي أيضاً : إنّ الله عزّ وجلّ قد شاء أن يراهم سبايا مهتكات يسقن في أسر الدّل ، وهن أيضاً لا يفارقني ما دمت حيّاً)) . فبكى ابن الحنفية بكاءً شديداً وجعل يقول : أودعتك الله

يا حسين , في وداعة الله يا حسين .

ونُقل : أنه لما خرج من مكة , اعترضه رسول عمر بن سعد وفيهم يحيى بن سعيد ليردّوه , فأبى عليهم , وتدافع الفريقان وتضاربوا بالسيّاط , ثم امتنع عليهم الحسين امتناعاً شديداً ومضى لوجهه , فنادوه وقالوا : يا حسين , ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمة ؟ فقال لهم : ((لي عملي ولكم عملكم , أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا بريء ممّا تعملون)) .

وروي عن الطّرمّاح بن حكيم , قال : لقيت حسيناً وقد امترت لأهلي ميرة , فقلت : اذكر الله في نفسك , لا يغرّنك أهل الكوفة , والله إن دخلتها لتقتلن , وأبّي أخاف أن لا تصل إليها , فإن كنت مجمعاً على الحرب , فانزل أجاهاً فإنّه جبل منيع , والله ما لنا فيه ذلّ قط , وعشيرتي جميعاً يرون نصرتك ما أقمت فيهم . فقال : ((إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أن أخلفها , فإن يدفع الله , فقديماً ما أنعم علينا وكفى , وإن يكن ما لا بدّ منه , ففوز وشهادة إن شاء الله)) . ومضى لوجهه .

ونُقل أيضاً : أنّ الحسين (عليه السلام) لما عزم على الخروج إلى العراق من المدينة , جاءت إليه أمّ سلمة - زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله) - وقالت له : يا بُني , لا تحزني بخروجك إلى العراق فإنّي سمعت من جدّك رسول الله يقول : ((يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يُقال لها كربلاء)) . فقال : ((يا أمّاه , وأنا والله أعلم ذلك , وإنّي مقتول لا محالة وليس لي من هذا بدّ , وإنّي والله لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه وأعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أُدفن فيها , وإنّي أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي , وإن أردت يا أمّاه أريتك حفرتي ومضجعي ومكاني)) . ثمّ أشار بيده الشريفة إلى جهة كربلاء , فانخفضت الأرض حتّى أراها مضجعه ومدفنه وموضع معسكره وموقفه ومشهده كما هو الآن , وهي من بعض فضائله صلوات الله وسلامه عليه .

فعند ذلك بكت أمّ سلمة بكاءً عظيماً وسلّمت أمرها إلى الله تعالى . فقال لها : ((يا أمّاه , قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً , وقد شاء الله أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مسبيين مشرّدين , وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدّين , وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا مُعيناً))

فداؤك روحي يا حسين وعترتي
وأنت عفير في التراب جديـل
وجسمك عريان طريح على الثرى
عليك خيول الظالمين تجول
بناتك تسبي كالإماء حواسرا
وسبطك ما بين العداة قتيـل

ثمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعدما توجَّه إلى العراق ، كتب كتاباً إلى أهل العراق يقول فيه : ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : من الحسين بن عليٍّ إلى إخوانه المؤمنين ، سلام عليكم ، وإيَّ أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، أمَّا بعد : فإنَّ كتاب مُسلم بن عقيل أتاني يخبرني بحسن رأيكم واجتماع ملَّتكم على نصرتنا والطلب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا ولكم الصنيع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكَّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجَّة يوم التَّروية ، فإذا قدم عليكم رسولي ، فاكنتموا أمركم وخذوا حذرکم ، فإنِّي قادم عليكم في أيَّامي هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام)) .

فلمَّا أقبل الرِّسول بالكتاب ، اعترضه الحصين بن نمير وبعث به إلى ابن زياد ، فاستخرج الكتاب فلم يقبل تسليمه إليه ومزَّقه ولم يمكِّنه منه ، فقال ابن زياد : من أنت ؟ قال : أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين . قال : ممَّن الكتاب وإلى من ؟ قال : من الحسين إلى أهل الكوفة . فغضب ابن زياد ، فقال له : اصعد على المنبر وسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن عليٍّ . قال : لمَّا صعد المنبر : حمد الله وأثنى عليه وقال : أيُّها النَّاس ، إِنَّ هذا الحسين بن عليٍّ خير خلق الله ابن فاطمة الزَّهراء بنت رسول الله ، وأنا رسوله إليكم وقد فارقتة بالحجاز ، فأجيبوه . ثمَّ لعن عُبيد الله ابن زياد وأباه واستغفر لعليٍّ بن أبي طالب .

قال : فأمر ابن زياد بأن يُلقى من أعلى القصر . ففعل به فمات من ساعته وعجَّل الله بروحه إلى الجنَّة .

قال الرَّاوي : فبينما الحسين في المسير ، إذ طلع عليه ركب مقبلون من الكوفة وفيهم هلال بن نافع البجلي وعمرو بن خالد ، فسألهما عن النَّاس ، فقال : أمَّا الأشراف فقد استمالهم ابن زياد بالأموال ، وأمَّا باقي النَّاس فقلوبهم معك وسيوفهم عليك . وبلغاه الخبر عن مُسلم بن عقيل وهانئ بن عروة أنَّهما قُتلا . فقال : ((إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون)) . ثمَّ قال للركب : ((ولكم علم برسولي ؟)) . قالوا : نعم ، قتله ابن زياد . فاسترجع وبكى ، وقال : ((جعل الله له الجنَّة ثواباً ، اللَّهُمَّ اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً إنَّك على كل شيء قدير)) . ثمَّ إنَّه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قام خطيباً بالنَّاس وقال : ((إنَّه قد نزل بنا من الأمر ما ترون ، وإنَّ الدُّنيا قد تغيَّرت وتنگرت وأدبر معروفها ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية

الإناء ، ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُنتهى عنه ، ليرغب المؤمنون في لقاء الله محققاً ، ولا يرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً))⁽¹⁾. ثم سار (عليه السلام) إلى نصف النهار ، فرقد واستيقظ وقال : ((رأيت هاتفاً يقول : أنتم تسيرون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة)) . فقال له ابنه : يا أبتاه ، ألسنا على الحق ؟ قال : ((يا بُني ، أي والذي مرجع العباد إليه)) . قال : إذا لا تُبالي بالموت . ثم أنه (عليه السلام) سار حتى أتى إلى موضع يُقال له زباله ، فنزل بها وخطب الناس فقال : ((أيها الناس ، إنما جمعتمكم على أن العراق لي⁽²⁾ وقد أتاني خبر فظيع عن ابن عمي مسلم ، يدل على أن شيعتنا قد خذلتنا ، فمن كان منكم يصبر على حرّ السيوف وطعن الأسنّة فليتم معنا ، وإلا فليصرف عنا)) .

قال : فجعل القوم يتفرّقون يميناً وشمالاً حتى لم يبق معه من أهل بيته ومواليه نيف وسبعون رجلاً ، وهم الذين خرجوا معه من مكة ، فسارهم إلى الثعلبية ، فاعترضهم الحرّ بن يزيد الرياحي قادماً من نحو القادسية في أربعة آلاف فارس ، فلم يزل الحرّ يساير الحسين حتى جاء وقت الظّهر ، فخرج وصلى بالناس وقال : ((أيها الناس ، المعذرة إلى الله وإليكم ، اعلموا أيّ لم أتكم حتى أتني كتبكم ب : أن لك ما لنا وعليك ما علينا . فإن كنتم على ذلك فقد أتيتكم ، وإن كنتم كارهين لقدمي انصرفت عنكم)) . فقال له الحرّ : لا نعرف ما تقول ولا نعرف من كتب إليك ولا من أرسل ، وإنما أمرنا أن لا نفارقك إلا عند عبئد الله بن زياد . فقال الحسين : ((يا ويلك ! الموت أدنى إليكم من ذلك)) . ثم إنّه (عليه السلام) همّ بالرجوع ، فمنعه الحرّ أشدّ المنع ، فلمّا أكثر بينهم الخطاب ، قال الحرّ : فإذا أبيت ذلك ، فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يرجع بك إلى المدينة .

قال : فسار الحسين (عليه السلام) والحرّ يساره حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل ، وإذا بفسطاط مضروب ، فقال (عليه السلام) : ((لمن هذا السّفطاط ؟)) . فقيل : لرجل يقطع الطريق . فأرسل الحسين إليه ، فقال له : ((يا هذا ، إنك قد جمعت على نفسك ذنوباً كثيرة ، فهل لك من توبة تمحص بها عنك الذنوب ؟)) . قال : فماذا ؟ قال : ((تنصر ابن بنت رسول الله)) . فقال : والله ، ما خرجت من الكوفة إلا خوفاً أن تقدم إليها ، فأكون أوّل من يحاربك مع ابن زياد ، ولكن هذه فرسي وهذا سيفي واعفني من ذلك . فأعرض عن الحسين ، فقال : ((إذا بخلت بنفسك ، فلا حاجة لنا في مالك)) . وتلا هذه الآية : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾⁽³⁾ .

- (1) هكذا ورد في هذا الكتاب ، ولكن الوارد في مناقب آل أبي طالب : 224/3 ، وفي غيره من الكتب هو : ((قد نزل ما ترون من الأمر ، وأنّ الدنيا قد تنكّرت وتغيّرت وأدير معروفها ، واستمرّت حتى لم يبق منها إلا كصباة الإناء ، وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لا يُعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله ، وإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً)) . (معهد الإمامين الحسينين).
- (2) هكذا موجود في الكتاب . (معهد الإمامين الحسينين).
- (3) سورة الكهف / 51 .

قال : سمعت جدِّي رسول الله يقول : ((مَنْ سمع نداء أهل البيت ولم يجبه ، أكبه الله على منخره في النار)) . ثمَّ إنَّه سار (عائلاً) فلما فارقه الرجل ، ندم على ما فاته من نصرة الحسين .

قال : فبينما هم يسيرون ، وإذا براكب على نجيب قد أقبل من نحو الكوفة ، فلما وصل ، سلّم على الحرّ ولم يُسلّم على الحسين ، ثمّ دفع إلى الحرّ كتاباً من ابن زياد يأمره فيه بالتّعجيل ، فساروا جميعاً إلى أن انتهوا [إلى] (1) أرض كربلاء ، إذ وقف الجواد الذي تحت الحسين ولم ينبعث من تحته ، وكلّما حتّه على المسير لم ينبعث خطوة واحدة ، فنزل عنه وركب غيره فلم ينبعث خطوة واحدة ، فقال الإمام (عائلاً) : ((يا قوم ، ما يُقال لهذه الأرض ؟)) . فقالوا : نينوي . فقال : ((هل لها اسم غير هذا ؟)) . قالوا : نعم ، شاطئ الفرات . فقال : ((هل لها اسم غير هذا ؟)) . قالوا : نعم ، تُسمّى كربلاء . فعند ذلك تنفّس الصّعداء ، فقال : ((هذه والله كرب وبلاء ، وههنا والله تُرْمَل النّسوان وتُدبح الأطفال ، وههنا والله تُهتك الحرّيم ، فانزلوا بنا يا كرام ، فههنا محلّ قبورنا ، وههنا والله محشرنا ومنشرنا ، وبهذه أوعدني جدِّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا خلف لوعده !)) . ثمَّ إنَّه نزل عن فرسه وجلس بعد ذلك يصلح سيفه وهو يقول :

يا دهر أف لك من خيلي كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتييل والودهر لا يقنع بالبدليل
وكل حي سالك سبيلي ومنتهى الأمر إلى الجليل

ولم يزل يكرّر هذه الأبيات حتّى سمعت أخته زينب ، فوثبت تجرّ ذيلها حتّى انتهت إليه ، وقالت له : يا أخي وقرة عيني ، ليت الموت أعدمني الحياة يا خليفة الماضين وثمان الباقيين ، هذا كلام من أيقن بالموت ، وا شكلاه ! اليوم مات جدِّي مُحَمَّد المصطفى وأبي عليّ المرتضى وأمي فاطمة الزّهراء وأخي الحسن الرّضي .

قال لها : ((يا أختاه ، لا يذهب بحلمك الشيطان تعزّي بعزاء الله ، فإنّ أهل السّماء والأرض يموتون ، وكلّ شيء هالك إلا وجهه ، أبي خير منّي وأخي خير منّي ولكلّ مسلم برسول الله أسوة)) . فقالت : يا أخي ، تُقتل وأنا أنظر إليك ؟ فردت غصته وتغرّغت عيناه بالدموع . فقالت : يا أخي ، ردنا إلى حرم جدّنا . فقال : ((لو ترك القطا لغفا ونام)) . قالت : والله يا أخي ، لا فرحت بعدك أبداً . ثمَّ إنّها

(1) من إضافات المقوم . (معهد الإمامين الحسينين).

لطمت وجهها وأهوت إلى جيبها فشقتة وخرت مغشية عليها , ثم قام الحسين إليها وقال لها : ((يا أختاه , بحقي عليك إذا أنا قُتلت فلا تشقّي عليّ جيباً ولا تخمشي وجهاً ولا تدعين بالويل والثبور)) . ثم حملها حتى أدخلها الخيمة , ثم خرج إلى أصحابه وأمرهم أن يقربوا البيوت بعضها إلى بعض , ففعلوا ذلك .

ثم إن ابن زياد لعنه الله نادى في عسكره : معاشر الناس , من يأتيني برأس الحسين وله الجائزة العظيمة , وأعطه ولاية الرّي سبع سنين ؟ فقام إليه عمر بن سعد لعنه الله , وقال : أصلح الله الأمير . وقال : امض إليه وامنعه من شرب الماء وآتني برأسه . فقال : أيها الأمير أحرّني شهراً . قال : لا أفعل . قال : ليلتي هذه . قال : قد فعلت . ثم نهض من وقته وساعته ودخل مضربه , فدخل عليه أولاد المهاجرين والأنصار وقالوا له : يا بن سعد , تخرج إلى حرب الحسين وأبوك سادس الإسلام ! فقال : لست أفعل ذلك . ثم جعل يفكر في ملك الرّي وقتل الحسين , فأضله الشيطان وأعمى قلبه فاختر قتل الحسين (عليه السلام) وملك الرّي , واستعدّ للحرب ومدّ العساكر إلى أن تكملت عشرين ألفاً , فضيقوا على الحسين وأصحابه .

ثم إن الحسين قام متكئاً على سيفه وقال : ((أمّا بعد , أيها الناس , انسبوني من أنا وراجعوا إلى أنفسكم فعاتبوا ؟ هل يحلّ لكم سفك دمي وانتهاك حرّمي ؟ ألسنت ابن بنت نبيكم وابن عمّه أولى الناس بالمؤمنين من أنفسكم (2) ؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي ؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله فيّ وفي أخي ؟ سلوا زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله الأنصاري وسهل بن سعد الساعدي وأنس بن مالك , يخبروكم عن هذا القول ؟ فإن كنتم تشكّون فيّ ما أنا ابن بنت نبيكم , فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري , والله , ما تعمدت الكذب منذ نشأت وعرفت أنّ الله يمقت الكذب وأهله , هل تطالبوني بقتل منكم قتلته أو بمال استهلكته أو بقصاص من جراحة ؟)) . فسكنوا .

فلما كان اليوم التاسع من المحرم , دعاهم عمر بن سعد إلى المحاربة , فأرسل الحسين (عليه السلام) أخاه العباس يلتمس منهم التأخير في تلك الليلة , فقال ابن سعد للشمر : ما تقول ؟ فقال : أمّا أنا , فلو كنت الأمير لم أنظره . فقال عمر بن سلمة (2) : سبحان الله , والله لو كانوا من التّرك أو الدّيلم وسألوك هذا , ما كان لك أن تمنعهم , فيحتنذ أمهلهم . فكان لهم في تلك الليلة دويّ كدوي

(1) هكذا ورد في هذا الكتاب , ولكن الوارد في الإرشاد للشيخ المفيد 97/2 , وغيره هو : ثم قال : أمّا بعد , فانسبوني فانظروا من أنا , ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوا , فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرّمي ؟ ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمّه , وأول المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه ؟ ... (معهد الإمامين الحسنين).

(2) ورد في كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي 98/5 . فقال رجل من أصحابه يُقال له عمرو بن الحجاج : ... (معهد الإمامين الحسنين).

النَّحْل من الصَّلَاة والتَّلَاوة.

ثمَّ إنّ الحُسين جمع أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ، ثمَّ قال : ((أمّا بعد ، لا أعلم أنّ أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني خيراً ، ألا وإيّي قد أذنت لكم فانطلقوا فأنتمهم في حلّ ليس عليكم منّي ذمام ، وقد غشيكم الليل فاتخذوه سترًا جميلاً)) . فقال له إخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر : لا نفعل ذلك ولا نبقي بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبداً . فدعا لهم العباس وإخوته ثمَّ بايعوه ، وقال لبني مُسلم بن عقيل : ((حسبكم من القتل ما تقدّم في مُسلم ، اذهبوا فقد أذنت لكم)) . قالوا : لا والله لا نفارقك أبداً حتّى نضرب بسيوفنا ونقتل بين يديك .

ثمَّ إنّ الحُسين ركب فرسه وهيئاً للقتال ، ثمَّ إنّ القوم أقبلوا يزحفون نحو الحُسين ، فرمى عمر بن سعد إلى أصحاب الحُسين سهماً ، وقال : اشهدوا لي عند الأمير إيّي أوّل من رمى . فقال الحُسين لأصحابه : ((قوموا إلى الموت الذي لا مفرّ لكم عنه)) . فنهضوا جميعاً والتقى العسكران وامتاز الرّجال من الفرسان ، واشتدّ الجدل بين العسكرين إلى أن علا النّهار ، فاشتدّ العطش بالحُسين وأصحابه ، فدعا بأخيه العباس وقال له : ((اجمع أهل بيتك واحفر بئراً)) . ففعلوا ذلك فطمّوها ثمَّ حفروا أخرى فطمّوها ، فتزايد العطش عليهم . فقال العباس لأخيه الحُسين : يا أخي ، ما ترى ما حلّ بنا من العطش ، وأشدّ الأشياء علينا عطش الأطفال والحرم ؟ فقال الإمام (عليه السلام) : ((امض إلى الفُرات وآتنا بشيء من الماء)) . فقال : سمعاً وطاعة . فضمّ إليه رجالاً وسار حتّى أشرفوا على المشرعة ، فوثبوا عليهم الرّجال وقالوا لهم : ممّن القوم ؟ قالوا : نحن من أصحاب الحُسين . قالوا : وما تصنعون ؟ قالوا : فقد كضنا العطش ، وأشدّ ذلك علينا عطش الحرم والأطفال . فلمّا سمعوا ذلك ، حملوا عليهم فمنعواهم ، فحمل عليهم العباس فقتل منهم رجالاً وجدل أبطالاً حتّى كشفهم عن المشرعة ، ونزل فملاً قربته ومدّ يده ليشرب ، فتذكّر عطش الحُسين (عليه السلام) ، فنفض يده وقال : والله لا ذقت الماء وسيدي الحُسين عطشان . ثمَّ صعد المشرعة فأخذه النّبل من كلّ مكان حتّى صار جلده كالقنفذ من كثرتة ، فحمل عليه رجل من القوم فضربه ضربة قطع بها يمينه ، فأخذ السّيف بشماله فحمل عليه آخر فقطعها ، فانكبّ وأخذ السّيف بجمه ، فحمل عليه رجل فضربه بعمود من حديد على رأسه ففلق هامته ، فوقع على

الأرض وهو يُنادي : يا أبا عبد الله عليك مِنِّي السلام ! فلَمَّا رأى الحسين أخاه وقد انصرع , صرخ : ((وا أخاه ! وا عبّاساه مهجة قلباه ! يعزّ والله عليّ فراقك)) . ثمّ حمل على القوم وكشفهم عنه , ثمّ نزل إليه فحمله على ظهر جواده , وأقبل به إلى الخيمة فطرحه وهو يبكي حتّى أغمى عليه . والله درّ من قال :

أحسق الناس أن يبكي عليه
أخوه وابن والده عليّ
ومن ساواه لا يثنيه شيء
ومن قال أيضاً :

وما زال في حرب الطغاة مجاهداً
وقد رشقوه بالنبال وخرقوا
فنادى حسيناً والدموع هواملاً
عليك سلام الله يا بن محمد
فلما رآه السبط ملقى على الثرى
فجاء إليه والفؤاد مقرح
أخي كنت عوني في الأمور جميعها
يعز علينا أن نراك على الثرى
عليك من الرحمن ألف تحية
فأبشر بجنات من الله في غد

روي : أنّه لما قُتل العبّاس , تدافعت الرّجال على أصحاب الحسين (عليه السلام) , فلَمَّا نظر ذلك , نادى : ((يا قوم , أما من مجير يجيرنا ؟ أما من مغيث يغيثنا ؟ أما من طالب حقّ فينصرنا ؟ أما من خائف من النّار فيذبّ عنّا ؟ أما من أحد يأتينا بشربة من الماء لهذا الطّفّل ؛ فإنّه لا يطيق الظّمّاً ؟)) . فقام إليه ولده الأكبر - وكان له من العمر سبعة عشر سنة - فقال : أنا آتيك بالماء يا سيّدي . فقال : ((امض بارك الله فيك)) . قال : فأخذ الرّكوة بيده , ثمّ اقتحم الشّريعة وملاً الرّكوة وأقبل بها نحو أبيه , فقال : يا أبة , الماء لمن طُلب , اسق أخي وإن بقي شيء فصبه عليّ , فأبى والله عطشان . فبكى الحسين

وأخذ ولده الطّفل فأجلسه على فخذه ، وأخذ الرّكوة وقربها إلى فيه ، فلما همّ الطّفل أن يشرب ، أتاها سهم مسموم فوقع في حلق الطّفل ، فذبحه قبل أن يشرب من الماء شيئاً ، فبكى الحسين ورمى الرّكوة من يده ونظر بطرفه إلى السّماء ، وقال : ((اللهم أنت الشّاهد على قوم قتلوا أشبه الخلق بنبيك وحبيبك ورسولك)) :

والله ما لي أنيس بعد فرقتكم إلا البكاء وقرع السن من ندم
ولا ذكرت الذي أبدى الزمان لكم إلا جرت أدمعي ممزوجة بدمي
ثم إنّه اشتدّ القتال بين الفريقين حتى قتل مقتلة عظيمة ورجع إلى أبيه يستغيث من العطش ، فقال له : ((اصبر قليلاً حتى تلقى جدك أمير المؤمنين فيسقيك بكفه شربة لا ظمأ بعدها)) . فرجع وحمل عليهم فقتل مقتلة عظيمة ، ثمّ كمن له ملعون من أصحاب عمر بن سعد ، فضربه ضربة على مفرق رأسه فانصرع فنادى : يا أباه ، هذا جدّي مُحَمَّد المصطفى ، وهذا جدّي عليّ المرتضى ، وهذه جدّتي فاطمة الزّهراء ، وهذه جدّتي خديجة ، وهم إليك مشتاقون . فأقبل الحسين وفرّق القوم عنه وصاح بأعلى صوته ، فتصارخن النساء ، فقال لهنّ الحسين : ((اسكتن ، فإنّ البكاء أمامكن)) . فأخذ رأس ولده ووضع في حجره ، وجعل يمسح الدّم عن وجهه وهو يقول : ((قتلوك يا بني ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرم رسول الله ، قتل الله قوماً قتلوك يا بني)) . واغرورقت عيناه بالدموع .

قال من شهد الواقعة : كأني أنظر إلى امرأة خرجت من فسطاط الحسين وهي كالشمس الزّاهرة وهي تُنادي : وا ولداه ! وا قرة عيناه ! فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت عليّ .

فانظروا يا إخواني إلى أهل المكر والعناد ، كيف حملهم الغل الكامن في الفؤاد على قتل أولاد الرّسول وثمره فؤاد الزّهراء البتول ، فتركوهم مصرعين على الرّمال في أذلّ الأحوال غير مراقبين فيهم ذا الجلال ، رؤوسهم في أعالي الرّماح وأجسادهم شاحبة تسفى عليها الرّياح ، فهم ما بين قتيل يجري منه الصّديد وأسيراً مكبّل بالحديد .

فيا عيوني سحّي دموعاً ويا فؤادي ذبّ كمداً وخشوعاً ، فيحقّ على هؤلاء الأطائب أن يبكي الباكون ويندب النّادبون وتذرف الدّموع من العيون ، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان ، فنظم وقال فيهم :

القصيدة لسيف بن عمير (رحمته الله)

جل المصاب بمن أصبنا فاعذري
 أفما علمت بأن ما قد نالنا
 رزء عظيم لا يقاس بمثله
 رزء به عثر الإله مصابه
 رزء النبي المصطفى ومصيبة
 رزء الحسين الطهر أكرم من برى
 من جدّه الهادي النبي المصطفى
 والبضعة الزهراء فاطمة أمه
 فأحق سبط المصطفى وحبيبه
 فأحق أن يرثى وأن نبكي له
 وأحق من ألف ناء أو دمنة
 هذا الحسين ملقى بشاطئ كربلاء
 عار بلا كفن ولا غسل سوى
 مقطوع رأس هشمت أضلعه
 ومباعد عن داره وحماته
 ويظام مضطهداً غريباً نازحاً
 ويذاد عن ماء الفرات ووردها
 ويداس بعد ركوبه خير الورى
 ودق ثغر كان أحمد لم يزل
 وحرمه من حوله وحماته
 لم ينشوا من نصره حتى غدوا
 ما بين مضروب بأبيض صارم
 أو بين مسحوب ليزبح بالعرى
 أو بين من يكبو لثقل قيوده
 ورضيع حول بالحسام فظامه

يا هذه ، وعن الملامة فاقصري
 رزء عظيم مثله لم يذكر
 رزء فلم تسمع به أو تبصر
 والشمس كاسفة ولما تهر
 جلت لدى الملك المجليل الأكبر
 بارى الورى من سوقة ومؤمر
 وأبوه حيدرة عظيم المفخر
 حوراء طاهرة وبنيت الأطهر
 هذا الشبير وصنو ذاك الشبير
 بتفجع وتوجع وتحسر
 درست معالمها بسطح الحجر
 ظمآن دامى الخد ثم المنحر
 مور الرياح ثلاثة لم يقبر
 وكسير ظهر كسره لم يجبر
 ومنازل بجوفها والمشعر
 نائى المزار بذلة لم ينصر
 ذود البعير لخمسة لم يصدر
 بجوافر وسنابك وبعسكر
 عن لثمه في الخد غير مفتر
 ماتوا ضمأ فورودهم من كوثر
 أيدي سبأ في سوء حال منكر
 أو بين مطعون بلسان أسمر
 أو بين مشهور وآخر موسر
 أو بين مغلول اليدين معفر
 وصغير سن عن أذى لم يكبر

هذا وزين العابدين مكتفياً
قد أثخنوه بضربهم وبقيدهم
فكان مولاي الحسين وقد غدا
ذو لبدة عز المعين مجاهداً
يغشى النزال ولا يزال محامياً
فهوى الصعيد مجداً ومعفراً
يدعو إليه ويستغيث بجلده
يومي إلى نحو الخيام وتارة
فكأنما قد ألبسوه من الطبأ
وأناه أشقها لقطع كرمه
لم يدر ذاك الرجس أي عزيمة
لما ابان الرأس بان به الهدى
وهوى إلى السفلى الحضيض مكرم
والجن ناحت شجوة في أرضها
وعليه أمطرت السماء وقبله
وهوى يدور الأفق في أفلاكها
وكأنها أفلاكها في كربلاء
يا كربلاء حويت ما لم تحوه
غيبت بطن الأرض منك معظماً
كنت مجازاً ثم صرت حقيقة
ومن العجائب بعد قتل المجتبي
نسل النبي المصطفى وحرمة
ويشهرن ويسلبون مدارعاً
ويسرون على المطايا كالإماء
شعثا ثناكيل عطاشى جوعاً
ويصغرون ويشتمون عداوة

بالقيد بين عصاة لم تنظر
قد أوثقوه فكان كالمضور
متأهباً لقتالهم لم يحذر
ثبت الجنان أشد كل غضنفر
حتى رماه سهم رجس أبتر
ثبت الجنان أشد كل غضنفر
في حاله المستضعف المستنصر
نحو العدو كخائف متحذر
ثوبين بين معصف ومزعفر
ولحز أوداج وقطع الأبهر
أم أي داهية أتى أم منكبر
وعلا الظلام على الضياء الأزهر
والظلم شاد وساد كل مغشمر
والغيث غاض ماء الأبحر
يحيي دماً وسواهما لم تمطر
فكأنها من قبله لم تبدر
أو كربلاء صارت فريق المنبر
أرض السواك من الضياء النير
وغدوت تفتخري بكل غضنفر
بين البلاء والكرب للمتبصر
بدع وأحداث لنسل الأطهر
تسبي كما تسبي بنات الأصفر
ومقانعاً من بعد سلب المعجر
أسرى كأنهم لأسرة قيصر
أسرى كأنهم لأسرة قصير
بأوامر من كافر متجير

لم أنس زينب وهي حسرى حائر
تمشي إلى نحو الحسين وتشتكي
تدعو وتندب يا ثمال أرامل
يا بن النبي المصطفى خير الورى
قد جل رزؤك يا أخي وجل ما
أأخي رزؤك ملبسي ثوب الضنا
أأخي مذ فارقت فارقي العرا
أأخي واصلي العزاء وهجرتي
أأخي حالي بعد بعدك ما صفا
أأخي بعد البعد منك تقربت
أأخي دار أمية معمورة
أأخي شمل أمية مستجمع
أأخي أولاد لآل أمية
يا سيدي يا واحدي وموثلي
يا غايي يا بغيي يا منييتي
كم من أسى متهضم قد مسنا
كنا نعدك للحوادث ملجأ
ظفر العدو بنا ونال مراده
في ربع جسدك آمنون وغفل
فإذا ارعوت أهوت إليه تضمه
وسكينة عنها السكينة فارقت
ورقية رق الحسود لضعفها
ولأم كلثوم يجدي جديدها
لم أنسها وسكينة ورقية
يعدون أمهم البتولة فاطماً
يا أمنها هذا الحسين مجدلاً

في نسوة متبرجات حسر
ما نالها من ظلم ذاك المعشر
وربيع أيتام أطفال صغر
وابن البتولة والإمام الأطهر
ألقاه من ثكل وطول تضرر
ومغيراً جسمي بلون أصفر
وعلى عليّ تحسري وتزفري
ولقد عهدتك واصلاً لم تهجر
وحالاتي مزوجة بتمرمر
ميتي المصائب في الزمان الأعسر
وديار فاطم عاطل لم تعم
وبنات أحمد شملهم يتكدر
مخفورة وبناتنا لم تخفر
يا من إليه شكايي وتجاربي
يا من يقيني نائبات الأعصر
من ظالم باغ علينا مفتر
فإذا فقدت فكسرنا لم يجبر
لما مضيت وقبل ذا لم يظفر
أخرجتنا المصائب لم تشعر
وقناعها سلب ولم تتخمر
لما ابتديت بفرقة وتغير
وغدا ليعذرها الذي لم يعذر
لشم عثيب دموعها لم يكر
بيكينه بتحسرها وتزفري
دعوى الحزين الواله المتحير
ملقى عفيراً مثل بدر مزهر

في تريها متعفراً ومضماً
ظمآن فارق رأسه جثمانه
يا أمننا نوحى عليه وعولي
يا أمننا لو تعلمين بحالنا
أما الرجال فمو سر ومعفر
هنا وكيف يجمل والعزا
أم كيف تسلو النفس عن تطلابه
يا مؤمنناً متشيعاً بولائه
ابك الحسين بلوعة وبعبرة
وامزج دموعك بالدماء وقل ما
والبس ثياب الحزن يوم مصابه
فعاك تحظى في المعاد بشربة
ويزيدني حزنناً بأن رؤوسهم
فكأنها فوق العوالي أنجم
لما رأى الملعون أحوال النسا
فعلى أمية كلها وعتيقها
هنا مصاب للنبي وآله
ما في الرزايا الهائلات رزية
كل المصائب لو تعاطم شأنها
عدت على أفعال عاد واعتدت
والىكم يا سادتي وأحبتي
حبرت ألفاظاً فجاءت درة
ألبستها حلل المعاني فاغتدت
أبهى واسنى من عروس تحتلى
سادات إذا قرئت على أمثالها
أرثي الحسين بها وارجو منكم

جثمانه بنجيع دم أحمر
عريان مسلوب الرداء والمئزر
في قبرك المستور بين الأقبر
لأيت ذا حال قبيح المنظر
والمحصنات ففى سبي وتشهر
مننا عقيب مصابنا بالمنذر
بلا بالبكاء عليهم بتحسر
يرجو النجا والفوز يوم المحشر
إن لم تجد هاذب فؤادك وأكثر
في حقه حقاً إذا لم تنصبر
ما بين أسود حالك أو أخضر
من حوضهم ماء لذيذ سكر
تهدى إلى الطاغى يزيد المفتر
زهرت بأنوار الهدى للمنظر
والرأس ظل بحاله المستبشر
ودلامه العن أبي لم يحصر
يوم الطفوف جرى بصحة مخبر
بأجل منها في الأمور وأكبر
هي دون ذلك في المحل الأكبر
ما عقر ناقاة صالح من أحمر
شعر كنظم الدر أو الجوهر
هذبتها بجوانحي وتفكري
تسبي العقول بمسمع وبمنظر
وأرق من صهباء تروق بمحضر
نظم يعيب لجرول ولحبر
يوم المعاد كرامتي وتوفري

والعفو عما قد جنيت من الخطا
وعبيدكم سيف فتى ابن عميرة
وعليكم صلي المهيمن ما سرى
وجرائم لولاكم لا تغفر
عبد لعبد عبيد حيدر قنبر
أو سار ركب في دجى أو مقمر

الباب الثالث

يا إخواني في الدين ، هل يحسن نوح النائحين إلا على الذرية الطاهرة ؟ وهل يليق بكاء الباكين إلا على أولاد علي أمير المؤمنين ؟ فوا حسرتاه على تلك الأجساد المرملة بالدماء وعلى تلك الأفواه اليابسة من الظماء ! ويا لهفاه على مولاي الحسين ينادي فلا يجاب قد شغله المصاب عن توديع الأولاد والأحباب ! زخرفوا له الأكاذيب وقالوا له أقدم على السعة والترحيب وعلى النزول الخصيب ، فنحن لك ما تريد أرقاء وعبيد ، فحين أناخ برحلهم وحطّ بمحلهم ، سارعوا إليه بالسيف والرماح وصارعوا في ميدان الكفاح ، فجاهدهم بمن معه من أبنائه وأهل بيته وأحبّابه إلى أن سقوا الحتوف رشقاً بالتبال ، وطعنوا بالرماح وضرباً بالسيف.

فيا ويلهم ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله ، ولكن سيعلمون أيّ منقلب ينقلبون . فبالله عليكم يا إخواني ، أدموا عليهم الحزن الطويل فإن مصابهم عظيم جليل :

يا نفس صبراً فكل نائبة
ويا جفوني سحي عليه فلي
لهفي له يشتكى الأوام وللبيض
لهفي لئذاك الجبين معفراً
لهفي لنسوانه وقد كشفت
هذي تنادي أخى وتلك أبي
وزينب مسـتـجيرة ولهـا
تصيح من حسرة ومن أسف
أين عليّ بن الحسين ألا
وفاطم تسـتـغيث عمتها
يا سادتي يا بني النبي ومن

سوى مصاب الحسين تحتمل
عن كل رزء برزئه شغل
المواضي من نحره بلل
كالشمس أنى بدا لها الخجل
عن صدرهن السجوف والكلل
والدمع فوق الخدود منهمل
على أخيها نـدب ومرتـجـل
والقلب منها مـرّوع وجل
أين المحامي والفراس البطل
صارخة دمـع عينها خضل
عليهم في المعـاد أتـكل

ما عنكم لابن حرة عوض وليس منكم ملعارف بدل
وأين عنكم بالولاء لكم تمحى الخطايا ويغفر الزلل
فلا يفرح الظالمون بما هم عليه عاكفون وسيعلمون إلى ما إليه يرجعون , فتنبأ لمن أعمتهم أطماعهم الدنيوية وأهواؤهم المردية
الردية ، جعلوا يركضون في أودية الضلال على مطايا الأطماع , فنكستهم إلى الأذقان في أمر حمله لا يستطاع , ولكن لا تعمى
الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور , ألا ترون يا إخواني إلى أول الرجلين عند نزول الموت حيث قال , كما نقله
الثقات من الرجال : يا ليتني كنت تينة في لبنة . وهل هذا إلا نظير قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ (1) . وإلى
الثاني حيث قال : لو أنّ لي ملء الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع . وهل هذا إلا مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (2) . فشتان ما بين ذين وبين من قال
حين ضرب على أم رأسه : ((فزت ورب الكعبة)) .

ولعمري , إنّ نسبة هؤلاء وأضرابهم إليه افتراء على الله وعليه . فيا سعد من تمسك بذراريه , ويا فلاح من اعتقده وكان من
حزبه ومواليه . بنوه المعصومين سادات الدنيا وشفعاء الخلق في الآخرة , أزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله في العالمين , فبذلك
استحقوا منه العذاب المهين واللعنة إلى يوم الدين .

نقل : أنه لما قُتل عليّ بن الحسين في طفّ كربلاء , أقبل عليه الحسين وعليه جبة خزّ دكناء وعمامة موردة وقد أرخى لها
غرتين , فقال مخاطباً له : ((أما أنت يا بني , فقد استرحت من كرب الدنيا وغمّها وما أسرع اللحوق بك)) . ثم وثب على
قدميه ببردة رسول الله والتحف بها , وأفرغ عليه درعه الفاضل وتقلّد سيفه , واستوى على متن جواده وهو غائص في الحديد ,
فأقبل على أمّ كلثوم وقال لها : ((أوصيك يا أخيّه بنفسك خيراً , وإني بارز إلى هؤلاء القوم)) . فأقبلت سكينه وهي صارخة
وكان يحبّها حبّاً شديداً , فضمّها إلى صدره ومسح دموعها بكمّه وقال :

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة ما دام مئّي الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

ونقل آخر وهو : أنه لما قُتل أصحاب الحسين كلّهم وتفانوا وايبدوا ولم يبق

(1) سورة النبأ / 40.

(2) سورة الزمر / 47.

أحد , بقي (عليه السلام) يستغيث فلا يُعَاث وأيقن بالموت , أتى إلى نحو الخيمة وقال لأخته : ((آتيني بثوب عتيق لا يرغب فيه أحد من القوم أجعله تحت ثيابي ؛ لئلا أُجَرِّد منه بعد قتلي)) .

قال : فارتفعت أصوات النساء بالبكاء والتّحبيب , ثمّ أوتي بثوب فخرّقه ومزّقه من أطرافه وجعله تحت ثيابه , وكان له سرّوال جديد فخرّقه أيضاً ؛ لئلا يُسلب منه , فلمّا قُتل , عمد إليه رجل فسلبهما منه وتركه عرياناً بالعراء مجرّداً على الرّمضاء , فشلت يده في الحال وحلّ به العذاب والتّكال .

قال : فلمّا لبس الحسين (عليه السلام) ذلك الثّوب المخرّق , ودّع أهله وأولاده وداع مفارق لا يعود , قال : وكان عبد الله بن الحسن الزّكي واقفاً بإزار الخيمة وهو يسمع وداع عمّه الحسين , فخرج في أثره وهو يبكي ويقول : والله لا أفارق عمّي . فلحقته زينب لتحبسه ؛ لأنّه صغير لم يبلغ الخلم والحسين يقول لها : ((يا أختي احبسيه)) . فانفلت الصّبي من يدها وقال : والله لا أفارق عمّي . فأقبل حرملة بن كاهل اللعين إلى الحسين (عليه السلام) , فضرب الصّبي بالسّيف فأطنّ يمينه إلى الجلد , فإذا هي معلقة , فصاح الصّبي : يا عمّاه أدركني ! فأخذه الحسين وضمّه إليه وقال : ((يا ابن أخي , صبراً على ما نزل بك يا ولدي)) . فبينما هو يخاطبه , إذا رماه اللعين حرملة بسهم فذبحه في حجره , فصاحت زينب : وابن أخاه , ليت الموت أعدمني الحياة , ليت السّماء أطبقت على الأرض , ولت الجبال تدكدكت على السّهل . وكان عمر بن سعد اللعين قريباً منها , فقالت : ويحك يا عمر , يُقتل ابن بنت رسول الله وأنت تنظر إليه؟! فلم يجبها .

قال من شهد الواقعة : ثمّ إنّ الحسين (عليه السلام) أقبل على عمر بن سعد , وقال له : ((أخيّرك في ثلاث خصال)) . قال : وما هي ؟ قال : ((تتركني حتّى أرجع إلى المدينة إلى حرم جدّي رسول الله)) . قال : ما لي إلى ذلك سبيل . قال : ((اسقوني شربة من الماء , فقد نشفت كبدي من الظّمأ)) . فقال : ولا إلى الثّانية سبيل . قال : ((وإن كان لا بدّ من قتلي , فليبرز إليّ رجل بعد رجل)) . فقال : ذلك لك .

فحمل على القوم وهو يقول :

أن ابن عليّ الطهر من آل هاشم	كفاني بهذا مفخر حين أفخر
وفاطم أمي ثمّ جدّي محمّد	وعمي يدعي ذا الجناحين جعفر
بنا بين الله الهدى من ضلالة	ويغمر بنا آلاءه ويطهر

علينا وفينا أنزل الوحي والهدى
ونحن ولاة الحوض نسقي محبنا
إذا ما أتى يوم القيامة ظامياً
إمام مطاع أوجب الله حقه
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة
فطوبى لعبد زارنا بعد موتنا

ونحن سراج الله في الأرض نهر
بكأس رسول الله من ليس ينكر
إلى الحوض يسقيه بكفيه حيدر
على الناس جمعاً والذي كان ينظر
ومبغضنا يوم القيامة يخسر
بجنة عدن صفوها لا يكدر

قال : ثم إنَّ الحسين (عليه السلام) نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته صرعى , فالتفت إلى الخيمة ونادى : ((يا سكينه يا فاطمه يا زينب يا أمّ كلثوم , عليكم مّي السلام)) . فنادته سكينه : يا أبة , استسلمت للموت ؟ فقال : ((كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين)) . فقالت : يا أبة , ردنا إلى حرم جدنا . فقال : ((هيهات , لو ترك القطا لنام)) . فتصارخن النساء فسكتهنَّ الحسين , ثمّ حمل على القوم وهو يقول :

كفر القوم وقدماً رغبوا
حنقاً منهم وقالوا إننا
يا لقومي ممن أناس قد بغوا
لا لذنب كان مّي سابقاً
بعلي الطهر من بعد النبي
خيرة الله من الخلق أبي
أمي الزهراء حقاً وأبي
فضة قد صفيت من ذهب
ذهب في ذهب في ذهب
والدي شمس وأمي قمر
عبد الله غلاماً يافعاً
يعبدون السلات والعزى معاً
مع رسول الله سبعاً كاملاً
هجر الأصنام لا يعبدها
من له جد كجدي في الورى

عن ثواب الله رب الثقلين
نأخذ الأول قداماً بالحسين
جمعوا الجمع لأهل الحرمين
غير فخري بضياء الفرقدين
ذاك خيرة هاشم في الخافقين
وارث العلم ومولى الثقلين
وارث العلم ومولى الثقلين
فأنا الفضة ابن الذهبين
ولجين في لجين في لجين
فأنا الكوكب وابن القمرين
وقريش يعبدون الـوثنين
وعلي قوائم بالحسنين
ما على الأرض مصل غير دين
مع قريش لا ولا طرفة عين
أو كأمي في جميع المشرقين

خصه الله بفضل وتقوى
جوهر من فضة مكنونة
نحن أصحاب العبا خمستنا
نحن جبريل لنا سادسنا
كل ذا العالم يرجو فضلنا
جدي المرسل مصباح الدجى
والدي خاتمته جاد به
قتل الأبطال لمّا برزوا
أظهر الإسلام رغباً للعدى
فأنا الأزهر ابن الأزهرين
فأنا الجوهر ابن الدرّتين
قد ملكنا شرقها والمغربين
ولنا البيت ومثوى الحرّمين
غير ذا الرجس لعين الوالدين
وأبي الموفى له باليعتدين
حين وافى رأسه للركعتين
يوم أحد وبيدر وحنين
بحسام صرام ذي شـفرتين

قال : ولم يزل يحمل على القوم يجالدهم بالسيف يميناً وشمالاً , حتى قتل منهم مقتلة عظيمة , إلى أن انكشفوا من بين يديه واقتحم المشرعة ونزل إلى الماء , وقد كضّه العطش العظيم وكذلك فرسه .

قال : فلمّا حسّن الفرس ببرد الماء يجري تحت قدميه , حطّ رأسه ليشرب , فصبر عليه حتى شرب ونفض ناصيته , ثمّ جعل ذوائب السيف في يده وغرف غرفة ليشرب , وإذا بصائح : يا حسين , أدرك خيمة النساء . فرمى الماء من يده وأقبل مسرعاً نحو الخيمة , فأراها سالمة , فعلم أنّها كانت حيلة من الكفرة اللئام ؛ ليحرموه شرب الماء ويجولوا بينه :

والهفتاه على معين سيادة
أبكي أعز كأن ضوء جبينه
طابت مآزره وطاب ثناؤه
إن المحامد لا تقوم بفضله
اليوم سلطت الدثور على العلى
حتى أغارت للمنون كتائب
هتكت حمى المجد المصون ولم تدع
وقال آخر :

لهفي عليه وقد أحاط به العدى
ويقول وهو يجود بينهم وقد

وأكدى وكان على الزمان معيننا
فلق صدوقاً في الحديث أميننا
فوجدته بالممدحتين قميننا
فاقصص له (الأنفال) أو (ياسينا)
ولقد بررت المكرمات سنينا
لم أدر أن لها عليكم كميننا
دمعاً لذي حلم عليك مصونا

والبيض تبرق والخيل صواهل
فقد النصير وثم تم الخاذل

هل ذائد هل فارس هل راجل
 هل ناصح هل راشد هل عاقل
 فيرى لنا حقاً نفاه الباطل
 يا فوزة إن قرّ وهو مواصل
 لا يشتفى من داء جهل جاهل
 وبذاك قد قامت هناك دلائل
 فضل على كل البرية شامل
 من بعده حاف غدا أو ناعل
 فضل به ضرع الفضائل حافل
 في الفضل من كل الأنام يماثل
 فهناك نحكم فيكم أو نسأل
 نيران حرب وهو فينا داخل

هل مسعد هل منجد هل ناصر
 هل راغب هل واهب هل هارب
 يأتي إلينا ناصرًا ومحامياً
 يا سعدة إن قرّ وهو مفارق
 لا تجهلوا فالجهل داء معضل
 فأنا الإمام عليكم دون الوري
 جدي النبي محمد من فضله
 وأبي الوصي أبر من وطأ الثرى
 والام فاطمة البتول ومن لها
 وأخي الزكي وجعفر عمي فمن
 ولنا المعاد يعود فضل قضائه
 فهناك أوقد كل باغ خارج

فيا إخواني , كيف لا تبكي عليهم محاجري؟! وكيف لا يقرح السهاد ناظري أو تتزايد أوصابي أو تضرم نار وجددي
 واكتتابي؟! فيا جفوني سحيّ دماً , ويا قلبي ازدد ألماً , ويا حرقني اشتدى عليهم , ويا أشواقني تزايدتي إليهم , فإنه يحقّ على
 مثلهم أن يبكي الباكون ويندب النادبون وتذرف الدموع من العيون . أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان
 والأشجان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة لأبي الحسين بن أبي سعيد (رحمته الله)

كل ما آن صبحه ومساه
 لا ترد بالبكا الطويل سواه
 فإز عبداً بنفسه واساه
 خذلوه وأظهروا بغضاه
 وهم في عمى الضلالة تاهوا
 قد رضينا بكل ما ترضاه
 يهتدي ذا الوري إذأ بهداه

أيها الباكي المطيل بكاه
 إبك ما عشت للحسين بشجوا
 فهو سبط النبي أكرم سبط
 يوم أضحى بكريلاء بين قوم
 وهو يدعوهم إلى منهج الحق
 كتبوا نحوه يقولون إنا
 سر إلينا فلا إمام نراه

على سائر الأنام ولاه
حين تأتي جميع ما تمهواه
عابنوه وعنده أقرباه
منهم الحق من له أخفاه
لم يريدوا من الأنام سواه
رغبة في قتال من عاداه
للمنايا ولم يعد إلا هو
للمنايا ولم يعد إلا هو
بالحسام الصقيل يحمي حماه
وهو عن ذاك غافل لا يراه
طعنة بالسنان شلت يده
صريعاً أبي وأمي فدهاه
بعد أن سل سيفه وانتضاه
أن على رأس رمحه علاه
ومن حل في رفيع سماه
مذهب الحق آه وا ويلاه
وعليه الزمان شقق رده
أسفاً وهو بالبكا ينعاه
صريعاً معفراً بدماه
عارياً من قميصه ورداه
حق لي في الحسين ما أخشاه
ما ارتجناه آه وا خبتناه
أنهم يهرقون ظمناً دمناه
بعد آه ثم وا حسرتاه
ما تعمدت في الزمان جفاه
لحسين متى يعدنا لقاه

غيرك اليوم يابن من فرض الله
كن إلينا مسارعاً فعلينا
فأتى مسرعاً إليهم فلتنا
أعرضوا عن وداده ثم أبى
ثم صالوا عليه صولة بغى
فتحامت إليه إخوان صدق
بذلو دونه النفس اختيارا
ما ونوا ساعة إلا ابىدوا
تارة بطعن الطغاة وطوراً
إذ رماه اللعين خولى بسهم
وعلاه اللعين أعني سنانا
فهوى بالجراح يخفض في الأرض
وأتى مسرعاً إلى نحره الشمر
فبرى رأسه وكبر لماً
فبكت من فعاله الجن والإنس
وبكى البيوت والمقام ونادى
وغدا الدين بعد هذا حزينا
وتولى الجواد بيكي عليه
ورأت زينب أخاها على الأرض
ثاوياً بالعرى قتلياً ساليا
ثم نادى بأختها أخت يا أخت
أخت يا أخت خيب الدهر فيه
ما توهمت في جنود يزيد
أخت يا أخت آه وا طول حزني
أخت يا أخت قد جفاني حيب
أخت يا أخت ودعيه وقولي

أخت يا أخت اسكي الدمع حزناً
أخت يا أخت قاتل الله قوماً
أخت يا أخت اندييه بشجو
أخت يا أخت اندييه وقولي
يا شهيداً لموته أفـل البـدر
يا قضيباً حين استوى وتـدلى
يا قتيلاً بكت له الجن والإنس
لهف نفسي وجميع خيل الأعادي
لهف نفسي على بنات حسين
لهف نفسي على الحسين وشمس
آه وا ذلتاه من بعد عز
آه وا خيبتاه بعد حسين
آه يا جد لو رأيت حسيناً
حرموا مـورد الفـرات عليه
وسقوه الحمـام ظلمـاً وجـوراً
جد يا جد لو رأيت علياً
لو تراه بقيد وهو بيكي
وإذا ما رأى أم كلثوم نادى
فبكت رحمة له أم كلثوم
ثم قالت له ألا إن ذا الحال
وعزيز عليه أن لو يرى اليوم
لو يرانا ونحن فوق المطايا
وإذا ما وقفن في السير عنه
طالباً للشـام نحـو يزيـد
ثم لما أتيتـه في دمشـق
رأس سـبط التـي فوق قنـاه

لقتيل ما غمضت عيناه
قتلوه وحرموه لقتلوه
نـدب صبـب تـقلقت أحشاه
يا وحيـداً أبـيد بعـد ظمـاه
واعـتراه الخـسوف بعـد ضـياه
أقـصفتـه المنـون بعـد اسـتواه
طـويلاً واستوحشـت لجفـاه
قـد أهـدت بركضـها أعضـاه
حاسـرات يصـحن وا جـده
قـد برى الرأـس عامـداً من قفـاه
آه وا ضـيعتاه يا جـداه
آه وا غربتـاه وا وحـداتاه
بعـد أن أحـدقت بـه أعضـاه
إفـتراء وذبحـوا ابنـاه
واسـتباحوا أمـواله ونسـاه
ناحـلاً والسـقام قـد أضـنانه
بـين قوم لا يرحمـون بكـاه
أتعبـوني بالقـيد يا عمـتاه
وأجابـت من بعـد ذاك نـداه
عزيرـز لجـدنا أن يـراه
بعينـيه بعـض ما نلنـاه
عند رجـس نسـير في مسـراه
سـاعة لم يكـف عنـا أذاه
جعلت في جهنم مثـواه
بـهت الرجـل إذ رأت عينـاه
والسـبايا يصـحن وا سـنداه

على الطاهرين ما أعده
ويحبه في الفعال ما أقساه
لكن الأمر ما أراد الله
فأوتي به فلمّا رآه
ثمّ مننه تعجبت جلساه
ثمّ في طستت عسجد ألقاه
وتزرم وقرال في منشاه
الذي قد أسرنا لقاه
حيث نال الصديق فيه مناه
لعنة الله دائماً تغشاه
فلقد طال في المعاد شقاه
وابن سعد ومن سعى في رضاه
بالزهد القليل من دنياه
وأطيلوا مدى الزمان سجاه
ليس يفنى ولا يزول بقاه
ما أضاء الصبح واستنار ضياه
جميعاً وأنتم أمناه
يا بني أحمد منار هداه
لمحب تملكته يهداه
في البرايا وأنتم خلفاه
يوم يلقى المسيء ما قد جناه
حاش الله أن يخيب رجاه
في غدد يرتجيك شفعا
وأن تصفحوا له عن جناه
ليس يحصي عظيمها إلا هو
في مقام وما استجب دعاه

ثم قال الزنيم ويل ابن مرجان
ويحبه ما أشده من عتل
كنت أرضى بدون ذا الفعل منه
ودعا الرجس بعد ذاك بالرأس
ساطعاً بالضيا تعجب منه
وعلا بالقضيب رأس حسنين
وانثنى الرجس ثمّ أنشد شعراً
ليت أشياخنا تشاهد ذا اليوم
يا لها اليوم فرحة وسروراً
فعلى الطاغى اللعين يزيد
فالعنوه بيكرة وأصـيل
والعنوا ما استتعتم ابن زياد
فلقد باع دينه من يزيد
جددوا اللعن ما بقيتم عليه
فلعنهم من المهيمن لعن
يا بني المصطفى سلام عليكم
أنتم صفوة العلى من الخلق
أنتم من نهج القويم وأنتم
أنتم حبله المتين فطوبى
أنتم يا بني النبي حجج الله
حبكم في المعاد ذخري وكنزي
وإذا ما أبو الحسين ارتجاكم
ابن أبي سعد مخلص الود فيكم
ويرجى الخلود في جنة الخلد
وعلبيكم من ربكم صلوات
ما دعا الله مخلص حين صلى

المجلس العاشر

من الجزء الثاني ، في العاشر من شهر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة

الباب الأول

عباد الله ، إنّ المصيبة بالحسين (عليه السلام) أعظم المصائب ، فصَبّوا فيها شآبيب الدّموع السّواكب بتصعيد الزّفّرات الغوالب ، واستنزفوا بالبكاء الدّماء ، واعقبوا الكرب والبلاء بتذكركم كربلاء.

نعم ، إنّ المصيبة بالمقتول نجل الرّسول والبتول وعلى الليث الصّوّول ، مصيبة لا يُجبر كسرهما ، وشعلة في صدور المؤمنين لا يطفى جمرها ، وعظيمة من العظائم يتجدد على الأيام ذكرها ، ورزية لا يتنقّس فجرها ، وقارعة زلزلت منها الأرض برّها وبحرّها عجباً لمن يتذكر مصارع هؤلاء الأتقياء الشّهداء العظماء من أهل بيت صفوة الخلق خاتم الأنبياء ، ثمّ يتمتع بعدهم بشربة من الماء !

سبحان الله ! أيّ ظلم جرى على أهل الحراب والحراب وأرباب الكتيبة والكتاب ، وفتيان الطّعان والضّراب ورجال القب والقباب ، قاصمي الأصلاب وقاصمي الأسباب وقاصمي الرّقاب ، وهازمي الأحزاب وفالقي جماجم الأتراب ، أمراء الخطاب المستطاب ملوك يوم الحساب سلاطين يوم الثّواب والعقاب.

ما عذر أرجاس بني أميّة إذ منعوهم من الطّعام والشّراب والفُرات يومئذ مكرعة الكلاب ، حبسوا سادة الخلق في صحراء الاكتئاب ، ثمّ ذبحوا تلك النفوس الزّكية وعرضوها للنسور والدّئاب ، وعفروا تلك الوجوه البدرية في التّراب . هيهات ، لا عذر إلّا أن يُساقوا - بعد عتاب ربّ الأرباب ، بأيدي الملائكة الغلاظ الشّداد الغضاب - إلى دار العذاب الشّديد الالتهاب الضّيقة

صفت الدنيا للطغاة ذوي العناد ، واتسقت أحوال الوجاهة للأنكاد ذوي الأحقاد ، ونفذت أوامرهم على رقاب العباد ، ولفظت إليهم الخزائن نفائس الطّارف والتّلالد ، وآل الرّسول مشرّدين في البلاد منحجرون في كلّ شعب بغير برّة وزاد ، مستشعرون للخوف مكتحلون بالسّهاد ، قد ضربت عليهم الأرض بالسّهاد ، بنات الظّلمة في الدّور والقصور مسبلات السّتور ، وبنات الرّسول في حرّ الشّمس في مهبّ الصّبا والدّبور ، ضاربات الصّدور على هؤلء البدور وغروبها في مغارب القبور ، ومصيرها إلى بطون السّباع وحواصل الطّيور ، تمتعت اليزيدية تمتعاً قليلاً وسيعذبون بذلك طويلاً ، يورثهم ذلك العذاب رنةً وعويلاً ، إذ نسوا وراءهم يوماً ثقيلاً ، يوم لا ينفع خليل خليلاً ولا يغني عنه فتياً إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ ظليلاً. وفواكه ذلك قطفها ويسقون لما مُنعوا من ماء الفرات(1) ﴿كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾(2). وجدوا إلهاً رحيماً كريماً قد أسدى إليهم نعيماً مُقيماً ، وهؤلء وجدوا الرّسول خصيماً ، وسكنوا سعيراً وجحيماً ، سقوا صديداً وغساقاً وحيمياً : ﴿يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعْدَاءًا أَلِيمًا﴾(3).

فيا إخواني : لو تصوّر المحبّ لآل الرّسول ما لاقوا من الخطب المهول ، لاختار مواساتهم في الموت الشّديد وجعله عدّة للعيش الرّغيد ، ليجدل الحسين وأهل بيته وأصحابه على الرّمال ، وبعليّ كريمه الشّريف على القنا كالهلال ، وتسبي ذراريه محمولين حسراً على الجمال ، يُطاف بهم في البلاد مقرنين في الأصفاد ، هذا والدّموع جامدة ونيران الأحزان هامة والأشجان متباعدة ، لا يحسن ذلك من أهل الإيمان ولا من كاملي العقول والأديان ، بل والله ، قلّ لهذا المصاب خروج الأرواح من شدّة الاكتئاب.

فيا إخواني : اسكبوا الدّموع وأقلّوا الهجوع على من فقدهم عظيم ومصابهم جسيم ، فقد ورد في الخبر عن أهل العلم والأثر عن منذر النّوري : سمعت الحسين (عليه السلام) يقول : ((من دمعت عينه فينا دمة أو قطرت عيناه فينا قطرة ، بوأه الله في الجنّة حقياً)) . وعنه (عليه السلام) ، أنّه قال : ((أنا قتيل العبرة ، ما ذكرت عند مؤمن إلّا بكى واغتمّ لمصابي)) . وعن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، أنّه قال : ((أيما مؤمن ذرفت عيناه لقتل أبي عبد الله الحسين حتّى تسيل على خده ، بوأه الله في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً)) .

فهذه والله التّعمة العظمى والثّواب الهني

(1) يقصد هنا (عليه السلام) : آل الرّسول (ص). (معهد الإمامين الحسينين).

(2) سورة الإنسان / 17 - 18.

(3) سورة الإنسان / 31.

الأهني.

وعن الباقر (عليه السلام) ، أنه قال : ((رحم الله شيعتنا ، لقد شاركونا بطول الحزن على مصاب جدّي الحسين ، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه ؛ حزناً على ما مسّنا من الأذى من عدونا في دار الدنيا ، بوأه الله منزل صدق في الجنة)) .
وروي عن الصدوق القمي في كتاب كامل الزيارات بإسناده إلى زرارة⁽¹⁾ ، قال : أبو عبد الله : ((يا زرارة ، إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم ، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد ، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرّة ، وإنّ الجبال تقطعت وابتزت ، وإنّ البحار تفجّرت ، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين ، وما اختضبت منّا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجل ، حتى أتانا رأس عبّيد الله بن زياد ، وما زلنا في عبرة بعده ، وكان جدّي إذا ذكره ، بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة من رآه ، وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء من الملائكة ، ولقد خرجت نفسه (عليه السلام) فزفرت جهنّم زفرة كادت الأرض تنشقّ لفرقتها ، ولقد جرت نفس عبّيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية ، فشبهت جهنّم شهقة لو لا أنّ الله حبسها بخزانها ، لأحرقت من على فوق الأرض من فورها ، ولو يؤذّن لها ما بقي شيء إلا ابتلعتة ولكنها مأمورة مصفودة ، ولقد عنت على الخزان غير مرّة حتى أتاها جبرائيل فضرها بجناحه فسكنت ، وإنّها لتبكيه وتندبه وإنّها لتتلطّي على قاتله ، ولولا من على الأرض من حجج الله ، لتفطّرت الأرض وأكفت ما عليها ، وما يكثر الزلازل إلا عند اقتراب الساعة ، وما عين أحبّ إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه ، وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة وساعدها عليه ، وما من عبد يُحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدّي ، فإنّه يحشر وعينه قريرة والبشارة بلفائه والسرور على وجهه ، والخلق في الفزع وهم آمنون ، والخلق يعرضون وهم خدام الحسين (عليه السلام) تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء الحساب ، يقال لهم : ادخلوا الجنة . فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه ، وأنّ الحور لترسل إليهم : إنّنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدون . فما يرفعون رؤوسهم إليهم ؛ لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة ، وأنّ أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار ومن قائل ما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، وإنّهم ليرون منزلهم وما يقدر أن يدنوا إليهم ولا يصلون إليهم ،

(1) الوارد في كامل الزيارات / 167 ، هكذا : عن زرارة ، قال : قال : أبو عبد الله ... (معهد الإمامين الحسينين).

وإنّ الملائكة لتأتيهم من أزواجهم ومن خزائهم ما أعطوا من كرامة , فيقولون : نأتيكم إن شاء الله تعالى . فيرجعون إليّ بمقالاتهم⁽¹⁾ , فيزدادون إليهم شوقاً ؛ إذ هم خيروا بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين , فيقولون : الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة ونجانا ممّا كنّا نخاف . ويؤتون بالمراكب والرّجال على التّجائب فيستوتون , وهم في الثّناء على الله والصّلاة على محمّد وآله حتّى ينتهوا إلى منازلهم)).

وعن زيد الشّحام , قال : كنّا عند أبي عبد الله ونحن جماعة من الكوفيين , إذ دخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله فقربه وأدناه , ثمّ قال : ((يا جعفر)) . قال : لبيك جعلني الله فداك ! قال : ((بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين وتجيد ؟)) . قال : نعم جعلني الله فداك ! قال : ((قل)) . فأنشده ومن حوله حتّى سألت له الدّموع على وجهه ولحيته , ثمّ قال : ((يا جعفر , والله لقد شهد الملائكة المقربون ههنا يسمعون قولك في الحسين (عليه السلام) , ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر , ولقد أوجب الله لك يا جعفر في ساعته الجنّة بأسرها وغفر لك)) .

وقال أيضاً : ((يا جعفر ألا أزيدك ؟)) . قال : نعم يا سيّدي . قال : ((ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به , إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له)) .

وعنه (عليه السلام) , قال : ((إذا كان يوم العاشر من المحرمّ , تنزل الملائكة من السّماء ومع كلّ ملك منهم قارورة من البلّور الأبيض , ويدورون في كلّ بيت ومجلس ؛ ليكون فيه على الحسين (عليه السلام) , فيجمعون دموعهم في تلك القوارير , فإذا كان يوم القيامة , فتلتهب نار جهنّم , فيضربون من تلك الدّموع على النّار , فتهرب النّار عن الباكي على الحسين مسيرة ستين ألف فرسخ)) .

أيا شـيعة المختار نوحوا لمصرع	الشـهيد وبالدمع الغزير فجدودوا
تطأه الخيول الحادثات بركضها	ويسفي عليه بعد ذاك صعيد
وآل رسول الله يشهرون في المـلأ	وآل ابن هند في الخدور قعود
ورأس إمام السـبـط في رأس ذابـل	طويل على رأس سنان يـمـيد
وينكثه بالخيزران شماتة	به وسروراً كافر وعنيـد
برزن النساء الهاشميات حسراً	عليهن من نسج الثكول برود
نوادب يـخـدش الوجوه تفجعاً	وتلطم بالأيدي لهـن خـدود

(1) والذي ورد في كامل الزيارات : 169 , هو : فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم... (معهد الإمامين الحسينين).

فقوموا بأعباء العزاء فإنـه جليل وأما غيره فزهيد

فيا إخواني ، يحقّ لي أن أجعل النوح عليهم دأبي وأن أظهر عليهم جزعي واكتئابي ، وكيف لا والعيش بعدهم لا يصفو والزّفة عليهم لا تقفو؟! وكيف الصّبر لمن يمثل مولاه الحسين (عليه السلام) وهو واقف ينادي في ميدان القتال : ألا هل من نصير ينصر الآل ؟ ألا هل من معين يعين عترة المختار ؟ ألا هل من ذابّ يذبّ عن الدّرية الأطهار ؟ أين الثّقاة البررة والأتقياء الخيرة؟ أين من أوجب حقّاً عليه الإسلام ؟ أين الوصية فينا من الرّسول ؟ فما عذر أهل الزّمان عن إقامة العزاء للإمام الشّهيد العطشان؟

نُقل أنّ الحسين (عليه السلام) لما كان في موقف كربلاء ، أته أفواج من الجنّ الطّيّارة ، وقالوا له : نحن أنصارك فمرنا بما تشاء ، فلو أمرتنا بقتل عدو لكم لفعلنا .فجزاهم خيراً ، وقال لهم : ((إيّ لا أخالف قول جدّي رسول الله حيث أمرني بالقدوم عليه عاجلاً ، وإيّي الآن قد رقدت ساعة ، فرأيت جدّي رسول الله قد ضمّني إلى صدره وقبّل ما بين عيني وقال لي : يا حسين ، إنّ الله عزّ وجلّ شاء أيراك مقتولاً ملطخاً بدمائك ، مخضّباً شيبتك بدمائك مذبوحاً من ففاك ، وقد شاء الله أن يرى حرمك سبانيا على أقتاب المطايا . وإيّي والله ، سأصبر حتّى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين)) .

ثمّ إنّّه (عليه السلام) لم يزل يحمل على القوم ويقاتلهم حتّى قتل من القوم ألوفاً ، فلمّا نظر الشّممر لعنه الله إلى ذلك ، قال لعمر بن سعد : أيّها الأمير ، والله لو برز إلى الحسين أهل الأرض لأفناهم عن آخرهم ، فالرّأي أن نفترق عليه ، ونملاً الأرض بالفرسان والرّماح والنّبيل تحيط به من كلّ جانب .

قال : ففعلوا ذلك ، وجعل الحسين يحمل تارة على الميمنة وأخرى على الميسرة ، حتّى قتل على ما نُقل ما يزيد على عشرة آلاف فارس ولا يبين فيهم لكثرتهم حتّى اثنونه بالجراح .

نُقل : أنّه وقع فيه ثمانون جرحاً ما بين طعنة ونبلة ، فبينما هو كذلك ، إذ رماه اللعين خوّل بن يزيد الأصبحي بسهم فوقع في لبتّه فأرداه صريعاً على الأرض ، فجعل ينزع السّهم ويأخذ الدّم بكفّه فيخضب به رأسه ولحيته ، فقيل له : ما هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : ((حتّى ألقى جدّي وأنا مخضوب بدمي ، فأشكو إليه ما نزل بي)) .

قال : فنادى شمر بن [ذي] (4) الجوشن لعنه الله : ما انتظاركم فيه احملوا عليه من كلّ جانب .فضربه زرعة بن شريك لعنه الله على عاتقه الأيسر ، وضربه الآخر

(1) من إضافات المقوم .(معهد الإمامين الحسنين).

من كندة على وجهه ، وآخر ضربه على مفرق رأسه ، وحمل عليه جوشن⁽¹⁾ فقطعه وأصاب السيف رأسه فسال الدّم منه وأخذ منه البرنس ، فقال له الحسين (عليه السلام) : ((لا أكلت بيمينك ولا شربت بها وحشرك الله مع القوم الظالمين)) .

قال : فأقبل الكندي بالبرنس إلى منزله ، فقال لزوجته : هذا برنس الحسين فاغسله من الدّم ، فبكت وقالت له : ويلك قتلت الحسين وسلبت برنسه ! والله لا صبحتك أبداً . فوثب إليها ليلطمها فانحرفت عن اللطمة ، فأصابته يده الباب التي في الدار ، فدخل مسمار في يده فعملت عليه حتى قطعت من وقته ، ولم يزل فقيراً حتى مات لا رضي الله عنه .

وطعنه سنان بن أنس التّخعي برمح ، وبادر إليه خوّل بن يزيد ليجتز رأسه ، فرمقه بعينيه فارتعدت فرائصه منه فلم يجسر عليه ووّلّى عنه . ثمّ ابتدر إليه أربعون فارساً كلّ يريد قطع رأسه وعمر بن سعد لعنه الله يقول : عجّلوا عليه عجّلوا عليه . فدنا إليه شبت بن ربعي وبيده سيف ليجتز رأسه ، فرمقه (عليه السلام) بطرفه فرمى السيف من يده ووّلّى هارباً وهو ينادي : معاذ الله يا حسين أن ألقى أباك بدمك .

قال : فأقبل إليه رجل قبيح الخلقة كوسج اللحية أبرص اللون يُقال له سنان ، فنظر إليه (عليه السلام) فلم يجسر عليه ووّلّى هارباً وهو يقول : ما لك يا عمر بن سعد غضب الله عليك ، أردت أن يكون محمد خصمي .

فنادى ابن سعد : من يأتيني برأسه وله ما يتهنى به ؟ فقال الشّمر : أنا أيّها الأمير . فقال : أسرع ولك الجائزة العظمية . فأقبل إلى الحسين - وقد كان غشي عليه - فدنا إليه وبرك على صدره ، فحسّ به (عليه السلام) وقال : ((يا ويلك من أنت فقد ارتقيت مرتقى عظيماً؟!)) . فقال : هو الشّمر . فقال له : ((ويلك من أنا؟!)) . فقال : أنت الحسين بن عليّ وابن فاطمة الزّهراء وجدك محمد المصطفى . فقال الحسين : ((ويلك إذا عرفت هذا حسبي ونسبي فلم تقتلني؟!)) . فقال الشّمر : إن لم أقتلك فمن يأخذ الجائزة من يزيد ؟ فقال (عليه السلام) : ((أيما أحبّ إليك الجائزة من يزيد أو شفاعة جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟)) . فقال اللعين : دانق من الجائزة أحبّ إليّ منك ومن جدك . فقال الحسين (عليه السلام) : ((إذا كان لا بدّ من قتلي فاسقني شربة من الماء)) . فقال له : هيهات والله لا ذقت قطرة واحدة من الماء حتى تذوق الموت غصّة بعد غصّة . فقال له : ((ويلك اكشف لي عن وجهك وبطنك !)) . فكشف له ، فإذا هو أبقع أبرص

(1) هكذا هو الوارد في هذا الكتاب ، ولكن الوارد في شرح الأخبار 163/3 : من كندة يُقال له مالك بن بشير . وفي الإرشاد 110/2 : مالك بن التّسر الكندي . وفي روضة الواعظين 188/ : رجل يقال له مالك بن انس . وفي مشير الأحران 55/ : فجاء مالك بن التّسر . وفي أعلام الوري بأعلام الهدى 467/1 : مالك الكندي . وغيرهم قالوا غير ذلك . (معهد الإمامين الحسينين).

له صورة تشبه الكلاب والخنازير ، فقال الحسين (عليه السلام) : ((صدق جدّي فيما قال)) . فقال : وما قال جدّك ؟ قال : ((يقول لأبي : يا عليّ ، يقتل ولدك هذا رجل أبقع أبرص أشبه الخلق بالكلاب والخنازير)) . فغضب الشّمر من ذلك وقال : تشبهني بالكلاب والخنازير ، فو الله لأذبحنّك من قفاك . ثمّ قلبه على وجهه وجعل يقطع أوداجه روعي له الفداء وهو ينادي : ((وا جدّه ! وا محمّده ! وا أبا قاسماه ! وا أبتاه وا عليّاه ! أقتل عطشاناً وجدّي محمّد المصطفى ؟! أقتل عطشاناً وأبي عليّ المرتضى وأمّي فاطمة الزّهراء ؟!)) . فلمّا احتز الملعون رأسه ، شاله في قناة فكبرّ وكبرّ العسكر معه ، وشرع الحسين في سلبه (1) ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، وأخذ عمامته أحبش بن يزيد ، وأخذ سيفه رجل من بني دارم ، واتتهبوا رحله ، فتزلزلت الأرض وأظلم الشّرق والغرب ، وأخذت النّاس الصّواعق والرّجفة من كلّ جانب ، وامطرت السّماء دماً ، وانكسفت الشّمس لقتله ، وفيه يقول الشّاعر :

ألم تر أن الشمس أضحت مريضة لقتل حسين والبلاد اقشعرت
وإن قتييل الطّف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذّلت

فيا فؤادي القريح من الكآبة والحزن لا تستريح ، أو ما يحقّ لهذا الرّزء الجليل أن تشق عليه القلوب فضلاً عن الجيوب .
نقل أنّه لما قُتل الحسين (عليه السلام) ، جعل جواده يصهل ويحمم ويتخطى القتلى في المعركة واحداً بعد واحد ، فنظر إليه عمر بن سعد ، فصاح بالرّجال : خذوه وآتوني به . وكان من جياذ خيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال : فتراكضت الفرسان إليه ، فجعل يرفس برجليه ويمانع عن نفسه ويكدم بفمه ، حتّى قتل جماعة من النّاس ونكس فرساناً عن خيولهم ولم يقدروا عليه ، فصاح ابن سعد : ويلكم تباعدوا عنه ودعوه لننظر ما يصنع ! فتباعدوا عنه ، فلمّا أمن الطّلب ، جعل يتخطى القتلى ويطلب الحسين (عليه السلام) ، حتّى إذا وصل إليه ، جعل يشمّ رائحته ويقبله بفمه ويمرغ ناصيته عليه ، وهو مع ذلك يصهل ويكي بكاء التّكلي حتّى أعجب كلّ من حضر ، ثمّ انفلت يطلب خيمة النّساء وقد ملأ البيداء صهيلاً ، فسمعت زينب صهيله ، فأقبلت على سكيّنة وقالت : هذا فرس أخي الحسين (ع) قد أقبل لعلّ معه شيئاً من الماء . فخرجت متخمّرة من باب الحباء تتطلع إلى الفرس ، فلمّا نظرتها ، فإذا هي عارية من ركبها والسّرج خال منه ، فهتكت عند

(1) هذا ما ورد في الكتاب ، ولكن ورد في الكامل في التاريخ 78/4 ، تاريخ الطبري 346/4 ، وغيرهم هو : وسلب الحسين ما كان عليه ... (معهد الإمامين الحسينين).

ذلك خمارها ونادت : والله قُتِلَ الحُسَيْن ! فسمعت زينب قولها فصرخت وبكت وأنشأت تقول :

شُرقت بالريـق في أخٍ فجـعت به
فـالوهم أحسـبه شـيئاً فأندبـه
قـد كنت آمل آمل أسـر بها
جـاد الجـواد فـلا أهـلاً بمـقدمه
مـا للجـواد لـحاه الله مـن فرس
يا نـفس صـبراً علـى الدُّنيا ومـحنتها
وكنـت مـن قـبل أرعى كل ذي جـاري
لـولا التـخيـل ضـاعت فيـه أفكـاري
لـولا القـضاء الـذي في حـكمه جـاري
إلّا بـوجـه حـسـين مـدرك الثـار
أنـلا يـجد دـون الضـيغـم الجـاري
هـذا الحـسـين قـتيل بالـعـرى عـاري

قال : فخرجن النساء فلظمن الحدود وشققن الجيوب وصحن : وا محمداه ! وا عليّاه ! وا فاطماه ! وا حسناه ! وا حسيناها ! وارتفع الضجيج وعلا الصراخ ، فصاح ابن سعد : أضرموا عليهم النار في الخيمة . فقيل : يا ويلك يا عمر ! ما كفاك ما صنعت بالحسين وتريد أن تحرق حرم رسول الله بالنار ، لقد عزمت أن تحسف بنا الأرض ؟! . فأمرهم بعد ذلك بنهب ما في الخيم .
فيا ويلهم ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله من غير جرم اجترموه ولا مكروه ارتكبهوه ! فيا لها من مصيبة ما أوجعها ومن رزية ما أفجعها ! فكيف لا يحزن المحبّون وقد ذبح المبغضون ذريّة رسول الله من غير سب ، وداروا برؤوسهم البلدان من غير أمر قد وجب ، وسبوا نساءهم على الجمال وادخلوهم على يزيد في أذلّ الأحوال ؟! ما هو إلّا شيء ﴿ تَكَاذُ السَّمَاوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (1) :

ولم أنس مـن بـين النـساء سـكينة
أبي يا أبي يا خـير ذـخـر فقـدتـه
أبي يا أبي ما كان أسـرع فرقتي
أبي يا أبي مـن للشـدائد يـرتجـي
أبي يا أبي هـل لا تـعوـد لثاـكل
ومـن للـيتامى بـعد بـعدك سيـدي
فـعذب حـياتي بـعد فقـدك والـدي
تقول ودمع العين يهـمي ويهمـل
فيا ضـيـعتي مـن ذا الضـيمي أوـمل
لـديك فـمـن لي بـعدك الـيوم يكـفل
ومـن لي إذا ما غـبت كـهـف وموئـل
تـعلّ مـن الأـحـزان طـوراً وتـنـهل
ومـن للـأيامـى كـافل ومـتكـفل
ومـا دمت حـتى للـقيامـة حـنظـل

(1) سورة مريم / 90.

وتشكو إلى الزهراء بنت محمد
أيا جدتا قومي من القبر وانظري
عرايا على عادي العرى متعفراً
وقد قطعوا دون الوريد وريده
وقد حرموا ماء الفرات عتاوة
وتلك الوجوه المشرقات برغمها
وتلك الجباه الشامخات على القنا
وساروا بنا يا جدّه حواسرا
سبايا على الأفتاب تبدو جسومنا
وقال آخر :

وزينب من فرط الأسى تكثر البكا
أخي يا بن أمي يا حسين أما ترى
أخي يا كفيلى يا شقيقى وعادى
أخي كنت ركني في الشدائد ملجأ
أخي قد رمانا الدهر بالضر والعنا
أخي قل صبري واحتمالي ومن تكن
أخي بعدك السجاد في قيد أسرهم
أخي لو ترانا فوق أفتاب بدنهم
أخي كل خطب هان عند حلوله
فيا نكبة هدّت قوى دين أحمد
قال آخر : (ويُنقل أنه لزینب بنت فاطمة (عليها السلام)) :

تمسك بالكتاب وممن تلاه
بهم نزل الكتاب وهم تلوه
إمامي وحيد الرحمن طفلاً
علي كان صديق البرايا

بقلب حزين بالكآبة مقفل
حبيبك متروب الجبين مرمـل
قتيلاً خضيباً بالدماء مغسل
وديس ومنه الرأس في الرمح يحمل
علينا وسلب الفاطميات حللوا
تحتك ما بين الأنام وتهزل
تشج وترمي بالتراب وترمل
وأوجهنا بعد التخفر تبذل
عرايا بلا ظل به تنظلل

تقول أخي من لي إذا نابني الدهر
نساءك حسبري عز عندهم الستر
ومعتمدي إن مسني العسر واليسر
وعوني ومن في حكمه النهي والأمر
أخي قد علانا بعدك الذل والكسر
فقيداً لها من أين يلقي لها الصبر
فلهفي لمن قد مضه القيد والأسر
يسار بنا حسرى يعالجنا القهر
سوى يومك الجاري فمطعمه مرّ
وعظم مصاب في القلوب له شعر

فأهل البيت هم أهل الكتاب
وهم أهل الهداية للصواب
وآمن قبل تشديد الخطاب
علي كان فاروق العذاب

شـفـيـعـي في الـقـيـامـة عـنـد ربي
 وفاطمة البتول وسيدا من
 على الطوف السلام وساكنيه
 نفوس قدست في الأرض قدماً
 مضاجع فتية عهدوا فناموا
 علتهم في مضاجعهم كعباب
 وصيرت القبور لهم قصوراً
 بنات محمد أضححت سبايا
 معثرة الذبول مكشفات
 لمن أبرزن كرهاً من حجاب
 أبيض بالفرات على حسين
 فلي قلب عليه ذو التهاب

نبيي والوصي أبو تراب
 يخلد في الجنان من الشباب
 وروح الله في تلك القباب
 وقد خلصت من النطف العذاب
 هجوداً في الفوافد والشعاب
 بأوراق منعمة رطباب
 مناخلاً ذات أفنية رحاب
 يسقن مع الأسارى والتهاب
 كسبي الروم دامية الكعباب
 فهن من التعفف في حجاب
 وقد أضحى مباحاً للكلاب
 ولي جفن عليه ذو انسكاب

نقل عن زينب بنت عليّ (عليها السلام) قالت : في اليوم الذي أمر ابن سعد بسلبنا ونهبنا ، كنت واقفة على باب الخيمة ، إذ دخل الخيمة رجل أزرق العينين وأخذ جميع ما كان فيها وأخذ جميع ما كان عليّ ، ونظر إلى زين العابدين فرآه مطروحاً على نطح من الأديم وهو عليل ، ف جذب النطح من تحته ، وجاء إليّ وأخذ قناعي وقرطين كانا في أذني ، وهو مع ذلك يبكي ، فقلت له : لعنك الله هتكنتنا وأنت مع ذلك تبكي؟! قال : أبكي مما جرى عليكم أهل البيت . قالت زينب : فقد غاضني ، فقلت له : قطع الله يديك ورجليك وأحرقك بنار الدنيا قبل الآخرة . فوالله ما مرّت به الأيام حتّى ظهر المختار وفعل به ذلك ، ثمّ أحرقه بالنار .

وأما عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، فإنّه أقبل إليه الشمر مع جماعة وأرادوا قتله ، فقيل له : صبي عليل لا يحلّ قتله . ثمّ أقبل عليهم عمر بن سعد لعنه الله ، فضج النساء في وجهه بالبكاء والتّحيب حتّى ذهل اللعين وارتعدت فرائضه ، وقال لهم : لا تقربوا هذا الصّبي . ووكل بعليّ بن الحسين وعياله من حضر ، وقال لهم : أحفظوا واحذروا أن يخرج منهم أحد . فلما رأت أمّ كلثوم ما حلّ بهم ، بكت وأنشأت :

يا سائلي عن فتية صرعوا
 بالطوف أضحووا رهـن أكفاني

وفتيحة ليس يجارى بهم بنو عقيل خير فرسان
ثم بعون وأخيحه معاً فذكرهم هـيج أحزاني
من كان مسروراً بما مسنا أو شامتاً يوماً بنا شاني
لقد ذللتنا بعد عز فما أرفع ضيماً حين يغشاني
لقد هتكنا بعد صون لنا وسامني وجدي وأشجاني

قال : ثم إنَّ عمر بن سعد اللعين نادى بأصحابه : من يتدر إلى الحسين فيوطى ظهره وصدرة بفرسه ؟ فابتدر من القوم عشرة رجال منهم إسحاق بن حنوة الحضرمي⁽¹⁾ وهو الذي يقول : نحن رضنا الصدر بعد الظهر [بكلّ يعبوب شديد الأسر]⁽²⁾ فداسوه بخيولهم حتى هشموا صدره وظهره ، ورجع عمر بن سعد من ذلك . وقيل : أقام إلى الغد فجمع قتلاه فصلّى بهم ودفنهم وترك الحسين وأصحابه ، فلما ارتحلوا إلى الكوفة وتركوهم على تلك الحال ، عمد أهل الغاضرية من بني أسد ، فكفّنوا أصحاب الحسين وصلّوا عليهم ودفنوهم ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً .

ثم إنَّ عمر بن سعد أمر بالرحيل ، فأخذوا السبايا على الجمال ، وحملوا عليّ بن الحسين أسيراً ، وحملوا الرؤوس على الأسنة ، وتركوا القتلى مطرحين بأرض الغاضريات .

ونقل عن الشعبي أنّه قال : سمع أهل الكوفة ليلة قتال الحسين قائلاً يقول :

أبكي قتيلاً بكربلاء مضرج الجسم بالدماء
أبكي قتيل الطغاة ظلماً بغير جرم سوى الوفاء
أبكي قتيلاً بكى عليه من ساكن الأرض والسما
هتك أهلوه واساتحلوا ما حرم الله في الإماماء
يا بأبي جسمه المعزى إلا من الـمـدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء وماذا لـرزء من عزاء

قال : ثم إنَّ عمر بن سعد لما أذن للناس بالرحيل إلى الكوفة ، وأمر بحمل السبايا من بنات الحسين وإخوته وذريتهم ، فمروا بجثة الحسين ومن معه ، صاحت النساء ولظمن وجوههن ، ونادت زينب بنت عليّ : يا محمداه ! صلّى عليك ملك السماء ، هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء معقر بالتراب مقطّع الأعضاء ، يا محمداه ! بناتك في العسكر سبايا وذريّتك مقتلة تسقى عليهم الصّبا ، هذا أبيك⁽³⁾ محزوز

(1) هكذا ورد في الكتاب ، ولكن الوارد في بحار الأنوار 59/45 ، والعوالم ، الإمام الحسين (ع) /303 ، ولواعج الأشجان /195 ، وأعيان الشيعة 612/1 ، واللّهوف في قتلى الطّفوف /80 ، وغيرهم ، هو : أسيد بن مالك . وفي بعض غيرهم غيره . (معهد الإمامين الحسينين).

(2) كما في مثير الأحران /60 ، ولواعج الأشجان /195 ، وغيرهم . (معهد الإمامين الحسينين).

(3) هكذا ورد في الكتاب ، ولكن الوارد في بحار الأنوار 59/45 ، والعوالم ، الإمام الحسين (ع) /303 ، واللّهوف في قتلى الطّفوف /78 ، وغيرهم ، هو : وهذا حسين ... (معهد الإمامين الحسينين).

الرأس من القفا , لا هو غائب فيرجى ولا جريح فيداوى . فما زالت تقول هذا القول حتى أبكت كلّ صديق وعدو , حتى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها . والله درّ بعض المحبين حيث يقول :

قفوا ودعونا قبل بعدكم عنا وداعاً فإن الجسم من أجلكم مضني
فقد نقضت مّي الحياة وأصبحت على فجاج الأرض من بعدك سجننا
سلامي عليكم ما أمرّ فراقكم فيا ليتنا من قبل ذاك اليوم قد متنا
وإني لارثي للغريب وإنني غريب بعيد الدار والأهل والمعنى
إذا طلعت شمس النهار ذكرتكم وإن غريت جدت من أجلكم حزنا
لقد كان عيشي بالأحبة صافياً وما كنت أدري أن صحبتنا تفني
زمان نعمنا فيه حتى إذا انقضى بكينا على أيامنا بدم أقمي
فوالله قد زاد اشتياقي إليكم ولم يدع التغميض لي بعدكم جفنا
وقد بارحتني لوعة البين والأسى وقد صرت دون الخلق مقترعاً سنا
وقد رحلوا عني أحبة خاطري فما أحد منهم على غربي حنا
عسى ولعل الدهر يجمع بيننا وترجع أيام الهنا مثل ما كنا فيا

إخواني , كيف لا نلبس جلابيب الأحران وسراويل الأشجان على سادات الزمان وأمناء الملك الدّيان , المرثين من الزيادة والتقصان , الممدوحين بكلّ جارحة ولسان ! فتعساً لمن أراهم وسحقاً وخيبة لمن خالفهم وعصاهم ! وليتني حضرتم يوم الطّفوف ووقيتهم بنفسي من الحتوف , ولكن الأمر ما أراد الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

روى الثّقاة من أصحاب الحديث بأسانيدهم عن هند بنت الحرث , قالت : نزل رسول الله خيمة خالتي أمّ سعد فنام , ثمّ قام عن رقدته فدعا بماء يغسل يديه , ثمّ تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة , فأصبحنا فإذا هي أعظم دوحة , وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشّهد , ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمأ إلا روي ولا سقيم إلا بريء , ولا أكلت من ورقها شاة إلا درّ لبنها , فكنا نسمّيها المباركة , حتى أصبحت ذات يوم تساقط ثمرها واصفر ورقها , ففزعنا ممّا رأينا , فما راعنا إلا نعي رسول الله (ﷺ) , ثمّ إنّ بعد ثلاثين سنة , أصبحت ذات شوكة من أسفلها إلى أعلاها ,

وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها , فما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها , ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها , فبينما نحن فرعين مهمومين , إذ أتانا مقتل الحسين السبط ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت.

وروي عن ابن عباس , قال : كنت نائماً في منزلي في المدينة قابلة الظهر , فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو مقبل من نحو كربلاء , وهو أشعث أغبر والتراب على شيبته وهو باكي العين حزين القلب , ومعه قارورتان مملوءتان دماً , فقلت له : يا رسول الله , ما هذه القارورتان المملوءتان دماً ؟ فقال : ((هذه فيها من دم الحسين , وهذه الأخرى من دم أهل بيته وأصحابه , وإني رجعت الآن من دفن ولدي الحسين)) . وهو مع ذلك لا يفيق من البكاء والتّحيب.

قال ابن عباس : فاستيقظت من نومي فزغاً مرعوباً حزيناً على الحسين ولم أعلم بقتله , فبقيت في الهَمِّ والغَمِّ أربعة وعشرين يوماً , حتّى جاء النَّاعي إلى المدينة بقتل الحسين (عليه السلام) , فحسبت من يوم الرؤيا إلى ذلك اليوم , فإذا هو يوم قتل الحسين وفي تلك الساعة كان مقتله , فتعجبت من ذلك وتزايدت أحزاني وتصاعدت أشجاني.

فعلى الأطائب من أهل بيت الرسول فليبك الباكون , وإياهم فليندب النَّادبون , ولتلثمهم تذرف الدَّموع من العيون , أو لا تكونوا كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان , فنظم وقال فيهم :

القصيدة لمحمد بن حماد (رحمته الله)

لغير مصاب السبط دمعك ضائع	ولم نحظ بالحظ الذي أنت طامع
ولا أنت فيما تدعيه من الولاء	إذا لم يذب من لوعة الحزن سامع
فكل مصاب دون رزء ابن فاطم	حقير ورزء السبط والله فزازع
فدعني عدولي والبكاء فإني	أراك خلياً لم ترعك الفواجع
لأي مصاب أم لأي رزية	تصان لها دون الحسين المدامع
لحا الله طرفاً لم يسح دموعه	بقان فما دمع على السبط ضائع
فأين ادعاك الود والعهد والولاء	وقولك إني تابع ومتابع
يبيت حسين ساهر الطرف خائفاً	وطرفك ريان من النوم هاجع

وجسـم حسـين بالدماء مرمـل
أيا عين ابكي للحسين وما جرى
لقد كاتبوه الناكثون وكثروا
وليس لنا إلاك يا بن محمد
وأفـسـنـا دون النفسـوس وأهلها
فأقبل مـولاي الحـسـين بأهله
فلم يلق إلا غادراً ومنافقاً
يسائله ماذا الذين أنت طالب
فقال لهم كتب لكم ورسائل
فأبدوا جحوداً واغتمدوا وتجرؤوا
وأصبح ممنوعاً من الماء ورده
فيا لهف قلبي للشهيد وأهله
إلى الماء يجري واللثام تحوطه
وللفاطيمات العفاف تلهف
فلما رأى السبب الشهيد ضلالهم
أتى نحوهم في نعله وردائه
وقال لهم يا قوم أي شريعة
يحل لكم قتلي بغير جناية
نفوسكم قبلي الندامة والأسى
إذا لم تكونوا ترتضون قـدومنا
فقالوا له خل التعل والمنى
وإلا فكاسات المنون مليئة
فشأنك والحالين أي كلاًهما
فقال لهم كفوا عن الحرب إنني
ولما دجي الليل البهيم عليهم
دعا السبب أنصاراً كراماً أعفـة

وجسـمك في ثوب من الحزن دارع
عليه وما جرت عليه الخدائع
لقولهم أقدم فسعدك طالع
إماماً وإن السدين والحق ضائع
وأموالنا تفديك والكل طائع
يحدبهم حدب الظهور الجراشع
وكل لعين أحرقتـه المطامع
وفي أي قول جئت فيه وطامع
تخبر أن الكل للحق طائع
وباحوا بما كانوا بذكره طالعوا
وقد ملكت دون الحسين الشرائع
وأصحابه كل هناك يطالع
كلون سماء موجهه متدافع
على شربه والذئب والكلب شارع
وكل لكل في الغواية تابع
ولا راعه من كثرة القوم رائع
مبـد لها أم أي بدعة بادع
ألا فانسـبوني من أنا ثم راجعوا
فما الحزن من بعد التفريط نافع
دعوني عنكم إني الآن راجع
وصحبك جمعاً سلموا ثم بايعوا
بها السم من زرق الأسنة ناقع
تريد فأخبرنا بما أنت صانع
أفكر فيمما قلتـم وأطالع
وطاب لخالين القلوب المضاجع
ومما منهم إلا حمى وطائع

فقال لهم بالحل أمضوا واسلكوا
فقالوا جميعاً لا رعى الله عيشة
فقاموا يرون الموت أكبر مغنم
وقام لهم سوق من الموت حامياً
وبادي منادي الموت واشتجر القنا
فكم بائع نال السعادة والمنى
فلله من أقمار ثم تساقطت
وآساد غيل بعد بأس وسطوة
وعاد حسين مثل ما قال شاعر
ونسوانه من بين سبي وغارة
وبنت علي لا تملى من البكا
تقول أخي هذا الفراق متى اللقاء
أخي من لنا من بعد فقدك كافل
وصاح ابن سعد إذ رأى السبى وسلبه
ألا عجلوا قتل الحسين وسلبه
فمال عليه القوم بالبيض والقنا
فأردوه مخضوب الثياب كأنه
كأني بشمر جالساً فوق صدره
وعلى سنان رأسه في سنانه
فيا لك من يوم عظيم مصابه
ففحم الغوى والجهل والبطل جامع
وفيه حسين بالدماء مرملة
وزواره عود وخمرة وقينة
وظفل يزيد بالمهدود ممهد
وأطلال أولاد الدعي عوامر
وآل زياد بالسستور أعزة

سبيل النجا بالليل فالبر واسع
نعيش بها والسبى للموت جارع
وما منهم إلا عن السبى دافع
وتجاره سمر القنا والقواطع
وقد نشرت للبيع ثم البضائع
وكم خاب ذاك اليوم شار وبائع
على الأرض صرعى فهي فيها طوالع
مدللة من بعد عز خواضع
كما مثل كف طار عنها الأصابع
حزانا حيارى نادبات جوازع
بقلب لها قلب الأجابة لاسع
وفي أي وقت يجمع الشمع جامع
وفيمن تلوذ البائسات الضوائع
ونهب خيام النساء وسارعا
ونهب خيام النساء وسارعا
ورشق سهام رميه متتابع
شمام هوى من سرجه أو مقالع
لرأس حسين بالمهند قاطع
ونور حسين السبى كالبدر ساطع
عجيب أمور للشواهد ضارع
ونهر الهدى والدين والحق ضائع
وفيه يزيد بالمسرة رائع
وزوار مولاي الحسين الجوامع
وظفل حسين بالمنية راضع
وأطلال أولاد التبي بلاقع
وآل رسول الله فيها ضوارع

وقد أخذت عن رؤوسهن المقانع
إلى الأرض من فوق المطايا تواقع
وشمر له بالسب والضرب واجع
من الوجد والتبريح بالذل خاشع
وكل بلاء دونه متواضع
سلام متى ناح الحمام المراجع
ولا عمل فيه انمحي الذنب طائع
وإني بذلك السذخر راض وقانع
له في غد خير البرية شافع
وما لاح نجم في دجى الليل لا مع

كمثل لما يضرين من كل جانب
إذا نظروا رأس الحسين إمامهم
ولم أنس زين العابدين مكابلاً
وفخذه نضاحان قان وقلبه
فكل مصاب هان دون مصابهم
أيا سادتي يا آل طه عليه عليكم
فوالله مالي في المعاد ذخيرة
سوى حبكم يا خير من وطأ الثرى
لعل ابن حماد محمد عبدكم
عليكم سلام الله ما هبت الصبا

الباب الثاني

يا إخواني ، وكيف لا تحزنون على حبيب رب العالمين ، وثمرة فؤاد الزهراء بنت خاتم النبیین ، وقرّة عين عليّ أمير المؤمنين؟! وكيف لا يكون كذلك وقد ورد في الخبر عن سيّد البشر ، أنّه قال في الحسن والحسين : ((اللّهمّ أحبّهما وأحبّ من يحبّهما)) وقال : ((من أحبّ الحسن والحسين أحبّته ، ومن أحبّته أحبّه الله ، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة ، ومن بغضهما بغضته ، ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار)) .

فوا عجباه ممن يحبّهما رسول الملك الخلاق ، كيف يقع بهما أهل الضلال والتّفاق؟! فأيّ فؤاد لا يحزن لفقدهم؟ وأيّ عين تجبس دمعها من بعدهم؟ وكيف تستقرّ القلوب وقد أصبح أهل بيت الرّسول مطرودين على [عن⁽¹⁾ الأوطان ، مشرّدين في البراري والبلدان ، شاسعين في الأمصار كأثمّ مع سبايا الكفّار ، من غير جرم اجترموه أو مكروه ارتكبهوه . فكم من ورع أريق دمه وذو كمال نكس علمه ، فلو سمعتم كيف ينوح عليه لسان الصّلوات ويحنّ إليهم إنسان الخلوّات ، وتبكيهم محاريب المساجد وتناديهم أنديّة الفوائد ، لشجاكم سماع تلك الواعية النّازلة ، وعرفتم تقصيركم في هذه المصيبة الشّاملة . والله درّ من قال من الرّجال :

ولم أنس مولاي الحسين وقد غدا يودع أهليه ويوصي ويعجل

(1) من إضافات المقوم . (معهد الإمامين الحسينين).

أصـيغوا لـمـا أوصـيكمـوا وتقبـلـوا
لعظـمـ رزايـا كـم ولا تتبـدلـوا
وقومـوا إذا جنـ الدجـى وتفلـوا
لوقـع الرزايـا واصـبروا وتحملـوا
هلمـي إلى التوديع فالأمر مهـول
وعيناه من حزن تفيض وتهمـل
بنا ما تمنوا في النفوس وأملـوا
فأبصرن منه ما يسوء ويذهـل
ومعجزها من نحره متبلـل
وتندب ممانها وتولـول
حبيبك ملقى في الثرى لا يغسل
بأنا حيارى نستجير ونسأل
أسير عليل في القيود مغلـل
وحلمتونا اليوم ما ليس يحمل
لقد نزلت بالناس دهياء معضل

ينادي ألا يا أهل بيت محمد
عليكم بتقوى الله لا تتغـيروا
ودوموا على أعمالكم وانتهـالكم
وإن نابكم خطب فلا تتعضعوا
وفاطمة الصغرى تقول لأختها
ألى والدي يوصني بنا أخواته
وتدعو ألا يا سيدي بلغ العدى
وقمن النساء الفاطميات وهـا
وخرت عليه زينب مستغيثة
وتشكو إلى الزهراء فاطمـه
أيا أم قومي من ثرى القبر وانظري
وهل أنت يا ست النساء عليمـة
وهل لك علم من عليّ فإنه
علمتم وما أعلمتمونا برزئكم
فيا حسرة لا تنقضي ومصيبة

نُقل أنّ الحسين لما أراد الخروج إلى العراق ، قالت له أم سلمة : يا مولاي لا تخرج ، قد سمعت جدك رسول الله يقول : ((يُقتل ابني الحسين بالعراق)) .وعندي تربة دفعها إليّ في قارورة ، فقال : ((والله إيّ مقتول كذلك ، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً)) .ثمّ أخذ تربة فجعلها في قارورة وأعطاهـا إيّاهـا وقال : ((اجعلها مع القارورة التي أعطاك إيّاهـا جدّي ، فإذا فاضتا دمًا ، فاعلمي أنّي قد قُتلت)) . قالت أم سلمة : فلما كان يوم عاشوراء ، نظرت إلى القارورتين بعد الظّهر ، فإذا هُما قد صارتا دمًا .فصاحت وأعلمت من كان عندها ، فصرخوا وأقاموا عليه العزاء .ولم يُقلب ذلك اليوم حجر ولا مدر إلا ووجد تحته دم عبيط .

علم جدّه (صلى الله عليه وآله) أنه مقتول فأوعز إليه ، فاستقرّ ذلك في الخاطر وانعقدت عليه السرائر ، فهان عليه ما يلقاه في طاعة ربّه ومولاه حتّى جاهد على الصّلال ممثلاً لرضا ذي الجلال .فويل لمن خصماؤه شفاعؤه وشفعاؤه خصماؤه !
فيا إخواني ، لا تساموا في إقامة

الأحزان ولا ترغبوا عن إظهار الجزع والأشجان , فإنّه قليل في جنب هذا الخطب الجليل.

نُقل أنّه لما ارتحل عمر بن سعد لعنه الله ومن معه من أرض كربلاء متوجّهاً إلى الكوفة , ومعهم حرم رسول الله ورؤوس العلويين ورأس الحسين بمقدمهم , سمعوا هاتفاً يقول :

نُقل أنّ الأبيات لسليمان بن قتيبة

مررت على أبيات آل محمد	فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا أبعد الله الديار وأهلها	وإن أصبحت عنها برغم تخلت
وكانوا رجاء ثم صاروا رزية	لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
ألا أن قتل السبط من آل هاشم	أذل رقاب المسلمين فذلت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة	لقتل حسين والبلاد اقشعرت
فليت الذي أهوى إليه بسيفه	أصاب به يدي ففشلت

عن مُسلم الجصاص , قال : دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة , فبينما أنا أجصص الأبواب , وإذا بالزّعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة , فأقبلت على خادم وكان يعمل معنا , فقلت : ما لي أرى الكوفة تضجّ ؟ قال : الساعة أتوا برأس خارجي , خرج على يزيد بن معاوية . فقلت : من هذا الخارجي ؟ قال : الحسين بن عليّ . قال : فتركت الخادم حتّى خرجت ولطمت وجهي حتّى خشيت على عيني أن تذهب , وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس , فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس , إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة , وإذا بعليّ بن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه تشجب دماً وهو مع ذلك يبكي ويقول :

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم	يا أمة لم تراعي جلدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا	يوم القيامة ما كنتم تقولونا

فاتكفا فيهم كفتك أمية
فأتاه سهم اللعين فأرداه
ومضى المهمر ناعياً يقصد الفسطاط
فيرزن النسوان من خلل السجف
وأنت زينب إليه تنادي
يا بن أمي يا واحد ي شقيقي
ثم تدعو بأمهـا أم يا أم
واخرجني من ثرى القبور ونوحى
واسعديني وابككي على النزاح
ثم تدمي الخد الأسيل من النحر
وتنادي أيا أخي ما ترى الأيتام
ما ترى نجلك المفدي بذل
يشتكى ثقل الحديد عليلا
ثم تبكي والسبط ملقى على الأرض
كلما أفحمت وملت من الندى
يا لها من مصيبة أضعفت أركان
أعلى رأس الحسين على الرمح
يا بن بنت النبي جفني بتسكاب
ما شجاني إلا مصابك لا فقد
عبدك النابغ الخليعي محزون
ما ثنته عنكم خطوب كما قيل
حاش لله كيف يمضي مع الفاضل
لكن الجاهل المقلد لا يفرق
أنتم الأمرون للناس بالتقوى
حكمكم في العباد ما ض فيهم بين
فأقسـموني إذا قسـمتم نعماً

يوم بدر بالصـارم المصقول
صريعاً يرض تحت الخيول
في كسره وضعف صهيل
حيارى في رنة وعويل
وا أخى وا مؤملي وا كفيلى
وا سبائي وا ذلتى وا غليلي
أدركيني وعجلي واندي لي
لي على غرتي وحزني الطويل
الدار الغريب المشرد المقتول
المدمى باللثم والتقويل
يعثرن دهشة بالذبول
وسقام باد وداء دخيل
لهف قلبي على الأسير العليل
رميلاً وا حسرتا للرميل
رنا نحوها وخطب جليل
دين الهدى وخطب جليل
وبهدى إلى الطغاة النغول
دموعي عليك غير نجلى
حبيب ولا فراق خليلي
بكم عارف لكم بالدليل
ولا قاس عالمياً بجهول
دعوى إمامة المفضول
بين الدليل والمـدلول
وأهل التنزيل والتأويل
ضلال مرد وضل ضليل
وجحيماً إلى ثواب جزيل

الباب الثالث

يا إخواني ، كيف لا يهتدّ ركي لمصائبهم وأتجرّع بعض ما تجرّعه من غصصهم وأوصابهم ، وهم شفعايني في يوم الدّين إلى ربّ العالمين ؟ حاش لله ، بل طال ما شبت نار أحزاني فأكتمها عن من ينظر إليّ ويراني ، وكم كادت مدامعي أن تظهر كتمانني فأزيلها بإرادتي ؛ لئلا يظهر عليها جلسائي وخلائي ، ولم لا أموت في هواهم وأتلف مهجتي في رضاهم ؛ لأفوز بالأجر العظيم والثّواب الجسيم ؟.

حكى عن الشّعي الحافظ لكتاب الله تعالى ، أنّه قال : استدعاني الحجاج بن يوسف في يوم عيد الصّحبة ، فقال لي : أيّها الشّيح ، أيّ يوم هذا ؟ فقلت : هذا يوم الصّحبة . قال : بم يتقرّب النّاس في مثل هذا اليوم ؟ فقلت : بالأضحية والصدقة وأفعال البرّ والتقوى . فقال : اعلم إيّي قد عزمت أن أضحي برجل حُسيني . قال الشّعي : فبينما هو يخاطبني ، إذ سمعت من خلفي صوت لسلسلة وحديد ، فخشيت أن التفت فيستخفني ، وإذا قد مثل بين يديه رجل علوي وفي عنقه سلسلة وفي رجليه قيد من حديد ، فقال له الحجاج : ألسنت فلان بن فلان العلوي ؟ قال : نعم أنا ذلك الرّجل . فقال له : أنت القائل : إنّ الحسن والحسين من ذريّة رسول الله ؟ قال : ما قلت ولا أقول ، ولكن أقول : إنّ الحسن والحسين ولدا رسول الله ، وإتّهما دخلا في ظهره وخرجا من صلبه على رغم أنفك يا حجاج . قال : وكان متكئا على مسندة فاستوى جالسا ، وقد اشتدّ غيظه وغضبه وانفخت أوداجه حتّى تقطعت أزرار برده ، فدعا ببرة غيرها فلبسها ، ثمّ قال للرّجل : يا ويلك أن تأتيني بدليل من القرآن يدلّ أنّ الحسن والحسين ولدا رسول الله ، دخلا في ظهره وخرجا من صلبه ، وإلاّ قتلتك في هذا الحين أشرّ قتلة ، وإن أتيتني بما يدلّ على ذلك ، أعطيتك هذه البردة التي بيدي وخليت سبيلك .

قال : وكنت حافظا لكتاب الله تعالى كلّه وأعرف وعده ووعيده وناسخه ومنسوخه ، فلم تخطر على باي آية تدلّ على ذلك ، فحزنت في نفسي يعزّ والله عليّ ذهاب هذا الرّجل العلوي ، قال : فابتدأ الرّجل يقرأ الآية فقال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . فقطع عليه الحجاج قراءته ، وقال : لعلك تريد أن تحتجّ عليّ بآية المباهلة ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَقُلْ نَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ ﴿١﴾؟ فقال العلوي : هي والله حجّة مؤكّدة معتمدة , ولكنّي آتيتك بغيرها . ثمّ ابتداءً يقرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى ﴾ (2) . وسكت , فقال له الحجاج : فلم لا قلت : (وَعِيسَى) ؟ أنسييت عيسى ؟ فقال : نعم صدقت يا حجاج , فبأيّ شيء دخل عيسى في صلب نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وليس له أب ؟ فقال له الحجاج : إنّهُ دخل في صلب نوح من حيث أمّه . فقال العلوي : وكذلك الحسن والحسين دخلا في صلب رسول الله بأُمّهما فاطمة الزّهراء . قال : فبقي الحجاج كأنّما ألقم حجراً , فقال له الحجاج : ما الدليل على أنّ الحسن والحسين إمامان ؟ فقال العلوي : يا حجاج , لقد ثبتت لهما الإمامة بشهادة النبي في حقّهما ؛ لأنّه قال في حقّهما : ((ولداي هذان إمامان فاضلان إن قاما وإن قعدا , تميل عليهما الأعداء فيسفكون دمهما ويسبون حرّهما)) . ولقد شهد النبي لهما بالإمامة أيضاً حيث قال : ((ابني هذا - يعني الحسين - إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة)) . فقال الحجاج : وكم عمر الحسين في دار الدنيا ؟ فقال : ست وخمسون سنة . فقال له : وفي أيّ يوم قُتل ؟ قال : يوم العاشر في شهر مُحَرَّم بين الظّهر والعصر . فقال له : ومن قتله ؟ فقال : يا حجاج , لقد جنّد الجنود ابن زياد بأمر اللعين يزيد , فلمّا اصطقّت العساكر لقتاله , فقتلوا حماه وأنصاره وأطفاله وبقي فريداً , فبينما هو يستغيث فلا يُعَاثُ ويستجير فلا يُجَارُ يطلب جرعة من الماء ليطفئ بها حرّ الظّمأ , فبينما هو واقف يستغيث إلى ربّه , جاءه سنان فطعنه بسنانه , ورماه خوّلٍ بسهم ميشوم فوق في لُبته وسقط عن ظهر جواده إلى الأرض يجول في دمه , فجاءه الشّمر لعنه الله فاجتزّ رأسه بحسامه ورفعته فوق قناته , واخذ قميصه إسحاق الحضرمي , وأخذ سيفه قيس النّهشلي , وأخذ بلغته حارث الكندي , وأخذ خاتمه زيد بن ناجية الشّعبي , وأحاط القوم بخيامه وعاثوا في باقي أثاثه , وأسبوا حرّمه ونساءه .

فقال الحجاج : هكذا جرى عليهم يا علوي ؟ والله , لو تأتيني بهذا الدليل من القرآن وبصحة إمامتهما , لأخذت الذي فيه عيناك , ولقد نجاك الله تعالى مما عزمتم عليه من قتلك , ولكن خذ هذه البردة لا بارك الله لك فيها . فأخذها العلوي وهو يقول :

: هذا من عطاء الله وفضله لا من عطائك يا حجاج . ثمّ إنّ العلوي بكى وجعل يقول :

(1) سورة آل عمران / 61 .

(2) سورة الأنعام / 84 - 85 .

صَلَّى إِلَهِهِ وَمَنْ يَحْفَ بِعَرْشِهِ وَالطَّيِّبُونَ عَلَى النَّبِيِّ النَّاصِحِ
وَعَلَى قَرَابَتِهِ الَّذِينَ نَحَضُوا بِالنَّائِبَاتِ وَكُلِّ خَطْبِ فَادِحِ
طَلَبُوا الْحَقَّ فَأَبْعَدُوا عَنْ دَارِهِمْ وَعَوَى عَلَيْهِمْ كُلَّ كَلْبٍ نَائِحِ

نُقل : أَنَّهُ لَمَّا دَعَا اللَّعِينُ يَزِيدَ بِسَبِيِ الْحُسَيْنِ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ ، قَالَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ : يَا يَزِيدُ ، أَمَا تَخَافُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ؟ وَمَا كِفَاكَ حَتَّى تَسْتَحِثَّ حَرَمَ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ ؟ وَمَا كِفَاكَ انْتِهَاكَ حَرَمَتَهُنَّ حَتَّى تَسُوقَنَا إِلَيْكَ كَمَا تُسَاقُ الْإِمَاءُ عَلَى الْمَطَايَا بِغَيْرِ وَطَاءٍ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ؟ فَقَالَ لَهَا يَزِيدُ لَعْنَهُ اللَّهُ : إِنَّ أَخَاكَ الْحُسَيْنَ قَالَ : ((أَنَا خَيْرٌ مِنْ يَزِيدٍ ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ ، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ ، وَجَدِّي خَيْرٌ مِنْ جَدِّهِ)) . فَقَدْ صَدَقَ فِي بَعْضِ وَأَلْحَنَ فِي بَعْضٍ ، أَمَا جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ، وَأَمَا أَنَّ أُمَّهُ خَيْرٌ مِنْ أُمِّي وَأَبَاهُ خَيْرٌ مِنْ أَبِي ، كَيْفَ ذَلِكَ وَقَدْ حَاكَمَ أَبُوهُ أَبِي ؟ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُهْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِبِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) . قَالَ : فَقَالَتْ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (2) . ثُمَّ قَالَتْ : يَا يَزِيدُ ، مَا قَتَلَ الْحُسَيْنَ غَيْرَكَ ، وَلَوْلَاكَ لَكَانَ ابْنُ مَرْجَانَةَ أَقْلًا وَأَذَلًّا ، أَمَا خَشِيتُ مِنَ اللَّهِ بِقَتْلِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ وَفِي أَخِي : ((الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) . فَإِنْ قُلْتَ لَا ، فَقَدْ كَذَبْتَ ، وَإِنْ قُلْتَ نَعَمْ ، فَقَدْ خَصِمْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ يَزِيدُ : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ (3) . وَبَقِيَ خَجَلَانًا . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَرْتَدِعْ عَنْ غِيِّهِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ يَنْكُثُ ثَنَايَا الْحُسَيْنِ (ع) ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ - وَنُقل أَنَّهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ - فَقَالَ لَهُ : يَا يَزِيدُ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْبَلُهُمَا مَرَارًا كَثِيرَةً ، وَيَقُولُ لَهُ وَلِأَخِيهِ الْحَسَنِ : ((اللَّهُمَّ ، إِنَّ هَذَانِ وَدِيْعَتِي عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ)) . وَأَنْتَ يَا يَزِيدُ هَكَذَا تَفْعَلُ بُوْدَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ؟! قَالَ : ثُمَّ إِنَّ يَزِيدَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ فَسَجَنَ ، حَتَّى نُقل أَنَّهُ مَاتَ وَهُوَ فِي السَّجَنِ . أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

وَنُقل : أَنَّ سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ قَالَتْ : يَا يَزِيدُ ، رَأَيْتَ الْبَارِحَةَ رَوِيَا إِنْ سَمِعْتَهَا مَنِّي قَصَصْتَهَا عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ يَزِيدُ : هَاتِي مَا رَأَيْتَ . قَالَتْ : بَيْنَمَا أَنَا سَاهِرَةٌ وَقَدْ كَلَلْتُ مِنَ الْبُكَاءِ بَعْدَ أَنْ صَلَّيْتُ وَدَعَوْتُ اللَّهَ بِدَعْوَاتِ ، رَقَدَتْ عَيْنِي ، رَأَيْتُ أَبْوَابَ

(1) سورة آل عمران / 26.

(2) سورة آل عمران / 169 - 170.

(3) سورة آل عمران / 34.

السّماء قد تفتّحت ، وإذا أنا بنور ساطع من السّماء إلى الأرض ، وإذا أنا بوصائف من وصائف الجنّة ، وإذا أنا بروضة خضراء وفي تلك الرّوضة قصر ، وإذا أنا بخمس مشايخ يدخلون إلى ذلك القصر وعندهم وصيف ، فقلت : يا وصيف ، أخبرني لمن هذا القصر ؟ فقال : هذا لأبيك الحسين أعطاه الله ثواباً لصبّره . فقلت : ومن هؤلاء المشايخ ؟ فقال : أمّا الأوّل فأدم أبو البشر ، وأمّا الثّاني فنوح نبي الله ، وأمّا الثّالث فإبراهيم خليل الرّحمن ، وأمّا الرّابع فموسى الكليم . فقلت : ومن الخامس الذي أراه قابضاً على لحيته باكياً حزيناً من بينهم ؟ فقال لي : يا سكينه أما تعرفينه ؟ فقلت : لا . فقال : هذا جدّك رسول الله . فقلت له : إلى أين يريدون ؟ فقال : إلى أبيك الحسين ، فقلت : والله ، لألحقنّ جدّي واخبرته بما جرى علينا . فسبقني ولم ألحقه ، فبينما أنا متفكّرة ، وإذا بجدي عليّ بن أبي طالب ويده سيفه وهو واقف ، فناديته : يا جدّاه قُتل والله ابنك من بعدك ! فبكى وضمّني إلى صدره وقال : ((يا بنية ، صبراً وبالله المستعان)) . ثمّ إنّه مضى ولم أعلم إلى أين ، فبقيت متعجّبة كيف لم أعلم به ، فبينما أنا كذلك ، إذا بباب قد فُتح من السّماء ، وإذا بالملائكة يصعدون وينزلون على رأس أبي . قال : فلمّا سمع يزيد ذلك ، لطم على وجهه وبكى وقال : ما لي ولقتل الحسين .

وفي نقل آخر : أنّ سكينه قالت : ثمّ أقبلت على رجل ؛ دري اللون قمري الوجه حزين القلب ، فقلت للوصيف : من هذا؟ فقال : جدّك رسول الله . فدنوت منه وقلت له : يا جدّاه ! قُتل والله رجالنا وسفكت والله دماءنا ، وهتكت والله حرّمتنا ، وحملنا على الأقتاب بغير وطاء ، نساق إلى يزيد . فأخذني إليه وضمّني إلى صدره ، ثمّ أقبل على آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، ثمّ قال لهم : ((ماترون إلى ما صنعت أمتي بولدي من بعدي ؟)) . ثمّ قال الوصيف : يا سكينه ، اخفضي صوتك فقد أبكيت رسول الله . ثمّ أخذ الوصيف بيدي وادخلني المصر ، وإذا بخمس نسوة قد عظم الله خلقتهن وزاد في نورهن ، وبينهنّ امرأة عظيمة الخلقة ناشرة شعرها وعليها ثياب سود ويدها قميص مضمّخ بالدمّ ، وإذا قامت يقمن معها وإذا جلست يجلسن معها ، فقلت للوصيف : من هؤلاء النّسوان اللواتي قد عظم الله خلقتهن ؟ فقال : يا سكينه ، هذه حواء أمّ البشر ، وهذه مريم ابنة عمران ، وهذه خديجة بنت

خويلد ، وهذه هاجر ، وهذه سارة ، وهذه التي بيدها القميص المضمخ بالدم وإذا قامت يقمن معها وإذا جلست يجلسن معها ، هي جدتك فاطمة الزهراء . فدنوت منها وقتلت لها : يا جدتاه ! قُتلت والله أبي وأومت على صغر سني . فضمتني إلى صدرها وبكت بكاءً شديداً وبكين النسوة كلهن وقلن لها : يا فاطمة ، يحكم الله بينك وبين يزيد يوم فصل القضاء . ثم إنَّ يزيد تركها ولم يعبأ بقولها : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (1).

قتلتم أبي ظلماً فويل لأكمم	ستجزون ناراً حرها تتوقد
سفتكم دماء حرم الله سفكها	وحرمها القرآن ثم محم
ألا فابشروا بالنار إنكم غداً	لفي سقر حقاً يقيناً تخلدوا
وإني لأبكي في حياتي على أبي	على خير من بعد النبي سيولد
بدمع غزير مستهل مكفكف	على الخدمي ذائب ليس يجمد

قال : ثم إنَّ يزيد لعنه الله أمر الخطيب أن يصعد المنبر يسبّ علياً والحسن والحسين ، قال : فصعد ففعل ذلك ، فقال له زين العابدين : ((سألتك بالله إلا ما أذنت لي بالصعود على المنبر ، وأتكلّم بكلام الله فيه رضى وللأمة فيه صلاح)) . فاستحى منه فأذن له ، ثم إنَّ زين العابدين جعل بعدوبة منطقته وفصاحة لسانه ودلائل النبوة بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ((معاشر الناس ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأني أعرفه بنفسي ، أنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، أنا ابن من حجّ وليّ ، أنا ابن من طاف وسعى ، أنا ابن زمزم والصفاء ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، أنا ابن من دنى فتدلى ، أن ابن محمد المصطفى ، أنا ابن عليّ المرتضى ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن خديجة الكبرى ، أنا ابن صريع كربلاء ، أنا ابن محزوز الرأس من القفا ، أن ابن العطشان حتى قضى ، أنا ابن الذي افترض الله ولايته : فقال : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ (2) . ألا أن الاقتراف مودتنا أهل البيت .

أيها الناس ، فضّلنا الله بخمس خصال ، فينا الشجاعة والسماحة والهدى والحكم بين الناس بالحق والحمية في قلوب المؤمنين)) . قال : فقام المؤدّن فقطع خطبته ، فلما قال : الله أكبر الله أكبر . قال

(1) سورة الشعراء / 227.

(2) سورة الشورى / 23.

الإمام زين العابدين : ((كبرت كبيراً وعظمت عظيماً وقُلت حقاً جليلاً)) . فقال المؤدّن : أشهد أن لا إله إلا الله . فقال الإمام : ((وأنا أشهد أن لا إله إلا الله)) . فقال المؤدّن : أشهد أنّ محمّداً رسول الله . فبكى زين العابدين وقال : ((يا يزيد ، محمّد جدّي أم جدّك ؟)) . فقال : بل جدّك . قال : لم قتلت ولده ؟ فلم يرد جواباً ، حتّى نُقل أنّه قال : ما لي بالصّلاة حاجة . فخرج ولم يصل .

قال : ثمّ إنّ المنهال لقي عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، فقال : كيف أصبحت يا بن رسول الله ؟ فقال : ((كيف أصبح من قُتل بالأمس أبوه وأهله وهو يتوقّع الموت بعدهم)) . ثمّ قال : ((أصبحت العرب تفتخر على العجم ؛ لأنّ محمّداً منهم ، ونحن أهل البيت أصبحنا مظلومين مقتولين مشردين)) . قال : فعلت الأصوات بالبكاء والتّحبيب حتّى أنّ يزيد لعنه الله خشي الفتنة . ونُقل عن هند زوجة يزيد ، قالت : كنت أخذت مضجعي ، فرأيت باباً من السّماء قد فتحت والملائكة ينزلون كتائب كتائب إلى رأس الحسين ، وهم يقولون : السّلام عليك يا أبا عبد الله ، السّلام عليك يا بن رسول الله . فبينما أنا كذلك ، إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السّماء وفيها رجال كثيرون ، وفيهم رجل دري اللون قمري الوجه ، فأقبل يسعى حتّى انكبّ على ثنايا الحسين يقبلهما وهو يقول : ((يا ولدي قتلوك ، أتراهم ما عرفوك ومن شرب الماء منعوك ، يا ولدي ، أنا جدّك رسول الله ، وهذا أبوك عليّ المرتضى ، وهذا أخوك الحسن ، وهذا عمّك جعفر وهذا عقيل ، وهذان الحمزة والعبّاس)) . ثمّ جعل يعدّد أهل بيته واحداً بعد واحد . قالت هند : فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة ، وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين ، فجعلت أطلب يزيد وهو قد دخل إلى بيت مظلم وقد دار وجهه إلى الحائط ، وهو يقول : ما لي وللحسين . وقد وقعت عليه الهومات ، فقصصت عليه المنام وهو منكس الرأس .

قال : فلمّا أصبح ، استدعى بحرم رسول الله ، فقال لهم : أيما أحبّ إليكنّ ، المقام عندي أو الرّجوع إلى المدينة ولكم الجائزة السنّية ؟ قالوا : نحبّ أولاً أن ننوح على الحسين . قال : افعلوا ما بدا لكم . ثمّ أخليت لهم الحجر والبيوت في دمشق ، ولم تبق هاشمية ولا قريشة إلاّ ولبست السّواد على الحسين ، وندبوه على ما نُقل سبعة أيّام ، فلمّا كان اليوم الثّامن ، دعاهم يزيد وعرض عليهم المقام ، فأبوا وأرادوا الرّجوع إلى المدينة

فأحضر لهم المحامل وزينتها ، وأمر بالأنطاع من الإبريسم وصب عليها الأموال ، وقال : يا أمّ كلثوم ، خذوا هذا المال عوض ما أصابكم . فقالت أمّ كلثوم : يا يزيد ، ما أقلّ حياءك وأصلف وجهك ، أتقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالا؟! والله لا كان ذلك أبداً.

فيا ذلة الإسلام من بعد عزه ويا لــــك رزء في الأنام خطــــير
فيا عــــبرتي ســــحي ويا حــــرقتي إزددي ويا نفــــس ذوي فالمصــــاب كبــــير
فأي حياة بعد ذا الرزء ترتجي وأي فــــؤاد يعتريه ســــرور

نُقل : اللعين يزيد أوعد عليّ بن الحسين بثلاث حاجات يقضيها له ، فلمّا أحضره ، قال له : اذكر لي حاجاتك اللاتي وعدتك بمن . فقال له : ((الأولى : أن تربني وجه سيدي ومولاي الحسين ، فأتزوّد منه وأودّعه . والثانية : أن ترد علينا ما أخذت منا . والثالثة : إن كنت قد عزمت على قتلي ، فوجّه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدّهن)) .

فقال : أمّا وجه أبيك لن تراه أبداً ، وأمّا قتلك فقد عفونا عنك ، وأمّا النسوة فلا يسير بمن إلى المدينة غيرك ، وأمّا ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه . فقال (عليه السلام) : ((أمّا مالك فهو موفور عليك ، وإمّا طلبت ما أخذ منا ؛ لأنّ فيها مغزل فاطمة بنت محمّد ومقنعتها وقلاذتها وقميصها)) . فأمر اللعين برد ذلك وأمر برد الأسارى إلى أوطانهم .

قال : فسار القائد وكان يتقدمهم تارة ويتأخّر عنهم تارة ، فقلن النساء له : بحقّ الله عليك إلّا ما عرجت بنا على طريق كربلاء . ففعل ذلك حين وصل إلى قرب الناحية ، وكان قدومهم إلى ذلك المصرع يوم العشرين من صفر ، فوجدوا هناك جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من نساء بني هاشم ، فتلاقوا في وقت واحد ، فأخذوا بالبكاء وإقامة المآتم إلى ثلاثة أيام ، فلمّا انقضت ، توجّهوا إلى نحو المدينة .

قال بشر بن حذلم : لما صرنا قريباً من المدينة ، نزل عليّ بن الحسين وحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه ، وقال لي : ((يا بشر ، ادخل المدينة وانع أهلها بأبي عبد الله وأخبرهم بقدمونا)) . قال بشر : فركبت ودخلت المدينة ورفعت صوتي بالبكاء والتّحبيب ، فقلت : يا أهل المدينة ، هذا عليّ بن الحسين قد قدم إليكم مع عمّاته وأخواته ، وقد نزل قريباً منكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم بمكانه . قال : فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة ، إلّا

وبرزن من خدورهن خمشة وجوههن لاطمات يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور . قال : فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم⁽¹⁾. قال : ثم إنَّ أهل المدينة تبادروا مسرعين إلى نحو زين العابدين وأنا معهم , فوجدت النَّاس قد ملأوا الطَّرق والأمكنة , فنزلت عن فرسي وبقيت أتخطى رقاب النَّاس حتَّى قربت من باب الخيمة وكان زين العابدين (عليه السلام) داخلاً , فخرج ويده منديل يمسح به دموعه - وكان عمره يومئذ على ما نُقل أحد عشر سنة - فجلس على كرسي له وهو لا يتمالك على نفسه من شدَّة البكاء , والنَّاس يعزونه وهم مع ذلك يبكون وينحبون , فأومى إليهم أن اسكتوا , فقال : ((الحمد لله ربَّ العالمين , مالك يوم الدِّين , بارئ الخلائق أجمعين , الذي بعد فارتفع في السَّمَاوات العلى , وقرب فشهد النَّجوى , نحمده على عظائم الأمور ومجامع الدَّهور , وألم الفجائع ومضاضة اللواذع , وجليل الرِّزء وعظيم المصائب .

أيَّها النَّاس , إنَّ الله له الحمد وله الشُّكر قد ابتلانا بمصائب جليله , ومصيبتنا ثلثة عظيمة في الإسلام ورزء جليل في الأنام , قُتل أبي الحسين وعترته وأنصاره وشيعته , وسببت نساؤه وذريَّته , وطيف برأسه في البلدان من فوق عالي السَّنَان فهذه الرِّزَّة تعلقو على كلِّ رزية , فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

أيَّها النَّاس , مَنْ منكم يسر قلبه بعد قتل أبي وهو ابن بنت رسول الله ؟ أم آية عين تحبس وتضن بائها فلقد بكت السَّبْع الشَّداد لقتله , والسَّبْع الطَّباق لفقده , وبكت البحار بأمواجها , والسَّمَاوات بأركانها وسكَّانها , والأرضون بأرجائها , والأشجار بأغصانها , والطَّيور بأوكارها , والحيتان في لجج البحار , والوحوش في البراري والقفار , والملائكة المقربون , والسَّمَاوات والأرضون .

أيَّها النَّاس , أيِّ قلب لا ينصدع لقتله ولا يحزن لأجله ؟

أيَّها النَّاس , أصبحنا مشردين لائذين شاسعين عن الأمصار , كأننا من أولاد الكفَّار من غير جرم اجترمناه أو مكروه ارتكبناه , ولا ثلثة في الإسلام ثلمناها , ولا فاحشة فعلناها . فوالله , لو أنَّ النَّبي أوصى إليهم في قتالنا , لما زادوا على ما فعلوه بنا . فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)) . ثمَّ قام يمشي إلى دار الرِّسول ليدخلها . وأما أمَّ كلثوم , فحين توجَّهت إلى المدينة , جعلت تبكي وتقول :

مدينة جـدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا

(1) هكذا ورد في هذا الكتاب , ولكن الوارد في اللهوف في قتلى الطَّفوف /115 , وغيره : قال : فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجة إلا برزن من خدورهن , مكشوفة شعورهن , مخمسة وجوههن , ضاربات خدودهن , يدعون بالويل والثبور , فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم , ولا يوماً أمر على المسلمين منه ... (معهد الإمامين الحسينين).

ألا فـاخبر رسول الله عنـا
وإن رجالنا في الطـف صـرعى
وأخـير جـدنا أنا أسـرنا
ورـهـطـلـل يا رسول الله أضـحوا
وقـد ذـبحـوا الحـسـين ولم يـراعـوا
فلـو نظـرت عـيـونـك لأـسـارى
رسـول الله بعـد الصـون صـارت
وكـنت تـحـوطـنا حـتى تـولـت
أفـاطـم لـو نظـر إـلى السـبـايا
أفـاطـم لـو نظـرت إـلى الحـيارى
أفـاطـم لـو رأيتـنا سـهـارى
أفـاطـم ما لـقيت مـن عـداكـي
فلـو دامـت حـياتـك لم تـزالي
وعـرج بالـبقـيع وقـف وناـد
وقـل يا عم يا الحـسـن المـزكـى
أيا عمـاه إن أخـاك أضـحى
بـلا رأس تنـوح عـلـيه جـهـراً
ولـو عـاينـت يا مـولـاي سـاقوا
عـلى مـتـن النـياق بـلا وطاء
مـدينـة جـدنا لا تـقـبلينـا
خـرجنا مـنـك بالأهـلـين جـمـعاً
وكـنا في الخـروج بـجـمـع شـمـل
ونـحن في أمـان الله جـهـراً
ومـولانا الحـسـين لنا أنـيس
فـنحن الضـائـعات بـلا كـفـيل
ونـحن السـائـرات عـلى المـطـايا

بأنا قـد فـجـعنا في أخـينا
بـلا رؤـوس وقـد ذـبحـوا البـنينا
وبـعد الأـسـر يا جـد سـبينـا
عـاريا بالـطفـوف مـسـلبـينا
جـنابـك يا رسول الله فيـنا
عـلى أقتـاب الجـمـال مـحمـلـينا
عـيون النـاس ناظـرة إـلينا
عـيونـك ثارت الأعدا عـلينا
بـناتـك في الـبـلاد مـشـتـتينا
ولـو أبـصـرت زـين العـابـدينـا
ومـن سـهر اللـيالـي قـد عمـينا
ولا قـيراط مـمـالـقـينا
إلى يـوم القـيامـة تـنـدينا
أأيـن حـبـيب رب العـالمينـا
عـيال أخـيك اضـحوا ضـائـعينا
بـعداً عـنـك بالـرمـضاء رهينـا
طـور والـوحـوش المـوحـشـينا
حـرمـاً لا يـجدن لـهم مـعـينا
وشـاهدت العـيال مـشـكـفينا
فبالـحـسـرات والأحـزان جـينـا
رجـعنا لا رجـال ولا بـنينا
رجـعنا حـاسـرين مـسـلبـينا
رجـعنا بالقـطيعة خائـفـينا
رجـعنا والحـسـين بـه رهينـا
ونـحن النـائـحات عـلى أخـينا
نـشـال عـلى جـمـال المـبغـضـينا

ونحن بنات (يس) و(طه)
ونحن الطاهرات بلا خفاء
ونحن الصابرات على البلاء
ألا يا جدنا قتلوا حسيناً
لقد هتكوا النساء وحملوها
وزينب أخرجوها من خباها
سكينة تشتكى من حر وجد
وزين العابدين بقيد ذل
فبعدهم على الدنيا تراب
وهذي قصتي مع شرح حالي

ونحن الباقيات على أئينا
ونحن المخلصون المصطفونا
ونحن الصادقون الناصحونا
ولم يرعوا جناب الله فينا
على الأقتاب قهراً أجمعينا
وفاطم والهمة تبدي الأئينا
تنادي الغوث رب العالمينا
وراموا قتله أهـل الخونا
فكأس الموت فيها قد سقينا
ألا يا سامعون أبكوا علينا

قال الراوي : أما زينب ، فأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت : يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين ! وهي مع ذلك لا تحف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والتحيب ، وكلما نظرت إلى علي بن الحسين ، تجدد حزنها وزاد وجدها .
وأما علي بن الحسين (عليه السلام) ، فلما دخل إلى دار الرسول ، وجدها مقفرة الطلول خالية من سكاها حاكية أحزانها ، وقد غشيتها القدر النازل ، وساورها الخطب الهائل ، وأطلت عليها عذبات المنايا ، واطلقتها جحافل الرزايا ، فهي موحشة العرصات لفقد الأئمة الهداة ، لهوام لي معاهدها صياح ، وللرياح في محو آثارها إلحاح ، ولسان حالها يندب ندب الفاقد ويذري دمعاً من عين ساهرة ، وقد جالت عواصف الشمال والذبور في تلك المعالم والقصور ، وقالت بلسان حالها : يا قوم ، ساعدوني على الحزن على أناس كنت أنس بهم في الخلوات ، وسمع تجددهم في الصلوات ، فيا ليتني حيث لم احط بالمساواة عند النزال ، وحرمت معالجة تلك الأهوال ، كنت لأجسادهم الشريفة محلاً لجثثهم موطناً ومجناً ، فكيف لا أندب الأطلال والدوارس ، واوقض الأعين التواعس ؟ وقد كان سكاها سماري في ليلي ونهاري وهم شموسي وأقماري ، وافتخر على أمثالي بجوارهم ، واتمتع مواطىء أقدامهم وآثارهم ، فكيف يقل جزعي وحزني عليهم ؟

وكيف لا تنهدّ أركانِي تشوّفاً إليهم؟! والله درّ من قال :

وقفت على دار النبي مُحَمَّد
وامت خلاء من تلاوة قارئ
وكانت ملاذاً للأنام وجنة
فأقفرت من السادات من آل هاشم
فيعني لقتل السبط عبري ولوعتي
فيا كبدي كم تصبرين على الأذى
فلقيتها قد أقفرت عرصاتها
وعطل منها صومها وصلاتها
من الخطب يغني المعتفين صلاتها
ولم يجتمع بعد الحسين شتاتها
على فقدهم ما تنقضي زفرتها
أما أن أن تقني إذا حسراتها

أيها المفتون بهذا المصاب ملاذ الحماة من سفرة الكتاب ، بلزوم الأحزان على أئمة الأنام ورؤساء الإيمان ، فقد روي عن الباقر (عليه السلام) ، أنّ زين العابدين (عليه السلام) كان مع علمه وصبره ، شديد الجزع والشكوى لهذه المصيبة والبلوى ، وأنه بكى على أبيه أربعين سنة بدمع مسفوح وقلب مقروح ، يقطع نهاره بصيامه وليله بقيامه ، فإذا حضر الطعام لإفطاره ، ذكر قتلاه ونادى : ((واأباه !)) . ثم يقول : ((قُتل ابن رسول الله جائعاً ، قُتل ابن رسول الله عطشاناً ، وأنا أكل طيباً وأشرب بارداً)) . ثم يبكي كثيراً حتى يبيل ثيابه بدموعه ، والله درّ من قال :

بنتم وبننا فما ابتلت جوانحنا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت
إن الزمان الذي قد كان يضحكنا
شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
أنساً بقربكم قد عاد يكيينا

نقل : أنّه قيل لعلي بن الحسين (عليه السلام) : إلى متى هذا البكاء يا مولاي ؟ فيقول : ((يا قوم ، إنّ يعقوب النبي فقد سبطاً من أولاده الاثني عشر ، فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وابنه حيّ في دار الدنيا ويعلم أنّه لم يمّت ، وأنا قد نظرت بعيني إلى أبي وسبعة عشر من أهل بيتي قتلوا في ساعة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي ، وذكرهم يخلو من لساني ، وشخصهم يغيب عن عيني ، لا والله ، لا أنساهم حتى أموت)) .

فيا إخواني ، على مثل هؤلاء الأبرار يحقّ أن يبكي الباكون ، وإياهم يندب التادبون ، ومثلهم تدرف الدموع من العيون ، أو

لا

تكونون كبعض مادحيهم حيث عرّتهم الأحران , فنظم وقال فيهم :

القصيدة لابن حماد (رضي الله عنه)

نُقل : أنّ بعض الرجال في يوم عاشوراء أتاه ليهنئته بالعيد على ما هو معروف بينهم , فقال :

هـن بالعيد إن أردت سـوائـي
إن في مآثمـي عن العيد شـغـلاً
فإذا الناس عـيـدوا بسـرور
وإذا جـددوا الأبـزة جـددت
وإذا أدمنوا الشـراب فشـربـي
وإذا استشـعروا الغنـاء فنـوحي
وقليل لو مت همـاً ووجـداً
أيـهنا بـعيدـه من موالـيه
آه يا كـربلاء كم فيك من كـرب
ألذ الحـياة بعد قـتيل الطـف
كيف ألتذ شـرب المـاء وقد
كيف لا أسـلب العـزاء إذا ما
كيف لا تسـكب الدّمـوع جـفـوني
تطأ الخـيل جسـمه في ثـرى الطـف
بأبي زينـب وقد سـبيت بالذـل
فإذا عاينـتيه ملقـى على التـرب
أقبلت نـحوه فيمنعها الشـمر
أيها الشـمر خلـني اتـزود
ما لجـدي عليك حـق فـلم
ثم تدعو الحـسين يا شـقيق رـوحي
يا أخـي يومك المشـؤوم بـرى جسـمي
أي عـيد لمسـد لتباح العـزاء
فأله عـني وخلـني بشـجائي
كان عـيـدي بزفـرة وبكـائي
ثياباً من لـوعتي وضـنائي
من دمـوعي ممزوجة بـدمائي
وعـويلي على الحـسين غنـائي
لمصـاب الغـريب في كـربلاء
أياديهم يـمد الأعداء
لـنفس شـجـية وبـلاء
ظلمـاً إذا لـقل حـيائي
جرع كـأس الرـدى بكـرب الظمـاء
أنا مثـلته سـلب الـرداء
بعـد تـضـريح شـبيه بالـدماء
وجسـمي يـلتذ لـين الوطـاء
من خـدرها كـسي الإمامـاء
معـرى مجـداً بالعـراء
فتـدعو في خـفية وخـفاء
نظـرة منـه فهـي أقصـى منـائي
تـضـربني جـاهراً بسـوء مـراء
ثم تدعو الحـسين يا شـقيق رـوحي
وعظـمي وأوهـى قـوائـي

وحياتي فالآن خاب رجائي
كنت أفديك بي وقل فدائي
عشت إلا بمقلة عمياء
وقد أبرزت بذل السباء
فلهفي لها على الأحشاء
فحصاً باليدين في الرضاء
تناديه في خفي النداء
بعدم يا أبا وممن لضنائي
بغمر الجفون بالإيماء
ما أرى والدي مع الأحياء
له قط عادة بالجفاء
ما أدارت كواكب الجوزاء
وممن بعد خاتم الأنبياء
السورى في حنادس الظلماء
في غد ليوم الجزاء

يا أخي كنت أرتجيك لموتى
يا أخي لو فداك من الموت شخص
يا أخي لا حييت بعدك بل لا
آه وا حسرتاه لفاطمة الصغرى
كفها فوق رأسها من جوى الثكل
فإذا عاينت أباهما صريعاً
لم تطق نهضة إليه من الضعف
يا أبا ممن ترى ليتمي وضعفي
فإذا لم يطق جواباً هلمماً إلا
أقبلت نحو عمتيها وقالت
عما مال له جفاني وما كان
يا بني أحمد السلام عليكم
أنتم صفة الإله من الخلق
يا نجوم الهدى بنوركم يهدى
أنا مولاكم ابن حماد أعدتكم

قد تمّ الجزء الثاني من كتاب المنتخب

وبه تمّ الكتاب

4	كلمة المؤلف :
5	المجلس الأول في الليلة الأولى من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
13	الباب الثاني
20	الباب الثالث
26	المجلس الثاني في أول يوم من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
31	الباب الثاني
36	الباب الثالث
42	المجلس الثالث في الليلة الثانية من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
47	الباب الثاني
53	الباب الثالث
61	المجلس الرابع في اليوم الثاني من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
67	الباب الثاني
75	الباب الثالث
82	المجلس الخامس في الليلة الثالثة من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
89	الباب الثاني
97	الباب الثالث
104	المجلس السادس في اليوم الثالث من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
111	الباب الثاني
120	الباب الثالث
127	المجلس السابع في الليلة الرابعة من عشر المحرم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
136	الباب الثاني
144	الباب الثالث
150	المجلس الثامن في اليوم الرابع من عشر المحرم وفيه أبواب الباب الأول

156.....	الباب الثاني
162.....	الباب الثالث
170	المجلس التاسع في الليلة الخامسة من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
179.....	الباب الثاني
187.....	الباب الثالث
194	المجلس العاشر في اليوم الخامس من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
201.....	الباب الثاني
207.....	الباب الثالث
221	المجلس الأوّل في الليلة السادسة من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
230.....	الباب الثاني
238.....	الباب الثالث
244	المجلس الثاني في اليوم السادس من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
251.....	الباب الثاني
260.....	الباب الثالث
266	المجلس الثالث من الجزء الثاني في الليلة السابعة من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
273.....	الباب الثاني
281.....	الباب الثالث
290	المجلس الرابع من الجزء الثاني في السابع من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
297.....	الباب الثاني
305.....	الباب الثالث
313	المجلس الخامس من الجزء الثاني في الليلة الثامنة من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
321.....	الباب الثاني
329.....	الباب الثالث
340	المجلس السادس من الجزء الثاني في اليوم الثامن من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول
349.....	الباب الثاني
355.....	الباب الثالث

363	المجلس السابع من الجزء الثاني في الليلة التاسعة من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول.....
371	الباب الثاني.....
379	الباب الثالث.....
386	المجلس الثامن من الجزء الثاني ، في التاسع من عشر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول.....
393	الباب الثاني.....
399	الباب الثالث.....
405	المجلس التاسع من الجزء الثاني في الليلة العاشرة من المُحرّم وفي ابتداء مصرع الحسين (عليه السلام) وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول.....
422	الباب الثاني.....
437	الباب الثالث.....
446	المجلس العاشر من الجزء الثاني ، في العاشر من شهر المُحرّم وفيه أبواب ثلاثة الباب الأول.....
461	الباب الثاني.....
477	الباب الثالث.....
491	الفهرس.....